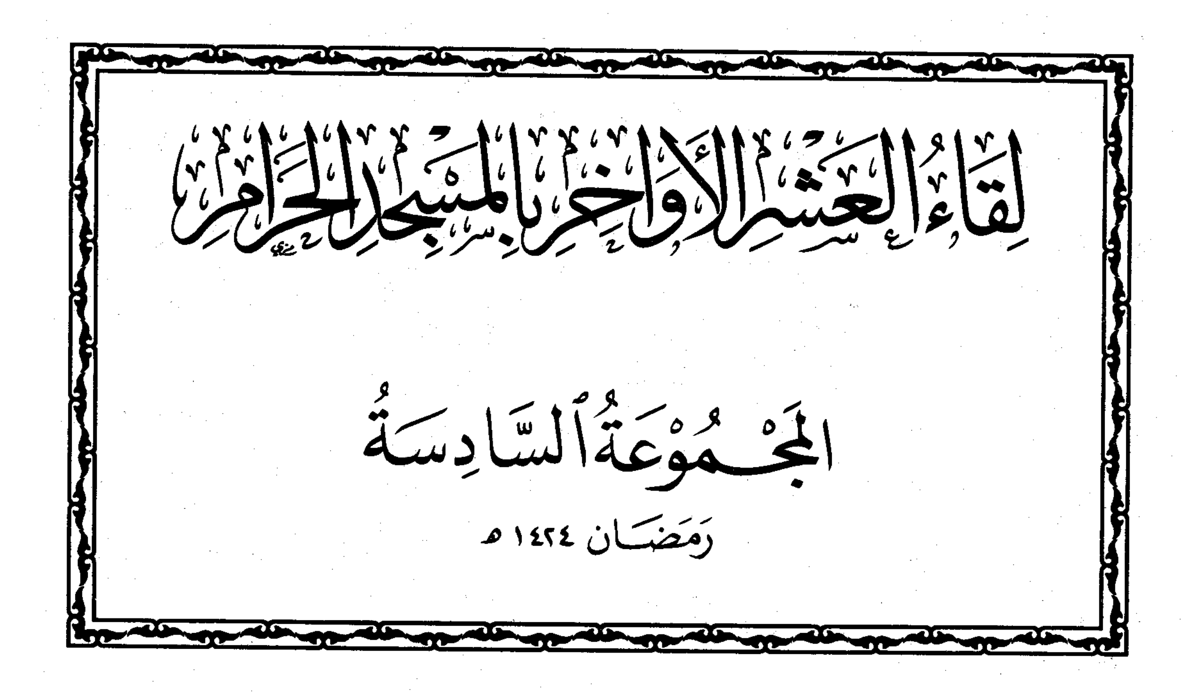

٦
لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام
٥٦ تحفة الطلاب «لنجم الدين الغزي»
٥٧ جزء التهنئة في الأعياد «للحافظ ابن حجر»
٥٨ حصول البغية للسائل «للبرهان الناجي»
٥٩ إرشاد الحائر إلى علم الكبائر «لابن عبد الهادي»
٦٠ تشحيذ الأفهام
٦١ إجازة مفتي الشافعية العرضي لابن الدباغ «لابن الدباغ»
٦٢ الكلمات البينات «لمرعي الكرمي»
٦٣ السنا والسنوت «للبرزنجي»
٦٤ صوب الغمامة «لابن أبي شريف المقدسي»
٦٥ أجوبة العلامة ابن القباب على أسئلة أبي زيد القيسي
دار البشائر الإسلامية



لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام
المجموعة السادسة
رمضان ١٤٢٤ هـ

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١
e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام



تصدير

المَجْمُوعَةُ السَّادِسَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّـهِ الذي أنزل على عبده الكتاب في شهر رمضان، وجعله بينات من الهدى والفُرقان.

والصَّلاة والسَّلام الأَتمَّان الأَكملان على خير خلق الله سيدنا محمد خاتم الأنبياء، سيِّد ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان.

أما بعد:

فمِن مِنَن الله تعالى العظيمة ونعمه الجسيمة ـ ومِنَنُهُ ونعمه التي لا تعدّ ولا تحصى ـ تجدد لقائنا في موسم عام ١٤٢٤هـ في العشر الأواخر من رمضان، في مجالسها التي نعقدها بصحن المسجد الحرام تُجاه الكعبة المُشرَّفة ـ زادها الله تعظيماً وتشريفاً ومَن شَرَّفها وعظَّمها، ووقاها وأهلها وزوارها شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وحفظها من كيد الكائدين، وحسد الحاسدين، وحقد الحاقدين، آمين.

وذلك لخدمة تراثنا العلمي المخطوط، والمطبوع النادر الذي هو في حكم المخطوط أيضاً، وإحياءً لسنَّة السماع والعرض والمقابلة والإجازة والتلقي؛ فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فكل ذلك بتوفيقه سبحانه ومحض كرمه وجوده وإحسانه.

هذا وكنا قد ذكرنا في مقدمة لقاء الموسم السابق في المجموعة الخامسة (١٤٢٣هـ) ما اعترى مجلسنا ذاك من مسحة حزن لوفاة ركن من أركانه، وهو الأخ الكريم والشيخ الفاضل رمزي بن سعد الدين دمشقية صاحب دار البشائر الإسلامية، رحمه الله تعالىٰ رحمةً واسعة.

وقد قدَّر الله تعالى في هذا العام أيضاً (١٤٢٤هـ) وفاة ركن آخر من أركان مجلسنا هذا وأحد مؤسسيه، ألا وهو الأخ الشيخ الأستاذ الداعية المربي أبو سالم، مساعد بن سالم العبد الجادر (آل عبد القادر) الذي وافاه الأجل المحتوم، وذلك يوم الخميس ١٩ ربيع الآخر (١٤٢٤هـ)، بعد ابتلائه بمرض السرطان الذي لم يمهله إلاَّ قليلاً.

وهكذا الموت والمرض يأتي بغتة:

ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاءُ

وقد كان الأخ الشيخ مساعد أحدَ الدعاة البارزين والمربين النوادر في دولة الكويت.

وقد تزاملنا أيام الدراسة في جامعة ماكجل في مونتريال كندا قديماً، ومعرفتي به وثيقة؛ فقد خبرته نِعمَ المربي والأب والزوج والأخ والصديق.

عرفته صوّاماً قوّاماً، أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر ــ في حكمة ورفق ولين ــ محباً للسنَّة النبوية، رقيق القلب، سريع الدمعة، سبّاقاً إلى الخير، كريماً معطاءً سخيّاً، متصدِّقاً، يضرب في كل باب من أبواب الخير بنصيب؛ ويندر أن تجد أحداً من شباب الدعوة في الكويت وروادها بمختلف توجهاتهم ومشاربهم ــ لا يعرفه، ولذا كانت جنازته رحمه الله حافلة بهم، هبَّ إليها أهل الفضل والخير والدعوة في الكويت وخارجها جميعاً، جزاهم الله خيراً.

ومن مناقبه أيضاً حبه للعلم الشرعي وطلبه الحثيث له، واقتناؤه لنوادر الكتب المخطوطة والمطبوعة، كما تشهد بذلك مكتبته العامرة التي خلفها بعده، نسأل الله تعالىٰ أن تكون صدقة جارية له وعلماً ينتفع به.

ومهما نطلق العنان للقلم فلن نوفيه حقه رحمه الله، ونرجو أن يتصدى لترجمته بعض محبيه وأبنائه، إيفاء ببعض حقه، وإحياءً لمناقبه.

وماذا عسانا أن نقول؟

«إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلاَّ ما يُرضي الرب، وإنا على فراقك ــ يا أبا سالم ــ لمحزونون».

* هذا وقد شرف لقاؤنا هذا (١٤٢٤هـ) كسابقيه بمساهمة جليلة لفضيلة شيخنا العلامة الجليل شيخ الحنابلة في عصرنا العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل حفظه الله تعالى، فقد قرأ عليه أخونا الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي رسالة «تحفة الطلاب في مسْتَثْنَيَات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب»، لنجم الدين الغزي، فجزاه المولى عنا خير الجزاء.

* **وقد يَسَّر الله تعالى في موسم هذا العام (١٤٢٤هـ) قراءة وإعداد الرسائل والأجزاء الآتية:**

١ ـ **تحفة الطُّلَّاب في مستثنيات كل ما كان أكثر عملاً فهو أكثرُ في الثّواب**، للعلَّامة المحدِّث نجم الدِّين الغزي الدِّمشقي، المتوفى سنة (١٠٦١هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور الفقيه المفضال عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.

٢ ـ **جزء التهنئة في الأعياد وغيرها**، لابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، بعناية الأخ الشيخ أبي الفضل عبد القادر بن عابدي النايلي.

٣ ـ **حصول البغية للسَّائِلِ هل لِأَحد في الجنة لحية**، للإمام برهان الدِّين الناجي، المتوفى سنة (٩٠٠هـ)، بعناية كاتب هذه السطور.

٤ ـ **إرشاد الحائر إلى علم الكبائر**، للإمام أبي المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي، المتوفى سنة (٩٠٩هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور الشيخ وليد بن محمد العلي.

٥ ـ **تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأَمْرِ والنَّهي والاستفهام**، تأليف العلَّامة عبد الله بن زيد المَعْزَبي الزَّبيدي اليماني، المتوفى سنة (١٣٨٩هـ)، دراسة وتحقيق الشيخ المُجِدِّ المفضال المهدي محمد الحَرازي اليماني.

٦ ـ **إجازة مفتي الشافعية بدمشق محمد بن عبد الرحمن الغَزِّي الدِّمشقي، المتوفى سنة (١١٦٧هـ)، للشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ، المتوفى سنة (١١٧٤هـ)**، تحقيق أخي محمد بن ناصر العجمي.

٧ ـ **الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾**؛ للعلَّامة مرعي بن يوسف الكرمي، المتوفى سنة (١٠٣٣هـ)، تحقيق الشيخ المحقق الأستاذ محمد خير رمضان يوسف.

٨ ـ **السنا والسنوت في معرفة ما يتعلق بالقنوت**، للعلَّامة الشيخ محمد البرزنجي، المتوفى سنة (١١٠٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: الشيخ الباحث العربي الدائز الفرياطي.

٩ ــ **صوب الغَمامة في إرسال طرف العمامة**، للشيخ كمال الدِّين محمد بن أبـي شريف المقدسي الشافعي، المتوفى سنة (٩٠٥هـ)، بتحقيق الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.

١٠ ــ **أجوبـة العلاَّمة أبـي عبـد الله ابـن البقَّـال (المتوفى سنـة ٧٢٥هـ) على أسئلة الفقيـه أبـي زيـد القيسي ابـن العشاب**، بعنايـة الشريف خالـد بـن العربـي مـدرك الحمداوي الإدريسي.

* والمرجو مـن أساتذتنـا ومشايخنـا الأجـلاء، وإخواننا طلبـة العلم الفضـلاء، أن يشـاركـوا معنـا بنصـائحهـم، وتـوجيهـاتهـم وتصـويبـاتهـم وتسديـداتهم، ويمكنهـم إرسالهـا إلينـا علـى عنـوان الناشـر، دار البشـائـر الإسلامية ــ بيروت ــ ولسان حالنا ومقالنا يقول:

وإن تجـد عيبـاً فسـد الخلـلا　　　جَـلَّ مـن لا عيـب فيـه وعـلا!

وتجدر الإشارة هنا أن كل باحث ومحقق مسؤول عن عمله وإنتاجه وجهده ومادته العلمية، وما قد يعتريه من نقص أو خلل أو خطأ، وليس لنا إلاَّ الإشراف على قراءتها في المسجد الحرام لتحقيق شرط إدخالها في المجالس، والتنسيق بينها ومتابعة وصولها، فليعلم.

والله الموفِّق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

نظام محمد صالح يعقوبي

بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ

بصحن المسجد الحرام تجاه الركن

اليماني من الكعبة المشرفة



لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٥٦)



تحفة الطلاب

في مُسْتَثْنَيَاتِ

«كُلُّ مَا كَانَ أَكْثَرَ فِي العَمَلِ فَهُوَ أَكْثَرُ فِي الثَّوَابِ»

للمحدِّث العلَّامة

نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي الشافعي الدمشقي

(ت ١٠٦١هـ)

رحمه الله تعالى

تَحقِيق

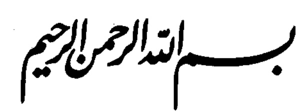
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الخَيْرِ مِن الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة



نَصّ قراءة رسالة: «تحفة الطلّاب»
على فضيلة الشيخ العلّامة شيخ الحنابلة
عبد الله بن عبد العزيز العقيل
حفظه المولى ورعاه



الحمد لله وحده.

وبعد: قرأ علينا الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي هذه الرسالة «تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر عملاً أو أشق فهو أكثر في الثواب»، لنجم الدِّين الغزِّي، وذلك في المسجد الحرام مساء يوم الخميس ٢٥ رمضان سنة ١٤٢٤هـ، بحضور جماعة من الإخوان منهم فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العجمي، ونسأل الله أن ينفع بها.

وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، حامداً لله مصلِّياً مسلِّماً على سيدنا محمد وآلِه وصحبه.

٢٥/ ٩/ ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده. وبعد قرأ علينا الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي
هذه الرسالة "تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر عملا أو أشق
فهو أكثر في الثواب" لنجم الدين الغزي وذلك في المسجد الحرام مساء يوم الخميس
٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ بحضور جماعة من الإخوان منهم فضيلة الشيخ محمد بن
ناصر العجمي ونسأل الله أن ينفع بها وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن
عبد العزيز بن عقيل حامداً الله مصلياً مسلماً على سيدنا محمد وآله وصحبه

٢٥/٩/١٤٢٤ [illegible]

صورة نص سماع الشيخ عبد الله العقيل بخطّه

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آلـهِ وصحبِه وسلَّم.

أما بعد:

فَعِلْمُ القواعد الفقهية من العلوم المهمة والضرورية التي ينبغي لطالب العلم أن يُعنى بها ويضبطها؛ وذلك لأن فيها جمعاً للمسائل المتناظرة التي تندرج تحت حكم واحد، وبيانَ ما استُثني من ذلك، مما يبين للباحث العلة التي تجمع تلك المسائل، وما يمكن أن يقاس عليها من مسائلَ مستجدةٍ وأحداث طارئة.

كما أنَّ هذه القواعد تنمِّي في طالب العلم فقه مقاصد الشريعة وأسرارها، والأسباب التي تجمع شتات المسائل، فتنشأ عنده روح الموازنة بين النصوص والحِكَم، وبين الألفاظ والمقاصد، فيتحقّق له الفقه السليم المعتدل، الذي لا يترك النصوص الشرعية ولا يهمل المقاصد المعتبرة، وهذا ما تفتقد إليه ساحة العلم في كثير من الأحيان.

ورسالتنا التي ننشرها اليوم، هي واحدة من الرسائل المتعلقة بهذا العلم، علم القواعد الفقهية، وذلك في قاعدة من قواعدها المهمة والمفيدة، التي تقول: «كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الأجر والثواب»، ولا شك أن هذه القاعدة تبعث العبد على تحمل المشاق والصعاب فيما كان قربةً ومرضاةً لله تبارك وتعالى، من دون أن يتقصد الإنسان هذه المشاق، ولكنها إذا حصلت استحضر المؤمن الأجر، وتحمّل وصَبَر.

لكن مِن فضل الله تعالى ورحمته، أن هذه القاعدة ليست على إطلاقها، فإن هناك من الأعمال التي شرعها الله عزَّ وجلّ ما هو أقل عملاً أو أخف من غيره، ولكنه مع ذلك فهو أعظم في الأجر والثواب.

إذاً فالقاعدة المذكورة لها استثناءات، فكان موضوع رسالتنا عن هذه المستثنيات، وهي بعنوان:

«تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب».

ومؤلفها هو أحد العلماء الأعلام، من آل الغزي الكرام، الذين اشتهروا بالعلم والتقوى، ومنهم صاحب رسالتنا هذه، وهو خاتمة حفاظ الشام، العلامة نجم الدين، أبو المكارم وأبو السعود: محمد ابن العلاَّمة بدر الدين محمد ابن العلاَّمة رَضِيّ الدين محمد الغزي، المتوفى سنة (١٠٦١هـ).

وقد شرح المؤلف في رسالته هذه منظومة والده في المستثنيات المذكورة التي جعلها اثنتي عشرة مسألة، ثم زادها ولده النجم فأوصلها إلى ثلاثين مسألة، ونظمها ــ أيضاً ــ كما ستجده إن شاء الله في آخر هذه الرسالة.

تحقيق الكتاب وقراءته على العلامة الشيخ عبد الله العقيل حفظه الله :

هذا وقد قمت بنسخ المخطوطة وتصحيحها .

ثم قراءتها أولاً على الشيخ الكريم نظام يعقوبي حفظه الله في المسجد الحرام في العشر الأواخر من رمضان المكرّم ١٤٢٤هـ.

ثم طلبت من العلامة المفضال الكريم، الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل ــ حفظه الله ــ أن أقرأها عليه، فوافق ــ حفظه الله ــ بما أوتي من رحابة صدر، ودماثة خلق، وكرم عظيم، قَلَّ أن يجتمع ذلك عند غيره، وعلّق الشيخ عليها وصحح، فأفاد وأجاد، وقد كتب بخطه ما يفيد قراءتي عليه، بارك الله في علمه، ونفعنا به، ووفّقنا وإياه لخير الدارين، آمين.

وصف النسخة المعتمدةَ في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة وحيدةٍ له ــ فيما أعلم ــ وهي مصورة من مكتبة الشيخ محمد بدر الدِّين الحَسَني بدمشق[١] .

وتقع في (٧) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢١) سطراً، وهي بخط نسخي واضح في معظمها، إلاَّ أن الأبيات فيها قد كُتبت بالحمرة، فلم تظهر بوضوح في المصوَّرة .

وأشكر أخي المفضال، الشيخ الكريم، محمد بن ناصر العجمي، حفظه الله ورعاه، الذي هيّأ لي هذا المخطوط وأكرمني به .

---

(١) وقد صوّرها كاملةً الدكتور محمد مطيع الحافظ في كتابه: علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر (٢/ ٩١ ــ ١٠٥)، للدكتور محمد مطيع الحافظ، والدكتور نزار أباظة.

ذكر المنظومة التي شرحها المصنف رحمه الله:

هذا وقد رأيت أن من المناسب أن أذكر المنظومة التي شرحها المصنف رحمه الله، وهي لوالده بدر الدين، والحقيقة أنني واجهت صعوبةً بالغةً في ذكر هذه الأبيات، وذلك لأنها قد كتبت بالحمرة والنسخة التي عندي مصوَّرة، فكان كثير من كلماتها غير واضحة، بل إن بعضها كالمطموسة، ولم نستطع أن نعثر على النسخة الأصلية، على أنها مذكورة في الشرح في ضمنه من دون ذكر البيت أولاً بكامله، فاجتهدت في جمعها مستقلّةً هنا، وقد أعانني في ذلك إعانةً بالغةً، الأخ الفاضل الكريم، الدكتور حسان الطيان، رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة بدولة الكويت، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، فالشكر الجزيل له موصول، والله الموفِّق.

وهذه هي المنظومة:

جميعُ ما كان أشقَّ مِن عَمَلْ ... أو كان زائداً فلِلضدِّ فَضَلْ

فيما سوى اثني عشر حكماً فلقد ... فاق على الأكثر فيهِمُ الأقلّ

أولها جمع التمضمض والاسـ ... تنشاق أولى منهما إذا فَصَلْ

ثانيُها وُسْطى الصلاةِ خيرُها ... وإن يكن في غيرها طولُ عَمَلْ

ثالثُها فِعْلُ الضحى ثمانياً ... أفضل مِن أكثرَ منها إنْ فَعَلْ

رَابِعُها سُنّةُ فَجْرٍ إنْ تُخَفْـ ... ـفْ تَفْضُلِ الفعلَ لَهَا إنْ تُسْتَطَلْ

خامسُها أفضل من تهجدٍ ... ونحوه غيرِ وترٍ ولو... قلّ[1]

سادسُها البسيط فيه وترهم ... ثلاثةٌ أولى وذا قولُ بَطَلْ

سابعُها صلاة عيدٍ تفضل الصـ ... ـلاة للكسوف مَعْ طولٍ فَصَلّ

---

(١) كذا عجز البيت كما هو عليه شرح المصنف ـ رحمه الله ـ، والظاهر أن فيه كسراً، والله تعالى أعلم.

ثـامنُهـا الصـلاة فـي جمـاعـةِ | مـن فِعْـلِ خمسـةٍ وعشـريـنَ أجـلّ
تـاسعُهـا القصـر مـن الإتمـام | فيـه ثـلاثـةُ مـراحـل فَضَـلْ
عـاشـرهـا أفضـل مـن تصـدقِ | بكـلِّ مـا ضحّـاهُ إنْ منـه أكـلْ
حـاديُ عَشْـرِ طـولُ بعـض سـورةٍ | تفضلُـهُ قصيـرةٌ إن تكتمِـلْ
ثـانـيُ عَشْـرِ تـركـك الثنـاء فـي | لفـظِ استعـاذةٍ عليـه النـصّ دَلّ

* * *

ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه:

هو نجم الدِّين، أبو المكارم وأبو السعود: محمد بن بدر الدِّين محمد بن رَضِيِّ الدِّين محمد، الغزِّي العامري الدمشقي الشافعي.

منزلته وفضله:

قال عنه المحبِّي في «خلاصة الأثر»[2]: «محدِّث الشام ومسندها، الشيخ الإمام... شيخ الإسلام، ملحق الأحفاد بالأجداد، المتفرّد بعلوّ الإسناد». اهـ.

وقال ـ أيضاً ـ: «وبالجملة، فهو خاتمة حفّاظ الشام». اهـ[3].

---

(1) انظر: «خلاصة الأثر» للمحبّي (٤/ ١٨٩ ـ ٢٠٠)، و «الأعلام» للزِّرِكْلي (٧/ ٦٣)، و «معجم المؤلِّفين» لكحالة (٣/ ٦٨٥، ٦٨٦) ـ ط مؤسسة الرسالة ـ، و «علماء دمشق وأعيانها في القرن الحادي عشر» للدكتور محمد مطيع الحافظ (٢/ ٦٧ ـ ٨١)، ومقدمة «الكواكب السائرة» لجبرائيل جبّور.
وقد ترجم المؤلِّف ـ رحمه الله ـ لنفسه في كتابه «بلغة الواجد في ترجمة الوالد» كما ذكره المحبّي في «خلاصة الأثر» (٤/ ١٨٩).

(2) (٤/ ١٨٩).

(3) (٤/ ٢٠٠).

مولده ونشأته:

وِلِد يوم الأربعاء: حادي عشر شعبان المكرَّم في دمشق، سنة (٩٧٧هـ)، ودعا له والده عند ميلاده فقال: «أنشأه الله تعالى وعمَّره، وجعله ولداً صالحاً، بَرًّا تقيًّا، وكفاه وحماه من بلاء الدنيا والآخرة، وجعله من عباده الصالحين، وحزبه المفلحين، وعلمائه العاملين...».

توفي والده وهو ابن سبع سنين، وكان يأمره بصيام رمضان وهو ابن ست سنين، ويعطيه في كل يوم قطعة فضةٍ ترغيباً له، حتى صام معظم الشهر، وكان يجلس معه للسحور، ويدعو له كثيراً، ويُحضِره دروسه هو وأخوه الشيخ كمال الدِّين.

وأجازه والده فيمن حضر دروسه إجازةً خاصة، وأجازه في حزبه الذي كتبه لمفتي مكة الشيخ قطب الدِّين إجازة عامّة.

ثم تربَّى في حجر والدته ـ هو وإخوته ـ فأحسنت تربيتهم غاية الإحسان، وبقيت مترملةً من أجلهم، وأشغلتهم بقراءة القرآن وطلب العلم.

طلبه للعلم ومشايخه:

قرأ القرآن على الشيخ عثمان اليماني، ثم نقله والده قبل وفاته إلى الشيخ يحيى العماري فختم عليه القرآن مرات، وأقرأه في الآجُرّومية والجَزَرية والشاطبية والألفية تصحيحاً وحفظاً لبعضها.

ولزم شيخ الإسلام شهاب الدِّين العيثاوي، فقرأ عليه، وسمع منه في الفقه عدة كتب، منها: شرح «المنهاج» و «الإرشاد»، وسمع عليه «عقيدة الشيباني»، وقرأ عليه في الحديث من أول البخاري وغيره.

قال المترجَم له عن شيخه العيثاوي: «وله عَلَيَّ تربيةٌ وحُنُوٌّ وعطف، وهو أعزّ شيوخي وأحبّهم إليّ»[1].

ولـزم ــ أيضـاً ــ مفتـي الفـرق شيـخ الإسـلام أبـا الفضـل: محمـد محب الدِّين، القاضي الحنفي، وقرأ على العلاَّمة قاضي القضاة في حلب ــ ثم المدينة، ثم آمد ــ: السيد محمد بن السيد محمد بن السيد حسن السعـودي، وذلـك حيـن قـدم دمشـق الشـام سنـة (٩٩٨هـ)، مـن تفسيـر البيضاوي، وأجازه بمروياته من التفسير، ومنها تفسير أبـي السعود.

وأجازه من المصريين: شيخ الإسلام الرملي، وزين العابدين البكري كتابةً إليه.

تدريسه وإفتاؤه:

تصدَّر ــ رحمه الله ــ للإقراء والتدريس، فدرَّس بالشامية البرّانية، تفرَّغ له عنها اختياراً الشهاب العيثاوي، وكذلك تفرَّغ له عن العمرية وعن إمامة الجامع الأموي والوعظ به.

وأذن له العيثاوي بالكتابة على الفتوى قبل وفاته بنحو عشرين سنة، فلم يكتب في هذه المدة إلاَّ على فتوى واحدة في الفقه وغيرِ واحدة في التفسير؛ تأدباً مع العيثاوي، فلما مات العيثاوي صار يفتي، وذلك من سنة (١٠٢٥هـ) إلى (١٠٦١هـ) سنة وفاته.

وكان ــ رحمه الله ــ مغرماً بالحج إلى بيت الله الحرام، وكانت أولى حجاته سنة (١٠٠١هـ)، فهو عام أحد بعد الألف، ووافقت الوقفة يوم الأحد، وكان موافقةً غريبةً استحسنها المصنف ــ رحمه الله ــ ومَن كان معه.

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/١٩١).

وبعد وفاة الشمس الميداني استقلّ بالمدرسة، وجلس مكانه تحت قبة النسر في الجامع الأموي، قال في «خلاصة الأثر»[1]: «ورأس الرئاسة التامة، ولم يبق مِن أقرانه الشافعيةِ أحد، وهرعت إليه الناس والطلبة، وعظم قدره، وبَعُدَ صيتُه، وكان قارىء الدرس بين يديه: السيد أحمد بن علي الصفوري، ثم الشيخ الإمام رمضان بن عبد الحق العكاري، ثم الشيخ العالم مصطفى بن سوار. وكانت مدة جلوسه تحت قبة النسر سبعة وعشرين سنة، وهو قدْر مدة الميداني، وهذا من غريب الاتفاق.

وانتفع الناس به وأخذوا عنه طبقةً بعد طبقة، وهم في الكثرة لا يحوم الإحصاءُ حولهم». اهـ.

مؤلفاته:

قال المترجَم له ــ رحمه الله ــ عن نفسه: «وفتح الله عَلَيَّ بالنظم والنظر والتأليف من سنة إحدى وتسعين وتسعمائة»[2]، وذَكَرَ من شعره قولَه:

لو بُحتُ بالحب الذي ... أضنى الفؤاد وكَلَّما
لبكى لي الصخر الأ ... صم وكاد أن يتكلما

ومؤلفاته كثيرة رحمه الله، فمنها:

ــ «الحلة البهية في نظم الآجُرّومية».

ــ شرح القطر، لابن هشام.

ــ شرح القواعد، لابن هشام أيضاً.

---

(١) (٤/١٩٨، ١٩٩).

(٢) «خلاصة الأثر» (٤/١٩٢).

ـ «المنحة النجمية في شرح الملحة البدرية»، وهي شرح منظومة والده في النحو نظماً في أربعة آلاف بيت.

ـ منظومة في النحو (مائة بيت).

ـ منظومة في التصريف والخط (مائة بيت).

نظم «قلائد العقيان في مورثات الفقر والنسيان» للناجي، قال المؤلف رحمه الله: «وهو غير نظم الجد الشيخ رَضِيّ الدين». اهـ[1].

ـ شرح لامية الأفعال لابن مالك في التصريف (في شرحين ممزوجين، الأول منظوم في نحو ألف بيت).

ـ نظم شرح شيخه علامة العصر المحب الحموي على منظومة العلامة المحب ابن الشحنة في المعاني والبيان.

ـ نظم فرائض المنهاج في الفقه.

ـ «تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب»، وهو شرح لمنظومة والده في هذه القاعدة الفقهية، وهو كتابنا هذا.

ـ «الدرة المنيرة في شروط التكبيرة» (شرح أبيات لصاحبه الشيخ أبي الوفا الحموي العبدري بالتماسٍ منه، وهو منثور).

ـ «تحفة النظام في تكبيرة الإحرام» (وهو شرحٌ منظوم لكتاب الحموي السابق).

ـ «اللآلىء المجتمعة في خصائص الجمعة» (وهو منظوم).

---

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٩٢، ١٩٣).

ـ شرح كتاب جده: «اللآلىء المبدعة في الكنايات المخترعة» (في علم الخط).

ـ نظم كتاب السيوطي: «رواة الأساطين في عدم الدخول على السلاطين».

ـ «المختار»، في اختصار كتاب السيوطي: «المنهل الرويّ في الطب النبوي».

«الهمع الهتَّان في شرح أبيات الجمع للشيخ علوان» (وهو شرح حافل).

ـ شرح على ألفية التصوف لجده: «منبر التوحيد ومظهر التفريد في شرح جمع الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد»، قال المؤلف رحمه الله عنه بأنه أعظم مؤلفاته الآن، وقال: «وهو كتاب حافل؛ جمعت فيه جميع أحكام الطريق، ووفّيت فيه شروط الشرع في عين التحقيق»[1]. هـ.

ـ «بُلغة الواجد في ترجمة شيخ الإسلام الوالد»، قال المؤلف: «وفي ضمنها أربعون حديثاً من مسموعاتي، كما تراها مسطرةً في الباب السابع»[2]. اهـ.

ـ «عقد النظام لعقد الكلام»، قال المحبي: «وهو كتاب غريب الوضع، مبني على مقولات للسلف في النصيحة والزهد وأشباههما، ثم ينظم تلك المقولات، ويذكر نظمه عند آخر كل مقولة». اهـ[3].

(١) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٩٣).

(٢) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٩٤).

(٣) المصدر السابق.

ـ «التنبيه في التشبيه[1]»خ، قال المحبـي: «وهو كتاب بديع في سبع مجلدات في قِطَع النصف لم يُسبَق إلى تأليفه، و هو أن يَذكر ما ينبغي للإنسان ما يتشبه به مِن أفعال الأنبياء والملائكة والحيوانات المحمودة، وما يتشبه به من اجتناب ما يُذم فعله». اهـ[2].

ـ «الكواكب السائر في أعيان المئة العاشرة» ط.

ـ «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر» خ .

ـ «عقد الشواهد»، في الأخلاق والعظات. خ .

ـ رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. خ .

ـ «النجوم الزواهر بشرح جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر»، شرح أرجوزة لأبيه. خ .

ـ «إتقان ما يحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن»، في الحديث. خ .

وفـاتـه:

أصيب قبل موته بست سنوات أو سبع سنوت بطرف فالج، فكان لا يتكلم إلَّا قليلاً. وتوجّه إلى القدس قرب موته، ثم رجع إلى دمشق فتخلى للعبادة وترك التأليف.

توفي رحمه الله في دمشق يوم الأربعاء: ثامن عشر جمادى الآخرة سنة (١٠٦١هـ)، عن ثلاث وثمانين سنة، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان، ورثاه

---

(١) وورد اسمه في بعض المصادر: «حسن التنبُّه لما ورد في التشبُّه».

(٢) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٩٥).

جماعة من الفضلاء، منهم الأديب محمد بن يوسف الكريمي في قصيدة طويلة، مطلعها:

لمـــا لجنـــات العلـــى شيـــخ الشيـــوخ انتقـــلا

فرحم الله المصنف رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جنّاته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصَّالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وهذا أوان الشروع في الرسالة المحققة، نسأل الله تعالى، السداد والقَبول، إنه خير مسؤول.

* * *



صور نماذج من المخطوط



تحفة الطلاب في مستثنيات كل ما كان أكثر في

العمل أو زائداً في العدد فهو أكثر في

الثواب

للفقير عفو ربه الوزير محمد نجم الدين ابن إبراهيم بن الرضي بن الرضي بن الشهاب

الغزي القرشي العامري الشافعي عفى الله عنه

ورحمه بمنه

وكرمه

آمين

اوراق
٧

صورة صفحة العنوان من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وصلى الله وسلم
على سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، أفضلهم ذاتا وأعظمهم شرفا، وعلى آله الطاهرين
وصحبه المكرمين الشرفا، وبعد فهذه ورقات كتبتها من كلام علمائنا الأعلام، على
مذهب محمد بن إدريس الشافعي الإمام، في بيان مستثنيات قاعدة كل ما كان أشق عملا
فهو أكثر ثوابا قصدت فيها أن تكون شرحا على منظومة لامية من بحر الرجز من نظم الشيخ
شيخ الإسلام، وحجة الله على الأنام، الشيخ بدر الدين ابن شيخ الإسلام رضي الدين ابن شيخ الإسلام
رضي الدين ابن شيخ الإسلام شهاب الدين الغزي العامري رضي الله عنهم أجمعين، وسميتها
تحفة الطلاب، في مستثنيات كل ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب، أسأل الله
النفع بها وإليه متاب. قال شيخ الإسلام [illegible] ما كان أشق من غيره ومن سببية
لما في قوله من عمل أو كان زائدا على غيره واللام في قوله فالفضل بمعنى على أي
فهو على الضد وقوله أي فهو أفضل مما دونه وهذه قاعدة مقررة في ما سوى التي
عشر حكما باعتبار ما ذكره الشيخ وإلا فقد تزيد كما أشار إليه بالضابط آخر
الأبيات. وعشر بسكون الشين وهو لغة الحجازيين ولقد فاق على الأكثر عملا [illegible]
أي في الأشق عشرة كما في نسخة [illegible] وهو جائز على تأويل الحكم بالمسألة وهذا وأمثاله
كثير في الكلام قال أبو عمرو سمعت رجلا من اليمن يقول جاءته كتابي قال فقلت أتقول
جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة الأقل فاعل فاق بمعنى فضل أي في هذه المسائل
يكون الأسهل والأقل أفضل من الأشق والأكثر لورود النص بذلك [illegible] أي أول
المستثنيات [illegible] الاستنشاق لتسهيل [illegible] أي في الوضوء أو [illegible]
[illegible] بينهما وفي هذه المسألة طريقان الأول القطع بأن الفصل أفضل والطريق
الثاني فيه وجهان الأول الفصل أفضل لما رواه طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه أبو داود

وله

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

ولم يضعفه والوجه الثاني الوصل افضل لانه صححه النووي وقال النووي في الروضة كما
قاله جماعة من المحققين والاحاديث الصحيحة تعضده به القول واحاديثه كثيرة وثبت في
الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس وفي سنن ابي
داود والنسائي من حديث علي واما حديث ابن مسعود فضعيف لانه وان سكت عنه
ابو داود ففيه ليث بن ابي سليم وهو ضعيف قال ابن حبان ياتي عن الثقات بما ليس
من حديثهم وقال النووي اتفق العلماء على ضعفه وعلى تقدير صحته فيحمل كما قال
الاسنوي على الجواز واذا تقرر ان الوصل افضل فلا خفا في انه اسهل من الفصل واكثر
منه مع ان الثواب عليه اكثر لتسبيحه دون الاول في الافضلية واما السنة فتنادي بالجمع
والفصل وما الاول في البيت يعني السابق والمتقدم والثاني مصدر مضمض
الماء في فيه اذا حركه قال القاضي عياض المضمضة اصلها الترديد والتحريك والاستنشاق
مصدر من النشق وهو الشم واولى [illegible] من وليه انا قريب منه [illegible] بالابدال
في الياء لضرورة الشعر كما قال الشاعر [illegible] وعرق الفرزدق شر العروق
خبيث الثرى كابي الازند [illegible] سواء قيل انها الصبح ام غيرها
وان [illegible] لكونها اكثر ركوعا وسجودا او اكثر معناه الخلاف
ودليل افضليتها قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله
قانتين فلولا ان لها افضلية لما امرنا بها على سبيل التاكيد بالتنصيص عليها
ثانيا وهو من ذلك عطف العام على الخاص وقد اختلفوا في تعيينها ومذهب الشافعي
انها الصبح لقوله تعالى وقوموا لله قانتين اذ لا قنوت الا في الصبح ولحديث مسلم
قالت عائشة رضي الله عنها لمن يكتب لها مصحفا اكتب والصلوة الوسطى وصلاة
العصر وقوموا لله قانتين ثم قالت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العطف
يقتضي المغايرة وقيل انها صلاة العصر لحديث الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة

لكونه الحرام اي في المسجد الحرام. قوله بالصلوة مطلقا الاجر اي بالصلوة

مطلقا في المساجد الثلاثة اول منها في غيرها دل بقاله هذا في كل عمل بر فضل الله واسع

حدث عنه ولا حرج. قوله وما قسمنا اي نسيق العمران وهي سورة البقرة وقول الله

اكبر تسكين الراء. قوله وما تم جدل تم نفي التاء معى هناك والمراد وما

في مسلة بفضيل الوتر على الراوح جدل اي نزاع. قوله ان تكفي وحلالا تبا تنصب

ثلاثة على نزع الخافض وهو صفة لمحذوف اي اثوابا او اكفانا ثلاثة. وفي قولي

۰ تم على العزد الي فاق على جميع الانبيا حقا وفضل ۰ ۰

مناسبة تاي مناسبة لما نحن بصدده فان فيه اشارة الى ان النبي عليه الصلاة والسلام

مع كونه واحدا افضل من جميع الانبياء وهم كثيرون صلاة الله عليهم اجمعين او ان

نثبت فقلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبيا والمرسلين وفيهم من

كان اسن منه، وجعلت الحمد لله والثناء عليه اخر النظام ليكون بالمسك الختام

وليكن ذلك ختام ما اردنا ايراده في هذه الورقات فالحمد لله والصلاة والسلام

على نبيه واله وصحبه. تسود ما في هذه الورقات في يومين كاملين عاريين مبادايل سنة

ست وتسعين وتسعمايه [illegible] وتم تبييضه وتحريره وتحريره في اوقات يسيرة

وتم في وقت العشا من الليلة التي يسفر صباحها عن

يوم السبت الرابع الثالث من شهر صفر

الخير من السنة المذكورة ولله

الحمد اولا واخرا

وظاهرا

وباطنا

كتبه مولفه النجم بن بدر الغزي

عفي عنه

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٥٦)



تحفة الطلاب

في مستثنيات

«كلّ ما كان أكثر في العمل فهو أكثر في الثواب»

للمحدث العلامة

نجم الدين محمد بن بدر الدين الغزي الشافعي الدمشقي

(ت ١٠٦١ هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق

الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وصلَّى الله وسلَّمَ على سيد المرسلين، وحبيبِ رب العالمين، أفضلِهم ذاتاً، وأعظمهم شرفاً، وعلى آلـه الطاهرين، وصحبِه المكرمين الشُّرفا.

وبعـد: فهذه ورقاتٌ كتبتها من كلام العلماء الأعلام، على مذهب محمد بن إدريسَ الشافعيِّ الإمام، في بيان مستثنيات قاعدة: «كل ما كان أشقَّ عملاً، فهو أكثرُ ثواباً»(١).

قصدت بها أن تكون شرحاً على منظومةٍ لاميّةٍ مِنْ بحر الرَّجَز، مِـن نظـم والـدي شيـخِ الإسـلام، وحجـة الله علـى الأنـام، الشيـخ بـدر الـديـن(٢) ابـنِ شيـخ الإسـلام رَضِـيِّ الـديـن(٣) ابـن شيـخ الإسـلام

(١) قال السيوطي ـ رحمه الله ـ في «الأشباه والنظائر» (ص ١٤٣): «القاعدة التاسعةَ عشرة: «ما كان أكثر فعلاً، كان أكثر فضلاً».
ثم ذكر دليل القاعدة ـ وهو حديث عائشة رضي الله عنها الذي سيأتي ذكره وتخريجه في حاشية (ص ٣٤)، ثم قال:
«ومِن ثمَّ كان فصل الوتر أفضل من وصله؛ لزيادة النية والتكبير والسلام.
وصلاة النفل قاعداً على النصف من صلاة القائم، ومضطجعاً على النصف من القاعدة...». اهـ.

(٢) واسمه: محمد.

(٣) واسمه ـ أيضاً ـ محمد.

رَضيِّ الدين[1]، ابن شيخ الإسلام شهاب الدين[2]، الغزي العامري، رضي الله عنهم أجمعين، سمّيتها:

تحفة الطلاب
في مستثنيات: كل ما كان أكثرَ في العمل فهو أكثر في الثواب[3]

أسأل الله النفع بها وإليه متاب.

* * *

قال شيخ الإسلام: «جميع ما كان أشقَّ مِن» غيره، و «مِن» مبيِّنةٌ لما في قوله: **«مِن عملْ أو كان زائداً»** على غيره، واللام في قوله: **«فللضد»** بمعنى على، أي: فهو على الضد **«فَضَلْ»**، أي: فهو أفضل مما هو دونه[4].

وهذه قاعدةٌ مقرَّرةٌ[5].

«فيما سوى اثنَيْ عَشْر حُكماً»، باعتبار ما ذكره الشيخ، وإلاَّ فقد تزيد كما أشار إليه بالضابط آخِرَ الأبيات.

و «عشْر»: بسكون الشين، وهو لغة الحجازيين.

«فلقد فاق على الأكثر» عملاً **«فيهم»**، أي: في الاثنَيْ عشر حكماً.

---

(١) لقبه وكنيته كذلك كولده.

(٢) واسمه: أحمد.

(٣) انظر لهذه القاعدة: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص ١٤٣، ١٤٤)، و «الفوائد الجنية حاشية المواهب السَّنية شرح الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية»، لأبـي الفيض الفاداني (٢/ ٢٣٢ ـ ٢٥٦).

(٤) أي أقل منه عملاً.

(٥) ودليل تقريرها: حديث عائشة رضي الله عنها في «صحيح البخاري» (٣/ ٦١٠)، و «صحيح مسلم» (٢/ ٨٧٧)، حيث قال لها النبـي ﷺ لما طلب منها أن تخرج إلى التنعيم لتأتي بعمرة: «ولكنها على قدر نَصَبِكِ، أو قال: نفقتك».

وفي نسخة: «**فيهن**»، وهو جائز على تأويل الحكم بالمسألة. وهذا وأمثالُه كثيرٌ في الكلام. قال أبو عمرو: سمعت رجلاً من اليمن يقول: جاءته كتابي، قال: فقلت: أتقول: جاءته كتابي؟ قال: نعم؛ أليس بصحيفة؟[1].

«**الأقلُّ**»: فاعل «فاق» بمعنى فَضَل، أي ففي هذه المسائل يكون الأسهل والأقل أفضلَ من الأشق والأكثر؛ لورود النص بذلك.

«**أوَّلُها**»: أي: أول المستثنيات «**جمع التمضمض والاستنشاق**»: بتسهيل الهمزة، أي في الوضوء، «**أولى منهما إذا فَصَل**» بينهما.

وفي هذه المسألة طريقان:

الأول: القطع بأن الفصل أفضل.

والطريق الثاني: فيه وجهان:

الأول: الفصل أفضل؛ لما رواه طلحة بن مصَرِّف، عن أبيه، عن جده، قال: «دخلت على النبي ﷺ فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق»، رواه أبو داود[2] ولم يضعفه.

والوجه الثاني: الوصل أفضل. وصححه النووي، وقال في «الروضة»[3]: «كذا قاله جماعةٌ من المحققين، والأحاديث

---

(1) أي أن الضمير يعود على المعنى المقدر وليس على اللفظ المذكور، ومِن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٥٦]؛ فإنه محمول على وصف المعنى، فالرحمة بمعنى الرُّحم أو الإحسان. انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(2) «سنن أبي داود» (١٣٩).

(3) (١/ ٥٩).

الصحيحة مصرحةٌ به»[1]، انتهى.

وأحاديثُه كثيرةٌ، وثبت في الصحيحين[2] من حديث عبد الله بن زيد، وفي صحيح ابن حِبّان[3] من حديث ابن عباس، وفي سنن أبـي داود والنسائي[4] من حديث عليّ.

وأما حديث ابن مصَرِّف فضعيفٌ؛ لأنه وإن سكت عنه أبو داود، ففيه ليث بن أبـي سُليم وهو ضعيف؛ قال ابن حبان: يأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم[5]. وقال النووي: اتفق العلماء على ضعفه، وعلى تقدير صحته فيُحمل ـ كما قال الإسنوي ـ على الجواز[6].

وإذا تقرر أن الوصل أفضل، فلا خفاء في أنه أسهلُ من الفصل أو أقلُّ منه، مع أن الثواب عليه أكثر.

(تنبيه): هذا الخلاف في الأفضلية، وأما السنَّة فتتأدى بالجمع والفصل.

---

(١) وذكر أنه المذهب.

(٢) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٩٤) ـ «الفتح» ـ و «صحيح مسلم» (١/ ٢١٠، ٢١١).

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٠٧٦) ـ «الإحسان» ـ ولفظه: «... وجمع بين المضمضة والاستنشاق»، لكن الحديث قد أخرجه البخاري مفصلاً ومن الطريق نفسها، وفيه موضع الشاهد، ولفظه: «أخذ غَرفة من ماء فمضمض بها واستنشق».

(٤) «سنن أبي داود» (١١١)، و «سنن النسائي» (١/ ٦٨)، وصححه النووي في «المجموع» (١/ ٣٩٣).

(٥) وأول عبارته: «اختلط في آخر عمره فكان يَقْلب الأسانيد ويرفع المراسيل...». «تهذيب التهذيب» (٨/ ٤٦٨).

(٦) انظر: «المجموع» (١/ ٣٩٨، ٣٩٩).

والأول في البيت بمعنى السابق والمتقدم.

والتمضمض: مصدر: مَضْمَضَ الماءَ في فيه، إذا حرّكه، قال القاضي عياض: «والمضمضة: أصلها الترديد والتحريك».

والاستنشاق: مصدرٌ من النشق، وهو الشمّ.

و «**أولى**»: اسم تفضيل من: وَلِيَه، إذا قرب منه.

«**ثانِيُها**»: بإظهار ضمة الياء لضرورة الشعر؛ كما قال الشاعر:

وعِـرْقُ الفـرزدقِ شـرُّ العـروقِ خبيـثُ البَـرْيِ كـابِـيُ الأَزنُـدِ

«**وُسطى الصلاة خيرُها**» سواء قيل إنها الصبح أم غيرُها «**وإن يكن في غيرها طولُ عمل**»؛ لكونها أكثرَ منها ركوعاً وسجوداً، أو أكملَ منها، على الخلاف.

ودليل أفضليتها: قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[1]؛ فلولا أن لها أفضليةً، لَمَا أُمِرنا بها على سبيل التأكيد بالتنصيص عليها ثانياً، وهو من باب عطف الخاص على العام.

وقد اختلفوا في تعيينها، ومذهب الشافعي أنها الصبح؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾؛ إذ لا قنوتَ إلاَّ في الصبح[2]، ولحديث مسلم[3]: قالت عائشة رضي الله عنها لمن يكتب لها مصحفاً: اكتب: (والصلاةِ الوسطى وصلاةِ العصر). ثم قالت: سمعتها من رسول الله ﷺ»؛ إذ العطفُ يقتضي المغايرة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٢) الخلاف في القنوت في الصبح معروف: فمذهب الشافعية والمالكية استحبابه، ومذهب الحنفية والحنابلة أنه لا يستحب، وهو الراجح دليلاً، والله تعالى أعلم.

(٣) «صحيح مسلم» (١/ ٤٣٤، ٤٣٥).

وقيل: بل هي صلاة العصر؛ لحديث الصحيحين[1]: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاةِ العصر».

قال الماوردي: صحت الأحاديثُ بأنها العصر، ومذهب الشافعي اتباع الحديث، فصار مذهبه أنها العصر[2].

وقال النووي في «شرح مسلم»[3]: الأصح أنها العصر كما قال الماوردي.

وقال في «المجموع»[4]: «وأما خبر: (شغلونا)، فأجاب عنه الأصحاب بأن العصر تسمى وسطى، لكنْ هي غير المرادة في القرآن». قال: «وهذا الجواب ضعيف، والذي تقتضيه الأحاديثُ الصحيحة أنها العصر، وهو المختار» انتهى.

وإذا تقرر أن الوسطى أفضل من غيرها، فعلى القول [بـ] أنها الصبح فلا شك أن هذه مسألة الشيخ في نظمه بعينها؛ فإن الصبح أقل أقوالاً وأفعالاً من سائر الصلوات الخمس، وهي أفضل منهن.

وعلى القول بأنها العصر فهي المسألة بعينها أيضاً؛ لأن المعنى أن العصر وإن استوت مع الظهر والعشاء في الأفعال والأقوال، فقد يُقتصر

---

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ١٠٥)، و «صحيح مسلم» (١/ ٤٣٦، ٤٣٧)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) لو قيل: فصار مقتضى مذهبه أنها العصر؛ لكان أولى؛ لأن الحديث وإن صح، فقد يكون له معارضٌ أو تأويلٌ يمنعان صاحبهما من القول به، فهذا أدقّ، والله تعالى أعلم.

(٣) (٥/ ١٢٩).

(٤) (٣/ ٦٤). وكذا ذكره في «شرح مسلم» (٥/ ١٢٩).

فيها[1] على أقل ما يجزىء ويُؤتى فيهما[2] بالأكمل، فتكون العصر أقلَّ عملاً وأكثرَ ثواباً.)

وقد يقال: إن الشيخ إنما أراد هذه المسألة فقط؛ لأنه قال: «طول عمل»، ولم يقل: زيادة عمل مثلاً؛ بناءً على أن المذهب أن الوسطى هي العصر، فتأمَّلْ.

والوسطى: مؤنث الأوسط، وهو أفعل تفضيل، مِن: وسَطتَ زيداً وعَمْراً، إذا دخلتَ بينهما.

و «خيرها»: أفعل تفضيل، وأصلها: خير، وقد كثُرَ استعمالُ أخْيَرَ وأشرَّ، فحُذِفت همزتاهما تخفيفاً، وصار هذا غالباً فيهما حتى إن الأصل قد تُرِك، وقد جاء على ندور، قال الراجز:

بـلالُ خَيْـرُ النـاس وابـن الأَخْيَـرْ — لـمـن الـكـذاب الأَشَـرّ

بفتح الهمزة والشين مع تشديد الراء على أنه أفعل تفضيل.

«**ثالثها: فِعْلُ**» صلاة «**الضحى ثمانياً**»: أي ثماني ركعات ــ كما قال الروياني والنووي وغيرهما ــ «**أفضل من أكثرَ منها**» إلى اثنتي عشرةَ ركعةً «**إن فَعَلْ**» الأكثر، هذا إن قلنا: إنَّ أكثر الضحى اثنتى عشرة ركعةً، وهو المعتمد؛ لحديث أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ صليتَ الضحى ركعتين لم تُكتب من الغافلين، أو أربعاً كُتبت من المحسنين، أو ستّاً كتبت من القانتين، أو ثمانياً كتبت ممن الفائزين، أو عشراً لم يُكتب عليك ذلك اليومَ ذنبٌ، أو اثنتي عشرةَ بنى الله لك بيتاً في

---

(١) أي في العصر.
(٢) أي في الظهر والعشاء.

الجنة»، رواه البيهقي[١] وقال: في إسناده نظر[٢].

وعن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «من صلَّى الضحى اثنتي عشْرةَ ركعةً بنى الله له قصراً في الجنة من ذهب»، رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديثٌ غريب[٣]، وأخرجه ابن السَّكَن في صحاحه[٤].

واستدل الضياء المقدسي لذلك بحديث: «ما من عبدٍ مسلم يصلي في يوم ثنتي عشرةَ ركعةً تطوعاً غيرَ فريضة، إلاَّ بنى الله بيتاً في الجنة»[٥].

وقيل: إنّ أكثرها ثمانٍ؛ لما في الصحيحين[٦]: أن النبي ﷺ صلاها ثماني[٧] ركعات[٨]، لكن قال السبكي: لا يدل على أن ذلك أكثرها[٩].

---

(١) «سنن البيهقي» (٣/ ٤٨، ٤٩).

(٢) وضعف الحافظ ابن حجر ـ أيضاً ـ إسناده في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٠).
وأفاد الشيخ عبد الله العقيل ـ حفظه الله ـ كذلك أنه ضعيف.

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٣٨٠)، و «سنن الترمذي» (٤٧٣). وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٠): «وإسناده ضعيف». اهـ.

(٤) المشهور: صحيحه. وأفاد الشيخ ابن عقيل ـ حفظه الله ـ أن هذا الحديث أضعف من الأول.

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٥٠٣)، من حديث أم حبيبة رضي الله عنها.
لكن هذا الحديث في الرواتب لا في صلاة الضحى؛ بدليل ما جاء في رواية: «مَن صلَّى في اليوم والليلة» أخرجها أحمد (٦/ ٣٢٦)، والترمذي (٤١٥)، والنسائي (٤/ ٢٦٣)، وابن ماجه (١١٤١).
وبدليل رواية الترمذي والنسائي المفصَّلة للحديث في بيان هذه الركعات الاثنتي عشرة.

(٦) «صحيح البخاري» (٢/ ٥٧٨) (٣/ ٥١) (٨/ ١٩)، و «صحيح مسلم» (١/ ٤٩٧، ٤٩٨).

(٧) في الأصل: «ثمانية» وهو خطأ.

(٨) وذلك في بيت أم هانىء لمّا فتح مكة.

(٩) لأن إثبات الثمان لا ينفي الأكثر منها.

فعلى القول: إن الأكثر اثنتا عشرة، فالثمانية أفضل منها ومن عشر؛ لما في إثباتهما من الخلاف، ولا شك أن الثماني أقلُّ عملاً وعدداً من العشر والاثنتي عشرة، فهو ما قلَّ عملاً وكثُر ثواباً.

«رابعها: سنة فجر وهي»: ركعتان.

«إن تخفَّفْ تَفْضُلِ الفِعْلَ لها إن تُستطَل»؛ لما رواه الشيخان[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صليت مع النبي ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين يوم الجمعة». وحدّثتني حفصة بنت عمر: «أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر[2]».

فالأفضل التخفيف اقتداءً بسيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، لكن ينبغي أن لا يبلغ بالتخفيف إلى حيث لا يمكن قراءةُ آيَتَي البقرةِ وآلِ عمرانَ[3] بكمالهما فيهما، فإذا بلغ هذا القدر ــ أعني قدر قراءتهما فيهما ــ فهو أفضل من أن يزيد على ذلك، فتأمَّلْ.

و «تُستطلْ»: أصله: تستطال، بمعنى يطال، حُذفت منه الألف لدخول الجازم ــ وهو حرف الشرط ــ عليه.

«خامسها: أفضل من تهجدٍ ونحوه غيرِ وِترٍ»: الوَتر: بفتح الواو وكسرها.

---

(1) «صحيح البخاري» (٣/ ٥٠)، و «صحيح مسلم» (١/ ٥٠٠، ٥٠٤).

(2) في الأصل: بعد ما تطلع الشمس، والتصويب من مصادرالتخريج.

(3) اية البقرة: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ . . . ﴾ الآية ١٣٦، وآية آل عمران: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . . . ﴾ الآية ٦٤.

«ولو. . . [1] قَلّ» الوتر وكثر ما سواه؛ [2] لقوله ﷺ: «أوتروا؛ فإن الله وتر يحب الوتر»، رواه الترمذي [3] وصححه.

ولقوله ﷺ: «الوتر حق على كل مسلم، فمن أحب أن يوتر بخمسٍ فليفعل، أو بثلاثٍ فليفعل، أو بواحدةٍ فليفعل»، رواه أبو داود وصححه الحاكم [4].

ولوجوبه عند أبي حنيفة [5].

وأما قوله ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» ــ رواه مسلم [6] ــ فمحمول على النفل المطلق.

---

(١) هنا كلمة مطموسة لم أتبين وجهها.

(٢) قال السيوطي ــ رحمه الله ــ في «الأشباه والنظائر» (ص ١٤٣): «السابعة: ركعة الوتر أفضل من ركعتي الفجر على الجديد، بل من التهجُّد في الليل وإن كثرت ركعاته، ذكره في المطلب». اهـ.

(٣) إنما أخرجه الترمذي (٤٥٣) بنحو هذا اللفظ وحسنه، من حديث عليٍّ رضي الله عنه، كما أخرجه أبو داود (١٤١٦)، وابن ماجه (١١٦٩)، وهو حديثٌ صحيحٌ لغيره كما بينه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٥/ ١٥٩).

(٤) «سنن أبي داود» (١٤٢٢)، و «مستدرك الحاكم» (١/ ٣٠٢، ٣٠٣)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. كما أخرجه أحمد (٥/ ٤١٨)، والنسائي (٣/ ٢٣٨، ٢٣٩)، وابن ماجه (١١٩٠)، والحديث صححه أيضاً ابن حبان (٢٤٠٧) (٢٤١٠) (٢٤١١)، والنووي في «المجموع» (٣/ ٥١٢، ٥١٤).
والحديث وإن رُوي موقوفاً ــ ورجحه بعض المتقدمين واستصوبه الحافظ في «التلخيص» (٢/ ١٣) ــ إلاَّ أن الذين رفعوه أكثر فهم سبعةٌ في مقابل اثنين أوقفاه واثنان آخران روياه مرةً بالرفع ومرةً بالوقف. أفاده الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٥/ ١٦٥).

(٥) خلافاً لصاحبيه: أبي يوسف ومحمد، انظر: «الاختيار في تعليل المختار» (١/ ٥٥).

(٦) «صحيح مسلم» (٢/ ٨٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والهجود: لغة: النوم، يقال: هَجَد، إذا نام[1]، وتهجّد: إذا أزال النوم بتكلف[2]، والتهجُّد في الاصطلاح: صلاة التطوع بعد النوم، كما قال الرافعي وغيره. وزعم القَمُولي[3] أنه الصلاة وقت الهجود.

قال الشيخ الوالد: «وهو مردود؛ ففي الحديث: «أيحسَب أحدُكم إذا قام من الليل يصلي حتى يصبح أنه قد تهجد؟ إنما التهجُّد: المرء يصلي الصلاة بعد رقدة»، رواه الطبراني[4] وغيره» انتهى.

وبهذا تبينت فائدة قول الشيخ: «ونحوه»، وهي أنه أشار به إلى صلاة الليل التي قبل النوم.

واختلفوا في الوتر: هل هو من التهجُّد أوْ لا؟

---

(١) وأيضاً هو بمعنى: استيقظ، فهو من الأضداد، انظر: «القاموس المحيط (ص ٤١٨)، و «المصباح المنير» (٢/ ٦٣٤).

(٢) ويطلق كذلك على النوم، انظر: ما سبق، و «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٢٤٤).

(٣) هو نجم الدِّين أبو العباس، أحمد بن محمد بن مكي القرشي المخزومي القَمُولي ــ نسبةً إلى قَمُولة، بلد بصعيد مصر ــ الشافعي، كان إماماً في الفقه، عارفاً بالأصول والعربية، وكان مِن أهل العبادة والورع والتقوى، له: البحر المحيط في شرح الوسيط، قال الإسنوي: «لا أعلم كتاباً في المذهب أكثر مسائل منه». اهـ. ثم لخص أحكامه في «جواهر البحر»، وله غير ذلك. توفِّي بالقاهرة سنة (٧٢٧هـ). انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٧٥، ٧٦).

(٤) في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٥٤)، و «الأوسط» (٨٦٧٠)، موقوفاً على الحجاج بن عمرو المازني من كلامه، وذكر في آخره أن ذلك كان صلاة رسول الله ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧٧): «ومداره على عبد الله بن صالح كاتب الليث؛ قال فيه عبد الملك بن شعيب: ابن الليث ثقة مأمون، وضعفه أحمد وغيره». اهـ. وقال عنه الحافظ في «التقريب» (ص ٣٠٨): «صدوق كثير الغلط. . .». اهـ.

قال في «الروضة»[1] ــ كأصلها ــ : «والصحيح المنصوص في «الأم» والمختصر: أن الوتر يسمى تهجُّداً.

وقال الشيخ الوالد: «وتحقيق الكلام في الوتر: أنه تَهَجُّدٌ إن فُعل بعد النوم، وغيرُ تهجُّدٍ إن فُعِل قبله». وبهذا تبينت فائدةَ قولِ: «غيرِ وتر».

«سادسها: **البسيط**» لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، قال «**فيه: وترهم**» **إذا** كان «**ثلاثة**»، أي ثلاث ركعات. وإنما أتى به مؤنثاً بالهاء[2] ــ والقياس تركها مع المؤنث ــ؛ لتأويل الركعة بالركوع لأجل ضرورة الشعر؛ كما قال الشاعر:

ثــلاثــة أنفــس وثــلاث ذوْدٍ لقـد جـار الـزمـان على عيـالـي

فأتى به مؤنثاً بالتاء مع المؤنث ــ وهو الأنفس ــ للضرورة؛ لَمّا كانت النفس هنا بمعنى البدن.

«**أوْلى**» من خمسٍ وسبعٍ وتسعٍ وأحدَ عشر، «**وذا**» القول «**قولُ بطل**»: أي شجاعٍ مِن فرسان مَيدان البَحث في مذهب الشافعي، وناهيك بالغزالي، وكأنّ ذلكَ للخروج من خلاف أبي حنيفة[3].

وعليه، روى يحيى بن زكريا بن أبي الحواجب، عن الأعمش، عن مالك بن الحارث، عن عبد الله بن زيد، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «وتر الليل ثلاثٌ كوتر النهار صلاةِ المغرب»، لكن قال الدارقطني: تفرد به يحيى، وهو ضعيف[4].

---

(١) (١/ ٣٣٩).

(٢) أي قوله: «ثلاثة».

(٣) في كون الوتر عنده ثلاثَ ركَعات. انظر: «الاختيار» للموصلي (١/ ٥٥).

(٤) وتتمة كلام الدارقطني: «ولم يروه عن الأعمش مرفوعاً غيرُه». اهـ. «سنن الدارقطني» (٢/ ٢٨) ــ مع «التعليق المغني».

وهذا معارَض بحديث: «من أحب أن يوتر بخمس فليفعل، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل»[1]، فدل على عدم أفضلية الثلاث على ما فوقها؛ إذ لو صح ذلك لصح أن يقال: إن الواحدة أفضل من الثلاث[2].

«**سابعها: صلاة عيد**»: سواء كان عيدَ فطر أو عيدَ أضحى «**تَفْضُلُ الصلاة للكسوف**» والخسوف «**مع طول**» في صلاة الكسوفين؛ لِشَبَهِ صلاة العيد بالفرض في الجماعة وتعيين الوقت.

قال في شرحي «الروض»[3] و «البهجة»[4]: «وللخلاف في أنها فرض كفاية[5]».

قلت: وفي صلاة الكسوف خلافٌ أيضاً؛ حكى الماوردي فيها وجهاً أنها فرض كفاية[6]، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٤٦).

(٢) ولهذا قال السيوطي في «الأشباه» (ص ١٤٣) عن أفضلية الثلاث: «وهو ضعيف، والمجزوم به في شرح المهذب خلافه». اهـ.

(٣) هو: «أسنى المطالب شرح روض الطالب» للقاضي زكريا الأنصاري، والذي وجدته منه، قوله: «لأن صلاته [أي العيد] آكد من صلاة الكسوف». اهـ (١/ ٢٨٧).

(٤) هو: «الغرر البهية في شرح البهجة الوردية»، لزكريا الأنصاري أيضاً.

(٥) وهو قول أبي سعيد الإصطخري من الشافعية، وهو قول الحنابلة في ظاهر المذهب. انظر: «المغني» (٣/ ٢٥٣)، و «المجموع» (٥/ ٥).

(٦) وهو محكيٌّ عن مالك وأبي حنيفة كما في «فتح الباري» (٢/ ٥٢٧)، وبوّب أبو عَوانةَ في «صحيحه» (٢/ ٩٢) ــ ط دار المعرفة بتحقيق أيمن بن عارف ــ: «بيان وجوب صلاة الكسوف». اهـ.

وأما حديث: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[1]، فمحمول على النفل المطلق كما تقدم.

والعيد: مِن العَوْد، وهو التكرير؛ لتكرُّره في كل عام، وجَمْعه أعياد، وكان القياس فيه الواو، إلَّا أنه جاء بالياء؛ فرْقاً بينه وبين العُود، بضم أوله.

والكسوف والخسوف للشمس والقمر، بمعنى تغيُّرِهما واستتارِ ضوئهما.

والمشهور إطلاق الكسوف للشمس والخسوف للقمر، كما ذكره الجوهري[2]. وقيل بالعكس.

وقول الشيخ: «فَصَلّ»: أَمْرٌ مِن الصلاة[3]؛ قَصَدَ به تكميل البيت.

«ثامنها: **الصلاة في جماعة**»: وأقل ما تحصل من إمام ومأموم.

«مِن فِعلِ خمسة وعشرين» صلاةً في غير جماعة ــ أو سبعٍ وعشرين[4] ــ «أجلّ» أي: أعظم، بمعنى أفضل.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة»، رواه الشيخان[5].

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٤٦).

(٢) الذي ذكره الجوهري عن ثعلب: أن الأجود أن يقال: كَسَفت الشمس وخَسَف القمر. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٥٠، ١٤٢١).

(٣) في حاشية المخطوط: «وفي نسخة ــ بخطه أيضاً ــ: حصل، بالحاء موضعَ الفاء، فعليه يكون صفةً لطول».

(٤) في حاشية المخطوط: «وفي إتيانه في الخمس بالهاء ما تقدم».

(٥) «صحيح البخاري» (٢/ ١٣١)، و «صحيح مسلم» (١/ ٤٥٠).

وروى البخاري[1] عن أبي سعيد الخدري: «بخمسة وعشرين درجة».

ولا منافاةَ؛ لأن القليل لا ينفي الكثير، أو أنه أَخبَر أوّلاً بالقليل، ثم أعلمه الله بزيادة الفضل فَأَخبر بها، أو غير ذلك.

والفذّ: بالمعجمة والتشديد، بمعنى المنفرد.

«**تاسعها: القصر**»: أي قصر الصلاة في السفر «**من الإتمام فيه ثلاثة مراحل**»، وفي تأنيث الثلاث هنا ما تقدم؛ إذ المرحلة بمعنى مكان سير الراحلة «**فَضَلْ**» للاتباع؛ كما رواه الشيخان؛ خروجاً من خلاف مَن أوجبه كأبي حنيفة[2]. نَعَمْ، يُستثنى الملاح إذا سافر في البحر بعياله، ومَن لا يزال مسافراً بلا وطن، فالإتمام لهما أولى وأفضل؛ خروجاً مِن خلاف مَن أوجبه عليهما كالإمام أحمد[3].

وروعي فيهما خلافُه دون خلاف أبي حنيفة؛ لموافقته الأصل؛ إذ الأصل الإتمام، وهذا بخلاف باقي الرخص، كمسح الخف، والجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، والفطرِ في رمضان؛ فإن الغَسل والتفريق والصوم أفضل.

نَعَمْ، يستثنى منها مَن وَجد في نفسه كراهة الترخُّص، فالأفضل في حقه الترخصُ حتى تزول عنه الكراهة.

ومِن مسألة الجمع: مَن إذا صلَّى جماعةً، أو انقطع حدث الدائم، أو وَجد ما يستر به عورته، فالجمع في حقه أفضل.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١٣١).
وكذا أخرجاه في الموضعين السابقين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الاختيار» للموصلي (١/ ٧٩).

(٣) انظر: «الإنصاف» (٢/ ٣٣٣، ٣٣٤).

أما إذا لم يبلغ ثلاثةَ مراحلَ فالإتمام أولى، بل نقل الماوردي عن الشافعي أن القصر يكره إلاَّ في صلاة الخوف[1]، وفي حق مَن وَجد في نفسه كراهة الترخص[2]، فالقصر في المسألتين أفضل.

«**عاشرها: أفضل مِن تَصَدُّقٍ بكُلِّ ما ضحّاه إنْ» تَصَدَّقَ ببعضه و «منه أكل»**؛ لقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾[3]، ولما رواه البيهقي[4] من أنه ﷺ كان يأكل من أضحيته.

قال النووي: «وإنما لم يجب أكله منها[5]؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾[6] فجعلها لنا، وما هو للإنسان فهو مخير بين أكله وتركه»، انتهى[7].

---

(١) لكن هذا مخالفٌ لنصّ الشافعي رحمه الله في «الأم» (١/ ١٧٩)، الصريح في استحبابه القصر في السفر بلا خوف وأنه أحبّ إليه أن يفعله.

(٢) وهذه الجملة الثانية تخالف الأولى التي أثبتت كراهة القصر في غير الخوف، إلاَّ إن حُمِلت على أن المراد بها كراهةُ القصر في الخوف، وهو بعيد.

(٣) سورة الحج: الآية ٢٨.

(٤) بوّب البيهقي في «سننه» (٥/ ٢٤٠): باب الأكل من الضحايا والهدايا التي يتطوع بها صاحبها»، وروى حديث جابر رضي الله عنه في أكله ﷺ من هديه، وذكر أنه رواه مسلمٌ في «صحيحه» (٢/ ٨٩٢)، وهو الحديث الطويل في صفة الحج.

(٥) ونقل النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٨/ ١٩٢)، الإجماع على أن الأكل من هدي التطوع والأضحية سنةٌ ليس بواجب.
وذكر في «المجموع» (٨/ ٣٩١، ٣٩٢)، أنه قول عامة العلماء، وأنه حُكي وجهٌ أنه يجب أكل شيء.

(٦) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٧) الذي وقفت عليه في هذه العبارة أنها للشيرازي في «المهذب» (٨/ ٣٩٠) ــ مع «المجموع».
ولا يَخفى ما في هذا الجواب من نظر. =

ثم الأفضل أن يكون أكله منها لُقَماً قليلةً.

وقوله: «أفضل مِن تَصَدُّقٍ»: مبتدأ أو خبرٌ، وخبره أو مبتدؤه محذوف، تقديره: «أفضل مِن التصدق بجميع ما ضحّاه: التصدق به إذا أكل منه».

فـ(التصدق) المقدر خبر قوله: «أفضل»، أو مبتدأ ـ ولا يقدَّر إلاَّ مؤخَّراً؛ لتعلق «إذا» به ـ وقوله: «أفضل» خبره المقدم.

«**حاديْ عشر**»: بإظهار الضمة لِمَا تقدم، «**طول بعض سورة**» طويلة «**تَفْضله**» سورة «**قصيرة إن تكتمِلْ**» كما ذكره الرافعي في الشرحين[1].

وعبارة «الروضة»[2]: «حتى إن السورة القصيرة أولى مِن قَدْرِها من طويلة». وهي تقتضي أن ما زاد على قدْر القصيرة أفضل منها.

قال الإسنوي: «وهو غير صحيح».

وكذا عبارة «المجموع»[3] إلاَّ أنه علّل بأن الوقف على آخر القصيرة

= لكن الأحسن في الجواب عن الآية أنْ يُقال: إن القرينة التي تصرف الوجوب عن الأمر الوارد فيها بالأكل: هو ما ذكره القرطبي رحمه الله في سبب هذا الأمر حيث قال: «وإنما أذن الله سبحانه من الأكل من الهدايا؛ لأجل أن العرب كانت لا ترى أن تأكل من نسكها، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بمخالفتهم، فلا جرم كذلك شَرَعَ وبَلَّغ، وكذلك فعل حين أهدى وأحرم ﷺ». اهـ. «تفسير القرطبي» (٦/ ٤٦).

(١) وهما على كتاب «الوجيز» للغزالي، أحدهما شرح كبير سمّاه: «العزيز على كتاب الوجيز» (١/ ٥٠٧) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط ١، والآخر شرح أصغر منه.

(٢) (١/ ٢٤٧).

(٣) (٣/ ٣٤٩).

صحيح بالقطع، بخلافه في بعض الطويلة؛ فإنه قد يخفى فيقف في غير محله. وقضيته ــ كما قال الشيخ زكريا ــ موافقة ما في الشرحين.

قلت: تظهر منه مخالفته لما في الشرحين فيما لو قرأ من آخر السورة الطويلة ووقف على آخرها؛ فقضية ما في «المجموع» أن ذلك أفضل من الصغيرة التي هو أكثر منها.

والأصح ما قاله الرافعي؛ لأنا نقول: الابتداء مِن أول الصغيرة صحيحٌ بالقطع، بخلافه في بعض الطويلة؛ فإنه قد يخفى فيبتدىء بما لا يَحسن الابتداء به أيضاً، والله الموفق.

نعم، يُستثنى من ذلك التراويح؛ فإن قراءة بعض سورة فيها أفضل، كما أفتى به الشيخ عزُّ الدين؛ لأن السنَّة فيها القيام بجميع القرآن. وبمثل هذا أفتى الشيخ أبو عَمرو بن الصلاح وغيره.

قال في شرح «الروض»[1]: «وعليه، لا يختص ذلك بالتراويح، بل كل محلٍّ ورد فيه الأمر بالبعض فالاقتصار عليه أفضل، كقراءة آيتي البقرة وآل عمران في سنة الفجر» انتهى.

«ثانيُ عشر»: بإظهار الضم؛ لما تقدم.

وهذا من استنباط شيخ الإسلام الوالد كما رأيتُه بخطه الكريم **«تَرْكُكَ الثناء في لفظِ استعاذةٍ»** للقراءة كأن تقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، أفضل من إتيانك فيه بالثناء، كأن تقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»، خلافاً لبعض الأصحاب.

وما ذكره الشيخ: **«عليه النصُّ»**، نصُّ القرآن والحديث **«دلّ»**؛

---

(١) (١/ ١٥٥).

قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[١].

وعن جبير بن مطعم: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة قال: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، ثلاثاً، سبحان الله بكرةً وأصيلاً، ثلاثاً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهَمْزه[٢]»، رواه ابن حِبان والحاكم وصححاه[٣].

وفي مراسيل أبي داود[٤]، عن الحسن: «أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)».

وأما حديث: «كان رسول الله ﷺ يقول في صلاته: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزه ونفخه ونفثه)»[٥]، فقال الترمذي: مشهور، وقد تُكُلِّم في إسناده. وقال أحمد: لا يصح هذا الحديث[٦].

وعلى تقدير صحته فيُحمل على الجواز ولا يدل على أفضليته.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٨.

(٢) قال عمرو بن مُرة ــ أحد رجال السند ــ: همزه: المُوتة، ونفخه: الكِبر، ونفْثه: الشِّعر».

(٣) «صحيح ابن حبان» (١٧٨٠) ــ الإحسان ــ، و «مستدرك الحاكم» (١/ ٢٣٥)، لكن لفظه عنه: «اللّـٰهُم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم».
وبلفظ ابن حبان: «أعوذ بالله...»، أخرجه ــ أيضاً ــ أحمد (٤/ ٨٥)، وأبو داود (٧٦٤) وغيرهما، وبلفظ الحاكم أخرجه ــ أيضاً ــ أحمد (٤/ ٨٠، ٨١)، وابن ماجه (٨٠٧) وغيرهما.
والحديث إسناده حسن، ووافق الذهبيُّ الحاكمَ في تصحيحه.

(٤) (٣٢) ــ بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ــ وهو مرسل صحيح الإسناد.

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠)، وأبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيقه للترمذي.

(٦) انظر: «سنن الترمذي» (٢/ ١١).

وقال الماوردي: «إن هذه الصيغة تلي صيغة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) في الفضيلة». قال: «ثم: (أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي)[1] » انتهى.

وينبغي أن تتوسطهما صيغة: «اللَّٰهُم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم»؛ فقد جاءت في بعض الأحاديث[2].

وينبغي أن تكون صيغة: «أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم»، أفضل من صيغة: «أعوذ بالله السميع العليم» كما يدل عليه لفظ القرآن[3].

وينبغي عَدُّكَ مِن قبيل ما قل عملاً وكثر ثواباً . . .[4].

قال الشيخ الوالد: «وهذا البيت من قَدْح الفكرة».

قال: «وهو ضابطٌ ينفتح به بابٌ للمتأمل، يَستخرج منه مسائل كثيرة» انتهى كلامُه.

* * *

قلت: قد حضر لي حالَ كتابتي هذه الورقات على هذه الأبيات ثمانيةَ عشْرةَ مسألةً، بها تمت ثلاثون مسألةً. ولله الحمد والمنَّة، ونسأله المغفرة والرضوان، والجنة والرحمة.

---

(١) أفاد الشيخ ابن عقيل ــ حفظه الله ــ أنَّ هذا اجتهاد.

(٢) منها: حديث جبير بن مطعم في أكثر رواياته، ومنها: حديث ابن مسعود عند ابن ماجه (٨٠٨)، لكن إسناده ضعيف كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» ص ١٧١ ــ ط مؤسسة الكتب الثقافية.

(٣) لا يخلو هذا الرأي من نظر؛ لأن لفظ القرآن إنما يدل على طلب الاستعاذة مطلقاً؛ إذ الألف والسين والتاء للطلب كما هو معروف، وعليه، فالآية تتناول صيغة «أعوذ بالله. . .»، بل هو الظاهر المتبادِر، والله تعالى أعلم.

(٤) هنا كلمات مطموسة في المخطوط.

المسألة الأولى: الصلاة بالسواك أفضل من الصلاة بلا سواك؛ قال ﷺ: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعةً بلا سواك»، رواه أبو نُعَيم[1] من حديث الحميدي، عن سفيان، عن منصور، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة.

قال الإسنوي: وهذا إسناد لا كلام فيه.

وقال القاضي زكريا: إسناده جيد[2]، ورُوِي من غير هذا الطريق.

الثانية: تخفيف الإمام ـ بأن يخفِّف القراءة والأذكار بحيث لا يقتصر على الأقل ولا يستوفي الأكمل ـ أَولى من التطويل، بل هو مكروه إلَّا أن يرضى به محصورون أحرارٌ غيرُ أُجراء؛ لحديث الشيخين[3]: «إذا صلَّى أحدكم للناس فليخفف؛ فإنّ فيهم الضعيفَ والسقيم وذا الحاجة».

وفي رواية مسلم: «مَن أَمّ بقوم».

الثالثة: الصلاة في جماعةٍ قليلةٍ إمامُها عدْلٌ غير مبتدع ولا مخالف، أفضل منها في جماعة كثيرة إمامُها فاسق أو مبتدع أو مخالف في الاعتقاد[4].

---

(١) انظر: «التخليص الحبير» (١/ ٦٧)، و «فيض القدير» للمُنَاوي (٤/ ٣٦).

(٢) لكن ذكر الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/ ٦٧) أنَّ الإسناد إلى ابن عيينة فيه نظر. ثم نقل كلام يحيى بن معين فيه: «هذا الحديث لا يصح له إسناد، وهو باطل». اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٩٩)، ومسلم (١/ ٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لكن الأفضلية هنا لأفضلية الإمام لا لذات العمل، فهذا لا يدخل في القاعدة، أفاده الشيخ ابن عقيل حفظه الله.

بل قال الروياني: إن الانفراد هنا أفضل للنقص في الأَوَّلَيْن، وعدمِ اعتقاد بعض الأركان في الآخَر.

الرابعة: الصلاة في جماعة قليلة في المساجد الثلاثة أفضل منها في جماعة كثيرة في غيرها[1].

بل قال المتولي: الانفراد فيها أفضل من الجماعة في غيرها.

قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلاَّ المسجدَ الحرام»، رواه مسلم[2].

وعن عطاء، عن[3] جابر، أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجدَ الحرام، وصلاة في المسجد الحرام تَعدل مائة ألف صلاة»، رواه ابن عساكر[4].

وعن أبي الدرداء قال: قال النبي ﷺ: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألفُ صلاةٍ، وفي مسجد بيت المقدس خمسُمائةِ صلاة»، رواه أحمد[5].

---

(١) كذلك يمكن أن يقال هنا: إن الأفضلية هنا من أجل المكان لا لذات العمل.

(٢) «صحيح مسلم» (٢/ ١٠١٢، ١٠١٣)، من حديث أبي هريرة.

(٣) في الأصل: «عطاء بن جابر» وهو خطأ، والصواب ما أثبتُّه.

(٤) لم أقف عليه عنده، لكن أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣)، وابن ماجه (١٤٠٦) وغيرهما من حديث جابر بإسناد صحيح كما في «مصباح الزجاجة» للبوصيري (١/ ٢٥٠) ــ ط مؤسسة الكتب الثقافية.

(٥) لم أقف عليه في «مسند أحمد»، وقد أخرجه من حديث أبي الدرداء: الفاكهيُّ في «أخبار مكة» (١١٨٦) ــ بتحقيق عبد الملك بن دهيس ــ ولكن مع اختلاف في اللفظ، وبإسناد ضعيف. وذكره الفاسي في «شفاء الغرام» (١/ ٧٩)، وعزاه لكتاب «الإتحاف» لابن عساكر. =

ورواه البيهقي[1] عن جابر بن عبد الله.

وقال بعضهم: سألت الحافظ جمالَ الدِّينِ المِزّي ـ رحمه الله ـ عن هذا الحديث فقال: «هو حديثٌ حسن» انتهى.

ويكفينا في التفضيل: حديثُ الصحيحين[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُشدُّ الرحال إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».

والمرجوُّ مِن كرم الله أن لا يختصّ التضعيفُ بالصلاة، بل يكون عامّاً في كل بِرٍّ، كما قال بعض العلماء.

والخامسة والسادسة: القصر ـ وإن لم يبلغ ثلاث مراحل ـ والمسح على الخفين، أفضل في حق المسافر ـ الذي يجد في نفسه كراهةَ الترخص بهما ـ من الغَسل والإتمام كما تقدّم[3].

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصُه كما [يحب أن][4] تؤتى عزائمه»، رواه ابن حبان في صحيحه[5].

= (تنبيه): يظهر أنَّ عزو هذا الحديث لأحمد، وعزو سابقه لابن عساكر إنما هو خطأ من الناسخ؛ فإنَّ الأمر بالعكس كما اتضح من التخريج، والله أعلم.

(١) في «شعب الإيمان» (٤١٤٤) ـ ط ١ ـ دار الكتب العلمية.

(٢) «صحيح البخاري» (٣/ ٦٣)، و «صحيح مسلم» (٢/ ١٠١٤).

(٣) انظر: (ص ٥١).

(٤) ما بين المعقوفين من ابن حبان.

(٥) (٣٥٤) ـ «الإحسان» ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ «الإحسان» (٢/ ٦٩): «إسناده صحيح».

وقد أشار شيخُ الإسلام الوالدُ إلى ما في الحديث في أبياتٍ مِن نظْمه، وهي:

تَصَدَّقَ الله تعالىٰ بالرُّخَصْ	على العباد فبها عَمَّ وخَصّ
فلْتَقْبَلوا صدقة الله عَلاَ[1]	فإنما قَبولُها مِن الفرصْ
فقد أحبَّ منكمُ إتيانَها	كما على ذلك خيرُ الخلق نَصّ
كما يُحِبُّ العبدُ من إلهه	مغفرةً فهو عليها قد حَرَصْ

والسابعة: القصر أفضل من الإتمام في صلاة الخوف وإن لم يبلغ ثلاث مراحل كما تقدم.

والثامنة: ركعتا الفجر أفضل من صلاة الليل ـ أي غير الوتر ـ ولو زادت عن ركعتين، كما أفهمه إطلاقُ «الروضة»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها: «لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتي الفجر»، رواه الشيخان[3].

والتاسعة: قراءة آيتي البقرةِ وآلِ عمران ـ وهما: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ إلى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[4] و ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ إلى:

---

(١) أي جلَّ وعَظُمَ سبحانه.

(٢) انظر: «روضة الطالبين» (١/ ٣٣٤)، لكن ذَكَرَ فيه ـ بعد أنْ ذَكَرَ أَنَّ الصحيح الذي عليه الجمهور: أن سنة الفجر تلي الوتر في الفضيلة ـ: أنه في وجهٍ قاله أبو إسحاق: أن صلاة الليل تقدم على سنة الفجر، قال النووي: «قلت: هذا الوجه قوي؛ ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل». . . والله أعلم». اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٥)، ومسلم (١/ ٥٠١).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

﴿ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1] ـ في ركعتي الصبح، أفضل من غيرهما كما تقدم عن الشيخ زكريا.

العاشرة: قراءة بعض سورة في التراويح أفضل من قراءة قصيرة ولو كانت أكثر منه[2]، كما أفتى به ابن عبد السلام وغيره كما تقدم.

الحادية عشرة[3]: قول المصلي: (الله أكبر) أفضل من قوله: (الله الأكبر) و (الله الجليل أكبر) ونحوهما؛ لأن النبي ﷺ: «كان إذا استفتح الصلاة استقبل القبلة، ورفع يديه وقال: الله أكبر»، رواه ابن ماجه، وصححه ابن حبان[4]. قال ابن القطان: وإسناده من الصحة بمكان. وقال ابن حجر: هو على شرط مسلم.

وللخلاف في غيرها من الصيغ[5].

الثانية عشرة: وصلُ الوتر بتشهد واحد أفضل منه بتشهدين ـ كما قاله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) أي من البعض المذكور.

(٣) في الأصل: الحادية عشر، والصواب كما أثبتُّه: «عشرة».

(٤) هو في حديث أبي حُمَيْدٍ في صفة صلاة النبي ﷺ، أخرجه ابن ماجه (٨٦٢)، وابن حبان (١٨٦٥) (١٨٧٠).

(٥) فقد ذهب أكثر السلف إلى عدم صحة الشروع في الصلاة بغير قول: «اللّٰهُ أكبر»، وهو قول المالكية، وقول الحنابلة في المذهب عندهم، واختيار ابن القيم، وقول ابن الهُمَام الحنفي، وقول الصنعاني والشوكاني والمباركفوري. انظر: «تهذيب سنن أبي داود» لابن القيم (١/ ٤٩)، و «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/ ٢٣٢)، و «المغني» لابن قدامة (٢/ ١٢٦)، و «فتح القدير» لابن الهمام (١/ ٢٨٤، ٢٨٥)، و «سبل السلام» (١/ ٣١٢) ـ ط جامعة الإمام ـ، و «نيل الأوطار» (١/ ٢١٣) ـ ط دار الجيل ـ، و «تحفة الأحوذي» (٢/ ٤٠).

الروياني ــ لئلاّ يَشْتبه بالمغرب؛ لحديث: «لا توتروا بثلاث، ولا تشبَّهوا بصلاة المغرب»، رواه الحاكم(١).

الثالثة عشرة: الدعاء بعد الصلاة على النبي ﷺ في التشهد إذا كان مأثوراً، أفضل من غيره وإن كان أطول منه؛ لتنصيص الشارع عليه، وخروجاً من خلاف مَنْ مَنع منه(٢).

الرابعة عشرة: يُستحب أن يكون هذا الدعاء أقلَّ من قدْر التشهد والصلاةِ على النبي ﷺ؛ لأنه تبعٌ لها، كما جزم به الرافعي والنووي، وإن ردّه الإسنوي.

فما كان أقلَّ منهما أفضلُ مما كان مساوياً لهما أو أكثرَ منهما.

الخامسة عشرة: الوتر ــ بل وركعتا الفجر ــ أفضل من التراويح، مع أنها عشرون ركعةً؛ لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها مواظبته على الوتر وركعتي الفجر.

---

(١) «المستدرك» (١/ ٣٠٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي والحافظ ابن حجر كما في «فتح الباري» (٢/ ٤٨١)، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وبما ذكره المصنف رحمه الله، فسَّر الحافظُ ابن حجر العسقلاني الحديث في «فتح الباري» (٢/ ٤٨١)، واستحسنه الصنعاني في «سبل السلام» (١/ ٤٢٨).

(٢) كما هو رواية عن أحمد. والصحيح من مذهب الحنابلة: أنه لا يجوز أن يدعو بغير المأثور إذا كان ليس من أمور الآخرة، وإلاّ جاز. انظر: «المغني» (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧)، و «الإنصاف» (٢/ ٨١، ٨٢).
لكن الراجح ــ من حيث الدليل ــ هو جواز الدعاء بما شاء المصلي من حوائج الدنيا والآخرة وإن لم يكن مأثوراً كما هو قول عامّة العلماء؛ لقوله ﷺ ــ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ــ : «ثم لْيَتَخَيَّرْ بعدُ من المسألة ما شاء أو ما أحبّ» أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٠) ــ «الفتح» ــ ، ومسلم (١/ ٣٠٢).

وتقدم حديث: «الوتر حقٌّ على كل مسلم»[1] وخلافُ أبـي حنيفة في وجوبه. وتقدم حديث عائشة في ركعتي الصبح[2].

السادسة عشرة: تخفيف الركعتين قبل المغرب أولى من تطويلهما، كما أشار إليه الرافعي في «الشرح الصغير» و «المحرر»، وتبعه النووي في «المنهاج»[3].

السابعة عشرة: سجدة الشكر أفضل من صلاة ركعة أو أكثرَ شكراً؛ للاتِّباع في السجود دون الصلاة.

وقد ذَكَرَ ـ أعني الصلاةَ عِوضاً عن السجود ـ ذلك جماعةٌ، منهم صاحب «الكافي»، قال: «ولو أقام التصدقَ أو صلاةَ ركعتين مقام السجود كان حسناً» انتهى.

ونَقَل في «الروضة»[4] ـ كأصلها ـ فيما إذا تأهّبوا للخروج لصلاة الاستسقاء فسُقُوا قبل موعد الخروج ـ عن نصِّ «الأمّ»[5] ـ أنهم يصلون شكراً.

ومن هذا القبيل ما نُقِل عن المزَني: مِن أنه كان إذا فرغ من مسألة أودعها مختصَرَه، صلَّى ركعتين.

وما نُقِل عن الشيخ أبـي إسحاق: مِن أنه كان يصلي ركعتين عند فراغ كل فصل من «المهذب».

---

(١) انظر: (ص ٤٦).

(٢) انظر: (ص ٦٠).

(٣) (١/ ٢٢٠)، حيث ذكر أن ركعتي المغرب خفيفتان.

(٤) (٢/ ٩١).

(٥) (١/ ٢٤٩).

وإذا كان التطوع بالصلاة مندوباً إليه مطلقاً، فإذا وقع شكراً أولى.

الثامنة عشرة: تكفين الرجل بثلاثة أثواب أفضل من تكفينه بأربعة وخمسة؛ لخبر الصحيحين[(١)]: «أنه ﷺ كُفِّن بثلاثة أثواب يمانية بِيض، ليس فيها قميصٌ ولا عِمامة».

هذا ما استحضرته في وقت ليس بالطويل، وحسبنا الله ونعم الوكيل[(٢)].

* * *

ثم بعد كتابتي إلى هنا، خطر لي نظمُ ما استحضرته وأثبتُّه هنا من المسائل، على وزن أبيات الشيخ وقافيتها، فنظَمت ذلك بديهةً، وذيّلتُ أبياتي على أبيات الشيخ.

ثم خَطر لي أن أَرْقُمَها آخر هذه الورقات، فأقول: هي:

قال فقيرُ عفوِ ربه ابنُ مَن	يقول ذا النظمَ البديعَ المكتمَل
قد امتثلت ما تَحَرّى ضبطَه	وبالحَرِيِّ قولُه أن يُمتثل
ففي ثماني عشْرةٍ[(٣)] حَصَرْتُ ما	جمعته نظماً على النهر اشتمل

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١٣٥، ١٤٠)، و «صحيح مسلم» (٢/ ٦٤٩، ٦٥٠).

(٢) وممَّا ذكره السيوطي ـ رحمه الله ـ من الصور ـ في «الأشباه والنظائر» (ص ١٤٤) مما لم يذكره المصنف في رسالته ولا والدُه في منظومته ـ رحمهما الله تعالى ـ : «الإحرام من الميقات أفضل من دويرة أهله في الأظهر. والحج والوقوف راكباً أفضل منه ماشياً؛ تأسّياً بفعله ﷺ في الصورتين». اهـ.

(٣) في الأصل: ثمانية عشر، وهو خطأ.

أوّلُها الصلاةُ مَعْ تسوُّكِ تَفضلها دون سواكٍ إن تُصَلّ
والثانِ مَنْ أمّ يخفِّفْ حيث لم يكن بكلٍّ مستحبٌّ قد أخلّ
ثالثها الصلاةُ خلف العدل أوْ لَى خلف فاسقٍ وجمع العدل قلّ
رابعها جماعةٌ لكون في الحَر ام أفضلْ وإن كانت أقل
كمسجد النبيِّ والأقصى بلِ الـ ـصلاةِ مطلقاً [و][1] بل كلّ عمل
خامسها المسح على الخفين في حق الذي لِكُرهِ فِعْلِه فضَل
سادسها القصر من الإتمام أو لَى في صلاة الخوف فاشكر من نَقَل
سابعها القصر إذا يُكرهه أولى ولو إلى ثلاثٍ ما وصل
ثامنها اللّٰهُ أكبرْ هو أو لَى مِن مزيدٍ لفظُه فافهَم تَنَلْ
تاسعها تشهُّدُ الوتر على تشهُّدَيه فَضَّلوا المن وصل
ثم الدعاءُ إن يكن من الصلا ة للنبي والتشهدْ أقلّ
أفضلُ منه إن يَفُقْهُما فخُذ عاشرها ثم أَفِده مَن سأل
والحادِ بعد العشر ذا الدعا إنْ يُؤثَرْ يَفُقْ على سواه إن يُقَلْ
والثانِ عشَرْ يَفضلُ الوترُ على فِعلِ التراويح وما ثَمَّ جَدل
ثالثَ عشْرِ فَضَلت صلاةَ ليلِ سنّةُ الفجر ولو زاد العمل
رابعَ عشرةٍ آيتا سورةِ عمـ ـرانَ وما تسبقْها هما أجلّ
مما يكون منهما أكثر في سنة فجرٍ فاصغ بلَغْتَ الأمل
خامسَ عشْرٍ في التراويح إذا قرأتَ بعض سورةٍ فلم يُعَل
بل هو أولى مثلما أفتى به جماعةٌ يُقَرُّ منهم مَن فَعَل
سادسَ عَشْرٍ سُنَّة المغرب قبلها تُخـ ـفَّفْ فهو أولى أن تُطَل
سابعَ عشرٍ سجدةٌ للشكر أو لَى مِن صلاةٍ قَصْدَ شكرٍ تُفتَعل

---

(١) ما بين المعقوفين زيد للوزن، وهو من إفادة الشيخ ابن عقيل حفظه الله.

ثـامـنَ عشْـرٍ إنْ يُكَفَّـنْ رَجُـلُ ثـلاثـةً أفضـلُ صـلِّ فـالنظـمُ اكتمـل
ثـم علـى الفـرد الـذي فـاق علـى جميـع الأنبيـاء حقـاً وفضَـل
أزكـى صـلاةِ الله مَـعْ تسليمـه مـا قصـد العبـدُ حمـاه ودَخَـل
والحمـد لله علـى إنعـامـه وحسبنـا الله ونِعـم المتَّكَـل

وإذاً تعيّن علينا شرحُ بعض ألفاظ هذه الأبيات، فأقول:

قولي: **«المكتمل»**: اسم مفعول من: اكتمله، بمعنى: رآه كاملاً. ويجوز أن يقال: المرتجَل، من الارتجال، وهو الافتطاع[١]، ويقال لمن قال شيئاً لم يُسبق إليه لافتطاعه[٢] بفكره ما لم يتكلم به غيره، والشيخ الوالد لم يُسْبَق إلى النظم في هذا المعنى.

وقولي: **«تحرَّى ضبطَه»**: أي اجتهد على ضبطه. والضمير في «تحرَّى» يعود على «مَن» في قول: «ابنُ مَن يقول»، وهو الشيخ الوالد. وأشرت بذلك إلى قوله في الأبيات: «وينبغي عدُّكَ كلَّ موضع»، إلى آخر البيت.

قولي: **«وبالحَرِيّ قوله أن يُمتثل»**: معناه: وقولُ الشيخ الوالد خليقٌ بامتثاله، ويجوز أن يكون عوضَ «قولُه»: أمرُه.

وقولي: **«حيث لم يكن بكل مستحب قد أخل»**: أي: بحيث لا يأتي بكل مستحَب ولا يتركه، بل يأتي بالآكَد منه.

وقولي: **«لِكَوْنِ في الحرام»**: أي في المسجد الحرام.

وقولي: **«بل الصلاة مطلقاً»** إلى آخره: أي: بل يقال: الصلاة مطلقاً

(١) (٢) هكذا هو في المخطوط، ولم أجده في كتب اللغة، والله تعالى أعلم.

في المساجد الثلاثة أولى منها في غيرها، بل يقال هذا في كل عملِ بِرٍّ؛ ففضل الله واسعٌ حدِّثْ عنه ولا حرج.

وقولي «وما تسبقُها»: أي تَسبق آلَ عمران، وهي سورة البقرة.

وقولي: «الله أكبرْ»: بتسكين الراء.

وقولي: «وما ثَمَّ جَدَل»: «ثَمَّ» بفتح الثاء بمعنى هناك. والمراد: وما في مسألة تفضيل الوتر على التراويح جدلٌ، أي نزاع.

وقولي: «إن يُكَفَّنْ رَجلٌ ثلاثةً»: تُنصب ثلاثةٌ على نزع الخافض، وهو صفةٌ لمحذوف، أي أثواباً أو أكفاناً ثلاثة.

وفي قولي:

«ثم على الفرد الذي فاق على جميع الأنبياء حقاً وفضَل»

مناسبةٌ وأيُّ مناسبة لِمَا نحن بصدده؛ فإنَّ فيه إشارةً إلى أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع كونه واحداً، أفضلُ من جميع الأنبياء، وهم كثيرون صلاة الله عليهم أجمعين.

وإن شئتَ فقل: إن النبي ﷺ أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، وفيهم مَن كان أسنَّ منه.

وجعَلتُ الحمدَ لله والثناءَ عليه آخِرَ النظام؛ ليكون بالمسك الختام، وليكن ذلك ختامَ ما أردنا إيراده في هذه الورقات.

فالحمد لله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه.

سُوِّد ما ي هذه الورقات في نهارين كاملين، من أوائل سنة ست وتسعين وتسعِمائة، وكان تبييضه وتحريره وتهذيبه في أوقات يسيرة،

وتَمّ في وقت العشاء من الليلة التي يُسفر صباحها عن نهار السبت: الثالثِ من شهر صفرِ الخير، من السنة المذكورة.

ولله الحمد أولاً وآخِراً، وظاهراً وباطناً[1].

كتبه مؤلفه

النجم بن البدر الغزي

عفِي عنه

(١) وقد انتهيت من مقابلة الكتاب بأصله المخطوط وقراءته على فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل حفظه الله، في الخميس: الخامس والعشرين من رمضان عام ١٤٢٤هـ، الموافق ٢١/ ١١/ ٢٠٠٣م، وذلك بعد العصر، في المسجد الحرام شرّفه الله، بحضور أخي الشيخ الكريم محمد بن ناصر العجمي، وصاحبي الفاضل محمد سالم الظفيري، حفظهما الله تعالى، راجياً من الله تعالى الإخلاص والقبول، إنه خير مسؤول.

كتبه

الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٥٧)

جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها

للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢ هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به وعلق عليه
أبو الفضل عبد القادر بن عابدي النايلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

العيد عند أكثر الناس كما قال ابن أبي الزلازل:

عِيــدُ يُمــنٍ مــؤكَّــدٌ بــأمــانِ   مِـن تصـاريـف طـارقِ الحـدثـانِ
جعــل الله عيــد عــامِــك هــذا   خيــرَ عيــدٍ وذاك خيــرَ التَّهــانـي

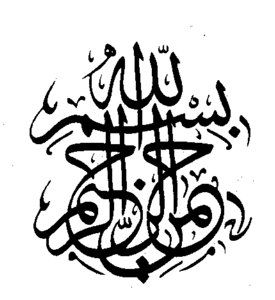
[معجم الأدباء ٣/ ١٧٩]

* * *

والعيد عند بعض الناس كما قال أبو فِراس:

يــا عيــدُ مــا عُــدتَ بمحبــوب   علــى مُعنَّــى القلــبِ مكــروبِ
يــا عيـد قـد عـدت إلـى نـاظـر   عـن كـل حسـن فيـك محجـوبِ
يــا وحشــة الــدار التــي ربُّهــا   أصبــح فــي أثــواب مــربــوبِ

[يتيمة الدهر ١/ ٩٢]



مُقدّمة المعتني

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ للَّهِ، نحمدُه ونَستَعينه ونَستغفِرُه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسنا ومِن سيِّئات أعمالِنا، مَن يَهدِه الله فهو المهتد، ومَن يُضلِل فلن تجد له وليًّا مُرشِداً، وأشهد ألاَّ إلَـه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبدُه ورسولُه.

وبعد: فـ«إنَّ لكلِّ قومٍ عيداً، وهذا عيدنا»، كما قال رسول الهدى ﷺ.

والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام، وما يتبع ذلك من العبادات والعادات.

وفي النسائي وابن حبان بإسناد صحيح عن أنس: قدم النبي ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر والأضحى». قال الحافظ في الفتح (٢/ ٤٤٢): «وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين».

ومن تمام إظهار السرور أن يخرج الناس فيه بزينتهم، مهنِّئين بعضهم بعضاً، في عادة لا ينفك عنها عرب ولا عجم[١].

لكن ما يميز أعياد المسلمين عما سواها من أعياد الأمم والمبتدعة،

---

(١) انظر: حجة الله البالغة ٢/ ٣٠، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

ارتباطها بعبادات جليلة، ومعانٍ سامية نبيلة، إضافة إلى ما جمعته من زاد روحي وحسي، ومصالح دينية ودنيوية(١).

ولمَّا كانت هذه الشريعة محيطة بجميع أنواع الحوادث والنازلات، دقها وجلّها، إما على سبيل النص أو الإيماء، أو على مقتضى البراءة الأصلية، تكلَّم علماؤنا على جواز التهنئة بالمناسبات الشرعية.

ولمَّا كان كلامهم منثوراً في بطون المصنفات، تصدَّر لجمعه وتنقيحه شهاب الملة والدِّين، الحافظ ابن حجر العسقلاني، في هذه الأوراق المباركة التي اعتنيتُ بإخراجها، والتعليق عليها بما منَّ الله به من كلام أهل العلم.

وفي الختام أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، وأخص منهم بالشكر الشيخين الفاضلين: محمد ناصر العجمي، ونظام اليعقوبي؛ فقد قرأت عليهما هذه الرسالة في لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، ولسان الحال يقول:

وما كان شكري وافياً بنوالكم ... ولكنني حاولت في الجهد مذهبا
أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

والله أسأل أن ينفع بما رُقم في هذا الجزء، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير.

رقمه ببنانه
الفقير إلى رحمة ربه
أبو الفضل عبد القادر بن عابدي النايلي
في ١٠ من شهر الله المحرم ١٤٢٥هـ
بالمدينة النبوية، زادها الله شرفاً

---

(١) انظر ــ مشكوراً ــ : الأعياد وأثرها على المسلمين.

مخطوطة الكتاب

لقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على مخطوطة فريدة ــ في حدود اطِّلاعي ــ بمكتبة كوبرلي ١/ ١٦٣٠ [١ ــ ٣].

وهي بخط أحد تلامذة الحافظ، نقلها من خطه.

توثيق نسبتها لابن حجر:

١ ــ ذكرها السخاوي في الجواهر والدرر (٢/ ٦٩١) وسمَّاها: «جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها»[١].

والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٨٢ ــ ٣٨٣) قال: «وله ــ أي حديث واثلة بن الأسقع في التهنئة بالعيد ــ شواهد عن كثير من الصحابة بيَّنها الحافظ ابن حجر في بعض الأجوبة».

٢ ــ نُقول العلماء عن هذه الفتوى:

حواشي الشرواني ٣/ ٥٦.

مغني المحتاج ١/ ٣١٦.

* * *

(١) ووهم الدكتور شاكر في كتابه «ابن حجر العسقلاني ومصنفاته» (١/ ٢٥٦)، إذ قال: ويمكن أن يدرج مع كتب الآداب، لأن السخاوي ذكرها في جملة كتبه الفقهية.

مسائل تتعلق بالتهنئة

حواشي الشرواني ٣/ ٥٦:

١ ـ مغني ونهاية قال ع ش قوله م ر تقبل الله الخ، أي ونحو ذلك مما جرت به العادة في التهنئة ومنه **المصافحة**.

٢ ـ ويؤخذ من قوله: في يوم العيد، أنها لا تطلب في **أيام التشريق** وما بعد يوم عيد الفطر، لكن جرت عادة الناس بالتهنئة في هذه الأيام، ولا مانع منه، لأن المقصود منه التودد وإظهار السرور.

٣ ـ ويؤخذ من قوله يوم العيد أيضاً أن وقت التهنئة يدخل بالفجر لا بليلة العيد، خلافاً لما في بعض الهوامش». اهـ.

مؤلّفات العيد

(أ) عموماً:

١ ـ **تحفة عيد الفطر**: لزاهر بن طاهر الشحامي (ت ٥٣٣هـ). منه نسخة بالظاهرية (مج ٨١، العمرية)، وعنها نسخة بالجامعة الإسلامية **٥٠٢٣** [١٩٠ ـ ٢٠٠].

نقل عنه السيوطي في الجامع الصغير عند حديث: «زيّنوا العيدين بالتهليل».

(ذكره صاحب كشف الظنون ١/ ٣٧٠).

٢ ـ **تحفة عيد الأضحى**: من مسموعات الأعز بن فضائل بن كرم بن

العليق البغدادي (ت ٦٤٩هـ). ذكره في ذيل التقييد (١/ ٤٨٤) . (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١).

٣ ـ **تحفة العيدين**: لأبـي بكر محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٥٤٥هـ)، ونسبه السبكي والصِفدي إلى ولده أبـي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت ٥٦٢هـ). (كشف الظنون ١/ ٣٧٠، الوافي بالوفيات ١٩/ ٦٢).

٤ ـ **كتاب صلاة العيدين**: للمحاملي. منـه الجزء الثاني بالظاهريـة في ٢٦ ورقة.

٥ ـ **كتـاب العيـديـن**: لابـن أبـي الـدنيـا. (سيـر أعـلام النبـلاء ١٣/ ٤٠٣، عمدة القاري ٥/ ٣٦٦، المعجم المفهرس).

٦ ـ **كتاب العيدين**: لأبـي ذر الهروي. ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسه (ص ٢٨٦).

٧ ـ **أحكام العيدين**: للفريابـي. تحقيق مساعد سليمان الرشد، طبع العلوم والحكم.

٨ ـ **كتاب العيدين**: لأبـي بكر المروزي. ذكره ابن رجب في فتح الباري، كتاب العيدين.

٩ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم**: لابن تيمية (٤٢٦ ـ ٦٥٨). طبع الرشد.

١٠ ـ **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**: للألوسي (١/ ٣٤٤ ـ ٣٦٨).

ومن أهم مؤلفات المعاصرين:

١ ـ **صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة**: للعلامة

الألباني. طبع المكتب الإسلامي.

٢ ــ **أحكام العيدين في السنة المطهرة**: لعلي حسن عبد الحميد. طبع المكتبة الإسلامية.

٣ ــ **تنوير العينين بأحكام الأضحى والعيدين**: لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل. طبع الفرقان.

٤ ــ **الأعياد وأثرها على المسلمين**: لسليمان السحيمي. طبع الجامعة الإسلامية.

(ب) مسلسل العيدين:

١ ــ **مسلسل العيدين**: للخطيب البغدادي. طبع مكتبة الفوائد.

٢ ــ **مسلسل العيدين**: لأبي محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني. طبع مكتبة الفوائد.

٣ ــ **مسلسل العيدين**: لابن شستان، ثابت بن مشرف. [انظر: منتخب مخطوطات الحديث بالظاهرية للألباني ص ٣١٨].

٤ ــ **مسلسل العيدين**: لابن قدامة. [انظر: منتخب مخطوطات الحديث بالظاهرية للألباني ص ٩٨].

٥ ــ **مسلسل العيد**: لابن عساكر. سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٦٠.

(ج) في خصوص التهنئة بالعيد:

١ ــ **جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها**: لابن حجر. وهي رسالتنا هاته.

٢ ــ **وصول الأماني بأصول التهاني**: لجلال الدين السيوطي.

* * *

ترجمة المصنِّف[1]

اسمه ونسبه:

العـلاَّمـة الحـافـظ، قـاضـي القضـاة، . . . .

---

(1) مصادر ترجمته:

(أ) ما ترجم به لنفسه:

١ ـ رفع الإصر عن قضاة مصر ص ٦٢ ـ ٦٤.

٢ ـ المجمع المؤسس للمعجم المفهرس.

٣ ـ المعجم المفهرس.

(ب) تلامذته ومعاصروه:

٤ ـ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للسخاوي.

٥ ـ الضوء اللامع (٢/ ٣٦ ـ ٤٠).

٦ ـ عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، للبقاعي (مخطوط بدار الكتب ٤٩١١، ج ١، ل ٨٦ ـ ١٦٨).

٧ ـ لحظ الألحاظ، لابن فهد (ص ٣٣٦ ـ ٣٤٢).

٨ ـ ذيل رفع الإصر، للسخاوي.

٩ ـ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، للسخاوي ٢/ ٦٢٢.

١٠ ـ ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٧.

١١ ـ العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، للمقريزي.

(ج) من بعدهم:

١٢ ـ بدائع الزهور، لابن إياس ٢/٢٦٨ ـ ٢٧٠.

١٣ ـ الدليل الشافي، لابن تغري بردي ١/ ٦٤.

١٤ ـ طبقات الحفاظ، للسيوطي ص ٥٥٢.

١٥ ـ القلائد الجوهرية، لابن طولون ص ٢٣١ ـ ٢٣٣. =

شيخ الإسلام[1]، شهاب الدين[2]، ....

= ١٦ ـ نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي ص ٤٥ ـ ٥٣.
١٧ ـ جمان الدرر، لابن خليل الدمشقي، دار الكتب ص ٧٢٦.
١٨ ـ ذيل طبقات الحفاظ، للسيوطي: ٣٨٠.
١٩ ـ شذرات الذهب، لابن العماد ٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢.
٢٠ ـ اليواقيت والدرر، للمناوي ١/ ١١٧ ـ ١٨١.
٢١ ـ البدر الطالع، للشوكاني ١/ ٨٧ ـ ٩٢.
٢٢ ـ معجم المؤلفين، لكحالة ٢/ ٢٠ ـ ٢٢.
٢٣ ـ الأعلام، للزركلي ١/ ١٧٨ ـ ١٧٩.
(د) دراسات:
٢٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني أمير المؤمنين في الحديث: تأليف عبد الستار الشيخ، طبعة دار القلم.
٢٥ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني حياته وشعره: تأليف محمد يوسف أيوب، طبعة مكتبة الأديب.
٢٦ ـ منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري لمحمد إسحاق كندو، طبعة الرشد.
٢٧ ـ ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة: شاكر محمود عبد المنعم، طبعة الرسالة.
٢٨ ـ التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني: محمد كمال الدين عز الدين، طبعة دار اقرأ.

(١) وهو معدود في طبقات من الناس، مقدم في كثير منها، فعُدَّ في الحفاظ والأعيان والشافعية والأدباء. [انظر: الجواهر والدرر ١/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤].
(٢) أفاد الحافظ أنّ التلقيب بالإضافة للدين، إنما حدث في أول دولة الترك ببغداد، وقال ابن تغري بردي أن ركن الدين أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني (ت ٤١٨هـ)؛ أول من لقب من الفقهاء. [الجوهر والدرر ١/ ١٠٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٧].

أبو الفضل[1]، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكِناني، العسقلاني الأصل، القاهري المنشأ، الشافعي المذهب.

يعرف بابن حجر[2].

مولده:

ولد في ٢٢ شعبان سنة ٧٧٣هـ بمصر القديمة[3].

نشأته:

نشأ يتيماً، ماتت أمه وهو طفل، ثم أبوه في رجب سنة ٧٧٧هـ[4].

أوصى به أبوه لزكيِّ الدِّين الخرُّوبي[5]، والعلاَّمة شمس الدِّين ابن القطّان[6].

وكان الحافظ رحمه الله راهق ولم تعرف له صبوة، ولم تضبط له زلّة.

---

(١) كُني بهذا تشبيهاً بقاضي مكة أبي الفضل محمد بن أحمد النويري، وكناه شيخه العراقي أبا العباس على الجادة.
وللحافظ كتاب سمَّاه: «القصد الأحمد بمن كنيته أبو الفضل واسمه أحمد». [الجواهر والدرر ١/ ١٠٢].

(٢) اختلف، هل هو اسم لجده الأعلى أو لقب له؟ وإلى هذا أشار المترجَم في جواب استدعاء منظوم بقوله:

مِن أحمد بن عليِّ بن محمد ... بن محمد بن علي الكِناني المحتدِ
ولجدِّ جدِّ أبيه أحمد لقَّبوا ... حجراً وقيل بل اسم والد أحمدِ

(٣) وقيل في ١٢.

(٤) قال المناوي في اليواقيت ١/ ١١٨: «كان أبوه بارعاً في الفقه والعربية والأدب، ذا نظم ونثر واجتهاد، فبلغ الأرب».

(٥) نور الدين بن علي الخروبي (ت ٧٨٧هـ)، كان تاجراً كبيراً بمصر.

(٦) (ت ٨١٣هـ).

طلبه للعلم:

حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين، وكان يحفظ كل يوم نصف حزب، وصلى بالناس التراويح في المسجد الحرام وهو ابن اثنتي عشرة سنة[(١)].

حفظ عمدة الأحكام للمقدسي، والحاوي الصغير للقزويني، وألفية العراقي، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، والملحة في النحو للحريري، وغير ذلك.

كان رحمه الله ذا حافظة قوية، يصحح الصحيفة من الحاوي الصغير، ثم يقرؤها مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة حفظاً.

عُنِيَ رحمه الله أولاً بالأدب والشعر حتى برع فيه، ثم حُبب إليه الحديث فأقبل عليه بكلِّيته ولازم شيخه العراقي[(٢)] إلى أن صار مشاراً إليه في حياة شيوخه.

رحلاته وشيوخه:

رحل إلى دمشق، وبلاد الحرمين، والإسكندرية، وبلاد المقدس، وبلاد اليمن، وغيرها[(٣)].

بلغ مجموع مشايخ ابن حجر كما في المعجم المفهرس، والجواهر والدرر، وجمان الدرر لابن خليل الدمشقي أزيد من ٦٤٠ شيخاً، أشهرهم:

أخذ الحديث عن:

١ ـ الحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ): عبد الرحيم بن الحسين.

---

(١) إبان مجاورته مع وصيِّه الخروبي سنة ٧٨٥هـ.

(٢) اجتمع به في شهر رمضان سنة ٧٩٦هـ.

(٣) بلغت عدة المدن والقرى التي سمع فيها الحافظ ٤٩ بلداً وقرية. [انظر: الجواهر والدرر ١/ ١٩٢ ـ ١٩٤].

قال ابن حجر: «ولم نر في هذا الفن أتقن منه، وعليه تخرج غالب أهل العصر»، لازمه ابن حجر عشر سنين، وبه تخرج في الفن.

٢ ــ برهان الدين التنوخي (ت ٨٠٠هـ): إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلي الدمشقي، قرأ عليه الحافظ شيئاً من القرآن، والشاطبية، وصحيح البخاري، وبعض المسانيد والكتب والأجزاء. خرَّج له الحافظ المائة العشارية، ثم الأربعين التالية لها.

وأخذ الفقه عن:

٣ ــ سراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥هـ): أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل، المصري الشافعي، قرأ عليه الحافظ الكثير من الروضة وحواشيه عليها، وسمع عليه مختصر المزني، وهو أول من أذن له في التدريس والإفتاء.

٤ ــ ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ): عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، الأندلسي الأصل، ثم المصري، أكثر أهل زمانه تصنيفاً، قرأ عليه قطعة كبيرة من شرحه الكبير على المنهاج.

٥ ــ البرهان الأَبناسي (ت ٨٠١هـ): أبو محمد إبراهيم بن موسى بن أيوب.

وأخذ الأصول والعربية عن:

٦ ــ عز الدين ابن جماعة (ت ٨١٩هـ): محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز الكناني الحموي الأصل، المصري الشافعي، عَلَمٌ متفنن، أخذ عنه الحافظ في غالب العلوم.

٧ ــ الغماري (ت ٨٠٢هـ): شمس الدين محمد بن محمد بن علي المصري المالكي، شيخ النحاة في مصر.

وأخذ القراءات عن:

٨ ــ إبراهيم بن أحمد التنوخي (ت ٨٠٠هـ).

تلاميذه:

سرد السخاوي أسماء الآخذين عنه فبلغت عدتهم ٦٢٨ شخصاً، من أشهرهم:

١ ــ ابن ظهيرة (ت ٨٩١هـ): إبراهيم بن علي المكي الشافعي، قرأ عليه النصف الأول من شرح النخبة، وقطعة من الحاوي الصغير.

٢ ــ شيخ الإسلام (ت ٩٢٦هـ): زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري.

٣ ــ السخاوي (ت ٩٠٢هـ): أبو الخير محمد بن عبد الرحمن القاهري الشافعي.

وقد رجّحه الحافظ على سائر جماعته، وقال إنه أمثل الجماعة الآخذين عني. [إرشاد الغاوي ٩٦/ ب].

قال السخاوي: تدربت به في طريق القوم، ومعرفة العالي والنازل، والكشف عن التراجم والمتون، وأعانني بنفسه وكتبه وأجزائه. [التبر المسبوك ٣٢٣، الضوء ٨/ ٦].

٤ ــ ابن فهد المكي (ت ٨٧١هـ): محمد بن محمد بن محمد الهاشمي العلوي الشافعي.

٥ ــ البرهان البقاعي.

عقيدته:

قال الدكتور كندو في رسالته منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة (٣/ ١٤٥١): «لم يسر في تقريره لمسائل الاعتقاد على منهج واحد، وإنما

كان منهجه متأرجحاً بين السلفية والأشعرية، بحيث تجده في بعض المسائل مع المنهج السلفي مقرراً ومؤيداً، وفي بعضها مع المنهج الأشعري مقرراً ومؤيداً. اهـ.

مذهبه الفقهي:

هو شافعي المذهب، ولكنه خرج عن المذهب في مسائل ليست بالقليلة، وذلك لوفرة عقله رحمه الله، ولعدم تعصبه، مع اكتمال الآت الاجتهاد فيه.

ومن غرر أقواله رحمه الله في الفتح (١/ ٧٦): «لا يُلتفت إلى الآراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها، ولا يقال: كيف خفي ذا على فلان؟! والله الموفق».

صفاته وأخلاقه:

(أ) الخِلقية:

كان صبيح الوجه، للقصر أقرب، ذا لحية بيضاء، نحيف الجسم، فصيح اللسان، شجي الصوت.

(ب) الخُلُقية:

كان ورعاً، شديد التحري والتحرز في مأكله ومشربه وملبسه، فلا يأكل إلاَّ من الحلال الطيب.

متبعاً للسنة، شديد التمسك بها في جميع أحواله.

ملازماً لقيام الليل، وسنة الضحى، وسرد الصيام، وواظب أخيراً على صوم يوم وإفطار يوم.

ثناء العلماء عليه:

قال سراج الدين البُلقيني: «الشيخ الحافظ المحدث المتقن المحقق».

قال العراقي: «الشيخ العالم الكامل الفاضل الإمام المحدث المفيد المجيد الحافظ المتقن الضابط الثقة المأمون».

قال السخاوي في الضوء (٢/ ٣٩): «شهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث، وقال كل من التقي الفاسي والبرهان الحلبي: ما رأينا مثله».

قال السيوطي في نظم العقيان ص ٤٥:

«هو فريد زمانه، وحامل لواء السنة في أوانه، ذهبيُّ هذا العصر ونُضاره، وجوهره الذي ثبت به على كثير من الأعصار فِخاره، إمام هذا الفنِّ للمقتدين...».

الأسباب المساعدة له على الطلب كما ذكرها السخاوي:

١ ــ **سرعة القراءة الحسنة**: قرأ مسلماً في أربعة مجالس سوى مجلس الختم، وذلك في يومين وشيء. والمعجم الصغير للطبراني في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر... وغير ذلك كثير.

٢ ــ **سرعة الكتابة مع حسنها**: كتب التقييد لابن نقطة في خمسة أيام، وكان يكتب من البخاري جزءاً من ثلاثين في اليوم. وكتب ما يربو عن الثلاثين مجلدة ضخاماً في رحلته الشامية التي استغرقت مائة يوم، سوى ما قرأ.

٣ ــ **الرفقة الطيبة**.

٤ ــ **استثماره لوقته**: في المطالعة والقراءة والسماع والعبادة والتصنيف والإفادة، حتى في حال أكله وتوجهه.

٥ ــ **أخذه عن أقرانه وتلامذته**.

المناصب التي تقلَّدها:

ـ ولي التدريس بمدارس كثيرة: كالشيخونية، وجامع القلعة، والبيبرسية، والجمالية، والصلاحية، والمحمودية، وغيرها[1].

ـ كما ولي الإفتاء بدار العدل سنة ٨١١هـ.

ـ خزن الكتب المحمودية.

ـ الخطابة، والإمامة والوعظ بالجامع الأزهر، وجامع عمرو بن العاص، وغيرهما.

ـ قضاء القضاة بالديار المصرية.

ـ ابتدأ مجالس الإملاء سنة ٨٠٨هـ بالإمتاع بالأربعين المتباينة بشرط السماع من حديثه عن شيوخه، إلى أن وافاه الحمام سنة ٨٥٢هـ.

مؤلفاته[2]:

ـ ابتدأ التصنيف سنة ٧٩٦هـ، وله ٢٣ سنة.

ـ ذكر السخاوي أنّ مصنفاته زادت على مائة وخمسين، لكنه أوصلها في الجواهر والدرر إلى ٢٧٣ عنواناً، وذكر المناوي في اليواقيت والدرر ٢٠٦ مصنفات، على تكرار فيها[3].

---

(١) فدرس فيها: التفسير، والحديث، الفقه.

(٢) جملة ما أملى ١١٥٠ مجلساً، يحضرها الأئمة والعلماء والفضلاء. [انظر: الجواهر والدرر ٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥].

(٣) قال المناوي في اليواقيت والدرر ١/ ١٢٣: «وأعماله أضعاف ما عمل الجلال السيوطي، فإن الجلال وإن كانت تصانيفه أكثر عدداً فأكثرها صغار، والمؤلف تصانيفه أكثرها كبار».

وأوصلها الدكتور شاكر محمود في رسالته إلى ٢٨٢ كتاباً[١].

قال السخاوي: «وقد سمعته يقول: لست راضياً عن شيء من تصانيفي، لأني عملتها في ابتداء الأمر، ثم لم يتهيأ لي من يحرِّرها سوى: شرح البخاري، ومقدمته، والمشتبه، والتهذيب، ولسان الميزان... بل رأيته في موضع أثنى على شرح البخاري، والتغليق والنخبة.

ثم قال: وأما سائر المجموعات فهي كثيرة العدد، واهية العُدد، ضعيفة القوى، ظامئة الرُّوى...»[٢].

ـ تميز رحمه الله بسرعة التصنيف، إذ صنف الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية في يومين، وطرَّف المختارة للضياء المقدسي في رحلته الشامية التي دامت مائة يوم، مع وفرة منسوخاته ومسموعاته بها.

وفاته:

توفي ليلة السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٨٥٢هـ، وحُزر من حضر جنازته بخمسين ألف إنسان، منهم السلطان والقضاة والعلماء والأعيان، ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الإمام الشافعي، وصلى عليه العَلَم البلقيني.

قال السخاوي: «ولا أستبعد أنه أكرمه الله بالشهادة، فقد كان الطاعون ظهر».

---

(١) ومن المنسوب ـ أي مما لم تتحقق نسبته إليه عنده ـ ٣٨ كتاباً، وزاد عليه الأستاذ سعيد القزقي محقق التغليق، والدكتور مرتضى الزين محقق اليواقيت ١٤ كتاباً.

(٢) الجواهر والدرر ٢/ ٦٥٩.

وقد تهادت تصانيفه الملوك، واعتنى بتحصيلها جماعة من العلماء، وحفظ بعضها في حياته، بل في حياة شيوخه.

رثاه أغلب شعراء عصره بأمهات القصائد.

قال الشهاب الحجازي:

كـل البـريّـة للمنيَّـة صـائـرة   وقفـولهـا شيئـاً فشيئـاً سـائـرة
والنفس إن رضيت بذا ربحت وإن   لم ترض كانت عند ذلك خاسرة

قال البقاعي:

رُزْءٌ أَلَـمّ فقلـت الـدهـر فـي وَهـج   وأعقـلُ النـاس منسـوب إلـى الهـوَجِ
وللقلـوب وجِيـب فـي مـراكـزهـا   يهـول فهـو بتشقيـق الصُّـدور حجـي

* * *

صورة المخطوط المعتمد عليه في التحقيق

(الصفحة الأولى)

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٥٧)

جزء في
التهنئة في الأعياد وغيرها

للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢ هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به وعلّق عليه
أبو الفضل عبد القادر بن عابدي النايلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، فائدة:

وجدتُ بخطِّ شيخِنا الإمامِ العلاّمةِ، خاتمةِ الحفّاظِ، قاضي القضاة، شِهاب الدِّين أبـي الفضل أحمدَ بنِ حجرٍ الشافعيِّ رحمه الله تعالى ما صورته:

الحمد لله وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفى.

أما بعدُ: فقد أحضر إليَّ بعضُ أهل العلم سؤالاً مُحصَّله أنَّ الشيخ نجمَ الدِّين القَمُولي[1] الشافعي[2] قال في كتاب الجواهِر له[3]، في باب العيدَين:

(١) ضبطه السبكي في الطبقات ٩/ ٣١ بفتح القاف، وضمِّ الميم، وإسكان الواو، بلدة في البر الغربـي من أعمال قوص، وضبطه في الشذرات ٦/ ٧٥ بالفتح والضم.

(٢) نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن مكي المخزومي، كان إماماً في الفقه، عارفاً بالأصول والعربية والتفسير، صالحاً سليم الصدر، كثير الذكر والتلاوة، متواضعاً متودداً، كريماً كبير المروءة، له شرح مطول على مقدمة ابن الحاجب في النحو، وشرح الأسماء الحسنى في مجلد [بدار الكتب المصرية: ٢٣٢٥٠ ب]، وكمّل تفسير الرازي، تولى مناصب عدة، توفي سنة ٧٢٧هـ ودفن بالقرافة.
[انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٨/ ٦١، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/ ٣٥٩، طبقات الشافعية: ٢/ ٢٥٤، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٦٨، طبقات الشافعية الكبرى ٩/ ٣٠ ــ ٣١، شذرات الذهب ٦/ ٧٥ ــ ٧٦.

(٣) «جواهر البحر»: لخص فيه البحر المحيط شرح الوسيط له، قال الإسنوي: لخص =

فرع: لم أر لأحدٍ من أصحابنا كلاماً في التهنِئة بالعيدَين والأعوامِ والشهورِ كما يفعله الناسُ.

ورأيت فيما ينقل من فوائد الشيخ زكيِّ الدِّين عبد العظيم المنذري[1] أن الشيخ الحافظ أبا الحسن المقدسي[2] سُئل عن التهنئة في أوائل الشهور والسنين أهو بدعة أم لا؟ فأجاب بأن الناس لم يزالوا مختلفين في ذلك.

قال: والذي أراه أنه مباح ليس بسنة ولا بدعة.

ثم ألحق السائل بعد هذا أن الشيخ كمال الدِّين الدَّميري[3] نقل في

= أحكامه خاصة، كتلخيص الروضة من الرافعي. [انظر: شذرات الذهب ٦/ ٧٥ ــ ٧٦، كشف الظنون ١/ ٦١٣، الأعلام ١/ ٢٢٢].

ومنه نسخة بمركز الملك فيصل باسم: «الجواهر اليتيمة المستخرجة من الكنوز الثمينة».

اختصره:

ــ الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن عمر الفارقي، في كتاب زواهر الجواهر [طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي ص ٣٩].

ــ أبو حفص عمر بن محمد السراج الشافعي (ت ٨٨٧هـ)، في جواهر الجواهر وهو في نحو ثلاث وأربعين كراسة. [الضوء اللامع ٦/ ١٣٢، كشف الظنون ٢/ ٢٠٠٨].

(١) الإمام العلامة، الحافظ الكبير. شيخ الإسلام، الورع الزاهد، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المُنذِريّ (ت ٦٥٦هـ) بمصر. [انظر: السير ٢٣/ ٣١٩، طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٥٩ ــ ٢٦١، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٦ ــ ١٤٣٨، وكتاب الدكتور بشار عواد: المنذري وكتابه التكملة].

(٢) الإمام، المحدِّث، الورع، شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل اللخمي المقدسي ثم الإسكندراني، المالكي، أكثر إلى الغاية عن السلفي، (ت ٦١١هـ) [شذرات الذهب ٥/ ٤٧ ــ ٤٨، الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٣٦ السير ٢٢/ ٦٦].

(٣) العلامة، كمال الدين، أبو البقاء، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ــ بالفتح والكسر، نسبة إلى دميرة قرية بمصر ــ الشافعي، وتفقه على الشيخ بهاء الدين أحمد السبكي، والشيخ جمال الدين الإسنوي، كان ذا حظ من العبادة تلاوة =

شرح المنهاج[1] كلام القَمُولي، وزاد أنَّ صاحب البيان والتحصيل[2] نقل منه عن مالكٍ أنَّه لا يكره، وعن ابن حبيب قال: لا أعرفه ولا أكرهه.

قال السائل:

ــ فهل وُجد نقل لأحد من أصحاب الشافعيِّ في هذه المسألة أم لا؟

ــ وهل إذا قال قائل إنه يدخل في السنَّة من جهة أنَّه محل سرور إذ أدّى المكلف ما أمر به من عبادة الصيام مثلاً في تهنئة عيد الفطر، وكذا العبادة المشروعة في عشر ذي الحجّة ونحو ذلك، يكفي ذلك في حصول المشروعيّة أم لا؟

فأجبت عما تضمَّنه هذا السؤال بأن الكلام عليه من أوجه:

* * *

= وصياماً ومجاورة بالحرمين، له شرح المنهاج في أربع مجلدات، وأرجوزة طويلة في الفقه (واسمها: رموز الكنوز)، وله كتاب حياة الحيوان كبرى وصغرى ووسطى (واسمه: حاوي الحسان من حياة الحيوان)، أبان فيها عن طول باعه وكثرة اطلاعه، وشرع في شرح ابن ماجه فكتب مسودة في خمس مجلدات، وبيض بعضه، وسماه الديباجة، (ت ٨٠٨هـ). [انظر: شذرات الذهب ٧/ ٧٩، الضوء اللامع ١٠/ ٥٩ ــ ٦٢].

(١) قال السخاوي: «سماه النجم الوهاج، لخصه من السبكي والإسنوي وغيرهما، وعظم الانتفاع به خصوصاً بما طرزه به من التتمات، والخاتمات، والنكت البديعة، وأول ما ابتدأ من المساقاة بناء على قطعة شيخه الإسنوي. وقال ابن قاضي شهبة: ضمنه فوائد كثيرة خارجة من الفقه [انظر: الضوء اللامع ١٠/ ٦٠، طبقات الشافعية ٤/ ٦٢].

(٢) الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ــ الجد ــ: قاضي الجماعة بقرطبة، (ت ٥٢٠هـ)، [الإعلام ٥/ ٣١٦ ــ ٣١٧، الصلة ص٥١٨، قضاة الأندلس ص٩٨].

الوجه الأول

أن الشيخ نجم الدِّين إنما نفى رؤيته، فلو قدِّر وجود نقل يخالفَه لم تلحقه ملامة.

وكتابه الجواهر اختصره من كتابه البحر المحيط[1] في شرح الوسيط[2]، وحسبت أنه ذكر هذه الكائنة فيه أبسط مما ذكرها في الجواهر، فلم يعرج عليها فيه.

* * *

(١) قال الإسنوي: شرح مطول أقرب تناولاً من شرح ابن الرفعة، وإن كان كثير الاستمداد منه، وأكثر فروعاً منه أيضاً، بل لا أعلم كتاباً في المذهب أكثر مسائل منه. [شذرات الذهب ٦/ ٧٥ ــ ٧٦].

(٢) في الأصل البسيط، ولعله سبق قلم من الناسخ

الوجه الثاني

ما نقله عن المنذري عن أبـي الحسن المقدسي لا يلزم منه وجود نقل عن أحد من الشافعية إلاَّ بطريق الاندراج في عموم قوله: «إن الناس لم يزالوا مختلفين»، مع احتمال أنه ما أراد بالناس إلاَّ أهل مذهبه، وكان هو مالكي المذهب، وهو شيخ المنذري في الحديث لا في الفقه.

* * *

الوجه الثالث

أنَّ الذي زاده الدميري من النقل عن البيان والتحصيل لا يكفي في تفسير ما أجمله المقدسي من الاختلاف، لأنَّ النَّقل في هذه المسألة موجود عن المالكيّةِ، بل وبقيَّة أهل المذاهب، وعن بعض الصحابة ثم عن بعض التابعين ممَّن بعدهم من فقهاء الأمصار.

أما الشافعيّة:

فقد عقد الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ــ وهو من كبار الشافعية ــ لذلك باباً في كتاب السُّنن الكبير الذي صنّفه في بيان أدلَّة المسائل التي اشتمل عليها المبسوط للمزنيِّ صاحب الإمام الشافعيّ من أول الفقه إلى آخره.

فقال رحمه الله تعالى في آخر كتاب العيدين: «باب ما رُوِي في قول النَّاس بعضهم لبعض يوم العيد: تقبَّل الله منّا ومنكم، ثم ذكر فيه من طريق خالد بن معدان ــ وهو ثقة ــ قال: لقيت واثلة ــ يعني ابن الأسقَع الصحابي ــ في يوم عيد، فقلت: تقبَّل الله منّا ومنك، فقال: نعم تقبَّل الله منّا ومنك، لقيت رسول الله ﷺ، فقلت له: تقبَّل الله منّا ومنك فقال: «نعم تقبَّل الله منّا ومنك»[1].

(١) السنن الكبرى ٣/ ٣١٩.

قلت: وسنده ضعيف، أخرجه أبو أحمد بن عدي في كتابه الكامل في الضعفاء[1] في ترجمة محمّد بن إبراهيم الشامي، وقال عن الشامي: منكر الحديث[2].

ثم قال البيهقي: وجدته بإسناد آخر عن واثلة موقوفاً من قوله غير مرفوع إلى النبي ﷺ[3].

قلت: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو بكر الخلال الحنبلي في كتاب العلل، والإمام أبو أحمد عبد الله بن محمّد بن مسلم المقرىء المعروف بالفرضي في مشيخته، وأبو القاسم زاهر بن طاهر في كتاب تحفة عيد الأضحى.

كلهم من طريق حَبيب بن عمر الأنصاري عن أبيه قال: لقيت واثلة يوم عيد فقلت: تقبّل الله منّا ومنك[4].

قلت: وسندُ هذا الموقوفِ أقوى من سند المرفوعِ.

---

(١) الكامل ٦/ ٢٧١، وذكره ابن حبان في المجروحين ٢/ ٣٠٢، ورواه في التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٢٩.

(٢) وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٤٧٢: هذا حديث لا يصح، ولا يرويه عن بقية غير محمد بن إبراهيم، وهو منكر الحديث، وبقية يروي عن المجهولين ويدلسهم، **ويذكر شيوخ فيترك شيوخ الضعفاء** (كذا).
قال الذهبي في المهذب ٣/ ١٢٤٦: محمد متهم بالكذب.
وخالفه الوليد بن شجاع، فرواه عن بقية عن حبيب بن عمر عن أبيه.

(٣) وزاد: ولا أراه محفوظاً [السنن الكبرى: ٣/ ١٢٤٧].

(٤) المعجم الكبير ٢٢/ ٥٢، تاريخ دمشق ١٢/ ٤٢، تحفة عيد الفطر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٠٦: وحبيب قال الذهبي: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأبوه لم أعرفه.

وقد رُوِّيناه في الدُّعاء للطبراني[1] بسند أقوى من هذا الثاني، أخرجه من طريق راشد بن سعد ــ وهو ثقة ــ أن أبا أمامة وواثلة أتياه في يوم عيد فقالا: تقبَّل الله منّا ومنكم.

[قال البيهقي رحمه الله: وقد روي حديث مرفوع في كراهية ذلك ولا يصح، ثم رواه من طريق عبد الخالق بن زيد بن واقد الدمشقي عن أبيه عن مكحول عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الناس في العيدين: تقبل الله منّا ومنكم، قال: ذلك فعل أهل الكتابين وكرهه][2].

قال البيهقيُّ: هذا حديث واهي، وفي سنده عبد الخالق بن زيد، وهو مُنكر الحديثِ، قاله البخاري.

قلت: وصنيع البيهقي يقتضي ترجيح الأوّل على الثاني، فإنّ ذكرَه ما يشهدُ له مصرِّحٌ بضعف الثاني.

فقد وُجِد كلامٌ في أصل هذه المسألةِ، ووُجِد أيضاً ما يقتضي أنه مستحب في مذهب الشافعي كما سأبينه في الوجه السادس إن شاء الله تعالى.

* * *

---

(١) الدعاء للطبراني ص ٩٢٨ وفي إسناده الأحوص بن حكيم فيه ضعف، وشيخ الطبراني متكلم فيه.

(٢) في الأصل سقط، والحديث رواه أيضاً ابن عساكر ٣٤/ ٩٧، وابن حبان في المجروحين ٢/ ١٤٩، وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٥٤٨، وفيه عبد الخالق بن زيد قال النسائي: ليس بثقة. وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير التي إذا سمعها المستمع شهد أنها مقلوبة أو معمولة لا يجوز الاحتجاج به [انظر: لسان الميزان ٣/ ٤٠٠].
قال الذهبي في المهذب ٣/ ١٢٤٧: وهو منقطع أيضاً.
وضعف الحديث الحافظ في الفتح ٢/ ٥١٧.

الوجه الرابع
في بيان ما جاء في ذلك عن الصّحابة

تقدَّم النقل عن واثلة بن الأسقَع وهو من الصحابة الذين نزلوا دمشق.

رُوِّينا في كتاب تحفة عيد الأضحى لأبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي المستملي[1] (ما أورده) بسند حسن إلى صفوان بن عمرو

---

(١) الشيخ العالم المحدث المفيد المعمر مسند خراسان أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي المستملي الشروطي الشاهد، سمع من البيهقي سننه الكبير ومن الكنجروذي أكثر مسند أبي يعلى، وروى عن خلق.

قال أبو سعد السمعاني: كان مكثراً متيقظاً... ولكنه كان يخل بالصلوات إخلالاً ظاهراً.

قال الذهبي: الشره يحملنا على الرواية لمثل هذا.

وقال في المغني في الضعفاء: صدوق في الرواية، لكنه يخل بالصلوات، علا سنده، وتكاثروا عليه، وروى عنه ابن عساكر الكثير.

قال السمعاني: لعله تاب ورجع عن ذلك في آخر عمره.

قال محمد بن عبد الغني البغدادي فيه: حدث عنه الحفاظ... وسماعاته صحيحة وهو ثقة في الحديث، وذكره أنه كان يخل بالصلوات.

له تحفتي العيدين، وعوالي مالك وابن عيينة، ومشيخة، وغير ذلك، (ت ٥٣٣هـ) [انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٩ ــ ١٣، لسان الميزان ٢/ ٤٧٠، التقييد ص ٢٧٢].

ـ وهو من رجال الصحيح ـ عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ـ وهو من رجال الصحيح أيضاً ـ عن أبيه ـ وهو من كبار التابعين، وذُكر في الصحابة لأن له رؤية، وهو من رجال الصحيح أيضاً ـ قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبَّل الله منّا ومنكم.

وكذا رُوِّيناه في مشيخة أبي أحمد الفرضي المقرىء[1] من هذا الوجه[2].

ورُوِّينا في كتاب التحفة المذكور بسند حسن أيضاً إلى محمّد بن زياد الألهاني ـ وهو من رجال الصحيح ـ قال: رأيت أبا أمامة الباهلي صاحب رسول الله ﷺ يقول في العيد لأصحابه: تقبَّل الله منّا ومنكم[3].

وأخرج الطبراني في الدُّعاء بسند قوي إلى راشد بن سعد أن أبا أمامة وواثلة بن الأسقعَ لقياه في يوم عيد فقالا: تقبَّل الله منّا ومنك[4].

---

(١) الإمام القدوة، شيخ العراق، أبو أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد البغدادي، الفرضي، المقرىء.
قال الخطيب: كان ثقة صادقاً ديِّناً ورعاً. وقال العتيقي: ثقة مأمون، ما رأينا في معناه مثله. وقال الأزهري: كان إماماً من الأئمة. (ت ٤٠٦هـ).
[انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، معرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٤، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢١٢ ـ ٢١٤، طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤].

(٢) وعزاه في الفتح ٢/ ٥١٧ إلى المحامليات ٢/ ١٢٩/ ٢، وحسن إسناده أيضاً.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ١١٦، [وانظر: الجرح والتعديل ٧/ ٢٨٧].
قال أبو جعفر: وحدثنا يحيى بن عثمان قال: حدثنا نعيم قال: حدثنا محمد بن حرب عن محمد بن زياد الألهاني قال: كنا نأتي أبا أمامة وواثلة بن الأسقع في الفطر والأضحى ونقول لهما تقبل الله منا ومنكم، فيقولان: ومنكم. [مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٥].

(٤) الدعاء للطبراني ٩٢٨، وفيه ضعف.

وأخرج الخلّال في كتاب العِلل عن حربٍ الكِرماني عن إسحاق بن زاهر بسند حسن إلى عمرو السكسكي قال: رأيت عبد الله بن بسر المازني وخالد بن معدان وراشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير بن نفير يقول بعضهم لبعض في العيدين: تقبَّل الله منّا ومنكم[١].

نقل أبو الوفاء بن عَقيل في كتاب الفُصول عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل قال: إسناد حديث أبـي أمامة جيِّد[٢].

ونقل الشيخ موفق الدِّين ابن قدامة في المغني عن حرب قال: سئل أحمد عن قول الناس تقبَّل الله منّا ومنك فقال: لا بأس به، يرويه أهل الشام عن أبـي أمامة، قيل له: وعن واثلة، قال: نعم[٣].

فكأنه أشار إلى رواية راشد بن سعد المذكورة.

* * *

(١) تاريخ دمشق ٢٤/ ١٥٤، وزاد فيه: «وعبد الرحمن بن عائذ وغيرهم من الأشياخ»، والأصبهاني في الترغيب والترهيب ١/ ٢٥١، وإسناده حسن.

(٢) ذكره في المغني ٣/ ٢٩٥.

(٣) المغني ٣/ ٢٩٤، وتتمة الأثر: «قيل: فلا تكره أن يقال هذا يوم العيد، قال: لا».

الوجه الخامس
في بيان ما جاء في ذلك عن التّابعين فمن بعدهم

تقدَّم النقل عن خالد بن معدان، وراشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جُبير.

وأخرج البيهقي من طريق أدهم مولى عمر بن عبد العزيز قال: كنّا نقول لعمر بن عبد العزيز في العيدين: تقبَّل الله منّا ومنك يا أمير المؤمنين، فيرد علينا مثله، ولا ينكر ذلك[1].

وأخرج المُستملي بسند صحيح إلى حجّاج بن محمّد، والطبراني في الدُّعاء إلى أبي داود الطيالسي، كلاهما عن شعبة بن الحجاج قال: لقيت يونس بن عبيد في يوم عيد فقلت: تقبَّل الله منّا ومنك،

(١) السنن الكبرى ٣/ ٣١٩، والطبراني في الكبير ٢٢/ ٥٢، وابن عساكر ٧/ ٤٦٧، تحفة عيد الفطر (و . . .)، وعبد السلام البزّار وأدهم لم أجد لهم ترجمة.

ورواه ابن عساكر ٦/ ٤٣٦ من طريق إبراهيم بن أبي عبلة قال: دخلنا على عمر بن عبد العزيز. . وذكر نحوه.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٢٤١ ــ ٢٤٢: قلت: «هذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر».

فقال لي: منك[1].

ونقل عن صاحب النصيحةِ[2] من الحنابلة: هو فعل الصحابة والعلماء[3].

ونقل القاضي شمس الدِّين السروجي الحنفي[4] في شرح الهداية عن الحسن البصري أنه سئل عن ذلك فقال: محدث[5].

وعن الأوزاعي قال: بدعة[6].

---

(١) الدعاء للطبراني ٩٢٩، لكن فيه: لقيني يونس بن عبيد في يوم عيد فقال: تقبل الله منا ومنك.

(٢) هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجرِّي (ت ٣٦٠هـ)، قال العلامة بكر أبو زيد: «لكن هو ممن تجاذبته كتب طبقات الشافعية والحنابلة، والكتاب لم يتم الوقوف عليه».
قال في الشذرات: «كان حنبلياً، وقيل شافعياً وبه جزم الإسنوي وابن الأهدل».
قال ابن بدران: «عادته فيه أن لا يذكر إلاَّ اختيارات الأصحاب».

(٣) الإنصاف ٢/ ٤٤١، الفروع ٢/ ١١٧، وفيها: «وقول العلماء». [انظر: المدخل المفصل ١/ ٤٥٩، الشذرات ٣/ ٣٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٧٠].

(٤) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني بن أبي إسحاق السروجي، أبو العباس، شمس الدين، قاضي القضاة بمصر، كان حنبلياً، وتحول حنفياً، كان بارعاً في علوم شتى، وضع كتاباً على الهداية سماه الغاية، ولم يكمله في ست مجلدات ضخام، له اعتراضات على ابن تيمية، ورد عليه ابن تيمية في مجلدات. [طبقات الحنفية ١/ ٥٣، الإعلام ١/ ٨٦، رفع الإصر ٥٠].

(٥) قال في مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٥: «وروى أبو عوانة عن ابن عون قال: قلت للحسن في قول الناس في العيدين تقبل الله منا ومنكم، فقال: محدث. وذكر عبد الرحمن بن مهدي أن هذا من كلام ابن عون».

(٦) قال في مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٤: «وقال عمر: سئل الأوزاعي عن تلاقي =

وعن الليث بن سعد قال: لا بأس به[1].

قلت: والذي نقل عن الحسن البصري ـ إن كان محفوظاً عنه ـ لا يعارضه ما أخرجه الطبراني في الدُّعاء من طريق حَوشب بن عقِيل قال: لقيت الحسن البصري في يوم عيد فقلت: تقبَّل الله منَّا ومنك، فقال: نعم، تقبَّل الله منّا ومنك[2].

فيجمع بينهما بأنه عنده من الحادث الحسن، كما قال عمر في التراويح: نعمت البدعة هذه.

= الناس في العيدين بالتحية والدعاء فقال: التحية بالسلام حسن، وتلاقيهم بالدعاء محدث».

(1) قال في مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٤: «وقال عمرو بن خالد: كنا نأتي الليث بن سعد في الفطر والأضحى فنقول: تقبل الله منك ومنا يا أبا الحارث، فيقول: ومنكم.
وذكر ابن وهب عن الليث أنه لا بأس بذلك».
وروى في التكملة لكتاب الصلة ٢/ ١٧١ ـ ١٧٢، من طريق عبد الله بن يوسف قال: «سألت الليث بن سعد عما يقول الناس بعضهم لبعض في أعيادهم: تقبل الله منا ومنكم وغفر لنا ولكم، فقال الليث: أدركت الناس وهم يقولون ذلك بعضهم لبعض وفيهم إذ ذاك بقية، قال: وكان ابن سيرين لا يزيد أن يقول للرجل إذا قدم من حج أو غزوة أو في عيد: تقبل الله منا ومنكم، وغفر لنا ولكم.
وقد بوَّب ابن وضاح في بعض تواليفه على هذا القول وكراهيته».

(2) الدعاء (٩٣٠)، وفي إسناده مسكين أبو فاطمة ضعفه الدارقطني اللسان ٦/ ٢٨ ـ ٢٩، وشيخ الطبراني لا تُعرف له ترجمة.
قال في مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٥: «وقد روى حماد بن سلمة عن أيوب قال: كنا نأتي محمد بن سيرين والحسن في الفطر والأضحى فنقول لهما: تقبل الله منا ومنكم فيقولان: ومنكم».

ويحتمل مثله في إطلاق الأوزاعي[1].

* * *

(١) تتمة:

١ ــ وقال يحيى بن عثمان: سألت الحارث بن مسكين عن ذلك فقال: لم تزل الأشياخ بمصر تقول ذلك، ولكن هؤلاء الذين يقولون سنين كثيرة، لا يريدون أن يموتوا.

٢ ــ وقد كان بكار بن قتيبة والمزني، وأبو جعفر بن أبي عمران، ويونس بن عبد الأعلى، يهنِّئُون بالعيد فيردون مثله على الداعي لهم.

[مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٥].

الوجه السادس
ممّا جاء في ذلك عن المذاهب الأربعة

أما الشّافعية:

فتقدم ما ذكره البيهقي، ونقل الشيخ شمس الدِّين ابن مفلح الحنبلي في كتاب الفروع[1] عن أحمد لا بأس به، ورقم عليه علامة موافقة الشافعي، لأن اصطلاحه أنه يرقِّم للمذاهب الثلاثة وفاقاً وخلافاً، فعلامة أبـي حنيفة (هـ) وعلامة مالك (م) وعلامة الشافعي (ش)، فإن كانت المسألة خلافية رقم عليها اسم المخالف، وإن كانت وفاقية زاد للوِفاق قبل الرقم واواً، فرقَّم هنا على لا بأس به ما صورته: «و ش»، يعني وافق الشافعية هذه الرواية فاقتضى ذلك أنه وجد النقل في خصوص هذه المسألة عن الشافعية.

وأما المالكية:

فسبق النقل عن البيان والتحصيل.

ونقـل الشيـخ موفق الدِّيـن ابـن قدامـة[2] عـن علي بـن ثابـت قـال: سألت مالكاً عـن ذلك منذ خمـس وثلاثين سنـة، فقـال: لـم يزل يُعرف هذا بالمدينة.

---

(١) الفروع ٢/ ١١٧.

(٢) المغني ٣/ ٢٥٩

قلت: وهذا المنقول عن علي بن ثابت ــ وهو الجزري ــ نقله عنه أبو حاتم ابن حبّان في كتاب الثقات[1] فقال: أخبرنا ابن الباغَندي، ثنا محمّد بن حاتم، ثنا علي بن ثابت قال: سألت مالكاً عن قول الناس فذكره بلفظ: «ما زال الأمر عندنا كذلك».

ونقل السروجي في شرح الهداية عن مالك: «هو من فعل الأعاجم، وكرهه»[2].

وهذا الأخير هو مقتضى صنيع صاحب الفروع عن الحنفية والمالكية أنه لا يستحب.

وأما الحنفية:

فنقل السروجي عن قنية المنية[3] أنه ذكر هذه المسألة فقال: لم ينقل عن أصحابنا كراهة.

قلت[4]: وذكرها القاضي علاء الدِّين التركماني في الدرِّ النقي،

---

(١) الثقات لابن حبان ٩/ ٩٠، وزاد فيه: «ما نرى به بأساً».

(٢) جاء في مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٤: «عبد الله بن يوسف قال: سألت مالكاً عن قول الناس في الفطر والأضحى تقبل الله منا ومنكم، قال: ذلك من فعل الأعاجم، وكرهه».

(٣) قنية المنية لتتميم الغنية، للشيخ الإمام أبي الرجاء نجم الدين مختار بن محمود الزاهدي الحنفي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، مشهورة عند العلماء بضعف الرواية وأن صاحبها معتزلي ذكر في أولها أنه استضافها من منية الفقهاء لأستاذه بديع بن منصور العراقي وسماها قنية المنية لتتميم الغنية، ورقم أسامي الكتب والمفتين بأول حروفها. [الجواهر المضية ٣/ ٤٦٠ ــ ٤٦٢، الفوائد البهية ٢١٢، تاج التراجم ٧٣، كشف الظنون ٢/ ١٣٥٧].

(٤) قال الطحاوي رحمه الله [مختصر اختلاف العلماء ٤/ ٣٨٥]: «ولما اتفقوا على =

واستدرك على البيهقي حديث أبي أمامة الذي قدَّمته، ونقل فيه قول أحمد أن إسناده جيد[1].

وأما الحنابلة:

فنقل صاحب الفروع:

١ ــ عن أحمد لا بأس به، نقله الميموني عنه قال: يروي فيه غير شيء[2].

٢ ــ وعنه: الابتداء به حسن، وكذا الجواب سواء.

٣ ــ وعنه: لا ابتدىء به، ولكن إن ابتدأني به رددت عليه. وهذه رواه الميموني فيما نقل الخلال في كتاب العلل[3].

= أنه جائز لمن يريد ذبح الأضحية أن يقول: اللّهم تقبل مني، جاز لغيره أن يدعو له بذلك، وكذلك لا يختلفون في أنه جائز أن يقول للقادم من الحج: قبل الله حجك، فجاز مثله في العيدين».

قال في البحر الرائق ٢/ ١٧١: «والتهنئة بقوله: تقبل الله منا ومنكم، لا تنكر»، زاد الطحاوي: «بل مستحبة لورود الأثر بها [حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص ٣٤٥].

(١) الجوهر النقي ٣/ ٣١٩ ــ ٣٢٠.

(٢) وكذا في رواية حرب عنه كما تقدم.
وهو المذهب عندهم، [انظر لذلك: الروض المربع ١/ ٣١١، الفروع ٢/ ١١٧، المبدع ٢/ ١٩٤، دليل الطالب ١/ ٥٥، شرح منتهى الإرادات ١/ ٣٣٠].

(٣) قيل له في رواية حنبل: ترى أن تبدأ به، قال: لا . [الإنصاف ٢/ ٤٤١]. قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٢٤/ ٢٥٣»: قال أحمد: أنا لا أبتدىء أحداً فإن ابتدأني أحد أجبته. وذلك لأن جواب التحية واجب»، ثم قال: «وأما الابتداء بالتهنئة فليس سنة مأموراً بها ولا هو أيضاً مما نهي عنه، فمن فعله فله قدوة، ومن تركه فله قدوة، والله أعلم».

٤ ـ وعنه يكره، نقلها صاحب الفروع[١]، وعن علي بن سعيد: لا أحسبه يعني الكراهة، إلَّا أن يخاف الشهرة[٢].

* * *

(١) الفروع ٢/١١٧.

(٢) الذي في فتح الباري لابن رجب ٩/ ٧٤: «ما أحسنه إلاَّ أن يخاف الشهرة»، قال ابن رجب: كأنه يشير إلى أنه يخشى أن يُشهر المعروف بالدين والعلم بذلك فيقصد لدعائه فيكره لما فيه من الشهرة».

الوجه السابع
في مطابقة هذه الأجوبة للسؤال
مع كونها أخص من السؤال

لأن توجيهَ ذلك التمسكُ فيه بالقياس، لأنه إذا ثبت في خصوص العيدين باللفظ الخاص أمكن أن يستنبط من النص معنى يعمُّه، فمهما ظهر فيه المعنى الذي شرع له التحق به.

وقد ورد في خصوص «تقبَّل الله» دليل قويٌّ لمشروعية ذلك لمن فعل مأموراته أن يسأل الله تعالى يتقبَّل الله منه ذلك، وهو ما حكى الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل عليه السلام حين بنيا الكعبة حيث قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾.

وفي الصحيحين ما ذكره أبو حمزة الضبعي أنه أخبر ابن عبّاس بأنّه رأى في المنام من قال له: متعة متقبَّلة[1].

---

(١) البخاري (١٦٨٨) بهذا اللفظ، وعنده (١٥٦٧)، ومسلم (١٢٤٢) بلفظ: عمرة متقبلة.

وأحمد في مسنده ١/ ٢٤١، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢/ ١٤٢، وأبو نعيم في مستخرجه ٣/ ٣٤٣، وقال: قال أصحاب شعبة كلهم «عمرة =

وأخرج الفاكهيُّ والأزرقيُّ والبيهقيُّ من طريقٍ مرسلة أنّ الملائكة قالوا لآدم لما حج: بَرَّ نُسكُك، أي: قُبل[1].

وفي عدّة أحاديث صحاح وحِسان مشروعيّة الدُّعاءِ بقبول الأعمال الصالحة، وهي على وفق الآية.

لكن النُّقول عن الصحابة المذكورين والتابعين تحتمل الإخبار والدُّعاء، وإن كان المراد الدُّعاء، فما أظنّ فيه لأحد خلافاً، وإنما يتجه الخلاف إذا حمل على الإخبار، ويدل عليه ما نقله الحارثي عن أحمد في رواية: أمّا أنا فكأني أقشعر منه.

* * *

= متقبلة»، إلاّ النضر فإنه قال: «متعة متقبلة».

(١) الشافعي في الأمّ ٢/ ١٤١ ومسند الشافعي ١/ ١١٦، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٧٧، والأزرقي في أخبار مكة ١/ ٤٥، وأبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٥٦٥ وغيرهم، عن كعب القرظي.
وله طريق أخرى، منها:
ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً: تاريخ دمشق ٤٩/ ٣٥.
ـ عن ابن عباس مرفوعاً: عزاه السيوطي في الدر ١/ ٣١٥ لابن خزيمة وأبي الشيخ في العظمة والديلمي، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٥٧١: فيه محمد بن زياد كذبه ابن معين والدارقطني وغيرهما.
ـ البيهقي في الشعب ٣/ ٤٣٥، عن وهب بن منبه.
ـ أبو الشيخ في العظمة ٥/ ١٥٨٦، عن أبي سلمة.

فصل[1]

يستدلّ لعموم التهنئة لما يحدث من النعم أو يندفع من النقم سجود الشكر لمن يقول به وهو الجمهور، ومشروعية التعزية لمن أصيب بالإخوان.

وورد في ذلك حديث فيه التنصيص على الأمرين، أعني التهنئة والتعزية، وأنها من حق الجار على الجار.

وذلك في الحديث الذي رُوِّيناه في مكارم الأخلاق لأبي بكر الخرائطي، وفي مسند الشاميين للطبراني مسنداً إلى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما حق الجار؟ إنْ استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإنْ أصابه خير هنَّأته، وإن مرض عدته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن مات اتبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلاَّ بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًّا، ولا يخرج بها ولدك يُغيظ بها ولده، ولا تؤذه بريح قِدْرك إلاَّ أن تغرِف له منها[2].

---

(١) انظر رسالة السيوطي: «وصول الأماني بأصول التهاني» [الحاوي ١/ ١٢١ ـ ١٢٨، وطبعت مستقلة]، فقد ذكر فيها ١٣ باباً في التهنئة.

(٢) مسند الشاميين ٣/ ٣٣٩، البيهقي في الشعب ٧/ ٨٣، ابن عدي في الكامل ٥/ ١٧١. فيه سويد بن عبد العزيز، قال أحمد: متروك، وعثمان بن عطاء الخراساني: ضعيف. قال ابن رجب: «... بإسناد ضعيف... ورفع هذا الكلام منكر، ولعله من تفسير عطاء الخراساني» [جامع العلوم والحكم] ١/ ١٤٠].

وهذا الحديث وإن كان في سنده ضعف، لكن له شاهد من حديث معاذ بن جبل في كتاب الثواب لأبـي الشيخ ابن حيّان[1].

وله شاهد يتقوّى به أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من طريق بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله، ما حقُّ جاري عليَّ؟ قال: إن مرض عدتّه، فذكر نحوه.

وفيه: إن أصابه خير هنَّأتَه، وإن أصابته مصيبة عزَّيتَه[2].

وفي هذا السند أيضاً ضعف، ولكن يتقوى أحد الحديثين بالآخر[3].

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

ما أخرجه أبو داود، والنسائي من حديث عبد الله بن أبـي ربيعة في القرض: «بارك الله لك في مالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد»[4].

---

(١) التوبيخ والتنبيه ص ٢٥، فيه عثمان بن مطر قال البخاري: منكر الحديث، يزيد بن بزيع ضعفه الدارقطني وابن معين، وعطاء الخراساني فيه ضعف، ولم يسمع من معاذ رضي الله عنه.
عزاه المنذري في الترغيب لأبـي الشيخ في كتاب التوبيخ بصيغة التمريض، وذكر له شاهداً عن أبـي هريرة عند أبـي القاسم الأصبهاني، بصيغة التمريض أيضاً، ثم قال: ولا يخفى أن كثرة هذه الطرق تكسبه قوة، والله أعلم. [الترغيب والترهيب ٣/ ٢٤٣].

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٩/ ٤١٩، البيهقي في الشعب ٧/ ٨٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٥: وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف.

(٣) قال في الفتح ١٠/ ٤٤٦: «وأسانيدهم واهية، لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلاً».

(٤) النسائي (٤٦٨٧)، وابن ماجه (٢٤٢٤)، وأحمد ٤/ ٣٦ والبيهقي ٥/ ٣٥٥، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٩، من طريق إسماعيل بن إبراهيم المخزومي عن أبيه عن جده عبد الله بن أبـي ربيعة. =

وأخرج الترمذي عن عقِيل بن أبـي طالب أنه تزوَّج امرأة فقيل له: بالرفاء والبنين، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا تزوَّج أحدكم فقولوا له: بارك الله فيك وبارك عليك[1].

وله شاهد آخر أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني في الدُّعاء من حديث أبـي هريرة ولفظه: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير[2].

وفيه من طريق السري بن يحيـى وُلِد لرجلٍ ولدٌ فهنَّأه رجل فقال: لِيهنك الفارس، فقال الحسن البصري: وما يدريك؟ قل: جعله الله مباركاً عليك وعلى أمَّة محمّد[3].

= قال البخاري: إبراهيم لا أدري سمع من أبيه أم لا. قال أبو حاتم: إنه مرسل. يعني بين إبراهيم وأبيه، قال ابن حجر في الإصابة ٤/ ٧٩: وفي الجزم بذلك نظر.

فائدة: قال في الاستيعاب ٣/ ٨٩٧: ويقولون إنه لم يرو عنه غير ابنه إبراهيم.

ورواه الطبراني والحارث بن أبـي أسامة من حديث عقيل بن أبـي طالب.

(١) النسائي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (١٩٠٦)، أحمد ٣/ ٤٥١، والدارمي (٢١٧٣)، الحاكم ٣/ ٦٦٨ البيهقي ٧/ ١٤٨، الطبراني ١٧/ ١٩٢ ــ ١٩٤، من طرق إلى الحسن عن عقيل بن أبـي طالب.

قال في الفتح ٩/ ٢٢٢: رجاله ثقات، إلاَّ أن الحسن لم يسمع من عقيل.

(٢) أبو داود (٢١٣٠)، الترمذي (١٠٩١) وقال: حسن صحيح، ابن ماجه (١٩٠٥)، الطبران في الدعاء (٩٣٨)، أحمد ٢/ ٣٨١، الدارمي (٢١٧٤)، ابن حبان ٩/ ٣٥٩، الحاكم ٢/ ١٩٩، وصححه على شرط مسلم، والبيهقي ٧/ ١٤٨، عن سهيل بن أبـي صالح عن أبيه عن أبـي هريرة، وصححه ابن دقيق العيد في الاقتراح على شرط مسلم.

[انظر: التلخيص الحبير ٣/ ١١٦٨]. قلت: وعزوه للترمذي هنا وهم. والله أعلم.

(٣) رواه الطبراني في الدعاء (٩٤٥) بإسناد صالح.

ومن طريق حمّاد بن زيد كان أيّوب إذا هنّأ رجلاً بمولود قال: جعله الله مباركاً عليك وعلى أمة محمّد[1].

وأقوى من هذا ما جاء في الصحيحين[2] عن كعب بن مالك في قصة توبته لما تخلف عن غزوة تبوك، فإنَّ فيها أنَّه لما بشِّر بقبول توبته، ومضى إلى النبـي ﷺ، فدخل عليه في مسجده، قام إليه طلحة بن عبيد الله فهنَّأه، قال كعب: ما قام إليَّ من المهاجرين غيره. ومفهومه أن غير طلحة من المهاجرين[3] هنَّأه أيضاً بذلك، وفي سياق القصة أيضاً أن النّاس بشَّروه بما أنعم الله من قبول توبته[4].

ويقـال إن سبـب اختصـاص طلحـة بقيـامـه لـه فـي ذلـك المجلـس أن النبـي ﷺ لمّا آخى بين المهاجرين والأنصار؛ آخى بين طلحةَ وكعبِ بنِ مالك، فكانت لطلحةَ بذلك تلك المزيّة مع كعبٍ، وكان طلحةُ لامتثاله أمرَ النبـيِّ ﷺ؛ قد ترك كلام كعبٍ وامتنع من زيارته، فلما ارتفع عنه المانع قصد الباعث في استدراك ما فاته من صلة أخيه في الله، فسارع إلى ذلك، والله أعلم. انتهى.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في الدعاء (٩٤٦) بإسناد حسن.

(٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، والنسائي في الكبرى مختصراً ١/٢٦٦، والصغرى ٢/٥٤، وأحمد ٢/٤٥٦، والطبراني ١٩/٤٦ ـ ٥٩. والشاهد فيه: «فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون: لتُهنك توبة الله عليك».

(٣) كذا في الأصل، والصواب: من الأنصار.

(٤) قال النووي عند قول كعب: «فذهب الناس يبشروننا»: فيه دليل لاستحباب التبشير والتهنئة لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه كربة شديدة، ونحو ذلك، وهذا الاستحباب عام في كل نعمة حصلت، وكربة انكشفت، سواء كانت من أمور الدين أو الدنيا. [شرح صحيح مسلم ١٧/ ٩٥].

أهم مصادر ومراجع البحث

١ ــ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢ ــ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبـي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق رشدي الصالح، دار الأندلس.

٣ ــ الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

٤ ــ الأمّ، لأبـي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت.

٥ ــ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، لعلاء الدين أبـي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تصحيح محمد حامد فقي، دار إحياء التراث العربـي، بيروت.

٦ ــ البحر الرائق، لابن نجيم، دار المعرفة بيروت.

٧ ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، لأبـي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ ــ تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر، بيروت.

٩ ــ التاريخ الكبير، للإمام البخاري أبـي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤١هـ، ١٩٥٩م.

١٠ ــ التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبـي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة.

١١ ــ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدّين أبي الحجّاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف المزِّي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة.

١٢ ــ الثّقات، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، دائرة المعارف العثمانية.

١٣ ــ الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار السلام بالرياض.

١٤ ــ الجامع الصحيح، للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، دار السلام بالرياض.

١٥ ــ الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، دار السلام بالرياض

١٦ ــ جامع العلوم والحِكَم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكَلِم، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة.

١٧ ــ الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ ــ جواهر الإكليل شرح مختصر خليل في مذهب الإمام مالك، لصالح عبد السميع الآبي الأزهري، دار الفكر، بيروت.

١٩ ــ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر القرشي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٠ ــ الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للحافظ شمس الدِّين أبي الخير محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي القاهري الشّافعي، تحقيق إبراهيم باجس، طبع: ابن حزم.

٢١ ــ الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحقّ، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة.

٢٢ ــ الدعاء، للحافظ أبـي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٢٣ ــ السّنن الكبرى، لأبـي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وفي ذيله «الجوهر النّقيّ» لابن التركماني، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٤ ــ السّنن، لأبـي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار السلام بالرياض

٢٥ ــ السّنن، لأبـي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام بالرياض.

٢٦ ــ السّنن، لابن ماجه، دار السلام بالرياض.

٢٧ ــ سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي الدّمشقي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٨ ــ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق.

٢٩ ــ شرح صحيح مسلم، لأبـي زكريا يحيـى بن شرف النووي، دار إحياء التراث.

٣٠ ــ شرح معاني الآثار، للطحاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١ ــ شعب الإيمان، لأبـي بكر البيهقي، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢ ــ الضعفاء الكبير، للحافظ أبـي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣ ــ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للحافظ شمس الدِّين أبـي الخير محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي القاهري الشّافعي، مكتبة القدس، القاهرة.

٣٤ ــ طبقات الحفَّاظ، لجلال الدِّين عبد الرّحمن بن أبـي بكر السّيوطي، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٥ ــ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبـي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود الطناحي، دار هجر.

٣٦ ــ طبقات صلحاء اليمن، للبريهي، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٣٧ ــ العظمة، لأبـي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبـي الشيخ الأصبهاني، تحقيق محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨ ــ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لجمال الدين أبـي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبـي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٤٠ ــ الفروع، لشمس الدِّين أبـي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مراجعة عبد الستَّار أحمد فراح، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٤١ ــ الكامل في الضعفاء، لابن عدي، دار الفكر، بيروت.

٤٢ ــ الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبـي الحسنات محمد بن عبد الحي اللّكنوي.

٤٣ ــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤ ــ كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر.

٤٥ ــ المجروحين، لابن حبان، دار الوعي، حلب.

٤٦ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدِّين علي بن أبـي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربـي، بيروت.

٤٧ ــ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أبـي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

٤٨ ــ مختصر اختلاف العلماء، لأبـي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، اختصار أبـي بكر أحمد الجصاص الرازي، تحقيق عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية.

٤٩ ــ المستدرك على الصّحيحين، لأبـي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتاب العربـي، بيروت.

٥٠ ـ المسند، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبـي عبد الله الشّيباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

٥١ ـ مسند الشاميّين، للحافظ أبـي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة.

٥٢ ـ المصنف، للحافظ أبـي بكر عبد الرزّاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٣ ـ المعجم الكبير، للحافظ أبـي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربـي.

٥٤ ـ معرفة القراء الكبار، للذهبـي، تحقيق بشار عواد والأرنؤوط وصالح مهدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٥٥ ـ المغني، لموفق الدين أبـي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح محمود الحلو، دار هجر.

٥٦ ـ منهج ابن حجر العسقلاني في العقيدة، لمحمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد.

٥٧ ـ المهذب في اختصار السنن الكبرى، لأحمد بن عثمان الذهبـي، دار الوطن.

٥٨ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبـي الدّمشقي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

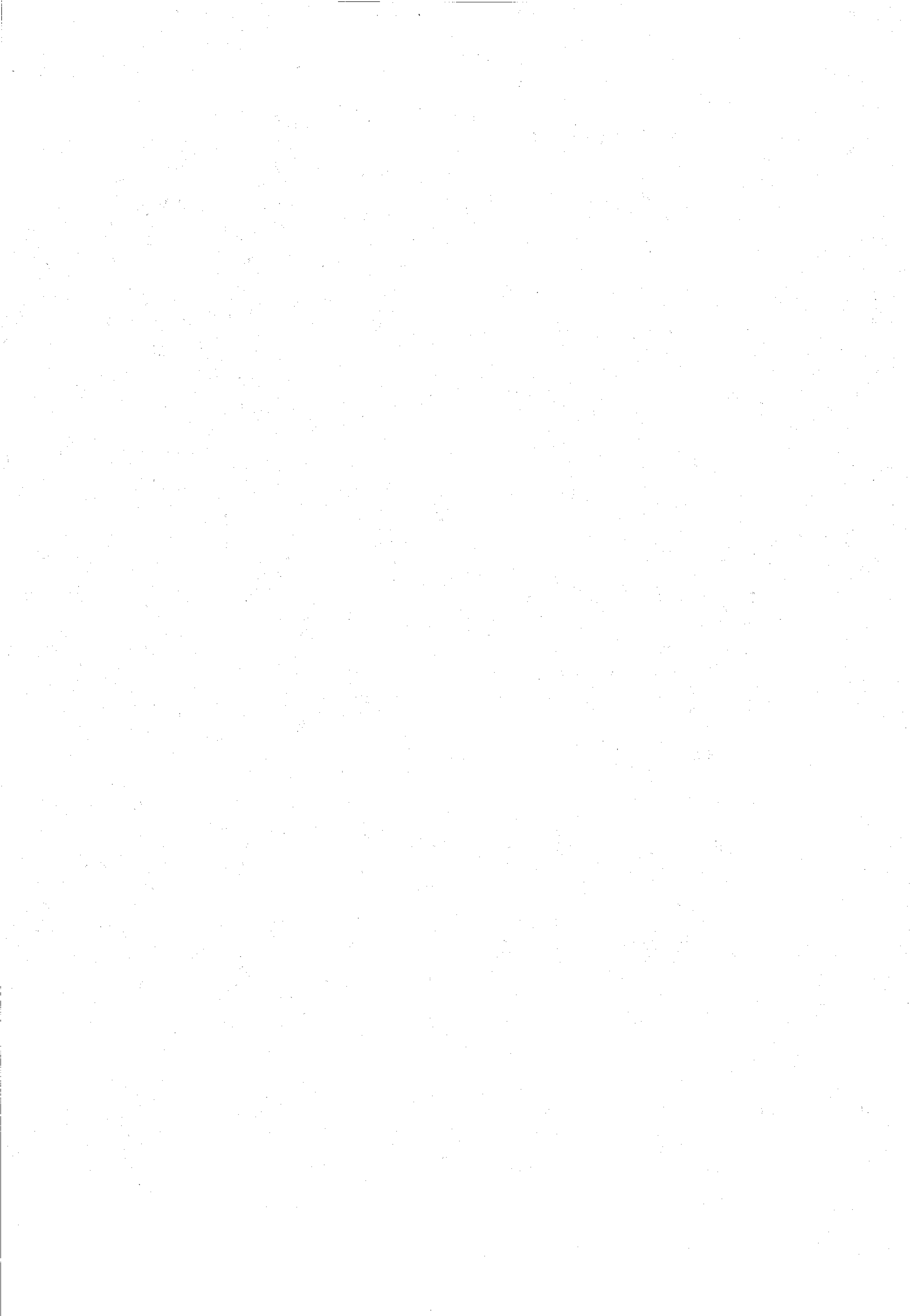
٥٩ ـ الوافي بالوفيات، لصلاح الدِّين أبـي الصفاء خليل بن أيبك الصفدي.

٦٠ ـ وصول الأماني بأصول التهاني، للسيوطي.

* * *

فهرس المحتوى

• • •



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٥٨)

حصول البغية للسائل
هل لأحد في الجنة لحية

لبرهان الدين الناجي الدمشقي الشافعي
(ت ٩٠٠ هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

المقـــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فهذا جزء لطيف في موضوع ظريف، للحافظ العلاَّمة برهان الدِّين النَّاجي، يشهد بسعة حفظ هذا الإمام، فقد أملاه في مجلس واحد من مجالسه الحديثيّة، كيف لا، وهو تلميذ للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

ومن اللَّطائف ـ أيضاً ـ أنَّ هذا الجزء قرئ عدَّة مرَّات في لقاءات متعدِّدة من مجالس العشر الأواخر، ولم يتيسَّر إعداده إلاَّ هذا العام، وكل شيء عنده بمقدار.

أسأل الله تعالى أن ينفع به وبسائر مؤلَّفات هذا الإمام الجليل.

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

الفقير إلى الله تعالى

خادم العلم

نظام محمد صالح يعقوبي

في المسجد الحرام تجاه الركن اليماني

يوم الجمعة ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ



ترجمة مختصرة للمؤلف[1]

هو إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر، برهان الدين، أبو إسحاق، الشيخ الحافظ المعمَّر، الحلبي الأصل، الدِّمشقي القُبيباتي الشَّافعيّ، المعروف بالنَّاجي لكونه كان حنبلياً ثم تشفَّع.

وُلد سنة (٨١٠هـ).

أخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر، وحافظ الشام ابن ناصر الدِّين الدمشقي، وسمع على الفخر عثمان بن الصَلِف، والشهاب أحمد بن حسن بن عبد الهادي، والزين عبد الرحمن ابن الشيخ خليل القابوني، والعلاء ابن بردس وغيرهم، وكان له بالحديث مزيد اعتناء، فأقبل عليه وبرع فيه وفاق أقرانه.

كما اختص بالعلاء بن زكنون الحنبلي، وقرأ عليه القرآن وغيره، وتزوج ابنته، ثم فارقه وتحوَّل شافعياً.

---

(١) مصادر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ١٦٦)، و «نظم العقيان» للسيوطي (ص ٢٧)، و «شذرات الذهب» لابن العماد (٧/ ٣٦٥)، و « فهرس الفهارس » للكتاني (٢/ ٦٦٨)، و « تزيين الألفاظ » لمحمود سعيد (ص ٥٩)، و «معجم المؤلفين» لكحالة (١/ ١٠٦)، و «هدية العارفين» (١/ ٢٣).

أثنى عليه غير واحد من العلماء:

قال عنه الخيضري: شيخٌ عالمٌ، فاضلٌ محدِّث، محرِّرٌ متقنٌ معتمد، خدم هذا الشأن ـ أي علم الحديث ـ بلسانِهِ وقلمِهِ.

وقال تلميذه أبو البركات محمد بن أحمد ابن الكيّال في «الكواكب النيرات» (ص ٤٥١): شيخ الإسلام والمسلمين، حافظ العصر، وأمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين ﷺ.

وقال شيخ الإسلام كمال الدِّين بن حمزة الحسيني لما ذكر محلة ميدان الحصا: هذه المحلة خصّها الله تعالى بثلاثة أئمة كل منهم انفرد بفن لا يُشارك فيه، الشيخ إبراهيم النَّاجي بعلم الحديث...[1]

وقال الحافظ السخاوي: كان محباً في أهل السنّة، منجمعاً عن بني الدنيا، قانعاً باليسير، والثناء عليه مستفيض.

ووصفه السيوطي في «نظم العقيان» بأنه: محدِّث دمشق الآن، لكن طعن في حفظه في موطن آخر، وذلك بسبب اعتراض المترجَم على السيوطي في بعض مؤلفاته، وهو من باب ما يكون بين المتعاصرين.

أخذ عنه وتخرَّج به عدد من العلماء، منهم: أبو البركات محمد ابن الكيَّال، والشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الشافعي صاحب «الدارس في تاريخ المدارس».

---

(١) من «الكواكب السائرة» (١/ ٤٣)، و «شذرات الذهب» (٨/ ١٩٥).

مـؤلـفـاتـه:

١ ــ إفادة المبتدىء المستفيد في حُكْم إتيان المأموم بالتسميع، وجهره به إذا بَلَغ، وإسراره بالتحميد[١].

٢ ــ الأمر بالمحافظة على الكتاب والسُّنَّة.

٣ ــ تحذير الإخوان فيما يورث الفقر والنسيان[٢].

٤ ــ ثلاثيات، رواية عن شيخه ابن حجر.

٥ ــ الجواب المُجلِّي للفظ تشويش القاري على المصلّي.

٦ ــ حصول البُغية لسائل: هل لأحدٍ في الجنّة لحية (وهو رسالتنا هذه).

٧ ــ رسالة في الشفاعة.

٨ ــ عُجَالَة الإملاء المتيسرة من التذنيب على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم في كتابه: الترغيب والترهيب[٣].

٩ ــ قلائد المرجان في الحديث الوارد كذباً في الباذنجان.

١٠ ــ كفاية المصيخ وهو المُسَمَّع في البطيخ.

١١ ــ كنز الراغبين العُفَاة[٤] في الرمز إلى المولد المحمديِّ والوفاة.

---

(١) وقد طُبع ضمن لقاء العشر الأواخر ــ المجموعة الثالثة (١٤٢١هـ) برقم (٢٩) ــ بتحقيق الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي.

(٢) ذكره حاجي خليفة بهذا الاسم، وكذلك تحت عنوان: «قلائد العقيان فيما يورث الفقر والنسيان»، والظاهر أنهما اسم لكتاب واحد.

(٣) وقد طبع مذيَّلاً بكتاب: «الترغيب والترهيب» للمنذري، بتحقيق أيمن صالح، دار الحديث ــ القاهرة، سنة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.

(٤) جمع عافٍ وهو طالب المعروف.

١٢ ــ المعين على فعل سُنَّة التلقين.

١٣ ــ نصيحة الأحباب عن أكل التراب.

١٤ ــ جواب عن الناسخ والمنسوخ هل يمكن جمعه.

١٥ ــ مصنف في صلاة الضُّحى[1].

وكتبه رحمه الله لم يطبع منها سوى «العجالة»، و «إفادة المبتدىء المستفيد»، و «مصنفه» في صلاة الضُّحى.

توفي رحمه الله بدمشق سنة (٩٠٠هـ)، عن عمر يناهز التسعين.

* * *

(١) وقد طُبع بعنايتي مع الشيخ رمزي دمشقيّة ــ رحمه الله ــ في دار البشائر الإسلامية، سنة ١٤١٩هـ.

وصف النسخ المعتمدة

١ ـ نسخة برلين ورمزنا لها بـ (الأصل):

وهي ضمن مجموع في مكتبة الدولة ببرلين، وهي بخط عبد الله بن زين الدين بن أحمد البُصروي الشافعي الأشعري، في ١١ شوال سنة (١١١٥هـ).

٢ ـ نسخة المكتبة الوطنية اليهودية بالقدس ورمزنا لها بـ (نسخة القدس):

ورقمها في المكتبة المذكورة ٨١٣، وهي في الأصل من مكتبة المستشرق اليهودي يهودا، وقد آلت إلى هذه المكتبة ضمن ما أوقفه عليها، وآل القسم الآخر من مكتبته إلى جامعة برنستون بالبيع.

٣ ـ نسخة مكتبة الملك فهد الوطنية ورمزنا لها بـ (ف):

وهي ضمن مجموع رسائل للبرهان الناجي، بخط تلميذه إبراهيم بن عثمان بن محمد سنة (٨٧٨هـ).

وأصل المجموع من مكتبة الشيخ جمال الدِّين القاسمي الدمشقي رحمه الله، وآل إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالشراء الشرعي، ولم يفهرس المجموع بعد، ولذا فليس للمخطوط رقم حتى الآن فيما نعلم.

وقد أتحفني بها ــ وليست بأول أياديه الجميلة ــ أخي وقرة عيني تفاحة الكويت، الشيخ المحقِّق محمد بن ناصر العجمي حفظه الله تعالى، ونفع به وبارك فيه وفي أهله وذريته. آمين.

وهذه النسخة أقدم النسخ، وكان حقها أن تكون هي الأصل إلاَّ أنها جاءت متأخرة، فالحمد لله.

* * *

نماذج من
صـور المخطوط

حصول البغية للسائل هل أحد في الجنة بلحية

للشيخ برهان الدين الناجي الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام
على نبيه محمد وآله وصحبه فقد تكرر السؤال هل أحد من أهل الجنة
فيها بلحية والجواب أن الصحيح المشهور في الأحاديث
الذي لم يثبت غيره أن أهل الجنة يدخلونها ويكونون فيها جردا
مردا من غير استثناء أحد منهم أصلا وقد روى ذلك الإمام أحمد
والترمذي وابن أبي الدنيا والطبراني في معجميه الأوسط والصغير
والبيهقي وغيرهم من حديث أبي هريرة ورواه أحمد والترمذي
أيضا من حديث معاذ بن جبل ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني
في الأوسط من حديث أنس بن مالك وذكره أبو الليث السمرقندي
في تنبيهه مطولا بلا إسناد من حديث ابن عباس ولفظه أن
أهل الجنة شباب مرد جرد ليس لهم شعر إلا في الرأس والحاجبين
وأشفار العينين وفي البعض ليس لهم شعر عانة ولا شعر
إبط وفي رواية لأحمد في سنده انقطاع من حديث
معاذ يبعث المؤمنون يوم القيامة جردا مردا وقد ذكر
ابن كثير في تاريخه وابن الملقن في شرحه للبخاري عن كعب الأحبار موقوفا
ليس أحد في الجنة له لحية إلا آدم عليه السلام فإن له لحية سوداء
إلى سرته وذلك لأنه لم يكن له في الدنيا لحية كذا أورداه ولم
يتعقباه وهو أشبه ما ورد في هذا الباب مع أنه معارض بما ذكره
صاحب مرآة الزمان عن وهب ابن منبه فإنه كان لباس آدم في الجنة الظفر

الورقة الأولى من نسخة القدس

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

قال الشيخ الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة المحدث ابو اسحق ابراهيم
برهان الدين الناجي الدمشقي الشافعي رحمه الله تعالى اما بعد حمد الله تعالى
والصلوة والسلام على نبيه محمد واله وصحبه وسلم فقد تكرر السوال هل
لاحد من اهل الجنة لحية والجواب ان الصحيح المشهور في الاحاديث الشريفة
الذي لم يثبت غيره ان اهل الجنة يدخلونها ويكونون فيها جردا مردا من غير
استثناء احد منهم اصلا وقد روى الامام احمد والترمذي وابن ابي الدنيا
والطبراني في معجمه الاوسط والصغير والبيهقي وغيرهم من حديث ابي هريرة
ورواه احمد والترمذي ايضا من حديث معاذ بن جبل ورواه ابن ابي الدنيا
والطبراني في الاوسط من حديث انس بن مالك وذكره ابو الليث السمرقندي
في تنبيهه مطولا بلا اسناد من حديث ابن عباس ولفظه ان اهل الجنة شباب
مرد جرد ليس لهم شعر الا في الراس والحاجبين واشفار العينين قال يعني ليس
لهم شعر عانة ولا شعر ابط ولا لحية وفي رواية للامام احمد في سندها انقطاع
عن معاذ بن جبل يبعث المومنون يوم القيمة جردا مردا وقد ذكر ابن كثير في تاريخه
وابن الملقن في شرحه للبخاري عن كعب الاحبار موقوفا ليس احد في الجنة
له لحية الا ادم عليه السلام فان له لحية سوداء الى سرته وهذا لانه لم يكن
له في الدنيا لحية كذا اورداه ولم يتعقباه وهو اشبه ما ورد في هذا الباب مع
انه معارض بما ذكره صاحب مراة الزمان عن وهب بن منبه قال كان لباس ادم
في الجنة الظفر يزداد كل يوم حسنا وحسنا فلما اخرجه الله من الجنة البسه الجلود
والصوف قال وكان ادم امرد فعوقب بانبات اللحية لكنه غريب منكر وذكر
ابن قتيبة في المعارف عنه ان ادم كان امرد وانما نبتت اللحية لولده بعده وهذا
هو المعروف عنه وعن كعب كما سبق ولذا ذكره ابو الشيخ الاصبهاني في كتاب
النوادر له عن محمد بن كعب القرظي قال هبط ادم من الجنة بغير لحية وانما
كانت اللحية لبنيه وذكر حجة الاسلام الغزالي في اخر كتاب الطهارة من
الاحيا [illegible]

[illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة برلين

موسى قال . وذكر القرطبي في تفسيره أن ذلك ورد في حق هارون أيضاً قال
ورأيت بخط بعض أهل العلم أنه ورد في حق آدم عليه السلام ولا أعلم شيئاً من ذلك
ثابتاً والله أعلم . هذا جوابه بحروفه لكن لا أدري أين ذكر القرطبي ما نقله عنه
فإنه لم يذكر في التذكرة سوى حديث جابر السابق أولاً في حق موسى وعزاه إلى الميانشي
وكان ينبغي لشيخنا اطّراح النقل القرطبي بالكلية والاستراحة من تكلف توجيهه
ثم كان يتشاغل بباطل في [illegible] أو يحمل من المتاع بأثر كاسد وقد ذكرت ورود
ذلك في حق أبينا آدم وموسى وأخيه هارون عليهم السلام وتكلمت عليه [illegible]
وهذا ما حررته الآن نقله في ذلك وإنه لكاف شاف واف ولا يوجد مثله
مجموعاً على غير هذا الجواب ولا يحتمل الفتيا من البسط أكثر من هذا . والحمد لله
على جميع نعمه وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . قاله وأملاه
خادم السنة النبوية إبراهيم بن محمد بن محمود الشافعي الدمشقي الملقب بالناجي
عفا الله ذنوبه وستر عيوبه بقوته وحوله ومنته وطوله

فرغ من كتابة هذه الفتيا العبد الفقير المعترف بالعجز عن القيام بطاعة ربه سبحانه
والتقصير إبراهيم بن عثمان [illegible] عفا الله عنه ولهما ولسائر الأحباب والمسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات في نهار الأحد المبارك ثامن عشر شهر رمضان المعظم قدره [illegible]
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله [illegible] والحمد لله رب العالمين

[illegible] الشيخ برهان الدين الناجي [illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة الملك فهد بالرياض

لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٥٨)

حُصُولُ ٱلبُغيَةِ لِلسَّائِلِ



لِبُرهَانِ ٱلدِّينِ ٱلنَّاجِيِّ ٱلدِّمَشقِيِّ ٱلشَّافِعِيِّ
(ت ٩٠٠ هـ)
رحمه الله تعالى

اعتنى به
نظام محمد صالح يعقوبي



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

قال الشيخ الإمامُ العالم العلاَّمةُ، الحَبْرُ البحرُ الفهَّامة، المُحدِّث أبو إسحاق، إبراهيم، برهان الدين، الناجيُّ، الدِّمشقيّ، الشافعيُّ، رحمه الله تعالىٰ:

أمّا بعد حمدِ الله تعالى، والصلاة والسلام على نبيِّه محمد وآله وصحبه[1]،

فقد تكرر السُّؤال: هل لِأَحَدٍ من أهل الجنَّةِ [فيها][2] لحيةٌ؟

والجوابُ:

أنَّ الصحيح المشهور في الأحاديث الشريفةِ، الذي لم يَثْبُتْ غيرُه، أَنَّ أهل الجنة يدخلونها ويكونون فيها جُرْداً مُرْداً، من غير اسْتثناءِ أحدٍ منهم أَصْلاً.

وقد روى [ذلك][3] الإمامُ أحمدُ، والترمذيُّ، وابن أبي الدنيا،

(١) في الأصل: (وصحبه وسلَّم).

(٢) زيادة من نسخة (القدس)، و (ف).

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من نسخة القدس، و (ف).

والطبرانيُّ في معجميه «الأوسط» و «الصغير»، والبيهقيُّ، وغيرُهم، من حديث أبـي هُريرة[1].

ورواه أحمدُ والترمذيُّ أيضاً من حديث مُعاذ بن جَبَلٍ[2].

ورواه ابن أبـي الدنيا، والطبراني في «الأوسط»، من حديث أنس بن مالك[3].

وَذَكَرَهُ أبو الليث السمرقنديُّ في «تنبيهه» مطولاً بلا إسناد، من حديث ابن عباس، ولفظه:

«إنَّ أهـل الجنَّـة شبـابٌ مُـرْدٌ جُـرْدٌ، ليـسَ لهـم شَعَـرٌ إلاَّ فـي الـرأْسِ والحاجبَيْنِ وأشفارِ العينين. قال: يعني ليس لهم شَعَرُ عانةٍ، ولا شَعَرُ إبطٍ، ولا لحية»[4].

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٢٩٥، ٣٤٣)، والترمذي (٢٥٣٩)، وابن أبـي الدنيا في «صفة الجنة» (١٥)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٧)، و «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤١٩، ٤٢٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣)، والترمذي (٢٥٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٩٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبـي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٢٠)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع البحرين» (٤٨٩٤)، وفي «الصغير» (٢/ ١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٦)، وفي «صفة الجنة» (٢٥٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤١٨).

(٤) «تنبيه الغافلين»، للسمرقندي (ص ٥٥) من غير إسناد.

وفي رواية للإمام أحمد ـ في سندها انقطاعٌ ـ عن[1] معاذ بن جبل:

«يُبْعَثُ المُؤْمِنُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُرْداً مُرْداً»[2].

وقد ذكر ابنُ كثيرٍ في «تاريخه»، وابنُ الملقّن في «شرحه للبخاري»، عن كعبِ الأحبار موقوفاً:

«ليس أحدٌ في الجنَّةِ له لِحْيَةٌ إلاَّ آدم عليه السلام، فإنَّ له لحيةً سوداء إلى سُرَّتِهِ، وذلك لأَنَّهُ لم يكن له في الدنيا لحيةٌ»[3].

كذا أورداه ولم يتعقباه[4]، وهو أشبه ما وردَ في هذا البابِ، مع أَنَّهُ مُعَارَضٌ بما ذَكَرَهُ صاحبُ «مرآة الزمان» عن وهب بن مُنبّه، قال:

«كان لباسُ آدم في الجنَّة الظفر[5]، يزداد كُلَّ يوم جِدَّةً وحُسْناً؛ فلَمَّا أخرجَهُ الله من الجنَّةِ أَلْبَسَهُ الجلود والصوف. قال: وكان آدمُ أمرد فعوقب بإنبات[6] اللحية».

لكنَّه غريبٌ مُنكرٌ[7].

---

(١) في نسخة (القدس)، (ف): «من حديث معاذ».

(٢) «المسند» (٥/ ٢٣٢)، وهو في «البعث والنشور»، للبيهقي (٤٢٣).

(٣) «البداية والنهاية» (١/ ٢٢٧ ــ ط دار هجر).

(٤) في الأصل: «يعقباه».

(٥) في هامش الأصل: «قال في النهاية: ولباس آدم الظفر، أي يشبهه في بياضه وصفائه وكثافته».

(٦) الأصل: بإثبات.

(٧) «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» (١/ ١٩٨، ١٩٩ ــ ط دار الشروق بتحقيق إحسان عباس).

وذكرَ ابنُ قُتيبةَ في «المعارف» عنه:

«أنَّ آدم كانَ أَمْرَدَ، وإنما نبتت اللحىٰ لولده بَعْدَهُ».

وهذا هو المعروفُ عنه وعن كعب كما سبق.

وكذا ذكره أبو الشيخ الأصبهاني في «كتاب النوادر» له، عن محمد بن كعب القرظي، قال:

«هبط آدم من الجنَّة بغير لحيةٍ، وإنما كانت اللحيةُ لبنيه».

وذكر حُجَّةُ الإسلام الغزاليُّ في آخر كتاب الطهارة مِنَ «الإحياء»، أن اللحية زينةُ الرجال، وأن لله ملائكةً يُقْسِمُونَ: والَّذي زَيَّنَ بني آدمَ باللحىٰ.

قُلْتُ: ولفظُ «الفردوس» وغيره:

«أنَّ لله ملائكةً تسبيحُهم: سبحانَ مَنْ زَيَّنَ الرجالَ باللحىٰ، والنساءَ بالذوائب»[1].

قال الحجةُ الغزاليُّ: وهي مِنْ تَمَامِ الخَلْقِ، وبها يَتَمَيَّزُ الرجالُ عن النساءِ.

قال: وقيل في غريب التأويل: اللحيةُ هي المرادُ بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١].

قلتُ: وقد كان الأحنفُ بْنُ قيس سِناطاً[2]، أي: لا لحية له البتَّةَ أَصْلاً، وهو الكوسج؛ فكانَ أَهْلُهُ وأصحابُهُ يقولون: ودِدْنا أن نشتري للأحنف لحيةً بعشرينَ أَلْفاً.

---

(١) انظر له: «كشف الخفا»، للعجلوني (١/٥٣٨).

(٢) الأصل: (سَطاً).

وقال الغزالي: وقال شريحٌ[1] القاضي:

ودِدْتُ أَنَّ لي لحيةً بعشرةِ آلاف. قال: وكيفَ تُكْرَهُ اللحيةُ وفيها تعظيمُ الرجل[2]، والنظر إليه بعين العلم والوقار، والترفيع في المجالس، وإقبال الوجوه إليه، والتقديم على الجماعة، ووقايةُ العِرْض، فَإِنَّ من يَشْتِمُ يُعَرِّضُ[3] باللحية إذا كان للمشتوم لحيةٌ.

قال: وقيل إنَّ أهل الجنَّة مردٌ إلاّ هارون أخا موسىٰ، صلَّى الله عليهما؛ فإنَّ له لحيةً إلىٰ سُرَّتِهِ، خصيصاً [له][4] وتفضيلاً، انتهىٰ كَلامُهُ[5].

وَرَوَىٰ ابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم، في «تفسيريهما»، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وغيرهم، من طريق أبي هارونَ العبديِّ ــ واسمهُ: عَمارة بْنُ جُوَيْنٍ، بالجيم، مُصَغَّرٌ، وهو متروكٌ ــ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ في حديث الإسراء المُطَوَّلِ، قال:

«ثُمَّ صَعِدْتُ إلى السماءِ الخامسةِ؛ فإذا أنا بهارونَ، ونِصْفُ لحيته بيضاءُ ونصفُها سوداء، تكادُ لحيتُهُ تُصيبُ سُرَّتَهُ مِنْ طُولها»[6].

---

(١) الأصل: (شيخ)، وهو تحريف.

(٢) الأصل: الرجال.

(٣) الأصل: (يعترض)، وهو تصحيف.

(٤) الزيادة من (القدس)، و (ف).

(٥) «الإحياء»، للغزالي (١/ ١٢٩)، وانظر: شرحه «إتحاف السادة المتقين»، للزبيدي (٢/ ٤٢٦).

(٦) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير: السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٤٣).

وذكر أبو حَفْصٍ الميَّانشي، وصاحب «الفردوس» ــ لكن لم يخرّجه ولدُه في مُسْنَدِه ــ عن جابر بن عبد الله مرفوعاً:

«أهل الجنَّة مُرْدٌ إلاَّ مُوسىٰ بن عمران، فإِنَّ له لحيةً إلى سُرَّته»[1].

وكذا ذكرَهُ أبو القاسم الأصبهاني في «تفسيره» بغير سَنَدٍ، ولَفْظُهُ:

«يدخل أَهْلُ الجنَّةِ [الجنة][2] **كُلُّهُم يوم القيامة جُرْداً مُرْداً، إلاَّ موسى بن عمران؛ فإِنَّ له لحيةً**[3] **إلى صَدْرِه، ويُدعىٰ أَهْلُ الجنَّةِ بأسمائهم إلاَّ آدم؛ فإنه يكنىٰ بأبي محمد».**

قال: وفي رواية ابن عباس:

«فإِنَّ لحيتَه إلىٰ سُرَّته».

وقال صاحبُ «البحر» القاضي أبو المحاسن الرُّوياني في «أماليه»:

أخبرنا الشيخ الحافظُ أبو منصور محمد بن أحمد بن[4] الخضر القزويني، قال: أخبرنا القاضي / الشريف أبو عمر بالبصرة، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد، قال: حدثنا الحسن بن داود بن مهران، قال: حدثنا سويد بن الحكم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ليث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

«أهل الجَنَّة مُرْدٌ كُلُّهم إلاَّ موسىٰ ﷺ؛ فإِنَّ لِحْيَتَهُ إلىٰ صَدْرِه،

---

(١) سيأتي تخريج حديث جابر هذا بعد قليل.
(٢) زيادة من نسخة (القدس)، (ف).
(٣) (ف): (لحيته).
(٤) سقطت من الأصل.

وكُلُّهم يُدعىٰ بأسمائهم، إلَّا آدم؛ فإنَّه يُدعىٰ بأبـي مُحَمَّدٍ»[(١)] .

فيه مجاهيل، وليث ــ هو ابن أبـي[(٢)] سُليم ــ صدوق فيه ضَعْفٌ يسيرٌ من سوء حفظه، ثمَّ اختلط ولم يتميَّز حديثُه فتُرِكَ.

وَأَخْرَجَ ابنُ جريرٍ الطبريُّ في «تاريخه» بسند ضعيف، من حديث ابن مسعود مرفوعاً:

«أَهْلُ الجنَّة جُرْدٌ مُرْدٌ، إلَّا موسىٰ ــ عليه السلام ــ ؛ فإِنَّ لَهُ لحيةً تَضْرِبُ إلىٰ سُرَّتِهِ».

كذا نَقَلَهُ شيخُنا قاضي القُضاةِ ابنُ حَجَرٍ في فُتياه الآتية آخراً، ولم يُبَيِّنْ وَجْهَ ضَعْفِ سَنَدِه.

وذكرَ الحافظُ أبو أحمدَ بْنُ عَدِيٍّ في كتابِهِ «الكامل في الضُّعفاء»[(٣)]، أن مُحَمَّدَ بْنَ أبـي السَّرِيِّ العَسْقَلانيَّ حَدَّث عن شيخ بن أبـي خالدٍ الصوفيِّ ــ وهو بَصْرِيٌّ مُتَّهَمٌ بالوَضْعِ ــ عن حماد بْنِ سَلَمَةَ بأحاديث منكرةٍ بواطيل منها: عن حمادٍ، عن عمرو بن دينار، عن جابرٍ مرفوعاً:

«أَهْلُ الجنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ، إلَّا موسىٰ فإِنَّ لحيتَهُ إلىٰ سُرَّتِهِ».

كذا ذكره في ترجمة شيخ بن أبـي خالد.

وقد لَخَّصَها الذهبـيُّ في «ميزانه» ثُمَّ قالَ بَعْدَها:

«قـال الحـاكـم: روىٰ شيـخٌ عـن حمـاد [بـن سلمـة][(٤)] **أحـاديـث**

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ١١١).

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) (٤/ ١٣٦٨).

(٤) زيادة من (القدس)، و (ف).

موضوعةً في الصِّفاتِ وغيرها»، انتهى[١].

وابْنُ أبـي السَّرِيِّ ــ هو ابن المتوكل ــ من شيوخ[٢] أبـي داود، حافظٌ رَحَّالٌ صَدوقٌ عارفٌ.

وثَّقَهُ ابنُ مَعِينٍ، وله أحاديثُ تُسْتَنْكَرُ وَأَوْهامٌ كثيرةٌ. قال ابنُ عديٍّ: كثيرُ الغَلَطِ. وقال أبو حاتمٍ الرَّازِيُّ: ليِّنُ الحديث[٣].

وقد ساقَ ابنُ الجَوْزِيِّ الحديثَ المذكورَ في كتابه «الموضوعات» من ثلاثة طرق:

الأول: من طريق الحسين بن إسماعيل المحاملي القاضي، قال: حدثنا أبو الوليد وهب بن حفص، قال: حدثنا عبد الملك بن إبراهيم الجُدِّيُّ، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عمرو[٤] بن دينار، عن جابر مرفوعاً:

«ليس أحدٌ مِنْ أهل الجنَّة إلاَّ يُدعىٰ باسمه، إلاَّ آدم؛ فإنَّه يُكنىٰ بأبي[٥] مُحَمَّدٍ. وليس أحدٌ مِنْ أهل الجنَّةِ إلاَّ وهم جُرْدٌ مُرْدٌ إلاَّ موسىٰ بن عمران، فإنَّ لِحْيَتَهُ تَبْلُغُ إلى سُرَّتِهِ»[٦].

---

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٨٦).

(٢) الأصل: (ممن شرح).

(٣) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٢٦/ ٣٥٥).

(٤) الأصل: (عمر)، وهو خطأ.

(٥) في نسخة (القدس): أبا، وفي (ف): يكنىٰ أبا محمد.

(٦) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٧٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٠٤٥)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٦١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٧).

والثاني: من طريق الحافظ ابن عَدِيٍّ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الغزي، قال: حدثنا محمد بن أبي السريِّ، قال: حدثنا شيخ بن[1] أبي خالد البصري، قال: حدثنا حَمَّادُ بْنُ سلمةَ، به.

ولَفْظُهُ:

«يُدْعىٰ الناسُ بأسمائهم يَوْمَ القيامةِ، إلاَّ آدم، فإنَّهُ يُكنىٰ أبا مُحَمَّدٍ. وأهلُ / الجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ، إلاَّ موسى بن عمرانَ؛ فإنَّ لِحْيَتَهُ تَضْرِبُ إلى صَدْرِهِ»[2].

والثالث: ساقَهُ أيضاً من طريق ابن أبي السَّريِّ، عن شَيْخِ المذكور، ولَفْظُهُ:

«أَهْلُ الجنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ، إلاَّ موسىٰ بْنِ عِمْران؛ فإنَّ لَهُ لحيةً إلىٰ سُرَّتِهِ»[3]، ثُمَّ قال[4]:

هذا حديثٌ لا يَصِحُّ عن رسولِ الله ﷺ.

أَمَّا الطريقُ الأول: ففيه وهبُ بْنُ حفص.

قُلْتُ[5]: وهو منسوبٌ إلىٰ جَدّه؛ فإنَّه: وهبُ بْنُ يحيىٰ بنِ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ.

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٦٨)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/٢٥٧، ٢٥٨).

(٣) «الموضوعات» (٣/٢٥٨).

(٤) أي ابن الجوزي رحمه الله تعالى.

(٥) في نسخة (القدس) و (ف): (قال المملي شيخنا برهان الناجي).

قال ابْنُ عَدِيٍّ: ويُعرفُ بابن المحتسب البجلي الحرّانيّ. وقد اتُّهم بالوضع. قال بَلَدِيُّه الحافظُ أبو عَروبةَ الحرَّانيُّ: وهو كَذَّابٌ يَضَعُ الحديثَ، ويكذِبُ كَذِباً فاحِشاً.

وقال الدارقطنيُّ: كانَ يَضَعُ الحديثَ. وقد ذكرَ ابنُ عَدِيٍّ في[1] مناكيره هذا الحديث.

قال ابنُ الجوزيِّ: وأما الطريق الثاني والثالث ففيهما: شيخ بن أبي خالد. قال ابنُ عديٍّ: حَدَّثَ عن حماد بْنِ سَلَمة بأحاديث مناكير بواطيل[2].

وقال ابْنُ حِبَّانَ: هذا موضوع على رسولِ الله ﷺ، وشيخ بن أبي خالد كان يروي عن الثقات المعضلات، لا يُحتج به بحال. ولمَّا حَدَّث ابنُ أبي السَّرِيِّ عن شَيْخٍ بهذا، بَلَغَ ذلك وَهْبَ بْنَ حَفْص ـ وكان مُغَفَّلاً ـ فَسَرَقَهُ[3] وَحَدَّثَ به عن عبد الملك الجُدي مُتَوَهِّماً أنَّه سَمِعَ منه، انتهى.

وكذا ساقَ الحافظُ ابْنُ طاهرٍ المقدسيُّ في «تذكرته» حديثَ: «ليسَ أَحَدٌ يَدْخُلُ الجنَّةَ إلاَّ جُرْدٌ مُرْدٌ، إلاَّ موسىٰ بن عمران، له لحيةٌ إلىٰ سُرَّته»[4]؛

والحديث الآخرَ: (ليس أحدٌ ـ يعني في الجنَّة ـ يُكنىٰ إلاَّ آدم، يُكنىٰ أبا محمد)، ثُمَّ قال:

---

(١) في نسخة (القدس)، وفي (ف): (مِنْ).
(٢) لم أجده في المطبوع من ترجمته في «الكامل» (٧/ ٢٥٣٢، ٢٥٣٣).
(٣) في الأصل: (فَسُرَّ به).
(٤) «المجروحين»، لابن حبان (٣/ ٧٦).

الحديثان حديثٌ واحد، وفيهما: وهب بن حفص، كانَ شيخاً مُغَفَّلاً، انتهىٰ[1].

ثُمَّ قال ابنُ الجوزيِّ رحمه الله تعالىٰ:

قلتُ: وَوَضْعُ هذا الحديثِ وَضْعٌ قبيحٌ؛ لأَنَّهُ لو كانَ [موسىٰ][2] مُعَظَّماً باللحيةِ؛ لكانَ نَبِيُّنا أَحَقَّ.

ثُمَّ إنَّه متىٰ كان الناسُ على حالةٍ؛ فانْفَرَدَ واحدٌ بغير حِلْيَتِهم، كان ذلكَ كالعارِ عليه والشُّهْرَةِ له، فلا فائِدَةَ في ذلك. انتهىٰ كلامُهُ في «الموضوعات»[3].

وسُئِلَ شيخُنَا حافِظُ عَصْرِه ابْنُ حجرٍ مِنْ مكةَ عن مسائِلَ منها: حديثُ مُعاذٍ في الترمذيِّ في دخولِ أهل الجنَّةِ [الجنَّةَ] جُرْداً مُرْداً أبناء ثلاثٍ وثلاثين سَنَةً، وأَنَّ في بعض كُتُبِ[4] الفارسية: أَنَّ لإبراهيمَ الخليل عليه الصلاة والسلام، ولأبـي بكر الصدِّيق [رضي الله عنه] لحيةً في الجنَّةِ، فما الحكمةُ في ذلك؟ وهل صَحَّ ذلكَ أم[5] لا؟

فأجاب: لم يصح[6] أن للخليل ولا للصدِّيق لحيةً في الجنَّةِ، ولا أعْرِفُ ذلك في شيءٍ من كُتُبِ الحديثِ المشهورةِ، و [لا] الأجزاءِ المنثورة. وعلى / تقديرِ ورود ذلك؛ فَيَظْهَرُ [لي] أن الحكمةَ في ذلك:

---

(١) «ذخيرة الحفاظ»، لابن طاهر (٢/ ١٠٣٩).

(٢) ما بين المعقوفتين من (القدس)، (ف)، وكذا كل ما يأتي بين المعقوفتين.

(٣) «الموضوعات»، لابن الجوزي (٣/ ٢٥٩).

(٤) كذا منكرة في النسخ الثلاث، ومُشَكَّلة في نسخة (القدس).

(٥) في الأصل: (أو).

(٦) في الأصل: (يثبت)، ملحقة بالهامش بعلامة لحق.

أَمَّا في حَقِّ الخليل؛ فلكَوْنِهِ مُنَزَّلاً مَنْزِلَةَ الوالدِ للمسلمين؛ لأَنَّهُ هو الذي سمَّاهم بهذا الاسم، وأُمروا باتّباع مِلَّتِهِ.

وأمَّا في حَقِّ الصِّدّيق: فَيُنْتَزَعُ من نحو ما ذُكر[1] في حَقِّ الخليل، فَإِنَّه كالوالدِ للمُسْلمين؛ إِذْ هو الفاتحُ لهم بابَ الدخولِ إِلىٰ الإِسلام.

قال[2]: لكن أخرجَ الطبريُّ من حديث ابنِ مَسْعودٍ بسَنَدٍ ضعيف، وذكر [الحديث] الذي قَدَّمْتُه في موسىٰ، قال: وذكر القرطبـيُّ في «تفسيره»: أَنَّ ذلكَ وَرَدَ في حَقِّ هارونَ أيضاً.

قال: وَرَأَيْتُ بخطِّ بعضِ أَهْلِ العِلْمِ أَنَّهُ وَرَدَ في حَقِّ آدمَ عليه السلام، ولا أعلمُ شيئاً مِنْ ذلك ثابتاً، واللَّـهُ أعلمُ.

قُلْتُ: هذا جوابُهُ بحروفه، لكن لا أدري أَيْنَ ذكرَ القرطبـيُّ ما نَقَلَهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّهُ لم يذكر مِنَ[3] التذكرة سوىٰ حديث جابرِ المساق أَوَّلاً في حَقِّ موسىٰ وعزاه إلى الميانشي. وكان ينبغي لشيخنا اطراحُ النقل الفارسي بالكلية، والاستراحةُ من تكلُّفِ تَوْجِيهِهِ، شُحّاً أن يُتشَاغَلَ بباطلٍ فاسدٍ، أو يُحْمَلَ مِنَ المتاعِ بائرٌ كاسِد!

وقـد ذكـرتُ ورود ذلـك فـي [حـقِّ] أبينـا آدمَ ومـوسـى وأخيـه هـارون ــ عليهم الصلاةُ والسلام ــ وَتكَلَّمْتُ عليه.

* وهذا ما حَضَرَني الآن نَقْلُهُ في ذلك، وإنَّهُ لكافٍ شافٍ وافٍ، لا يوجَدُ مِثْلُهُ مجموعاً في غير هذا الجواب، ولا تحتملُ الفُتيا مِنَ البَسْطِ أكثرَ من هذا.

---

(١) في الأصل: (من نحو ذلك).

(٢) القائل هو الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

(٣) في نسخة (القدس)، (ف): (في).

والحمد لله على جميع نِعَمِهِ، وصلاتُه وسَلامُه على سَيِّدنا محمد وآله وصحبه.

* قال مؤلفُهُ رَحِمَهُ الله تعالى ونفعنا به في الدنيا والآخرة:

قالَهُ وأملاهُ خادم السُّنَّةِ النبوية، إبراهيم بن محمد بن محمود، الشافعيُّ، الدمشقيُّ، الملقب بالناجي، غفر الله ذنوبه، وستر عيوبَهُ، بِقُوَّته وَحَوْلِهِ، [ومِنَّتِهِ وطَوْلِهِ].

● تَمَّ كتاب: «حصول البغية للسائل: هل لأحد في الجنة لحية»، على يد أفقر الورىٰ إلى الله: عبد الله بن زين الدِّين بن أحمد البُصْرَوِيِّ، الشافعيِّ، الأشعريِّ، غفر الله ذنوبَه، وستر عيوبَهُ، نهار الاثنين، حادي عشر شهر شوال، أحد شهور سنة خمس عشرة(١) ومائة وألف، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم(٢).

---

(١) في الأصل: خمسة عشر.

(٢) خاتمة نسخة (ف): (فرغ من كتابة هذه الفتيا العبد الفقير المعترف بالعجز عن القيام بطاعة ربه سبحانه والتقصير: إبراهيم بن عثمان بن محمد غفر الله له ولهما ولسائر آبائي والمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، في نهار الأحد المبارك سادس عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، مصلياً ومسلّماً على سيدنا محمد وآله، اللَّـهُمَّ صلّ بجلالك عليه وعلى آله وسلَّم والحمد لله رب العالمين).

* * *

* فَرَغتُ من نَسْخِهِ من نُسْخةِ الأصل في مكتبة الدولة ببرلين ــ ألمانيا في غرفة مطالعة المخطوطات الشرقية، يوم الجمعة محرم الحرام سنة ١٤٢٢هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
وكنت قد نسخته سابقاً في المكتبة ذاتها ولكن ضاعت منسوختي فأعدتُ النسخ في هذه الزيارة، وكل شيء عنده بمقدار. =

. . . .

* * *

=
* وفرغتُ من تبييضه ومقابلته بنسخة القُدس سحر ليلة الأربعاء ٢٠ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ بمنزلي بأم الحصن من البحرين، حرسها الله تعالى، وصانها من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، حامداً مصلياً مسلِّماً.

* ثم قابلت منسوختي بمصورة النسختين مع الأخوين الحبيبين والشيخين الفاضلين مساعد العبد الجادر (وبيده مصورة الأصل)، ومحمد بن ناصر العجمي (وبيده مصورة نسخة القدس)؛ فصح وثبت والحمد لله، وذلك ليلة الأحد ٢٤ رمضان المبارك (١٤٢٢هـ) بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة بين العشاءين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* ثم قابلتها مرّة أخرى بقراءتي على فضيلة الشيخ الحبيب تُفاحة الكويت ودرَّتها المحقق البحاثة محمد بن ناصر العجمي وبيده نسخة القدس، والأخ الحبيب النبيه منصور بن فهيد العجمي، وبيده نسخة الأصل، فصح وثبت والحمد لله مع أذان العشاء ليلة الأربعاء ٢٢ رمضان المبارك (١٤٢٣هـ) بصحن المسجد الحرام تُجاه الركن اليماني من الكعبة المشرفة، زادها الله عزاً وشرفاً وفخاراً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

* ثم قابلت ذلك أيضاً بنسخة مكتبة الملك فهد الوطنية بقراءتي على الشيخ المحقق البحاثة أخي وقرة عيني الشيخ محمد بن ناصر العجمي، ومصورة المخطوطة بيده وأنا أقرأ في منسوختي، وذلك في مجلس واحد، وانتهيت من المقابلة قُبيل أذان المغرب ليلة ٢٧ رمضان المبارك سنة (١٤٢٤هـ) بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

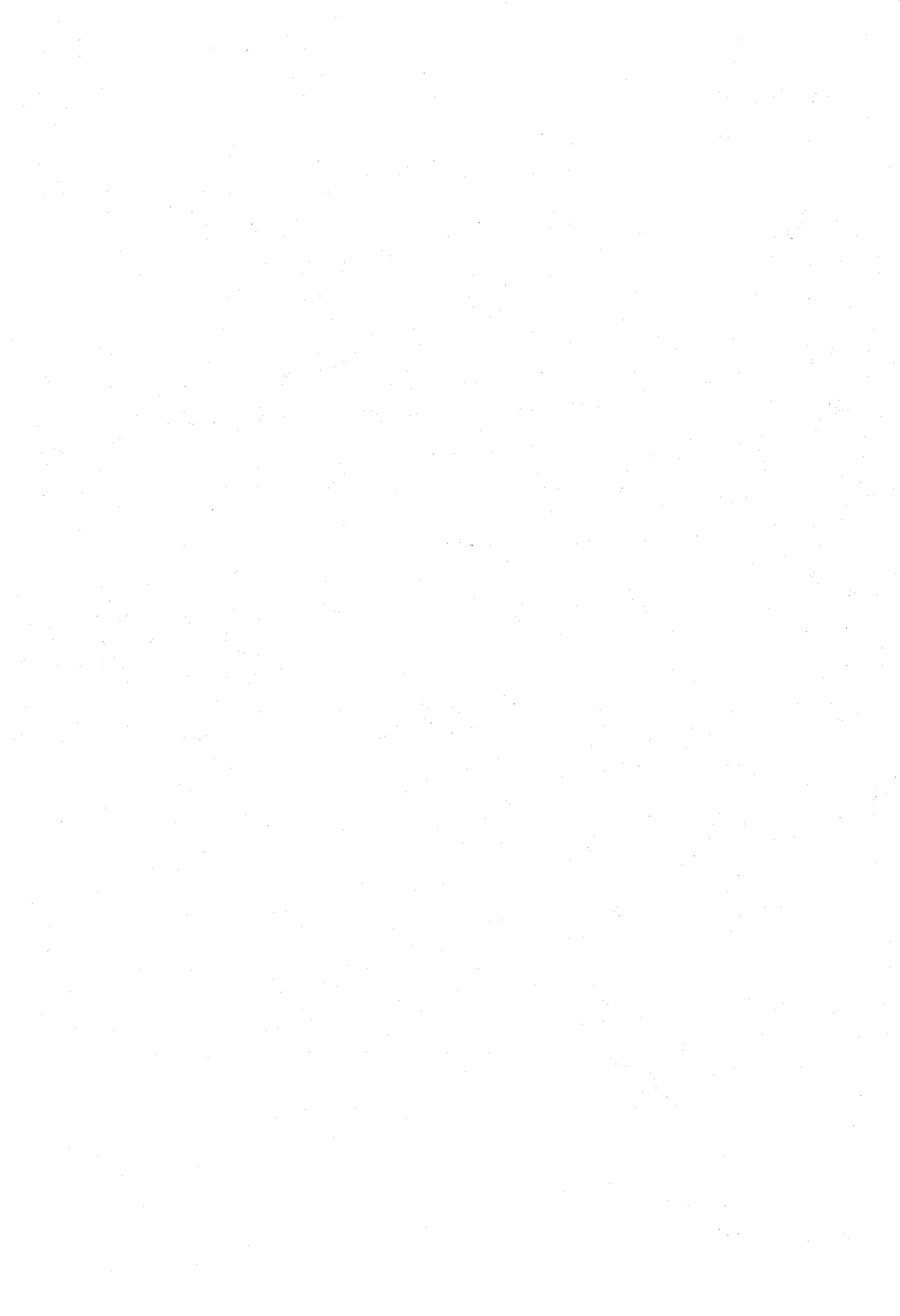
كتبه

خادم العلم

نظام محمد صالح يعقوبي

فهرس المحتوى

❑ ❑ ❑



لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٥٩)

إِرْشَادُ الحَائِرِ إِلَىٰ عِلْمِ الكَبَائِرِ

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن
يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي
المعروف بابن المبرد
(٨٤٠ - ٩٠٩ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص ب: ٥٩٥٥/١٤ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣.. e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

المقــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد: فإنَّ حقيقة إيمان العبيد؛ المُستلزم لإفرادهم اللّـهَ تعالى بالتَّوحيد: هو ما يعتقده الجنان؛ وينطق به اللِّسان؛ وتعمل به الأركان.

وتصديق العبد بذلك بجَنانه، ونطقه بلسانه، وعمله بأركانه: هو الاستسلام؛ الذي هو حقيقة الإسلام، وهو مفتاح الجنَّة دار السَّلام.

وإفراد الربِّ تبارك وتعالى بالتَّوحيد: هو سبيل الأمن والهداية للعبيد؛

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ــ ٧١.

في دار العمل وفي دار الجزاء عليه بالوعد والوعيد[1]، وذلك أنَّ (أشعَّة (لا إلـه إلا الله): تُبدِّد من ضباب الذُّنوب وغيومها بقدر قُوَّة ذلك الشُّعاع وضعفه، فلها نورٌ، وتفاوت أهلها في ذلك النُّور ــ قُوَّة وضعفاً ــ : لا يُحصيه إلا الله.

فمن النَّاس: مَن نور هذه الكلمة في قلبه كالشَّمس.

ومنهم: مَن نورها في قلبه كالكوكب الدُّرِّيِّ.

ومنهم: مَن نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

وآخر: كالسِّراج المُضيء.

وآخر: كالسِّراج الضَّعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة ــ علماً وعملاً؛ ومعرفة وحالاً ــ .

وكلَّما عظم نور هذه الكلمة واشتدَّ: أحرق من الشُّبهات والشَّهوات بحسب قوَّته وشدَّته، حتَّى إنَّه رُبَّما وصل إلى حالٍ لا يُصادف معه شُبهة ولا شهوة ولا ذنباً إلا أحرقه.

وهذا حال الصَّادق في توحيده الذي لم يُشرك بالله شيئاً، فأيُّ ذنبٍ

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ٨٢].
قال النَّبيُّ ﷺ: «﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: بشركٍ».
أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ ــ الحديث رقم (٣٣٦٠) ــ ٢/ ١٠٣٥]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب صدق الإيمان وإخلاصه ــ الحديث رقم (١٢٤) ــ ١/ ١١٤ ــ ١١٥] من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، واللفظ للبخاريِّ.

أو شهوةٍ أو شبهةٍ دنت من هذا النُّور: أحرقها، فسماء إيمانه قد حُرست بالنُّجوم من كلِّ سارقٍ لحسناته، فلا ينال السَّارق إلا غِرَّة وغفلة لا بُدَّ منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرقَ منه: استنقذه من سارقه، أو حصَّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبداً مع لصوص الجنِّ والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته؛ وولَّى الباب ظهره.

وليس التَّوحيد: مجرَّد إقرار العبد بأنَّه لا خالق إلا الله، وأنَّ الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه ــ كما كان عُبَّاد الأصنام مُقرِّين بذلك وهم مُشركون ــ .

بل التَّوحيد: يتضمَّن من محبَّة الله والخضوع له والذُّلِّ له، وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال؛ والمنع والعطاء؛ والحبِّ والبغض: ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها)[١].

وقد يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ؛ وكرمِهِ ونوالِهِ: الوقوف على هذه النَّصيحة اللطيفة[٢]؛ والتَّذكرة المُنيفة، المُتضمنة لذكر جملة من كبائر الذُّنوب؛ والتَّعريف بالمُوبقات الحُوب، والتي وسمها مُؤلِّفُها العلامةُ يوسف بن عبد الهادي الحنبلي ــ المعروف بابن المبرد ــ رحمه الله تعالى بـ : **(إرشاد الحائر إلى علم الكبائر)**.

---

(١) مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، لابن قيم الجوزية ١/ ٥٧٦ ــ ٥٧٨.

(٢) يسَّر الله تعالى لي الوقوف على هذه الرسالة أثناء تحقيقي وتعليقي على كتاب: (الذخائر لشرح منظومة الكبائر)، للعلامة السفَّارينيِّ رحمه الله تعالى، والذي نلتُ به بحمد الله تعالى درجة العالمية (الماجستير) من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتقدير ممتاز، وذلك في يوم السبت ١٨/ ٧/ ١٤١٩هـ؛ الموافق ٧/ ١١/ ١٩٩٨م، وهو من مطبوعات دار البشائر الإسلامية.

وقد ألفيتها بعد النَّظر إليها؛ والاطِّلاع عليها: رسالة ماتعةً، اشتملت على نصائح نافعةً، وتوجيهاتٍ رائعة، فعمدت إلى العناية بها؛ والرعاية لها ــ تحقيقاً وتعليقاً ــ ليعظم بها ــ بمشيئة الله تعالى ــ بعد الطَّبع: الفائدة والنَّفع.

وقد قدَّمت بين يدي الرِّسالة: التَّعريف المُقتضب بالمُؤَلِّف والمُؤَلَّف.

واللَّهَ سبحانه وتعالى المسؤول فضله العظيم؛ والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مُدنياً لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حجَّة لهم لا عليهم؛ وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه.

إنَّه سبحانه خير مسؤولٍ؛ وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:

وليد بن محمّد بن عبد الله العلي

غفر الله له ولوالديه ولزوجه ولذريَّته

ولسائر المسلمين

جامعة الكويت

كلية الشريعة والدِّراسات الإسلامية

قسم العقيدة والدَّعوة

يوم الخميس ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ

الموافق ٣ يونيو (حزيران) ٢٠٠٤م

تعريفٌ بالمُؤلِّف[1]

هو جمال الدِّين أبو المحاسن؛ وأبو عمر: يوسف بن حسن بن

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبة وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لوفيَّات مُؤلِّفيها ـ : الضَّوء اللامع لأهل القرن السَّابع للسَّخاوي (ت ٩٠٢هـ)، مُتعة الأذهان من التَّمتُّع بالأقران بين تراجم الشُّيوخ والأقران لابن المُلا (ت ١٠٠٣هـ) ٢/ ٨٣٨ ـ ٨٤٠؛ ١٠/ ٣٠٨، الكواكب السَّائرة بأعيان المائة العاشرة للغزِّي (ت ١٠٦١هـ) ١/ ٣١٧، شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب لابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) ٨/ ٤٣، ديوان الإسلام لابن الغَزِّي (ت ١١٦٧هـ) ٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٣، النَّعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل للغَزِّي (ت ١٢٠٧هـ) ص ٦٧ ـ ٦٩، السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد (ت ١٢٩٥هـ) ٣/ ١١٦٥ ـ ١١٦٩، هديَّة العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المُصنِّفين للبغداديِّ (ت ١٣٣٩هـ) ٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦٢، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ت ١٣٤٦هـ) ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩، مختصر طبقات الحنابلة لابن الشَّطِّيِّ (ت ١٣٧٩هـ) ص ٨٣ ـ ٨٦، معجم المطبوعات العربيَّة والمُعرَّبة لسركيس (ت ١٣٥١هـ) ٢/ ١٧٧٤، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر لجميل بك العظم (ت ١٣٥٢هـ) ص ٣٠٦ ـ ٣١١، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتَّاني (ت ١٣٨٢هـ) ٢/ ١١٤١ ـ ١١٤٢، الأعلام للزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ٨/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦، معجم المؤلِّفين لكحَّالة (ت ١٤٠٨هـ) ٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤، تسهيل السَّابلة لمريد معرفة الحنابلة لابن آل عثيمين (ت ١٤١٠هـ) ٣/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٨.
والمُعتنون بمُؤلَّفاته الزَّاخرة؛ ومُصنَّفاته الفاخرة ـ تحقيقاً وتعليقاً ـ : كانت لهم عناية كريمة بسيرته العمليَّة العطرة؛ ورعاية عظيمة لحياته العلميَّة النَّظرة، =

أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي ــ المعروف بـ : (ابن المبرد)[1] ــ ، الحنبليُّ المذهب، الصَّالحيُّ الدِّمشقيُّ الجمَّاعيليُّ المقدسيُّ الأصل، العُمَرِيُّ النَّسب، من سلالة أمير المؤمنين أبـي حفصٍ عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

وُلِدَ في سلخ سنة أربعين وثمانمائةٍ؛ أو غُرَّة شهر الله المُحرَّم سنة إحدى وأربعين وثمانمائةٍ، وقرأ القرآن على جماعةٍ، وأخذ الفقه والحديث عن خلائق، وحضر دروس جماعةٍ.

وكان إماماً جليلاً؛ عالماً نبيلاً، مُحدِّثاً علاَّمةً؛ مُسْنِداً فهَّامة، فقيهاً

= والمُستوجب بسَبْقِه الشكر الوافر الجزيل؛ والثَّناء العاطر الجميل: الأستاذ محمد أسعد طلس؛ في مقدمة تحقيقه لكتاب: (ثمار المقاصد في ذكر المساجد)، والأستاذ صلاح محمد الخيمي؛ في مقاله المنشور في العدد (السادس والعشرين) من مجلة معهد المخطوطات العربية؛ الصادرة في دولة الكويت سنة (١٤٠٢هـ)؛ وذلك في صفحاتها: (٧٧٥ ــ ٨١٢).

(١) المبرد: ضبطها تلميذه ابن طولون بـ : فتح الميم وسكون الباء الموحَّدة، وضبطها الكتَّانيُّ بـ : كسر الميم، وهو لقبُ جدِّه شهاب الدِّين أحمد، لقَّبه بذلك: عمُّه، قيل: لغيرته، وقيل: لقوَّته، وقيل: لخشونة يده.

(٢) صنَّف ابن المبرد رحمه الله تعالى كتاباً في فضائل جدِّه رضي الله عنه، وَسَمَه بـ : (محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب)، وقد ذكر في مقدِّمة الكتاب: أن وقوفه على نسب المقادسة مُتَّصلاً بأمير المؤمنين: مِمَّا حضَّه على التَّصنيف؛ ورغَّبه في التَّأليف، ثم سرد في خاتمة الكتاب: نسبهم مُتَّصلاً إليه.

وقد أولى فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن محمد الفريح حفظه الله تعالى هذا الكتاب: العناية الكريمة؛ والرعاية العظيمة ــ تحقيقاً وتعليقاً ــ ، ونال به درجة العالمية العالية (الدكتوراه) من قسم التاريخ بكلية الدَّعوة وأصول الدِّين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أديباً؛ قاضياً أريباً، أفنى عمره بين علمٍ وعبادةٍ؛ وتأليفٍ وإفادةٍ، يغلبُ عليه: علم الحديث والفقه[١]، وله يدٌ في النَّحو والتَّصريف والتفسير، ومُشاركةٌ في التَّصوُّف والمعاني والبيان.

وقد ولي التدريس والإفتاء، وله مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ في عِدَّة فنون؛ بلغت أسماؤها مجلَّداً، وزادت في تعدادها على الستِّمائة، وغالبها أجزاءٌ؛ كتبها بخطِّه، وبقي أكثرها محبوساً في خزائنه لم يُطبع[٢]؛ لقلَّة من يُحسن قراءة خطِّه، لما يغلب عليه من الاشتباك وعدم الإعجام.

وكانت وفاته في يوم الاثنين سادس عشر شهر الله المُحرَّم سنة تسعٍ وتسعمائةٍ، وقد كمل له من العمر: تسع وستُّون سنة؛ وستة عشر يوماً.

ودُفِنَ بسفح قاسيون، وكانت جنازته حافلة، رحمه الله برحمته الواسعه.

وقد أفرد تلميذه البارُّ شمس الدِّين محمد بن علي الدمشقيُّ الصالحيُّ الحنفيُّ ـ المعروف بابن طولون ـ (ت ٩٥٣هـ) رحمه الله تعالى ترجمته في مجلَّدٍ حافلٍ سمَّاه: (**الهادي إلى ترجمة يوسف بن عبد الهادي**).

* * *

(١) وقد اعتنى فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عثمان شبير حفظه الله تعالى بفقه المُؤلِّف رحمه الله تعالى؛ وبيان أثره في الفقه الإسلاميِّ، مع ذكر بعض اختياراته الفقهيَّة؛ ومقارنتها بالمذاهب الفقهيَّة، في رسالةٍ علميَّةٍ وسمها بـ: (الإمام يوسف بن عبد الهادي الحنبليُّ وأثره في الفقه الإسلاميِّ)، ونال بها درجة العالمية العالية (الدكتوراه) من قسم الفقه المُقارن بكلية الشَّريعة والقانون بالجامع الأزهر الشريف.

(٢) وقد قام فضيلة الشيخ الدكتور/ ناصر بن سعود السَّلامة حفظه الله تعالى بإعداد مُعجم لهذه المؤلَّفات، وسمه بـ: (مُعجم مُؤلَّفات يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبليِّ المخطوطة بمكتبات العالم)، مُقدِّماً بين يديه: ذِكْرَ مُؤلَّفاته المطبوعة.

تعريفٌ بالمُؤَلَّف

اسم الكتاب ونسبته:

المُثبت على طُرَّة نسخة الكتاب الخطيَّة: (إرشاد الحائر إلى علم الكبائر).

وقد ذكر الكتاب باسمه؛ مع نسبته لمُؤلِّفه: إسماعيل باشا البغدادي[1]، وتبعه في هذه النِّسبة: عمر رضا كحالة؛ وصالح بن عبد العزيز آل عثيمين[2].

موضوع الكتاب؛ وبيان منزلته العلميَّة:

إن موضوعَ الكتاب الذي يدلُّ عليه اسمه: هو الإعلام بكبائر الذنوب والآثام، وهي: كلُّ ذنبٍ حُدَّ صاحبُه في هذه الدَّار، أو تُوعِّد بعذابٍ في النَّار؛ أو هُدِّد بغضب ولعنة الجبَّار[3].

---

(١) انظر: إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون ١/ ٥٩، هديَّة العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المُصنِّفين ٢/ ٥٦١.

(٢) انظر: معجم المؤلِّفين لكحَّالة ٤/ ١٥٣، تسهيل السَّابلة لمريد معرفة الحنابلة لابن آل عثيمين ٣/ ١٤٨٨.

(٣) تعريف الكبيرة المُشار إليه أعلاه؛ وما في معناه: هو المأثور عن عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ وهو المختار عند الأئمة ــ الذين سبقوا زمن =

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى في كتابه: إحدى وأربعين كبيرة، ثُمَّ ختم كتابه بذكر ثمانية فصولٍ، أوَّلها: في ذكر الفصل المُتضمِّن تعداد الكبائر؛ والذي ختم به الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتابه (إعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين).

ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: أنَّ الكبائر لا يُرجى الخلاص منها إلا بالتَّوبة النَّصوح، ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: أن الصَّغائر فيهنَّ إثمٌ يُتطيَّب منه بالطَّاعة، ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: أنَّ الدُّنيا لم تُخلق للدَّوام حتَّى يعمل الإنسان فيها هذه الكبائر، ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: أنَّ من ترك الكبائر فله النَّعيم المقيم، ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: إيضاح الطَّريق لك؛ لتختار لنفسك أيَّ الطريقين أردت، ثمَّ أتبع هذا الفصل بذكر: أنَّ من يعمل هذه المعاصي فلا يُسلَّم عليه؛ ولا يُردُّ سلامه، وخاتمة هذه الفصول في ذكر: أنَّ من ترك هذه المُحرَّمات عوِّض خيراً منها.

ثم ختم المُؤلِّف رحمه الله تعالى الكتاب بمثل ما ابتدأ به من حمد الله تعالى؛ والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه ﷺ، مُذيِّلاً كتابه بالإمتاع؛ بالإجازة بروايته مِمَّن حضر السَّماع.

= المُؤلِّف رحمه الله تعالى ـ؛ كـ: عليِّ بن أبي طلحة؛ وسعيد بن جبير؛ والحسن البصريِّ؛ ومجاهدٍ؛ والضَّحاك؛ وابن عيينة؛ وأبي عبيد؛ وأحمد بن حنبل؛ والماورديِّ؛ وابن عطيَّة؛ وابن الصَّلاح؛ والقرطبيِّ؛ والبيضاويِّ؛ وابن تيميَّة؛ والبارزيِّ؛ والذَّهبيِّ؛ وابن أبي العزِّ؛ وابن حجرٍ رحمهم الله تعالى.
انظر: العِدَّة في أصول الفقه لأبي يعلي ٣/٩٤٦، فتاوى ومسائل ابن الصَّلاح ١/١٤٨، المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلمٍ للقرطبيِّ ١/٢٨٤، أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل للبيضاويِّ ١/٢١٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٦٥٠، الكبائر للذهبيِّ ص ٣٦، شرح العقيدة الطَّحاويَّة لابن أبي العزِّ ٢/٥٢٥، فتح الباري بشرح صحيح البخاريِّ لابن حجرٍ ١٢/١٨٨.

ومِمَّا يُلاحظ على هذا الكتاب: أنَّ مُؤلِّفه رحمه الله تعالى اعتنى في بعض مسائله بأمورٍ خيارٍ حسانٍ؛ منها:

١ ـ الاستدلال بالنُّصوص الشَّرعيَّة من الآيات الشَّريفة؛ والأحاديث النَّبويَّة المُنيفة.

٢ ـ ذكر اختلاف الرِّوايات الفقهيَّة الواردة عن الإمام المُبجَّل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

٣ ـ إيراد السُّؤالات والإشكالات؛ والجواب عنها بأوضح العبارات.

٤ ـ النَّقل عن أهل العلم المُتقدِّمين؛ ومِمَّن أدركه من مشايخه المُتأخِّرين.

٥ ـ التَّرجيح والاختيار في بعض الذُّنوب؛ وأنَّها من الصَّغائر لا من الكبائر الحُوب.

٦ ـ تضمين بعض الأبيات الشِّعريَّة؛ للحثِّ على الأحوال الزُّهديَّة.

٧ ـ حكاية أخبار العلماء الجليلة؛ المُؤتسى بسيرهم النَّبيلة.

٨ ـ الجمع بين أسلوب التَّبشير والتَّرغيب؛ وبين أسلوب التَّنفير والتَّرهيب.

كما يُلاحظ على الكتاب ـ إضافة إلى السِّمَة الظَّاهرة على جميع ما رَقَمَه المُؤلِّف رحمه الله تعالى ببنانه؛ ممَّا وُصِفَ به من كونه: (كثير الكتابة؛ سريع القلم، وقلَّ من يُحسن قراءة خطِّه؛ لاشتباكه؛ وعدم إعجامه)[1] ـ: أنَّ مُؤلِّفه رحمه الله تعالى أغفل في بعض مسائله أموراً مُهمَّة، فمن ذلك:

---

(١) مختصر طبقات الحنابلة لابن الشَّطِّيِّ ص ٨٦.

١ ـ عدم تعريف الكبيرة؛ وذكر ضابطها الذي تُميَّز به عن الصغيرة.

٢ ـ ترك الاستدلال على كلِّ مسألةٍ بذكر دليلها الدالِّ عليها؛ والمُرشد إليها.

٣ ـ إيراد جُملةٍ من الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة بمعناها؛ دون الحرص على سلامة مبناها.

٤ ـ الرَّكاكة في بعض الكلمات، والضَّعف في تركيب بعض العبارات، كتذكير ما حقُّه التَّأنيث؛ وتأنيث ما حقُّه التَّذكير.

وهذه المُلاحظات لا تحطُّ من منزلة الكتاب السَّنيَّة؛ ولا تُنزله عن مرتبته العليَّة، لأنَّ (مَنْ عُدَّت غلطاتُه: أقربُ إلى الصَّواب مِمَّن عُدَّت إصاباتُه)[١].

وصف نسخة الكتاب الخطيّة:

نسخة الكتاب الخطِّيَّة التي بين أيدينا: وحيدةٌ فريدةٌ، خُطَّتْ بقلم المُؤلِّف رحمه الله تعالى، وهي مختلفة الأسطر، وتقع في (١٤) ورقة.

وهي مودعةٌ في المكتبة الظَّاهرية بدمشق، ورقمها العام: (٧٤٠٣)[٢]، وإليك بعض النَّماذج منها:

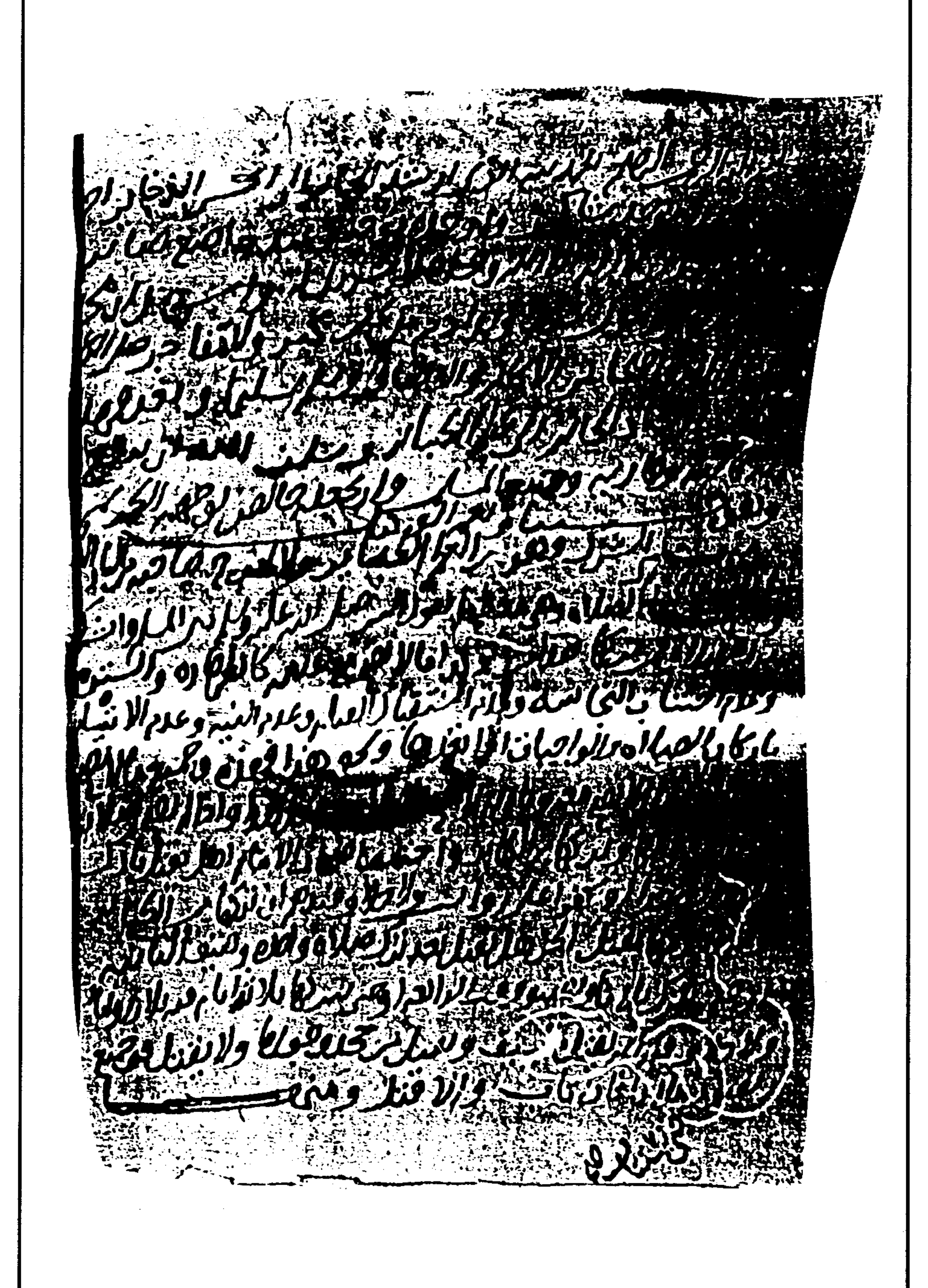
---

(١) مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين لابن قيم الجوزية ٤/٥٥٦.

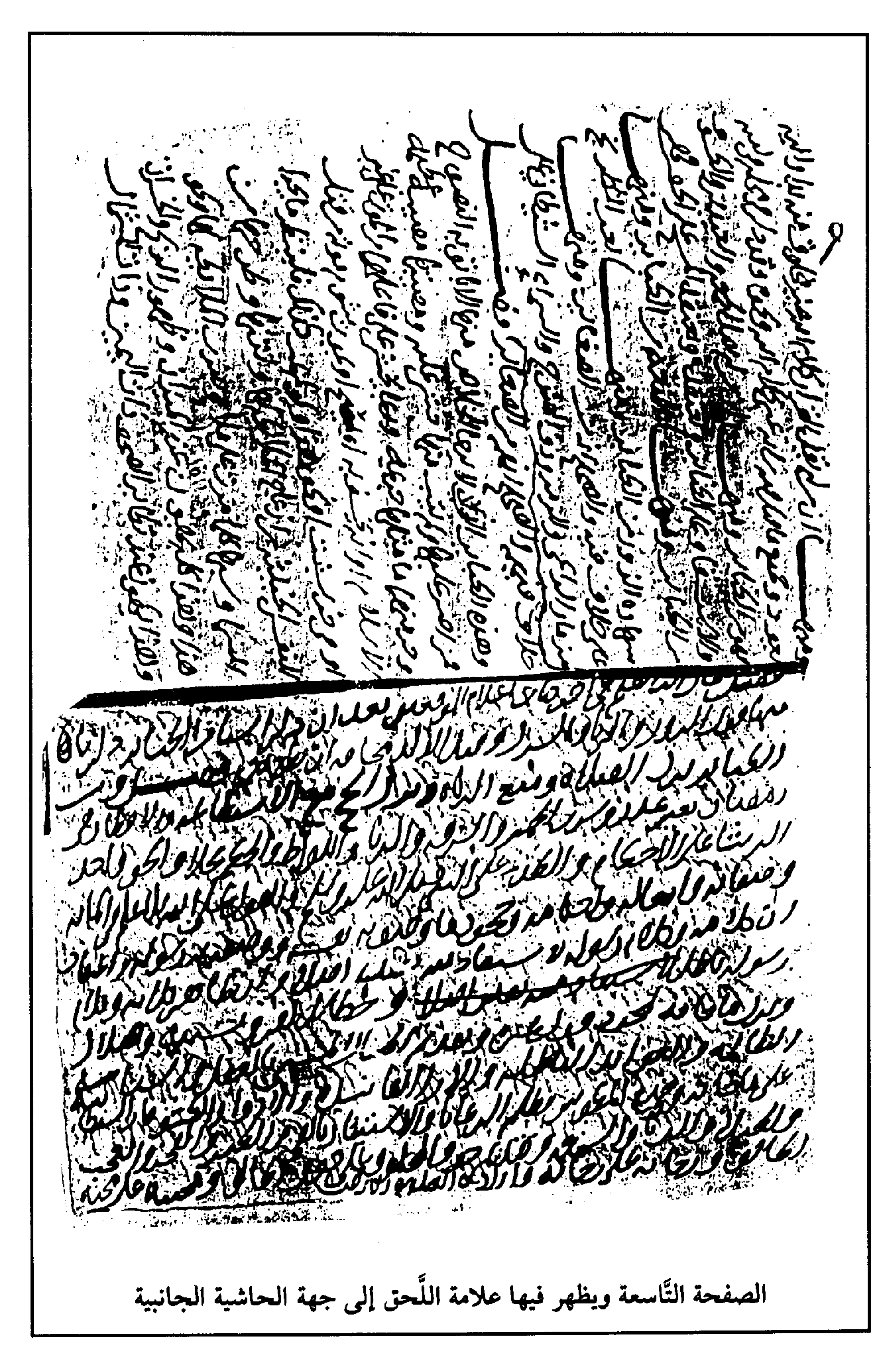
(٢) انظر: فهرس مخطوطات دار الكتب الظَّاهرية (المنتخب من مخطوطات الحديث) للألبانيِّ ص ١٠٣.



صفحة العنوان



الصفحة الأولى



الصفحة التَّاسعة ويظهر فيها علامة اللَّحق إلى جهة الحاشية الجانبية

١٧

النار لا تخصر وقل انقطع بابشر والحمد لله وحده وصلى

الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وكان الفراغ

من نسخ الأصل [illegible] سنة

حومان فانه على يد مؤلفها العبد الفقير الذليل

الحقير الراجي عفو الله الغفور المعترف

بالذنب والتقصير يوسف بن حسن بن احمد

بن حسن بن احمد بن عبد الهادي المقدسي

الحنبلي [illegible] عفا الله عنه والمسلمين

المسلمين آمين آمين آمين

[illegible]

الصفحة الأخيرة



لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٥٩)

إرشاد الحائر إلى علم الكبائر

تأليف
جمال الدين أبي المحاسن
يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي
المعروف بابن المبرد
(٨٤٠ - ٩٠٩ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرشد الحائر إلى أحسن الذخائر، أحمدُه حَمْدَ عبدٍ مُوحِّدٍ شاكرٍ، وأوحِّدُه توحيدَ عبدٍ خاضعٍ صابرٍ.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله؛ سيِّد ولد آدم من غير كبرٍ ولا تفاخرٍ، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأكابر والأصاغر، وسلَّم تسليماً.

وبعد: فهذا كتاب: (**إرشاد الحائر إلى علم الكبائر**)، وسألت الله أن ينفع به كاتبه وقارئه وجميع المسلمين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

منها: الشرك.

وهو من أكبر الكبائر، ولا يخرج صاحبه من النار، إلا أن يشاء الله تعالى[1].

(١) قال الله تعالى في آيتين كريمتين من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآيتان: ٤٨، ١١٦].
وقد أفادت هاتان الآيتان الكريمتان: أن المشيئة بالغفران؛ نائلةٌ من أسرف على نفسه بكبائر الذنوب والعصيان، لا من أشرك أحداً بعبادة ربِّه الرحمن.
قال إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى في [جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٢٦/٥]: (وقد أبانت هذه الآية: أن كلَّ صاحب =

ومنها: ترك الصلاة.

وهي معظمها، لقول النَّبـيِّ ﷺ: «**بين المسلم والكفر: ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[1].

وكذا ما لا تصحُّ مع عدمه، كالطهارة؛ والسُّترة؛ وعدم اجتناب النَّجاسة؛ وعدم استقبال القبلة؛ وعدم النِّيَّة؛ وعدم الإتيان بأركان الصلاة والواجبات؛ إذا تعمَّدها ونحو هذا.

= كبيرةٍ: ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله).

فكان الواجب على المؤلف رحمه الله تعالى أن يقتصر على قوله: (الشرك. وهو من أكبر الكبائر، لا يخرج صاحبه من النار). دون قوله بعد ذلك: (إلا أن يشاء الله تعالى)، والله أعلم.

(١) جمع المؤلِّف رحمه الله تعالى في هذا النَّصِّ بين حديثين، فأوَّل النَّصِّ المُشار إليه: أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصَّلاة ــ الحديث رقم (٨٢) ــ ١/ ٨٨] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، بلفظ: «**بين الرَّجل وبين الشِّرْكِ والكفر: ترك الصَّلاة**».

وآخر النَّصِّ المُشار إليه: أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٢٣٠٠٧) ــ ٣٨/ ١١٥]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب الإيمان/ باب ما جاء في ترك الصَّلاة ــ الحديث رقم (٢٦١٨) ــ ٤/ ٣٦٤]، والنَّسائيُّ في سننه [كتاب الصَّلاة/ باب الحكم في تارك الصَّلاة ــ الحديث رقم (٤٦٢) ــ ١/ ٢٥٠]، وابن ماجه في سننه [كتاب إقامة الصَّلاة والسُّنَّة فيها/ باب ما جاء فيمن ترك الصَّلاة ــ الحديث رقم (١٠٧٩) ــ ١/ ٥٦٤] من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، بلفظ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلاة، فمن تركها: فقد كفر**».

قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ).

انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانيِّ [الحديث رقم (٢٦٩٧) ــ ٦/ ٤٤٤].

فهذه وجميع ما لا تصحُّ الصَّلاة إلا به؛ أو لا تصحُّ معه ويأتي به: لا تصحُّ الصلاة مِمَّنْ فعل هذا، وإذا لم تصحَّ صلاته فكأنَّه لم يأت[1] بها، وتركها من الكبائر.

واختلف أصحاب الإمام: هل يُقتل تارك الصَّلاة حدًّا أو كفراً؟ على روايتين[2].

والصلاة عندهم: أنَّ تركها من الكبائر، وأنَّ تاركها يُقتل، لكن هل

---

(١) في الأصل المخطوط: (يأتي).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٩، شرح العمدة لابن تيمية ص ٧١ ـ ٩١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١/ ٤٠٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب من سأله عن تارك الصَّلاة من غير عذرٍ: هل هو مسلمٌ في تلك الحال؟: (وإذا صبر حتى يُقتل: فهل يُقتل كافراً مرتداً؛ أو فاسقاً كفُسَّاق المسلمين؟ على قولين مشهورين؛ حُكِيَا روايتين عن أحمد.

وهذه الفروع لم تُنقل عن الصحابة، وهي فروعٌ فاسدةٌ، فإن كان مُقرّاً بالصَّلاة في الباطن؛ مُعتقداً لوجوبها: يمتنع أن يُصِرَّ على تركها حتى يُقتل وهو لا يُصلِّي، هذا لا يُعرف من بني آدم وعادتهم، ولهذا لم يقع هذا قطُّ في الإسلام، ولا يُعرف أن أحداً يعتقد وجوبها؛ ويُقال له: إن لم تُصلِّ وإلا قتلناك، وهو يُصرُّ على تركها؛ مع إقراره بالوجوب، فهذا لم يقع قطُّ في الإسلام.

ومتى امتنع الرَّجل من الصلاة حتى يُقتل: لم يكن في الباطن مُقرًّا بوجوبها؛ ولا مُلتزماً بفعلها، وهذا كافرٌ باتفاق المسلمين، كما استفاضت الآثار عن الصحابة بكفر هذا، ودلَّت عليه النصوص الصحيحة) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/ ٤٨].

وانظر في موافقة الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام في معنى هذا الكلام: الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية ص ٦٠، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١/ ٤٠٥.

يُقتل بعد ترك صلاةٍ واحدةٍ وضيق وقت الثانية؟ أو حتى يترك ثلاثاً ويضيق وقت الرابعة؟ أو حتى يتركها ثلاثة أيامٍ؟ فيه ثلاث رواياتٍ[1].

ولا خلاف فيه أنه يُقتل بالسيف، ويُقتل من جحد وجوبها، ولا يُقتل في جميع الصور حتى يُستتاب ثلاثاً، فإن تاب وإلا قُتل.

ومنها: الزكاة.

فمن تركها عالماً بالتحريم: كفر، وإن تركها بُخْلاً عُرِّفَ، فإن أصرَّ كفر، وإذا كفر قُتل، فإن قاتل عليها قُتل[2].

وهذا في سائر الزكاة، في زكاة المال؛ والسائمة؛ والخارج من الأرض؛ والأثمان؛ وعروض التِّجارة؛ والفطرة.

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٣٥٤، شرح مختصر الخرقي للزركشي ٢/ ٢٦٩ ــ ٢٧٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١/ ٤٠١ ــ ٤٠٢.

(٢) قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في [الصلاة وحكم تاركها ص ٢٧]: (وهل يُلحَقُ تارك الصَّوم والحجِّ والزَّكاة بتارك الصَّلاة في وجوب قتله؟ فيه ثلاث رواياتٍ عن الإمام أحمد:
أحدها: يُقْتَلُ بترك ذلك كلِّه؛ كما يُقتَلُ بترك الصَّلاة. وحجَّة هذه الرواية: أنَّ الزَّكاة والصِّيام والحجَّ من مباني الإسلام، فيُقْتَلُ بتركها جميعاً كالصَّلاة، ولهذا قاتل الصِّدِّيق مانعي الزَّكاة، وقال: (والله؛ لأُقاتلنَّ من فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، إنها لقرينتها في كتاب الله).
وأيضاً فإنَّ هذه المباني من حقوق الإسلام، والنَّبيُّ ﷺ لم يأمر برفع القتال إلا عمَّن التزم كلمة الشَّهادة وحقَّها، وأخبر أنَّ عصمة الدَّم لا تثبت إلا بحقِّ الإسلام، فهذا قتالٌ للفئةِ المُمتنعة، والقتل للواحد المقدور عليه: إنما هو لتركه حقوق الكلمة وشرائع الإسلام. **وهذا أصحُّ الأقوال**).
ثم ذكر رحمه الله تعالى: الرواية الثانية؛ وأنَّه لا يُقْتَلُ بترك غير الصَّلاة، والرواية الثالثة؛ وأنَّه يُقْتَلُ بترك الزَّكاة والصِّيام، ولا يُقْتَلُ بترك الحجِّ.

وهل يُقتل حدّاً أو كفراً؟ فيه أيضاً روايتان[1]، والله أعلم.

ومنها: الصِّيام.

فمن أفطر رمضان أو بعضه مع القدرة والعلم بالتحريم: فهو من الكبائر، ويُؤمر به، ويُقتل مع الإصرار على الترك.

وكذا من جامع في نهار رمضان وهو به عالمٌ ذاكرٌ: فهو من الكبائر، لأنه أفسد صومه.

ومنها: إذا جحد الحجَّ أو وجوبه.

وإنما لم أقل: إنَّ ترك الحجِّ من الكبائر: لأن الحجَّ على التَّراخي، لكن حيث قلنا: إنَّه على الفور وتركه: فهو من الكبائر، وحكمه حكم باقي العبادات، والله أعلم بالصَّواب.

ومنها: إذا أعان الكفَّار على المسلمين: فهو من الكبائر.

وإن قيل: لم لا تقولوا: الجهاد تركه من الكبائر؟ لقول النَّبيِّ ﷺ: **«من لم يغزو ولم تُحدِّثه نفسه بالغزو: مات على شعبةٍ من النفاق»**[2].

قيل: الجواب من وجوهٍ:

أحدها: أن هذا لأجل التَّرغيب في الجهاد.

---

(1) قول المؤلف رحمه الله تعالى: (فمن تركها عالماً بالتحريم: كفر، وإن تركها بُخْلاً عُزِّرَ، فإن أصرَّ كفر، وإذا كفر قُتل): يُوحي باختياره الرِّواية الثانية؛ وأن تارك الزَّكاة يُقتلُ كفراً لا حدّاً.

قال المرداوي رحمه الله تعالى في [الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٣/ ١٩٠]: (الصحيح من المذهب: أنَّه يُقتلُ حدّاً، وهو من المُفردات).

(2) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الإمارة/ باب ذمِّ من مات ولم يغز ولم يُحدِّث نفسه بالغزو ـ الحديث رقم (١٩١٠) ـ ٣/ ١٥١٧] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.

والثاني: أن الجهاد كان في بدء الإسلام فرض عينٍ، ثم نُسخ، فيكون هذا في بدء الإسلام.

ومنها: من حرَّم البيع، أو أباح البيع المُحرَّم: فهو من الكبائر.

ومنها: من أباح الرِّبا، فهو من الكبائر.

وكذا من عامل به أو فعله، لأن النَّبيَّ ﷺ لعن: **«آكل الرِّبا ومُوكله»**[1].

ومنها[2]: من أكل مال غيره بغير حقٍّ، أو ظلمه، أو غصبه: فهو من الكبائر.

فإن فعل: استحلَّ منه ما استطاع، فإن مات فمن ورثته، وعن أحمد مثل هذا؛ ذكره في كتاب (الأدب الشرعي)[3]، والله أعلم.

ومنها: منع الوارث عن ميراثه: من الكبائر.

ومع هذا فلا يُسمع من الميِّت إذا فعل هذا، ويُدفع إلى الوارث ميراثه.

ومنها: إن نكح الأم والجدَّة وإن علت، والبنت وإن نزلت.

وبنت الأخت وبنت الأخ، ومن أرضعته وبنتها وأختها، وأم زوجته، وبنتها، وأم من يلوط به وبنته، وأم الفاعل وبنته على المفعول به، ونكاح

---

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه [كتاب اللِّباس/ باب الواشمة ــ الحديث رقم (٥٩٤٥) ــ ٤/ ١٨٨٤] من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.
وكذا أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب المساقاة/ باب لعن آكل الرِّبا ومؤكله ــ الحديث رقم (١٥٩٧) ــ ٣/ ١٢١٨ ــ ١٢١٩] من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه؛ و [الحديث رقم (١٥٩٨) ــ ٣/ ١٢١٩] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في الأصل المخطوط: (ومنها ومنها).

(٣) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح ١/ ٨١.

الملاعنة، والجمع بين الأختين، والمرأة وعمتها وخالتها، وملك اليمين بين الأختين في الوطء، والجمع بين أكثر من أربع نسوة للحرِّ، وأكثر من اثنتين للعبد، ونكاح امرأة غيره، والمطلقة ثلاثاً قبل أن تنكح زوجاً غيره، والزانية قبل التوبة، والمستبرأة، والمعتدة، ونساء غير أهل الكتاب: من الكبائر، لأنه كالزِّنا.

ومنها: فعل المُحلِّل: من الكبائر.

لأنه زناً محضٌ بلا خلافٍ، لأن فعله لم يقله أحدٌ، وحكمه حكم الزاني، والله أعلم.

ومنها: من استحلَّ المطلقة ثلاثاً: فهي كبيرةٌ.

لأنها ليست زوجته.

ومنها: إذا لاعن زوجته وهو كاذبٌ عليها، مُتحقِّقٌ كذب نفسه: فهو من الكبائر.

ومنها: إن قتل النفس التي حرَّم الله تعالى من الكبائر.

وهي أعظم الكبائر، ولا يُوجد أكبر منها[1]، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[2].

---

(١) قول المؤلف رحمه الله تعالى: (إن قتل النفس التي حرَّم الله تعالى من الكبائر، وهي أعظم الكبائر، ولا يُوجد أكبر منها): ليس على إطلاقه، فإن كان مراده بأنه لا أكبر منها في الظُّلْم والجُرْم الذي بين المخلوق والخلق: فصحيحٌ، وإن كان مراده بأنه لا أكبر منها في الظُّلْم والجُرْم مطلقاً؛ حتى يتناول ما بين المخلوق والخالق: فغير صحيح، لأنَّ أكبر الكبائر على الإطلاق؛ وأعظمها وأشنعها؛ ولا يوجد أكبر منها: الشرك بالله تعالى، والله أعلم.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٣.

﴿ فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ : هذا من أعظم الأمر في هذا الباب، ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ ، فغضب الله أشدُّ من الأول، ﴿ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ .

وفي السنة شيءٌ كثيرٌ من هذا[1]، وتوعَّده الله بأربع عقوباتٍ هي أعظم شيءٍ يكون وُعِدَ بها.

ودائماً شيخنا الشيخ زين الدين بن الحبَّال[2] يقول: (يتعلَّق بالقاتل ثلاث حقوقٍ: حقُّ الورثة، وحقُّ الميتِ، وحقُّ الله تعالى).

فإنه لا بُدَّ أن يقف هو وقاتله بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ويقول: «يا ربِّ سله فيم قتلني»[3].

---

(١) وأصحُّ ما في الباب: ما أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الديات/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ ـ الأحاديث رقم (٦٨٦١ ـ ٦٨٦٦) ـ ٥/ ٢١٤١ ـ ٢١٤٢]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب القسامة/ باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة ـ الحديث رقم (١٦٧٨) ـ ٣/ ١٣٠٤].

(٢) هو أبو الفرج عبد الرَّحمن بن إبراهيم بن يوسف بن الحبَّال، الفقيه الحنبلي، توفي رحمه الله تعالى في العشرين من شهر رمضان سنة ستٍّ وستين وثمانمائةٍ، وصُلِّي عليه عقب صلاة الجمعة بالجامع المُظفَّريِّ.
انظر في ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التَّاسع للسخاويِّ ٤/ ٤٣ ـ ٤٤، الجوهر المُنضَّد في طبقات متأخري أصحاب أحمد لابن المبرد ص ٦٤ ـ ٦٦، السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ٢/ ٤٦٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٩٤١) ـ ٣/ ٤١٣]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب تفسير القرآن/ باب ومن سورة النِّساء ـ الحديث رقم (٣٠٢٩) ـ ٥/ ١٢٢ ـ ١٢٣]، والنَّسائيُّ في سننه [كتاب التَّحريم/ باب تعظيم الدَّم ـ الحديث رقم (٤٠١٠) ـ ٧/ ٩٨]، وابن ماجه في سننه [كتاب الدِّيات/ باب هل =

وهـذه الخطيئـة التـي لا تُقـال، وأعظـم الـذنـوب، فـإنـه مُتعلّـقٌ بـالله وبالخلق، فإنَّ ما كان مُتعلِّقاً بالله: قد يعفو الله عنه إذا تاب، وما كان مُتعلِّقاً بالخلق: أمره مُشكلٌ، فنسأل الله العفو والعافية.

ومنها: الإعانة على القتل، ولو بالكلام.

وفي الحديث: «**إنَّ الرَّجل ليتكلَّم بالكلمة فيهوي بها في النَّار سبعين خريفاً**»[1].

فأمَّا قتل الذميِّ وغير الحربـيِّ: فيحتمل أنَّه ليس من الكبائر، ويحتمل أنْ يكون منها، لأنَّه فيه الدِّية، والنَّبـيُّ ﷺ يقول: «**من ظلم ذمِّياً**[2] **كنت خصمه يوم القيامة**»[3].

= لقاتـل مؤمـنٍ توبـة ــ الحديث رقـم (٢٦٢١) ــ ٣/ ٢٦٢ ــ ٢٦٣] مـن حديـث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (هذا حديثٌ حسنٌ).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانيِّ [الحديث رقم (٢٦٩٧) ــ ٦/ ٤٤٤].

(١) أخرجـه أحمد في مسنـده [الحديث رقـم (٧٢١٥) ــ ١٢/ ١٤٩]، والترمذيُّ في جامعـه [أبواب الزُّهـد/ باب فيمـن تكلَّم بكلمـةٍ يضحـك بها النَّـاسَ ــ الحديث رقـم (٢٣١٤) ــ ٤/ ١٤٦]، وابـن مـاجـه فـي سننه [كتـاب الفتـن/ بـاب كـفِّ اللسان عن الفتنـةِ ــ الحديـث رقم (٣٩٧٠) ــ ٤/ ٣٤١] مـن حديـث أبـي هريرة رضي الله عنه.
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجهِ).
انظر: كتاب الإيمان لابن أبـي شيبة [الحديث رقم (٤٦) ــ ص ٢٦].

(٢) في الأصل المخطوط: (ذمي).

(٣) قال العجلوني رحمه الله تعالى في [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنـة النَّاس: الحديث رقـم (٢٥٢٩) ــ ٢/ ٣٤٢]: («**مـن ظلم ذمـيًّا: كنتُ خصمـه**»: رواه أبـو داود بسنـدٍ حسنٍ بلفـظ: «**مـن ظلـم مُعـاهداً**؛ =

ودليل الأول: قول النَّبيِّ ﷺ: «**لا يجتمع كافرٌ وقاتله في النَّار أبداً**»[1].

فظاهره: الكافر مطلقاً[2].

= أو تنقَّصه حقَّه وكلَّفه فوق طاقته؛ أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسٍ منه: فأنا خصمه يوم القيامة»).
والحديث المُشار إليه: أخرجه أبو داود في سننه [كتاب الخراج والإمارة والفيء/ باب في تعشير أهل الذِّمة إذا اختلفوا بالتِّجارات ـ الحديث رقم (٣٠٥٢) ـ ٣/ ٤٣٧] من حديث عِدَّةٍ من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ؛ عن آبائِهم رضي الله عنهم.
قال السَّخاويُّ رحمه الله تعالى في [المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: الحديث رقم (١٠٤٤) ـ ص ٣٩١]: (وسنده لا بأس به، ولا يضرُّه جهالة من لم يُسمَّ من أبناء الصحابة، فإنَّهم عددٌ ينجبرُ به جهالتهم، ولذا سكت عليه أبو داود).
انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للألبانيِّ [الحديث رقم (٤٧١) ـ ص ٢١٥].

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الإمارة/ باب من قتل كافراً ثم سدَّد ـ الحديث رقم (١٨٩١) ـ ٣/ ١٥٠٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) إنَّ الحديث الصَّحيح المُشار إليه: متضمِّنٌ لفضيلة من قتلَ الكافر الحربيَّ في الجهاد في سبيل الله تعالى، كما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في [إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/ ٣١٣] أثناء تناوله لشرح هذا الحديث: (إنَّ هذا مختصٌّ بمن قتلَ كافراً في مُجاهدة العدوِّ، وأنَّ ذلك تكفيرٌ لذنوبه حتَّى لا يُعاقب عليها).
وأمَّا من قتلَ مُعاهداً من أهل الذِّمة بغير ظُلْم وجُرْم: فإنَّ ذلك مِنْ عظيمِ العدوانِ والإثْم، كما أخرج البخاريُّ في صحيحه [كتاب الجزية والموادعة/ باب إثم من قتل معاهداً بغير جرمٍ ـ الحديث رقم (٣١٦٦) ـ ٢/ ٩٧٦] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل مُعاهداً: لم يرح رائحة الجنَّة، وإن ريحها تُوجد من مسيرة أربعين عاماً**».

ومنها: الزِّنا.

فإنه من الكبائر[1]، وأعظم المفاسد وأقوى الجرائم، وعقوبته أعظم العقوبات في الدنيا والآخرة، فإنَّه إن كان غير محصنٍ: فحدُّه الجلد والتغريب، جلد مائةٍ وتغريب عامٍ، وإن كان محصناً: فحدُّه الجلد والرجم حتى يموت في إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه.

والرواية الثانية: أن حدَّه الرجم فقط[2]، والله أعلم.

ومنها: اللِّواط.

وهو أعظم من الزِّنا وأشدُّ، وهو إتيان الذكور في الأدبار، وهي الخطيئة التي تُورث الدَّمار، وتُخرِّب الدِّيار، ومن أصرَّ عليها خُشِيَ أن يموت على غير الإسلام ويدخل النَّار.

وهي أعظم المفاسد، وعقوبتها أعظم من عقوبة الزِّنا، فإنَّها على روايتين عن الإمام أحمد، إحداهما: حدُّه كحدِّ الزَّاني، مِنْ جلد البكر وتغريبه، ورجم الثيِّب وجلده.

والرواية الثَّانية عن الإمام أحمد: أن حدَّه الرجم حتى يموت بكلِّ حالٍ[3].

ولْتَعْلَم أنَّ في زمننا هذا أُناساً مُزوَّجين، ويُحبُّون الزِّنا واللِّواط أكثر من نسائهم الحلال، فنسأل الله العفو والعافية.

---

(١) في الأصل المخطوط: (الكبائر الكبائر).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٢/ ٣١٣، الفروع لابن مفلح ١٠/ ٤٩، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/ ١٧٠.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٢/ ٣٤٩، الفروع لابن مفلح ١٠/ ٤٩، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/ ١٧٦.

فائدةٌ: وطء البهيمة: هل هو من الكبائر أو من الصغائر؟ فالذي ينبغي أن يكون من الصغائر، لأن ليس عليه فيه الحدُّ، ويحتمل أنه من الكبائر، لأنه يجب قتل البهيمة، وتحريم أكل لحمها، وفيه مفسدةٌ.

ومنها: شرب الخمر من الكبائر.

وفيه الحدُّ ثمانين إن كان حُرًّا، وأربعين إن كان عبداً، هذا هو الصحيح من مذهب الإمام أحمد، والرواية الثانية: يحدُّ بأربعين في حقِّ الحُرِّ، وعشرين في حقِّ العبد[1].

وفي الحدِّ بوجود الرائحة إذا لم يتحقَّق السُّكر: روايتان عن الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه[2].

ومنها: السرقة من الكبائر أيضاً.

لقول النبي ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[3].

وقد أوجب الله عزَّ وجلَّ عليه قطع اليد، وقطع اليد لا يكون إلا في كبيرةٍ، والله أعلم بالصَّواب.

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة ١٢/٤٩٨ ـ ٤٩٩، الفروع لابن مفلح ١٠/٩٩ ـ ١٠٠، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٢/٥٠١، المُمتع في شرح المُقنع ٥/٧٠١ ـ ٧٠٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/٢٣٣.

(٣) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب المظالم/ باب النُّهبى بغير إذن صاحبه ـ الحديث رقم (٢٤٧٥) ـ ٢/٧٤٣]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن الملتبس بالمعصية على إرادة نفي كماله ـ الحديث رقم (٥٧) ـ ١/٧٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلمٍ.

ومنها: قطع الطريق أيضاً من الكبائر.

وهو أعظم من السَّرقة.

ومنها: الرِّدة من أعظم الكبائر.

وذلك أن من سبَّ الله تعالى أو رسوله؛ أو جحد ربوبيَّة الله عزَّ وجلَّ؛ أو جحد العبادات الخمس؛ أو أحلَّ ما يحرم وحرَّم ما يحلُّ؛ أو أنكر أنَّ النَّبيَّ ﷺ بُعِثَ إلى الخلق عامَّة؛ ونحو هذا.

وقد ذُكِرَ في كتب الفقه: كلُّ ما يردُّ عن الإسلام[1].

ولا شكَّ أن المرتدَّ يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، وهل تُقبل توبة الزِّنديق[2] ومن تكررت ردَّته؟ على روايتين[3].

فائدةٌ: تسقط المعاصي بالحسنات، ولا تسقط الحسنات بالمعاصي[4]،

---

(١) انظر: المقنع في شرح مختصر الخرقي لابن البنَّا ٣/١١٠٨ ـ ١١١٤، المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٦٤ ـ ٣٠٦، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/ ٣٢٦ ـ ٣٥٣.

(٢) قال البعلي في [المُطلع على أبواب المُقنع ص ٣٧٨]: (الزِّنديق: هو الذي يُظهر الإسلام ويُخفي الكفر، كان يُسمَّى: مُنافقاً، ويُسمَّى اليوم: زنديقاً).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٢/ ٢٦٩، الفروع لابن مفلح ١٠/ ١٩٣ ـ ١٩٤، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١٠/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

(٤) دلَّت الآيات القرآنيَّة الشَّريفة؛ والأحاديث النَّبويَّة المُنيفة؛ وآثار الأئمة ذوي العقول الحصيفة على: أنَّ السيئات تُحبط الحسنات؛ كما أنَّ الحسنات يُذهبن السَّيِّئات، والعمدة في ذلك: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ...﴾ الآية [سورة البقرة: الآية ٢٦٤]، وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة مُحمَّد: الآية ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ =

وتسقط الحسنات بالرِّدَّة، فإن عاد إلى الإسلام: فهل تعود حسناته؟

فالصحيح: أنها لا تعود، والله أعلم.

ومنها: السِّحر من الكبائر.

وأعظمه الذي يركب المكنسة فتطير في الهواء، ويُحيـي ويُميت، فإنه يكفر ويُقتل، والذي يسحر بالأدوية: لا يكفر ولا يُقتل، لكن ما أَتْلَفَ ضمنه، وكذا من يزعم أنه يُخاطب الجنَّ، ويُحادثها ويجمعها: فهي من الكبائر.

ومنها: التنجيم والطلسمانات[1] والزندقة والأبواب النارنجية[2] من الكبائر، والله أعلم.

ومنها: قتل نفسه من الكبائر.

وهي كبيرةٌ عظيمةٌ جدّاً.

= بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: الآية ٢].

وقد قرَّر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى مسألة الإحباط في: الصَّلاة وحكم تاركها ص ٦٣ ــ ٦٤، مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين ١/ ٤٩٦ ــ ٤٩٨، الوابل الصَّيِّب من الكلم الطيِّب ص ٢١.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب من سأله: هل للكواكب تأثيرٌ في الوجود؟: (إنَّ النُّجوم التي من السِّحر نوعان: أحدهما: علميٌّ، وهو: الاستدلال بحركات النُّجوم على الحوادث؛ من جنس الاستقسام بالأزلام.
الثاني: عمليٌّ، وهو الذي يقولون: إنَّه القوى السَّماويَّة بالقوى المُنفعلة الأرضيَّة، كطلاسمٍ ونحوها، وهذا من أرفع أنواع السِّحر) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥/ ١٧١].

(٢) المُراد بها: النَّيْرَج: ــ مُعرَّب نَيْرَنْك ــ وهو: أُخَذٌ تُشبه السِّحْرَ، وليست بحقيقةٍ، وإنما هو تشبيهٌ وتمويهٌ وتخييلٌ.
انظر: تهذيب اللغة للأزهريِّ ١١/ ٣٩، لسان العرب لابن منظور ٢/ ٣٧٦، مفتاح السَّعادة ومصباح السِّيادة في موضوعات العلوم لطاش كبري زاده ١/ ٣٤١.

ومنها: عقوق الوالدين من الكبائر.

وهي كبيرةٌ عظيمةٌ مُلحقةٌ بشرب الخمر ونحوه، ولو لم يُحدَّ فيه حدٌّ.

وعقوق الأمِّ أقوى من عقوق الأب، لأن النبي ﷺ أوصى بها ثلاثاً وبالأب مرَّة[1].

ومنها: الغيبة والنميمة.

على خلافٍ فيهما[2]، فكونهما من الكبائر: لما جاء في القرآن والأحاديث الصحاح[3]، وكونهما ليسا من الكبائر: كون لا شيء فيهما.

---

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه [كتاب الأدب/ باب من أحقِّ النَّاس بحسن الصُّحبة ـ الحديث رقم (٥٩٧١) ـ ٤/ ١٨٩٢]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب/ باب برِّ الوالدين وأنَّهما أحقُّ به ـ الحديث رقم (٢٥٤٨) ـ ٤/ ١٩٧٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي على خلافٍ بين فقهاء الحنابلة في كونهما من الكبائر أو الصَّغائر، قال المرداوي رحمه الله تعالى في [الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١٢/ ٤٦]: (قال في الفصول والغنية والمستوعب: الغيبة والنَّميمة من الصغائر)، وقال الزَّركشيُّ رحمه الله تعالى في [شرحه على مختصر الخرقيِّ ٧/ ٣٣٣]: (الكبيرة على نصِّ أحمد: ما فيها حدٌّ في الدُّنيا؛ كشرب الخمر والزِّنا والسَّرقة، أو وعيدٌ في الأخرى؛ كاليمين الفاجرة وأكل الرِّبا والغيبة على الأشهر ونحو ذلك).
قال ابن عبد القويِّ في [الألفية في الآداب الشَّرعيَّة: البيت رقم (٤٣) ـ ص٢٧]:
(وقَدْ قِيلَ صُغرى غيبةٌ ونميمةٌ ... وكلتاهما كبرى على نصِّ أحمد).

(٣) وأصحُّ ما في الباب: ما أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الأدب/ باب ما يكره من النَّميمة ـ الحديث رقم (٦٠٥٦) ـ ٤/ ١٩١٢ ـ ١٩١٣]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان غلظ تحريم النَّميمة ـ الحديث رقم (١٠٥) ـ ١/ ١٠١] من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، ولفظه: **«لا يدخل الجنة قتَّاتٌ»**، وفي لفظ لمسلمٍ: **«نمَّامٌ»**.

ومنها: استحلال مُحرَّمٍ.

كالميتة والذئب والقرد والحمار[1] ونحوهم من الكبائر، والله أعلم.

ومنها: اليمين الغموس من الكبائر.

خصوصاً بالقرآن، فإن عند أحمد رواية: أنه يلزمه بعدد كلِّ حرفٍ كفارة[2].

ومنها: الرفض.

وهو بغض الصحابة أو أحداً منهم، سواءٌ أبو بكرٍ أو عمر أو عثمان أو عليٌّ أو كائنٌ من كان فهي من الكبائر، وهي كبيرةٌ عظيمةٌ، وأكبر من الزِّنا وشرب الخمر وأكل الميتة واللِّواط، والله أعلم.

ومنها: جحد شيءٍ من صفات الله تعالى.

أو جحد أنه ليس على العرش والكرسي[3]، ولا فوق السبع

---

(١) المُحرَّم: هو الحمار الأهليُّ؛ دون الحمار الوحشيِّ، فإنَّه مباح اللحم، كما أخرج مسلمٌ في صحيحه [كتاب الصَّيد والذَّبائح/ باب في أكل لحوم الخيل ـ الحديث رقم (١٩٤١) ـ ٣/ ١٥٤١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (أكلنا زمن خيبرٍ: الخيل وحمر الوحش، ونهانا النَّبيُّ ﷺ عن الحمار الأهليِّ).
قال القرطبيُّ رحمه الله تعالى في [المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/ ٢٢٩]: (لا خلاف في جواز أكلها فيما علمته، لأنَّها من جملة الصَّيد الذي أباحه الله تعالى في كتابه؛ وعلى لسان رسوله ﷺ).

(٢) انظر: المغني لابن قدامة ١٣/ ٤٧٥، الفروع لابن مفلح ١٠/ ٤٣٧، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي ١١/ ٧.

(٣) الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة: أنَّ الكرسيَّ مخلوقٌ عظيمٌ بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، كما قال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى في [تفسير القرآن العظيم ١/ ٦٨١]: (الصَّحيح: أنَّ الكرسيَّ غيرُ العرش، والعرش أكبر منه، كما دلَّت على ذلك الآثار والأخبار). =

سماوات، أو أنه لا ينزل كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، فهي من الكبائر.

ومنها: أن من كيَّف[1] صفات الله تعالى، أو شبَّهه بخلقه، أو عطَّل[2]،

= وحقيقة الكرسيِّ عند أهل السُّنَّة والجماعة: أن الكرسيَّ بين يدي العرش كالمرقاة إليه، كما ذكر ذلك ابن زمنين رحمه الله تعالى في [أصول السُّنَّة ص ٩٦] بقوله: (ومن قول أهل السُّنَّة: أنَّ الكرسيَّ بين يدي العرش، وأنَّه موضع القدمين).

(١) قرَّر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في [اجتماع الجيوش الإسلاميَّة على غزو المُعطِّلة والجهميَّة ص ١٩٩] مراد السَّلف بنفي الكيف؛ فقال: (مُراد السَّلف بقولهم: (بلا كيف): هو نفي التَّأويل، فإنَّه التَّكييف الذي يزعمه أهل التَّأويل، فإنَّهم هم الذين يُثبتون كيفية تُخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التَّكييف بالتَّأويل، وتعطيل الربِّ تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه. وأما أهل الإثبات: فليس أحدٌ منهم يُكيِّف ما أثبته الله تعالى لنفسه؛ ويقول: كيفية كذا وكذا؛ حتى يكون قول السَّلف: (بلا كيف): ردّاً عليه، وإنما ردُّوا على أهل التَّأويل الذي يتضمن: التَّحريف والتَّعطيل، تحريف اللفظ؛ وتعطيل معناه).

(٢) قرَّر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في [الدَّاء والدَّواء ص ٢٣١ ــ ٢٣٢] حقيقة التَّعطيل وأقسامه؛ فقال: (أصل الشِّرك وقاعدته التي يرجع إليها: هو التَّعطيل، وهو ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصَّانع سبحانه عن كماله المُقدَّس؛ بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله، وتعطيل مُعاملته عمَّا يجب على العبد من حقيقة التَّوحيد.

ومن هذا: شرك طائفة أهل وحدة الوجود؛ الذين يقولون: ما ثَمَّ خالقٌ ومخلوقٌ؛ ولا ههنا شيئان، بل الحقُّ المُنزَّه: هو عين الخلق المُشبَّه، ومنه: شرك الملاحدة القائلين: بقدم العالم وأبديَّته، وأنَّه لم يكن معدوماً أصلاً؛ بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسبابٍ ووسائط اقتضت إيجادها يُسمُّونها: بالعقول والنُّفوس، ومن هذا: شرك من عطَّل أسماء الربِّ تعالى وأوصافه وأفعاله؛ من غلاة الجهمية والقرامطة، فلم يُثبتوا له اسماً ولا صفة، بل جعلوا المخلوق أكمل منه، إذ كمال الذَّات بأسمائها وصفاتها).

أو جسَّم[1]، أو قال: إن الله بكلِّ مكانٍ، فهي من الكبائر.

ومنها: أن من جحد أن لله وجهاً أو يدين أو رجلين، أو أنه يضحك، أو أنه يُرى في الآخرة، أو جحد كبريائه أو جماله وأيَّ شيءٍ من باقي الصفات[2]، فهي من الكبائر.

ومنها: أنَّ من جحد أن الله يُحيي ويُميت، ويرزق ويخلق، ويضرُّ وينفع، ويهدي ويُضلُّ، ويرحم ويغضب، ويُقدِّر الخير والشرَّ وجميع الأشياء، وأن ليس بيد غيره ضرٌّ ولا نفعٌ ولا شيءٌ، فهي من الكبائر.

ومنها: من لم يقل بعذاب القبر وعذاب النَّار، وأنَّ جهنَّم حقٌّ والنَّار حقٌّ والجنَّة حقٌّ والصِّراط حقٌّ والبعث حقٌّ والنُّشور حقٌّ والسَّاعة حقٌّ ومحمدٌ حقٌّ وسؤال الملكين حقٌّ، وجميع ما صحَّ من هذه الأشياء حقٌّ، فهي من الكبائر، والله أعلم.

ومنها: أن من لم يقل: القرآن كلام الله غير مخلوقٍ، منه بدأ وإليه يعود.

وجميع ما قيل فيه من أنه غير كلام الله ونحوه، وقد ذكر في محلِّه في كتبه[3]: فهو من الكبائر[4].

---

(١) قال ابن قدامة رحمه الله تعالى في [تحريم النَّظر في كتب الكلام ص ٥٨]: (إنَّما يحصل التَّشبيه والتجسيم: ممَّن حمل صفات الله سبحانه وتعالى على صفات المخلوقين في المعنى).

(٢) هذا ما تبيَّن لي في قراءة كلمات هذا السَّطر، التي وجدت في قراءتها بسبب اشتباك حروفها وعدم إعجامها: المشقَّة والعسر.

(٣) انظر: الحيدة والاعتذار في الردِّ على من قال بخلق القرآن للكناني، رسالة إمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل إلى الخليفة المُتوكِّل في مسألة القرآن، رسالة في أنَّ القرآن غير مخلوقٍ للحربي، الردُّ على من يقول القرآن مخلوقٌ للنَّجاد.

(٤) قال ابن قدامة رحمه الله تعالى في [مناظرة في القرآن الكريم ص ٣٦ ــ ٣٨]: (اتَّفق المُنتمون إلى السُّنة على أنَّ القائل بخلق القرآن: كافرٌ. منهم من قال: كفرٌ =

ومنها: أنَّ من لم يصلِّ الجمعة والعيدين والكسوف والاستسقاء وعلى الجنائز، ويعتقده، ويعتقد المسح على الخُفَّين فهي من الكبائر.

ومنها: المتعة من الكبائر.

ومنها: شهادة الزُّور من الكبائر.

ومنها: لعب الشِّطرنج.

على خلافٍ فيه، والصحيح: أنَّه من الصغائر[1].

= ينقل عن الملَّة، ومنهم من قال: لا ينقله عنها. فمتى ما قالوا بخلق القرآن وغيره من كتب الله تعالى: فقد قالوا بقولٍ أقرُّوا بكفر قائله. وإن أقرُّوا بها غير مخلوقةٍ وهي مُتعدِّدة: فقد بطل قولهم).

(١) أفاض ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في [الفروسيَّة ص ٣٠٢ ــ ٣١٥] في ذكر حُرمة الشِّطرنج بحثاً وتحريراً؛ ومناظرة وتقريراً، ثُمَّ ختم كلامه بقوله: (اختلف المُحرِّمون لها: هي أشدُّ تحريماً من النَّرد؛ أو النَّرد أشدُّ تحريماً منها؟ فصحَّ عن ابن عمر أنَّه قال: (الشِّطرنج شرٌّ من النَّرد). ونصَّ مالكٌ على ذلك، وقال الإمام أحمد وأبو حنيفة: النَّرد أشدُّ تحريماً منها.

قال شيخ الإسلام أبو العباس بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانيُّ رضي الله عنه: (وكلا القولين صحيحٌ باعتبارٍ، فإنَّ الغالب على النَّرد: اشتمالها على عوضٍ؛ بخلاف الشِّطرنج، فالنَّرد بعوضٍ: شرٌّ من الشِّطرنج الخالي عن العوض، وأمَّا إذا اشتملا جميعاً على العوض؛ أو خَلَوَا عنه: فالشِّطرنج شرٌّ من النَّرد، فإنها تحتاج إلى فكرٍ يُلهي صاحبها أكثر مِمَّا يحتاج إليه النَّرد، ولهذا يُقال: إنَّها مبنيةٌ على مذهب القدر؛ والنَّرد مبنيةٌ على مذهب الجبر، فمضرَّتها بالعقل والدين: أعظم من مضرَّة النَّرد، ولكن إذا خَلَوَا عن العوض: كان تحريمهما من جهة العمل، وإذا اشتملا على العوض: صار تحريمهما من وجهين: من جهة العمل؛ ومن جهة أكل المال بالباطل، فتصير بمنزلة لحم الخنزير الميِّت، قال أحمد: (هو حرامٌ من وجهين، فإن غصبه أو سرقه من نصرانيٍّ: صار حراماً من ثلاثة أوجهٍ). فالتَّحريم يقوى ويضعف بحسب قوَّة المفاسد وضعفها؛ وبحسب تعدُّد أسبابه، فاعلم).

ومنها: مزمار الرَّاعي والزمر ودفّ الصَّنْج[1] والسَّماع الشَّيطاني.

على خلاف فيهم، والصحيح: أنهم من الصغائر[2].

فصلٌ

قال ابن القيم في آخر كتاب: (إعلام الموقعين)[3] بعد أن ذكر أشياء من الكبائر ــ ذكرناها، منها: قول الزور، والزِّنا، والشِّرك، وقتل الولد مخافة أن يطعم معه ــ : (فصلٌ: ومن الكبائر: تركُ الصلاة، ومنع الزكاة، وتركُ الحج مع الاستطاعة، والإفطار في رمضان بغير عذرٍ.

وشرب الخمر، والسرقة، والزِّنا، واللِّواط، والحكم بغير الحقِّ، وأخذ الرِّشا على الأحكام.

والكذب على النبي ﷺ، والقول على الله بلا علمٍ في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وجحود ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، واعتقاد أن كلامه وكلام رسوله لا يُستفاد منه يقينٌ أصلاً، وأن ظاهر كلامه وكلام رسوله باطلٌ وخطأٌ؛ بل كفرٌ وتشبيهٌ وضلالٌ، وتركُ ما جاء به لمجرَّد قول غيره،

---

(١) قال الجوهريُّ في [الصِّحاح ١/ ٣٢٥]: (الصَّنج الذي تعرفه العرب: وهو الذي يُتَّخذ من صُفْرٍ يضرب أحدها بالآخر، وأما الصَّنج ذو الأوتار: فيختصُّ به العجم، وهما مُعرَّبان).

(٢) أطنب ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في [إغاثة اللهفان في مصائد الشَّيطان ١/ ٣٤٤ ــ ٤٠٦] في ذكر حُرمة السَّماع الشَّيطانيِّ؛ ومضادَّته للسَّماع الرَّحمانيِّ، مُبيِّناً أنَّ له في الشَّرع بضعة عشر اسماً؛ بها يعلم أصحابه وأهله بما به ظفروا، وأيَّ تجارةٍ رابحةٍ خسروا، وهي: اللهو؛ واللغو؛ والباطل؛ والزُّور؛ والمُكاء؛ والتَّصدية؛ ورقية الزِّنا؛ وقرآن الشَّيطان؛ ومُنبت النِّفاق في القلب؛ والصوت الأحمق؛ والصوت الفاجر؛ وصوت الشَّيطان؛ ومزمور الشَّيطان؛ والسُّمُود.

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، لابن قيم الجوزية ٦/ ٥٦٩ ــ ٥٨٤.

وتقديم الخيال المُسمَّى بالعقل والسياسة الظالمة والعقائد الباطلة والآراء الفاسدة والأذواق والكشوفات الشيطانية على ما جاء به ﷺ.

ووضع المكوس، وظلم الرعايا، والاستيثار بالفيء، والكبر، والفخر، والعجب، والخيلاء، والرياء، والسمعة، وتقديم خوف المخلوق على خوف الخالق؛ ومحبته على محبة الخالق؛ ورجائه على رجائه.

وإرادة العلوِّ في الأرض والفساد؛ وإن لم ينل ذلك، ومسبَّة الصحابة رضوان الله عليهم، وقطع الطريق، وإقرار الرَّجلِ الفاحشةَ في أهله وهو يعلم، والمشي بالنميمة، وترك التنزُّه من البول.

وتخنُّث الرَّجل، وترجُّل المرأة، ووصل شعر المرأة؛ وطلبها ذلك، وطلب الوصل كبيرة، وفعله كبيرة، والوشم والاستيشام، والوَشْر[1] والاستيشار، والنمص والتنميص، والطعن في النسب، وبراءة الرَّجل من أبيه؛ وبراءة الأب من ابنه، وإدخال المرأة على زوجها ولداً من غيره، والنياحة، ولطم الخدود، وشقُّ الثياب، وحلق المرأةِ شعرَها عند المصيبة بالموت وغيره.

وتغيير منار الأرض ــ وهو أعلامها ــ ، وقطيعة الرَّحم، والجور في الوصية، وحرمان الوارثِ حقَّه من الميراث، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، والتحليل، واستحلال المطلقة به، والتحيُّل على إسقاط ما أوجب الله، وتحليل ما حرَّم الله ــ وهو استباحة محارمه؛ وإسقاط فرائضه بالحيل ــ .

---

(١) الوَشْر: أن تُفَلِّجَ المرأة أسنانها وتُحدِّدها وتُرقِّقها وتُصيِّرها ذوات أُشُرٍ؛ وهو تحزيزٌ في أطرافها.
انظر: تهذيب اللغة للأزهري ١١/ ٤٠٩ ــ ٤١٠، المحيط في اللغة لابن عباد ٧/ ٣٧٧ ــ ٣٧٨، لسان العرب لابن منظور ٥/ ٢٨٤.

وبيع الحرِّ، وإباق المملوك من سيِّده، ونشوز المرأة على زوجها، وكتمان العلم عند الحاجة إلى إظهاره، وتعلُّم العلم للدنيا، والمباهاة والجاه والعلُو على الناس، والغدر، والفجور في الخصام، وإتيان المرأة في دبرها؛ وفي حيضها، والمنِّ بالصدقة وغيرها من عمل الخير.

وإساءة الظنِّ بالله، واتِّهامه في أحكامه الكونية والدينية، والتكذيب بقضائه وقدره؛ واستوائه على عرشه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن رسوله عُرِجَ به إليه، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيِّب، وأنه كتب كتاباً فهو عنده على عرشه، وأن رحمته تغلب غضبه، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا حين يمضي شطر الليل فيقول: «**من يستغفرني فأغفر له؟**»[1].

وأنه كلَّم موسى تكليماً، وأنه تجلَّى للجبل فجعله دكًّا، واتَّخذ إبراهيم خليلاً، وأنه نادى آدم وحواء، ونادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة، وأنه خلق آدم بيديه، وأنه يقبض سماواته بإحدى يديه والأرض باليد الأخرى يوم القيامة.

فصلٌ

ومنها: الاستماع إلى حديث قومٍ لا يُحِبُّون استماعه، وتخبيب المرأةِ على زوجها؛ والعبدِ على سيِّده، وتصوير صور الحيوان ـ كان لها ظلٌّ؛ أو لم يكن ـ، وأن يُري عينيه في المنام ما لمترياه.

---

(١) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب التَّهجُّد/ باب الدُّعاء والصَّلاة من آخر الليل ـ الحديث رقم (١١٤٥) ـ ١/ ٣٤١]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب التَّرغيب في الدُّعاء والذِّكر في آخر الليل والإجابة فيه ـ الحديث رقم (٧٥٨) ـ ١/ ٥٢١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخـذ الـرِّبـا وإعطـاؤه؛ والشهـادة عليـه وكتـابتـه، وشـرب الخمـر؛ وعصرها واعتصارها؛ وحملها وبيعها وأكل ثمنها، ولعن من لم يستحقَّ اللَّعن.

وإتيان الكهنة والمُنجِّمين والعرَّافين والسَّحرة؛ وتصديقهم والعمل بأقوالهم، والسجود لغير الله، والحلف بغيره، واتخاذ القبور مساجد، وجعلها أوثاناً وأعياداً يسجدون لها تارة؛ ويُصلُّون إليها تارة؛ ويطوفون بها تارة، ويعتقدون أنَّ الدُّعاء عندها أفضل من الدُّعاء في بيوت الله التي شرع أن يُدعى فيها ويُعبد؛ ويُصلَّى له ويُسجد.

ومنهـا: معـاداة أوليـاء الله، وإسبـال الثيـاب مـن الإزار[1] والسَّـراويـل والعمامة وغيرها، والتبختر في المشي، واتباع الهوى؛ وطاعة الهوى؛ وطاعة الشُّح؛ والإعجاب بالنفس، وإضاعة من تلزمه مُؤنته ونفقته من أقاربه وزوجته ورقيقه ومماليكه، والذبح لغير الله، وهجر أخيه المسلم سَنَةً، كما في صحيح الحاكم من حديث أبـي خراشٍ السُّلميِّ عن النبـيِّ ﷺ: **«من هجر أخاه سَنَةً: فهو كقتله»**[2].

---

(١) في الأصل المخطوط: (الإزرار).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه [كتاب البرِّ والصِّلة/ الحديث رقم (٧٢٩٢) ـ ٤/ ١٨٠]، وقـال: (هـذا حـديـثٌ صحيـح الإسنـاد، ولـم يُخـرجـاه)، ووافقـه الذَّهبـيُّ.

والحـديـث أخـرجـه أيضـاً: أحمـد فـي مسنـده [الحـديـث رقـم (١٧٩٣٥) ـ ٢٩/ ٤٥٥]، والبخاريُّ في أدبه المفرد [باب من هجر أخاه سنة/ الحديث رقم (٤٠٤) ـ ص ١٤٦]، وأبو داود في سننه [كتاب الأدب/ باب فيمن يهجر أخاه المسلم ـ الحديث رقم (٤٩١٥) ـ ٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦].

انظر: صحيح الأدب المفرد للألبانيِّ [الحديث رقم (٣١٣) ـ ص ١٥٩].

وأما هجره فوق ثلاثة أيامٍ: فيحتمل أنه من الكبائر، ويحتمل أنه دونها[1].

ومنها: الشفاعة في إسقاط حدود الله، وفي الحديث عن ابن عمر يرفعه: «**من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله: فقد ضادَّ الله في أمره**»، رواه أحمد وغيره بإسنادٍ جيِّدٍ[2].

ومنها: تكلُّم الرَّجل بالكلمة من سخط الله؛ لا يُلقي لها بالاً.

---

(١) يدلُّ على الاحتمال الأوَّل ــ وأنَّها من الكبائر لا دونها ــ: ما أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٦٢٥٧) ــ ٢٦/١٨٨]، والبخاريُّ في أدبه المفرد [باب المهتجرين ــ الحديث رقم (٤٠٦) ــ ص ١٤٧] من حديث هشام بن عامر الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليالٍ، فإن كان تصارما فوق ثلاثٍ: فإنَّهما ناكبان عن الحقِّ ما داما على صرامهما، وأوَّلهما فيئاً: فسبقه بالفيء كفَّارته، فإن سلَّم عليه فلم يردَّ عليه؛ وردَّ عليه سلامه: ردَّت عليه الملائكة؛ وردَّ على الآخر الشَّيطان، فإن ماتا على صرامهما: لم يجتمعا في الجنَّة أبداً**».
قال الهيثمي رحمه الله تعالى في [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/٦٦]: (رجال أحمد: رجال الصَّحيح).
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانيِّ [الحديث رقم (١٢٤٦) ــ ٣/٢٤٩].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٥٣٨٥) ــ ٩/٢٨٣]، وأبو داود في سننه [كتاب الأقضية/ باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ــ الحديث رقم (٣٥٩٧) ــ ٤/٢٣] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.
وأخرجه بلفظه: الطبرانيُّ في معجمه الكبير [الحديث رقم (١٣٠٨٤) ــ ١٢/٢١٠]، والحاكم في مستدركه [كتاب البيوع/ الحديث رقم (٢٢٢٢) ــ ٢/٣٢ ــ ٣٣].
انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني [الحديث رقم (٤٣٧) ــ ١/٢/٧٩٨ ــ ٧٩٩].

ومنها: أن يدعو إلى بدعةٍ أو ضلالةٍ أو ترك سنةٍ، بل هذا من أكبر الكبائر، وهو مضادةٌ لرسول الله ﷺ.

ومنها: ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث المُستورد بن شداد[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل بمسلمٍ أكلةً: أطعمه الله بها أكلة من نَّار جهنَّم يوم القيامة، ومن قام بمسلمٍ مقام سمعةٍ: أقامه الله يوم القيامة مقام رياءٍ وسمعةٍ، ومن اكتسى بمسلمٍ ثوباً: كساه الله ثوباً من نار جهنَّم يوم القيامة**»[2].

ومعنى الحديث: أنه تَوَصَّلَ إلى ذلك؛ وتوسَّل إليه بأذى أخيه المسلم من كذبٍ عليه؛ أو سُخريةٍ؛ أو همزةٍ؛ أو لمزةٍ؛ أو غيبةٍ، والطَّعن عليه، والازدراء به، والشَّهادة عليه بالزُّور، والنَّيل من عرضه عند عدوِّه، ونحو ذلك مما كثيرٌ من الناس واقعٌ في وسطه، والله المستعان.

ومنها: التَّبجُّح والافتخار بالمعصية بين أصحابه وأشكاله، وهو الإجهار الذي لا يُعافي الله صاحبه، وإن عافى مَنْ سَتَرَ نفسه.

---

(١) في الأصل المخطوط: (راشد).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه [كتاب الأطعمة/ الحديث رقم (٧١٦٦) ــ ٤/ ١٤٢]، وقال: (هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه)، ووافقه الذَّهبيُّ.
والحديث أخرجه أيضاً: أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٨٠١١) ــ ٢٩/ ٥٣٩]، والبخاريُّ في أدبه المفرد [باب المسلم مرآة أخيه ــ الحديث رقم (٢٤١) ــ ص ٦٠]، وأبو داود في سننه [كتاب الأدب/ باب في الغيبة ــ الحديث رقم (٤٨٨١) ــ ٥/ ١٩٥].
انظر: صحيح سنن أبي داود للألبانيِّ [الحديث رقم (٤٨٨١) ــ ٣/ ١٩٧ ــ ١٩٨].

ومنها: أن يكون له وجهان ولسانان، فيأتي القوم بوجهٍ ولسانٍ، ويأتي غيرهم بوجهٍ ولسانٍ آخر.

ومنها: أن يكون فاحشاً بذيّاً يتركه النَّاس ويحذرونه اتقاء فحشه.

ومنها: مخاصمة الرَّجل في باطلٍ يعلم أنه باطلٌ، ودعواه ما ليس له وهو يعلم أنه ليس له.

ومنها: أن يدَّعي أنه من بيت رسول الله ﷺ وليس منهم، أو يدَّعي أنه ابن فلانٍ وليس بابنه، وفي الصحيحين: «**من ادَّعى إلى غير أبيه: فالجنة عليه حرامٌ**»[1].

وفيهما أيضاً: «**لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه: فهو كافر**»[2].

---

(١) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الفرائض/ باب من ادعى إلى غير أبيه ـ الحديث رقم (٦٧٦٦ ـ ٦٧٦٧) ـ ٥/ ٢١١٣]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ـ الحديث رقم (٦٣) ـ ١/ ٨٠] من حديث سعد بن أبي وقاصٍ وأبي بكرة الثقفيِّ رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.

(٢) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الفرائض/ باب من ادعى إلى غير أبيه ـ الحديث رقم (٦٧٦٨) ـ ٥/ ٢١١٣]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ـ الحديث رقم (٦٢) ـ ١/ ٨٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.
وأخرجه بلفظه: ابن منده في كتابه الإيمان [ذكر قول النَّبيِّ ﷺ من ادَّعى إلى غير أبيه فليس منَّا واختلاف الألفاظ فيه ـ الحديث رقم (٥٩١) ـ ٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩].

وفيهما أيضاً: «**ليس من رجلٍ ادَّعى لغير أبيه وهو يعلمه: إلا كفر، ومن ادَّعى ما ليس له: فليس منَّا، وليتبوأ مقعده من النَّار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدوَّ الله؛ وليس كذلك: إلا حار عليه**»(١).

فمن الكبائر: تكفير من لم يُكفِّره الله ورسوله.

ومنها: أن يُحدث حدثاً في الإسلام؛ أو يُأوي مُحدثاً وينصره ويُعينه، وفي الصحيحين: «**من أحدث حدثاً أو آوى مُحدثاً: فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً**»(٢).

ومن أعظم الحدث: تعطيل كتاب الله وسنة رسول الله، وإحداث ما خالفهما، ونصر من أحدث ذلك والذَّبُّ عنه، ومعاداة من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب المناقب/ باب (٥) ـ الحديث رقم (٣٥٠٨) ـ ٣/ ١٠٩١]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ـ الحديث رقم (٦١) ـ ١/ ٧٩ ـ ٨٠] من حديث أبـي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه، واللفظ لمسلمٍ.

(٢) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب فضائل المدينة/ باب حرم المدينة ـ الحديث رقم (١٨٦٧، ١٨٧٠) ـ ١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب فضل المدينة ودعاء النَّبـيِّ ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها ـ الحديث رقم (١٣٦٧، ١٣٧٠) ـ ٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٨] من حديث عليِّ بن أبـي طالبٍ وأنس بن مالكٍ رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.
وانفرد مسلمٌ بإخراجه في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب فضل المدينة ودعاء النَّبـيِّ ﷺ فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمها ـ الحديث رقم (١٣٧١) ـ ٢/ ٩٩٩] من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.

ومنها: إحلال شعائر الله في الحرم والإحرام، كقتل الصيد واستحلال القتال في حرم الله.

ومنها: لبس الحرير والذهب للرِّجال، واستعمال أواني الذَّهب والفضَّة للرِّجال.

وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**الطِّيرة شركٌ**»[1]. فيحتمل: أن يكون من الكبائر، وأن يكون دونها.

ومنها: الغلول من الغنيمة.

ومنها: غشُّ الإمامِ والوالي الرعيةَ.

ومنها: أن يتزوَّج ذات محرمٍ منه، أو يقع على بهيمةٍ.

ومنها: المكر بأخيه المسلم ومخادعته ومضارَّته، وقال النبي ﷺ: «**ملعونٌ من مكر بمسلمٍ؛ أو ضارَّ به**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٣٦٨٧) ــ ٦/ ٢١٣]، والبخاريُّ في أدبه المُفرد [باب ما يقول الرَّجل إذا رأى غيماً/ الحديث رقم (٩٠٩) ــ ص ٣١٣]، وأبو داود في سننه [كتاب الطِّب/ باب في الطِّيرة ــ الحديث رقم (٣٩١٠) ــ ٤/ ٢٣٠]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب السِّير/ باب ما جاء في الطِّيرة ــ الحديث رقم (١٦١٤) ــ ٣/ ٢٥٨ ــ ٢٥٩]، وابن ماجه في سننه [كتاب الطِّب/ باب من كان يُعجبه الفأل ويكره الطِّيرة ــ الحديث رقم (٣٥٣٨) ــ ٤/ ١٣٢] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).
انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألبانيِّ [الحديث رقم (٢٨٦٦) ــ ٣/ ١٨٢].

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ في جامعه [أبواب البرِّ والصِّلة/ باب ما جاء في الخيانة والغشِّ ــ الحديث رقم (١٩٤١) ــ ٣/ ٤٩٥] من حديث أبـي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه. =

ومنها: الاستهانة بالمصحف وإهدار حرمته، كما يفعله من لا يعتقد أن فيه كلام الله؛ مِنْ وطئه برجله ونحو ذلك.

ومنها: أن يُضلَّ أعمى عن الطريق، وقد لعن النَّبيُّ ﷺ من فعل ذلك[1]، فكيف بمن أضلَّ عن طريق الله أو صراطه المستقيم.

ومنها: أن يَسِمَ إنساناً أو دابة في وجهها، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك[2].

ومنها: أن يحمل السِّلاح على أخيه المسلم، فإن الملائكة تلعنه[3].

ومنها: أن يقول ما لا يفعل، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾[4].

= قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (هذا حديثٌ غريبٌ).
وفي إسناده: فرقد السَّبخيُّ، تكلَّم غيرُ واحدٍ فيه من قِبَلِ حفظه، كما قال أبو عيسى التِّرمذيُّ؛ عند حديث: «**لا يدخل الجنَّة: سيء المَلَكَة**» الآتي الذِّكر.
وانظر: ضعيف سنن التِّرمذيِّ للألبانيِّ [الحديث رقم (١٩٤١) ــ ص ٢٠٨].

(١) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٨٧٥) ــ ٣/ ٣٦٧ ــ ٣٦٨] من حديث عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما.
قال الهيثمي رحمه الله تعالى في [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/ ١٠٣]: (رواه أحمد، ورجاله رجال الصَّحيح).

(٢) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب اللباس والزِّينة/ باب النَّهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه ــ الحديث رقم (٢١١٨) ــ ٣/ ١٦٧٣] من حديث عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب البرِّ والصِّلة والآداب/ باب النَّهي عن الإشارة بالسِّلاح إلى مسلمٍ ــ الحديث رقم (٢٦١٦) ــ ٤/ ٢٠٢٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة الصف: الآية ٣.

ومنها: الجدال في كتاب الله ودينه بغير علمٍ.

ومنها: إساءة المَلَكَة برقيقه، وفي الحديث: «لا يدخل الجنَّة: سيء المَلَكَة»[1].

ومنها: أن يمنع المحتاج فضل ما لا يحتاج إليه مما لم تعمل يداه.

ومنها: القمار، وأما اللَّعب بالنَّرد: فهي من الكبائر، لتشبيه لاعبه بمن صبغ يده في لحم الخنزير ودمه[2]، ولا سيما إذا أكل المال به، فحينئذٍ: يتمُّ التشبيه، فإن اللَّعب بمنزلة غمس اليد، وأكل المال بمنزلة أكل لحم الخنزير.

ومنها: ترك الصلاة في الجماعة، وهو من الكبائر، وقد عزم رسول الله ﷺ على تحريق المُتخلِّفين عنها[3]، ولم يكن لِيُحرِّق مرتكب صغيرة.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٧٥) ـ ١/ ٢٣٧]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب البرِّ والصِّلة/ باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم ـ الحديث رقم (١٩٤٦) ـ ٣/ ٤٩٨]، وابن ماجه في سننه [كتاب الأدب/ باب الإحسان إلى المماليك ـ الحديث رقم (٣٦٩١) ـ ٤/ ١٩٩] من حديث أبـي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه.
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تكلَّم أيُّوبُ السَّختيانيُّ وغير واحدٍ في فرقدٍ السَّبخيِّ من قِبَلِ حفظه).
وانظر: ضعيف سنن التِّرمذيِّ للألبانيِّ [الحديث رقم (١٩٤٦) ـ ص ٢٠٩].

(٢) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الشِّعْر/ باب تحريم اللعب بالنردشير ـ الحديث رقم (٢٦٦٠) ـ ٤/ ١٧٧٠] من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه [كتاب الأذان/ باب وجوب صلاة الجماعة ـ الحديث رقم (٦٤٤) ـ ١/ ٢٠٦] من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

ومنها: ترك الجمعة، وفي صحيح مسلمٍ: «**لينتهينَّ أقوامٌ عن ودْعِهُم الجمعات، أو ليختمنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنَّ من الغافلين**»(١).

وفي السنن بإسنادٍ جيِّدٍ: «**من ترك ثلاث جمعٍ تهاوناً: طبع الله على قلبه**»(٢).

ومنها: أن يقطع ميراث وارثه من تركته، أو يدلَّه على ذلك، ويُعلِّمه الحيلَ ما يخرج به من الميراث.

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الجمعة/ باب التَّغليظ في ترك الجمعة ــ الحديث رقم (٨٦٥) ــ ٢/ ٥٩١] من حديث عبد الله بن عمر وأبـي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الخمسة: أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٥٤٩٨) ــ ٢٤/ ٢٥٥]، وأبو داود في سننه [كتاب الصَّلاة/ باب التَّشديد في ترك الجمعة ــ الحديث رقم (١٠٥٢) ــ ١/ ٦٣٨]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب الجمعة/ باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذرٍ ــ الحديث رقم (٥٠٠) ــ ١/ ٥٠٩ ــ ٥١٠]، والنسائيُّ في سننه الكبرى [كتاب الجمعة/ باب التَّشديد في التَّخلف عن الجمعة ــ الحديث رقم (١٦٦٨) ــ ٢/ ٢٥٨ ــ ٢٥٩]، والمُجتبى [كتاب الجمعة/ باب التَّشديد في التَّخلف عن الجمعة ــ الحديث رقم (١٣٦٨) ــ ٣/ ٩٧ ــ ٩٨]، وابن ماجه في سننه [كتاب إقامة الصَّلاة/ باب فيمن ترك الجمعة من غير عذرٍ ــ الحديث رقم (١١٢٥) ــ ٢/ ٢٦] من حديث أبـي الجعد الضَّمريِّ رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.
وأخرجه بلفظه: ابن عبد البرِّ في تمهيده [١٦/ ٢٤٠].
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (حديث أبـي الجعد: حديثٌ حسنٌ).
انظر: صحيح سنن أبـي داود للألبانيِّ [الحديث رقم (٩٦٥) ــ ٤/ ٢١٨ ــ ٢٢٠].

ومنها: الغلوُّ في المخلوق حتى يتعدَّى به منزلته، وهذا قد يرتقي من الكبيرة إلى الشِّرك، وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إياكم والغلوَّ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ»**(١).

ومنها: الحسد، وفي السنن أنَّه: **«يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب»**(٢).

ومنها: المرور بين يدي المُصلِّي، ولو كانت صغيرة: لم يأمر النَّبيُّ ﷺ بقتال فاعله، ولم يجعل وقوفه عن حوائجه ومصالحه أربعين عاماً ــ كما في مسند البزَّار(٣) ــ خيراً له من

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٨٥١) ــ ٣/ ٣٥٠ ــ ٣٥١]، والنَّسائيُّ في سننه [كتاب المناسك/ باب التقاط الحصى ــ الحديث رقم (٣٠٥٧) ــ ٥/٢٩٦]، وابن ماجه في سننه [كتاب المناسك/ باب قدر حصى الرَّمي ــ الحديث رقم (٣٠٢٩) ــ ٣/ ٤٧٦] من حديث عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.
وأخرجه بلفظه: أحمد في مسنده [الحديث رقم (٣٢٤٨) ــ ٥/ ٢٩٨].
وإسناده صحيحٌ على شرط مسلمٍ، كما قاله النَّوويُّ رحمه الله تعالى في المجموع ٨/ ١٧٢، وابن تيميَّة رحمه الله تعالى في اقتضاء الصِّراط المستقيم ١/ ٢٩٣.
انظر: صحيح سنن النَّسائيِّ للألبانيِّ [الحديث رقم (٣٠٥٧) ــ ٢/ ٣٥٦].

(٢) أخرجه البخاريُّ في تاريخه الكبير [الترجمة رقم (٨٧٦) ــ ١/ ٢٧٢ ــ ٢٧٣]، وأبو داود في سننه [كتاب الأدب/ باب في الحسد ــ الحديث رقم (٤٩٠٣) ــ ٥/ ٢٠٨ ــ ٢٠٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وابن ماجه في سننه [كتاب الزُّهد/ باب الحسد ــ الحديث رقم (٤٢١٠) ــ ٤/ ٤٧٣] من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.
قال البخاريُّ رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير: (ولا يصحُّ).
انظر: ضعيف سنن أبي داود للألبانيِّ [الحديث رقم (٤٩٠٣) ــ ص ٤٠١].

(٣) قال الهيثمي رحمه الله تعالى في [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢/ ٦١]: (رواه =

مروره بين يديه، والله أعلم)[1].

فصلٌ

وهذه الكبائر التي لا يُرجى الخلاص منها إلا بالتوبة النَّصوح، فمن أصرَّ عليها ولم يتب منها: خُشِيَ عليه، ومصيبته مصيبةٌ عظيمةٌ، وجريمته ما مثلها جريمةٌ، وربما يُخشى على فاعلها من الموت على غير الإسلام، أو أنه يُخْسَفُ به، أو يُمْسَخُ، أو يموت بشؤم موتةٍ، من قتلٍ، أو مرضٍ يشقُّ[2]؛ أو نحو ذلك.

ولو لم يمت كذلك: فلينظر ما يجري للنفس الخبيثة من إزعاج الملائكة لها؛ ونَتَنِها، وطرحها من السماء، وسبِّها كلما مرَّت على ملأٍ، وضرب الملائكة لها، ونحو ذلك.

وهذا كلُّه يهون عند الميزان؛ وظهور الرِّبح والخسران، وهذا يهون عند تطاير الصحف ذات اليمين وذات الشِّمال، وهذا يهون عند عذاب النَّار،

= البزَّار، ورجاله رجال الصَّحيح، وقد رواه ابن ماجه غير قوله: «خريفاً»).
يُشيرُ الهيثمي رحمه الله تعالى إلى ما أخرجه ابن ماجه في سننه [كتاب إقامة الصَلاة والسُّنَّة فيها/ باب المرور بين يدي المُصلِّي ــ الحديث رقم (٩٤٥) ــ ١/ ٥٠٥] من حديث أبـي جُهيمٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه.
والحديث أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الصَّلاة/ باب إثم المارِّ بين يدي المُصلِّي ــ الحديث رقم (٥١٠) ــ ١/ ١٧٢ ــ ١٧٣]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الصلاة/ باب سترة المُصلِّي ــ الحديث رقم (٥٠٧) ــ ١/ ٣٦٣ ــ ٣٦٤].

(١) انتهى ما نقله المؤلف رحمه الله تعالى من كلام الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه: [إعلام الموقعين عن ربِّ العالمينِ] في الفصل الذي عقده في: (تعداد الكبائر).

(٢) هذا ما تبيَّن لي في قراءة كلمات هذا السَّطر، التي وجدت في قراءتها بسبب اشتباك حروفها وعدم إعجامها: المشقَّة والعسر.

وهذا يهون عند غضب الجبَّار، عندما يقول: ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1].

فانظر ما تصنع بنفسك؛ وانظر خلافه.

فصلٌ

والصغائر فيهن إثمٌ، لَكِنْ يُتَطَيَّبُ عند الطاعة[2]، فإن النَّبـيَّ ﷺ يقول: «**الجمعة إلى الجمعة؛ ورمضان إلى رمضان: كفارةٌ لما بينهما ما اجْتُنِبَتْ الكبائرُ**»[3].

ولأنه لما قال له الرَّجل الذي لَقِيَ المرأة وأصاب منها كلَّ ما يُصيب الرَّجل من امرأته إلا النِّكاح: فأمره أن يتوضأ ويُصلِّي العصر[4]، فدلَّ على أنَّه يُكفِّر هذا.

والصلوات الخمس تُكفِّر جميع الصغائر؛ وكذا الوضوء، لأن في الحديث: «**إذا توضأ الرَّجل فأحسن الوضوء؛ فإذا غسل يديه: خرجت كلُّ خطيئةٍ عملها بيديه، وإذا غسل وجهه: خرجت**

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٨.

(٢) هذا ما تبيَّن لي في قراءة كلمات هذا السَّطر، التي وجدت في قراءتها بسبب اشتباك حروفها وعدم إعجامها: المشقَّة والعسر.

(٣) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الطهارة/ باب الصَّلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفِّراتٌ لما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائر ــ الحديث رقم (٢٣٣) ــ ١/٢٠٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاريُّ في صحيحه [كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ ــ الحديث رقم (٤٦٨٧) ــ ٣/١٤٤٢]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب التوبة/ باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ ــ الحديث رقم (٢٧٦٣) ــ ٤/٢١١٥ ــ ٢١١٧] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كلُّ خطيئةٍ نظرها، وإذا غسل رجليه: خرجت كلُّ خطيئةٍ مشى إليها»[1].

وكذا الصيام يُكفِّر الصغائر؛ وكذا الحجُّ، لأن في الحديث: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق: رجع كيوم ولدته أمُّه»[2].

وكذا الجهاد والصَّدقة والصلاة على الجنائز، وصلاة التَّطوُّع وصدقة التَّطوُّع وحجُّ التَّطوُّع وجهاد التَّطوُّع ونحوه.

فصلٌ

وهذه الدُّنيا ليس خُلِقَت للدَّوام حتى يعمل الإنسان فيها هذه الكبائر، فإنَّها عن قليلٍ تنفد وتزول، ويبقى التَّبعة على الإنسان، فمن عنده أدنى عقلٍ لم يفعل شيئاً[3] من هذا، ويعتبر بالموت كيف يأخذ الناس واحداً بعد واحدٍ، وينظر إلى هذه الدُّنيا وسرعة تقلُّبها بأهلها، لكن الشَّيطان وهوى الإنسان: يلقيانه في الخسران، كما قيل:

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الطهارة/ باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ــ الحديث رقم (٢٤٤) ــ ١/ ٢١٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.

(٢) أخرجه الشَّيخان: البخاريُّ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب فضل الحجِّ المبرور ــ الحديث رقم (١٥٢١) ــ ١/ ٤٥٥]، ومسلمٌ في صحيحه [كتاب الحجِّ/ باب في فضل الحجِّ والعمرة ويوم عرفة ــ الحديث رقم (١٣٥٠) ــ ٢/ ٩٨٣ ــ ٩٨٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.

وأخرجه بلفظه: أبو داود الطيالسيُّ في مسنده [الحديث رقم (٢٦٤١) ــ ٤/ ٢٥٣]، والبيهقيُّ في سننه الكبرى [كتاب الحجِّ/ باب فضل الحجِّ والعمرة ــ ٥/ ٢٦١].

(٣) في الأصل المخطوط: (شيء).

جنود المكاره أربعٌ ما جُنِّدت إلا لعظم شقاوتي وبلائي
إبليس والدُّنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وهذه أعدائي[1].

قال بعض السَّلف: (ما ترك ذكر الموت لنا قُرَّة عينٍ في أهلٍ ولا مالٍ)[2].

وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول: (يا دار؛ تخربين ويموت سُكَّانكِ)[3].

كما قيل:

قد نادت الدُّنيا على نفسِها لو كان في العالَمِ من يسمعُ
كم واثقٍ بالعمر أفنيتِه وجامعٍ بدَّدتِ ما يجمعُ[4].

وقال بعضهم: (ذهب ذكر الموت بلذَّة كلِّ عيشٍ؛ وسرور كلِّ نعيمٍ). ثمَّ بكى وقال: (واهاً لدارٍ لا موت فيها)[5].

فصلٌ

ومن ترك هذا: فله النَّعيم المقيم، في دارٍ ذات مُلكٍ عظيمٍ، لا يفنى شبابها؛ ولا تُبلى ثيابها؛ ولا يفنى نعيمها؛ ولا يبيد حسنها وإحسانها، أدناهم له مثل الدُّنيا عشر مرَّاتٍ، وأعلاهم ينظر إلى ربِّه بكرة وعشيًّا، بناؤها: الدرُّ والياقوت والمرجان.

---

(١) لم أقف عليها، وذكر نحوها العجلوني في [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النَّاس ١/ ٤٠]، ولم يعزها لقائلٍ.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجها الخطيب البغداديُّ في [تاريخ بغداد ٤/ ٦٦] عن أحمد بن جعفر البرمكي.

(٥) لم أقف عليه، وذكر نحوه المناوي في [فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٣]، ولم يعزه لقائلٍ.

روى إسحاق بن عمير[1] عن بعض مشايخه قال: (الجنة مائة درجةٍ، أوَّلها: درجة فضةٍ، وأرضها فضةٌ؛ ومساكنها فضةٌ؛ وترابها المسك.

والثانية: ذهبٌ، وأرضها ذهبٌ؛ ومساكنها ذهبٌ؛ وترابها ذهبٌ.

والثالثة: لؤلؤٌ، وأرضها لؤلؤٌ؛ ومساكنها لؤلؤٌ؛ وترابها المسك.

وسبعٌ وتسعون بعد ذلك ما لا عينٌ رأت؛ ولا أذنٌ سمعت؛ ولا خطر على قلب بشرٍ، قال: ومُصدِّقه كلام الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2])[3].

وعن المغيرة بن شعبة يرفعه: «**سأل موسى عليه السَّلام ربَّه عزَّ وجلَّ: ما أدنى أهل الجنَّة منزلةً؟ فقال: هو رجلٌ يجيء بعدما يدخل أهل الجنَّةِ الجنةَ، فيقول له الربُّ تبارك وتعالى: ادخل الجنة، فيقول: كيف يا ربِّ وقد أخذ النَّاس منازلهم؛ وأخذوا أخذاتهم، فيقول: أترضى أن يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدُّنيا؟ فيقول: رضيت يا ربِّ، فيقول: لك ذلك؛ ومثله ومثله ومثله، فيقول: رضيت يا ربِّ، فيقول: لك ذلك وعشر أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك؛ وقرَّت عينك.**

قال: فما أعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرست كرامتهم بيدي؛ وختمت عليها، فلم تر عينٌ؛ ولم تسمع أذنٌ؛ ولم يخطر على قلب

---

(١) لم أقف له على ترجمة، سوى ما ذكره ابن حبان عنه في كتابه [الثقات: ٨/ ١١٥] بقوله: (إسحاق بن عمير القصير الغنويّ: من أهل الكوفة، يروي عن كلاب بن الوليد، روى عنه يعقوب بن سفيان).

(٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٣) أخرجه الطبريّ في [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ١٠٥] عن أبي اليمان الهوزنيّ أو غيره.

بشرٍ. قال: ومُصدِّقه كلام الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1]»[2].

وفي الحديث: «إن أدناهم منزلةً: من ينظر إلى خدمه ومُلكه مسيرة ألف عامٍ»[3].

وفي الحديث: «إن أدنى أهل الجنَّة منزلةً: من يستأذن ربَّه في ضيافة أهل الجنَّة، يقول: يا ربِّ لو أذنت لي لأطعمتهم وأسقيتهم»[4].

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها ـ الحديث رقم (١٨٩) ـ ١/ ١٧٦]، بلفظٍ نحوه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (٥٣١٧) ـ ٩/ ٢٢٩]، والتِّرمذيُّ في جامعه [أبواب صفة الجنَّة/ باب ١٧ ـ الحديث رقم (٢٥٥٣) ـ ٤/ ٣١٣] من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، بلفظٍ نحوه.
قال أبو عيسى التِّرمذيُّ رحمه الله تعالى في جامعه: (وقد رُوِيَ هذا الحديث من غير وجهٍ عن إسرائيل عن ثويرٍ عن ابن عمر مرفوعاً، ورواه عبد الملك بن أبجرٍ عن ثويرٍ عن ابن عمر موقوفاً، وروى عبيد الله الأشجعيُّ عن سفيانٍ عن ثويرٍ عن مجاهد عن ابن عمر قوله؛ ولم يرفعه).
وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانيِّ [الحديث رقم (١٩٨٥) ـ ٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥١].

(٤) أخرجه أحمد في مسنده [الحديث رقم (١٠٩٣٢) ـ ١٦/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظٍ نحوه.
والحديث ضعيفٌ؛ لضعف إسناده، ففيه رجلان مُتكلَّمٌ فيهما، أوَّلهما: شهر بن حوشب: صدوقٌ؛ كثير الإرسال والأوهام، وثانيهما: سُكين بن عبد العزيز: صدوقٌ؛ يروي عن الضُّعفاء.
انظر: تقريب التهذيب لابن حجر [الترجمة رقم (٢٤٦١، ٢٨٣٠)، ص ٢٤٥، ٢٦٩].

وحديث الذي يخرج من النَّار ويرى الشَّجرة[1]، وأحاديث كثيرة في هذا الباب[2]، والله أعلم.

فصلٌ

وقد أوضحت لك الطَّريق، فاختر لنفسك أيَّ الطريقين أردتَ، فإن أردتَ إلى ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾[3]، وإن أردتَ إلى نارٍ حاميةٍ.

وإن أردتَ أن تُؤتى كتابكَ بيمينكَ؛ وتقول: ﴿هَاؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾[4]، وهو ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾[5].

وإن أردتَ أن تُؤتى كتابكَ بشمالكَ وتقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝٢٩﴾[6].

وإن أردتَ أن تكون مِمَّن كُبَّ على وجهه في النَّار، وإن أردتَ تكون

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب آخر أهل النَّار خروجاً ــ الحديث رقم (١٨٧) ــ ١/ ١٧٤] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أفرد أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله تعالى كتاباً في ذكر أحاديث هذا الباب، والتي بلغت عدَّتها: ثلاثمائة وأربعة وخمسون حديثاً، وسمه بـ: (صفة الجنة)، كما أفرد ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتاباً في صفة الجنَّة، جعله في سبعين باباً، وسمه بـ: (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح).

(٣) سورة الحاقة: الآيتان ٢٢ ــ ٢٣.

(٤) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(٥) سورة الحاقة: الآيتان ٢١ ــ ٢٢.

(٦) سورة الحاقة: الآيات ٢٥ ــ ٢٩.

مِمَّن جاوزوا مع الملائكة الكرام، فقالوا لهم: يا ملائكة[1] الرَّحمن؛ أين الصِّراط والزِّحام؟ فقالوا: أبشروا؛ فقد جاوزتم الصِّراط بألف عامٍ.

فصلٌ

ومن كان يعمل هذه المعاصي: فلا يُسلَّم عليه؛ ولا يُردُّ سلامه؛ ولا يُقام له، ويُهجر، ولا يُصلَّى خلفه؛ ولا يُهنَّأ؛ ولا يُعزَّى؛ ولا يُكرم[2]، وهذا بخلاف زماننا، فإن فيه يُكرمون العاصي؛ ويُهينون العالِم العامل الزاهد، والحمد لله وحده.

فصلٌ

وهذه المُحرَّمات لو تركها: عُوِّضَ خيراً منها، فمن لا يُصلِّي تراه بالقلَّة والذِّلَّة، وتراه لو عمل ما عمل: لم تر معه بركةٌ، وكذا من لم يصم ولم يزكِّ، ومن أخذ الرِّبا، فلو ترك هذا الرِّبا: لعُوِّض بدله حلالاً، ولو ترك الزِّنا: لعُوِّض بدله حلالاً، ولو ترك السَّرقة: لعُوِّض بدله حلالاً، ولو ترك المعاصي جميعها: عُوِّض بدلها حلالاً.

وما ترك أحدٌ شيئاً لله: إلا عوَّضه الله خيراً منه، ولو لم يكن في الدُّنيا:

---

(١) في الأصل المخطوط: (الملائكة).

(٢) انظر في تقرير وسطية أهل السنة والجماعة بين قولَيْ أهل البدعة والشَّناعة في حكم مرتكب الكبيرة؛ وما يُعطى من الولاء بحسب رشاده، وما يُعطى من البراء بحسب فساده: التمام لما صحَّ في الروايتين والثلاث والأربع عن الإمام لابن أبي يعلى ٢/٢٥٩، أحكام القرآن لابن العربي ٢/٢٦٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٢٧، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨/٢٠٣ ــ ٢٢٢، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ٣/٥٧٨، الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ١/٢٢٩ ــ ٢٣٩؛ ٣/٣٧٣، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ١١/٤٣.

ففي الآخرة، ولهذا الدعاء: تارةً يُعجِّله الله لطالبه في الدُّنيا، وتارةً يُعوِّضه خيراً منه، وتارةً يُخلِّيه له إلى الآخرة.

ومن هذا حكاية المازنيِّ[1]: (أن ذمِّيًّا أعطاه مائة دينارٍ على أن يُقرأه كتاب سيبويه[2]، فقال: هذا كتابٌ يحتوي على ثلاثمائة آيةٍ وشيءٍ من كتاب الله، وأنا لا أستحلُّ أُمكِّن منها ذمِّياً)[3].

فجرى أن غنَّت جاريةٌ قُدَّامَ الواثق[4]:

---

(١) هو أبو عثمان بكر بن مُحمَّد بن عديٍّ البصريُّ، أستاذ النَّحو، تُوفِّي رحمه الله تعالى سنة سبعٍ وأربعين ومائتين؛ وقيل: بعد ذلك.
انظر في ترجمته: إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة للقفطيِّ ١/ ٢٨١ ـ ٢٩١، سير أعلام النبلاء للذَّهبيِّ ١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة للسيوطيِّ ١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٦.

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسيُّ البصريُّ، إمام النَّحو، تُوفِّي رحمه الله تعالى سنة ثمانين ومائة، وعاش نحو الأربعين، ومعنى سيبويه بالفارسيَّة: رائحة التُّفَّاح.
انظر في ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب البغداديِّ ١٢/ ١٩٥ ـ ١٩٩، إشارة التَّعيين في تراجم النُّحاة واللغويِّين لليماني ص ٢٤٢ ـ ٢٤٥، سير أعلام النبلاء للذَّهبيِّ ١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٣) في الأصل المخطوط: (ذمي).

(٤) هو أبو جعفر هارون بن مُحمَّد بن هارون الرَّشيد، وُلد لعشرٍ بقين من شعبان سنة ستٍّ وتسعين ومائة، وبُويع بالخلافة بعهدٍ من أبيه المُعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاته؛ وهو يوم الخميس تاسع عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، وتُوفِّي في يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذي الحجَّة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.
انظر في ترجمته: تاريخ الأمم والملوك للطبريِّ ٥/ ٢٧٣؛ ٢٩١ ـ ٢٩٢، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٤/ ٦٥ ـ ٨٤، تاريخ الخلفاء للسيوطيِّ ص ٣٨٦ ـ ٣٩٢.

أظلـــومُ إنَّ مُصـــابَكُـــمْ رجـــلاً   أهـــدى السَّـــلامَ تحيـــةً ظُلْـــمُ[1].

فاختلف أهل المجلس في إعراب (رجل)؟ فقال بعضهم: بالرَّفع، وبعضهم: بالنَّصب. وأصرَّت الجارية على النَّصب، وقالت: قاله المازنيُّ. فأُتِيَ به، فقال له الخليفة: ما الإعراب؟ فقال: النَّصب. وأوصى له فأعطاه ألف دينارٍ)[2].

فلما ترك المائة دينارٍ لله: عوَّضه الله ألف دينارٍ.

وحُكِيَ أنَّ بعضهم لَقِيَ ألف دينارٍ وهو فقيرٌ، فعرَّفها، فلقيه رجلٌ فقال: هي لي؛ ووصفها، فقال له: كم تُعطي واجدها؟ فلم يُعطه شيئاً، فقال: أعطه عشر دنانير، فلم يُعطه شيئاً، فقال: أعطه خمسة، فلم يُعطه شيئاً، فقال: أعطه دينارين، فلم يُعطه شيئاً، فقال: أعطه ديناراً، فلم يُعطه شيئاً، فدفعها إليه، فلما دفعها إليه قال له: والدي مات وخلَّف مالاً كثيراً، وأوصى أن يُتصدَّق ببعضه، ولا يُتصدَّق حتى يُحطَّ في كيسٍ ويرمى، فمن وجده وردَّه: يُدفع إليه، فدفع إليه مالاً.

---

(١) نسبه أبو الفرج الأصفهاني في [الأغاني ٩/ ١٥٦ ــ ١٦٠] إلى الحارث بن خالد المخزومي؛ في أبياتٍ له أوَّلها:
أقـــوى مـــن آلِ ظُليمـــةَ الحَـــزْمُ   فـــالغَمْـــرتـــانِ فـــأوْحَـــشَ الخَطْـــمُ.
وصحَّح الصفديُّ في [الوافي بالوفيات ١٠/ ٢١٢] نسبته إليه، فيما نسبه ابن خلكان في [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ٢٨٤] ــ نقلاً عن المُبرد ــ إلى العرجيِّ؛ وهو عبدالله بن عمر بن عمرو بن أمير المؤمنين عثمان بن عفَّانٍ رضي الله عنه.

(٢) انظر: الأغاني لأبـي الفرج الأصفهاني ٩/ ١٦٠ ــ ١٦١، معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧/ ١١١ ــ ١١٦، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ١/ ٢٨٤ ــ ٢٨٥.

وهذه قاعدةٌ مُطَّردةٌ: (أن من ترك لله شيئاً: عوَّضه الله خيراً منه).

وقد ذَكَرَ في كتاب: (روضة المحبين)[1] في هذا الباب شيئاً كثيراً، وقد رأيتُ حكاياتٍ في هذا الباب لا تُحصر، وقلَّ أن يُحيط بها بشرٌ.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ؛ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

وكان الفراغ منه يوم الاثنين؛ من شهر جمادى الأوَّل؛ سنة ستين وثمانمائةٍ؛ على يد مؤلِّفها: العبد الفقير؛ الذليل الحقير؛ الرَّاجي عفو ربِّه القدير؛ المعترف بالذَّنب والتقصير: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي المقدسيُّ الحنبليُّ الجمَّاعيليُّ، عفا الله عنه وعن جميع المسلمين، آمين؛ آمين؛ آمين.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ؛ وآله وصحبه وسلَّم.

سمع جميع هذا الكتاب: موسى بن عمران بن عامر الجمَّاعيليُّ[2]، وأبو بكر بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي[3]، وأحمد بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي[4]، وذلك بقراءتي في يوم الجمعة؛

---

(١) وَسَمَ الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى الباب السابع والعشرين في كتابه: (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) بعنوان: (فيمن ترك محبوبه حراماً فبُذِلَ له حلالاً، أو أعاضه الله خيراً منه) ص ٤٩٧ ــ ٥١٠.

وكذا ذكر هذه القاعدة المُطَّردة ضمن الفرائد القلائد؛ المودعة في كتابه: [الفوائد ص ١٦٦].

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) هو شهاب الدِّين أبو العبَّاس، العالم العابد؛ والشَّيخ الزَّاهد، وُلد سنة ستٍّ وخمسين وثمانمائة، وتوفِّي رحمه الله تعالى يوم الأحد حادي عشر رجب سنة =

في شهر جمادى الآخر؛ في سنة ستين وثمانمائةٍ، وأجزت لهم أن يرووا عنِّي جميع ما يجوز لي روايته بشرطه.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ؛ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي[1]

= خمس وتسعين وثمانمائة، ولم يُعمَّر إلا نحو الأربعين سنة.

انظر في ترجمته: الجوهر المُنضَّد في طبقات مُتأخِّري أصحاب أحمد لابن المبرد ص ٩ ــ ١٢، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للغزيِّ ١/ ١٣٥، السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد ١/ ١٢٠ ــ ١٢٣.

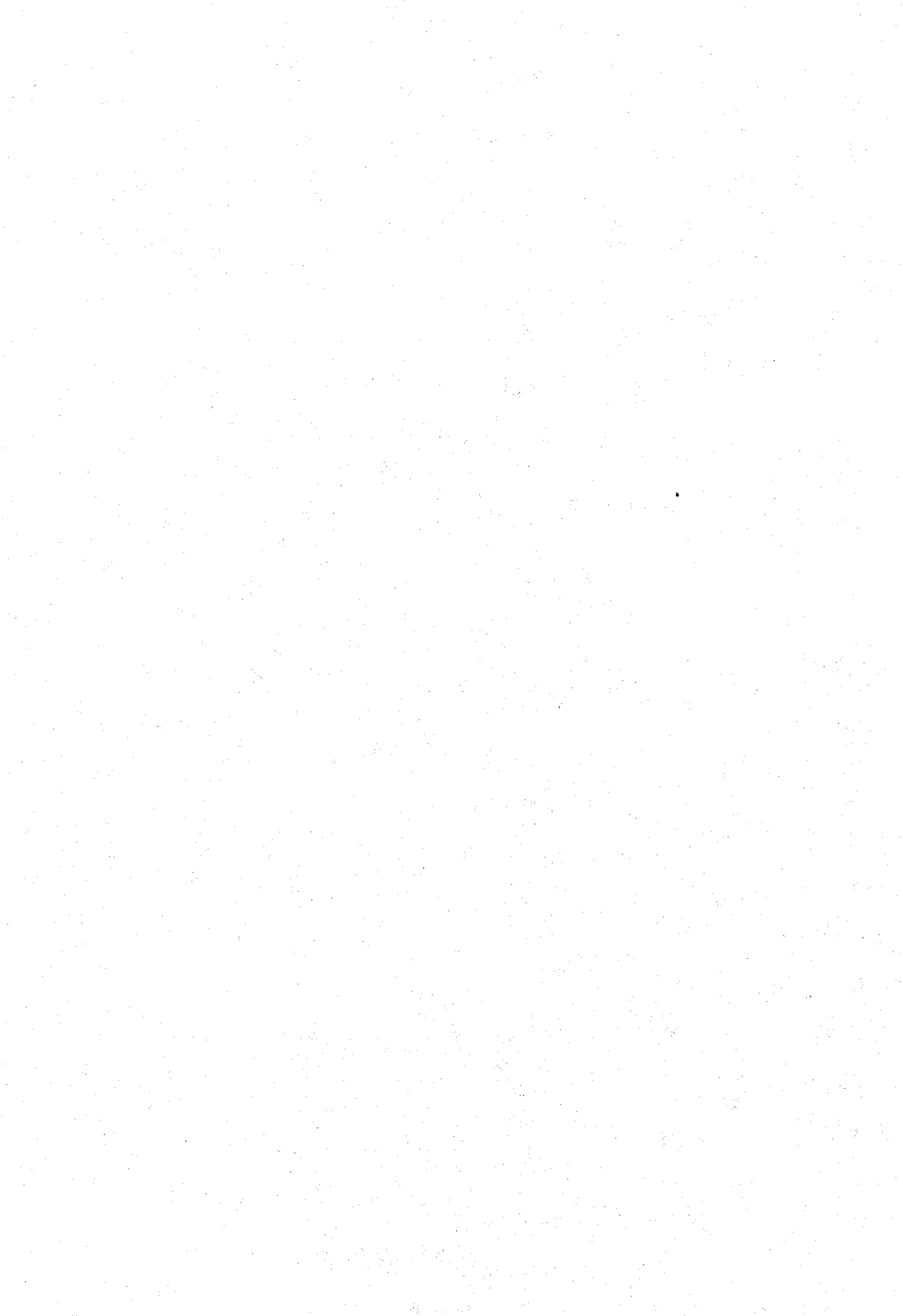
(١) قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ؛ وليد بن محمد بن عبد الله العليُّ: ختمتُ قراءتي لهذا الإرشاد؛ في مهوى أفئدة العباد، وعين البصر إلى الكعبة المُعظَّمة ناظرةٌ؛ وعين البصيرة قريرةٌ ناضرةٌ، بين عشاءي الجمعة ١٩ رمضان ١٤٢٤هـ؛ الموافق ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٣م.

وذلك بسماع الصاحِبَيْن الجليلين؛ والأخوين النَّبيلين: فضيلة الشيخ/ محمد بن ناصر العجمي؛ وفضيلة الدكتور/ أحمد بن فارس السلوم، وكان الاسترشاد؛ في حلِّ بعض مُلغزات ومُشكلات هذا الإرشاد: بفضيلة الشيخ/ نظام بن محمد يعقوبـي حفظهم الله ورعاهم؛ وسدَّد فهمهم وخطاهم.

وكان الفراغ من تقييد التعليق على هذا التحقيق: في يوم السَّبت ٥ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ؛ الموافق ٢٤ إبريل (نيسان) ٢٠٠٤م.

فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين؛ وعلى آله الطيِّبين؛ وأزواجه المُطهَّرين؛ وأصحابه الغُرِّ الميامين؛ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

الفهارس العامة



١ ـ فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	الرقم	السُّورة	الصفحة
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾	٩٣	النساء	٢٧
﴿ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	١٠٨	المؤمنون	٥٤
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾	١٧	السَّجدة	٥٧؛ ٥٨
﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴾	١٩	الحاقة	٥٩
﴿ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	٢١	الحاقة	٥٩
﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾	٢٢	الحاقة	٥٩
﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾	٢٣	الحاقة	٥٩
﴿ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴾	٢٥	الحاقة	٥٩
﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾	٢٦	الحاقة	٥٩
﴿ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾	٢٧	الحاقة	٥٩
﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾	٢٨	الحاقة	٥٩
﴿ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾	٢٩	الحاقة	٥٩
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	٣	الصَّفُّ	٤٩

* * *

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

* * *

٣ ـ فهرس الأقوال

* * *

٤ ـ فهرس الأشعار

* * *

٥ ـ فهرس الأعلام المُترجمين

* * *

٦ ـ فهرس الكلمات الغريبة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فصلٌ

فصلٌ

فصلٌ

فصلٌ

● ● ●





لِقاءُ ٱلعشْرِ ٱلأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرامِ
(٦٠)

تشحيذ الأفهام

في

إطلاقاتِ الأمرِ والنَّهي والاستفهامِ

تأليفُ
الشيخ العلَّامةِ الهُمام فخر الإسلام
عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ المغربيِّ الزَّبيديِّ اليمانيِّ
(ت ١٣٨٩ هـ)
رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
المهدي محمد الحرازي

أسهم بطبعه بعضُ أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلاميّة
لِلطّباعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوزيْع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

فضيلة الشيخ العلاَّمة السيد/
محمد بن علي بن إسماعيل البطاح الأهدل
حفظه الله تعالى

حمـداً لـربِّـي الخـالـق العليـمِ ... هـادي الـورى للعلـم والتعليـمِ
ثـم صـلاة الله تغشـى المصطفـى ... وآلــه وصحبــه أهــل الــوفــا
ثــم السـلام دائمـاً فـي الأبـدِ ... ونلتمــوا خيــراً بطـول الأمــدِ
تهـدي زبيدُ وسـامهـا للمهـدي ... لصنعـــه وبـــذلـــه للجهـــدِ
لنشــره (تشحيــذ أفهــام) غـدا ... في ثوبه الجديد يحكي العسجدا
مــؤلَّــفِ الإمــام عبـد اللّـٰــهِ ... سليـــل زيـــدِ مغْـــزبـــي الأواهِ
لــو مــا طبعـت لغـدا مبعثـرا ... وكـم نفيـس قـد غـدا مـدثـرا
بسبــب الإهمـــال والتـــوانـــي ... مـــن أهلـــه ونكبــة الــزمــانِ
أبرزت كنزاً غاب عن عين الأنامِ ... أظهرت بدراً قد ثوى ذاك الرغـامِ
فــريــد دهــره وحيــد العصــرِ ... شمـــس زبيـــد وقتـــه والبـــدرِ
لا تقــدر اللســـان والأقـــلامُ ... لـــوصفـــه ويعجـــز الكـــلامُ
جـزاه ربـي بـالجـزاء الـوافـرِ ... نـــال منـــاه مـــن إلـٰـه غـــافـــرِ
ونســأل الجليـل أن يـزيـدكـم ... مكثـــراً مـــن الشبـــاب مثلكـــم
ويفعلــوا مثـل الــذي فعلتمــوا ... لتُـرتَقـى العليـا كـذا أو الأنجـمُ

إلى المزيد يا همامَ اليمنَ   وغرّةً في دهرنا والزمنِ

أبقاك ربي عالماً ومرشدا   محقّقاً لكلِّ قُطرٍ سؤددا

وسامنا إليكموا دكتورُ   فاقبل حماك ربي الغفورُ

إليكموا تقريظنا خير الشبابِ   لنشركم تشحيذنا ذاك الكتابِ

سلامنا إليكموا ذاك الأديبُ   ما غرّد القمري كذا والعندليبُ

ثم الصلاة والسلام أبدا   على النبيِّ الهاشميِّ أحمدا

وآله وصحبه والتابعين   وكل فرد قد غدا في السالفين

كاتبها محمد نجل علي   يُنمى لبطاح سليل الأهدلِ

وكتبه

المأمون الشرعي

محمد علي إسماعيل البطاح

الربع الأعلى ـ زبيد

الجمهورية اليمنية

الافتتاحيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن الله تعالى ندب هذه الأمة إلى تفريغ طائفة منها للتفقه في الدين، وذلك لما له من أهمية عظيمة اقتضت التنبيه على العناية به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾[1].

وإنما كان الحظ والترغيب في التفقه في الدين لما جعل الله فيه من الخير العظيم، والأجر العميم، وفي ذلك يقول سيد الخلق ﷺ: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (فتح ١/ ٦٠) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، معلقاً، ورواه مسنداً في صحيحه (٦/ ٢١٧) كتاب فرض الخمس، حديث رقم (٣١١٦) وفي (١٣/ ٢٩٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، حديث رقم (٧٣١٢). =

فالفقه في الدين أجلّ العلوم قدراً، وأسماها شرفاً وذكراً، وذلك لما يتعلق به من مصالح العباد في المعاش والمعاد، وإنما يعرف شرف الشيء وقدره بتقدير فَقْدِه، وتصوير ضده، ولو قُدِّر فَقْدُ هذه المراسم المرعية والأحكام الشرعية الموضوعة لأفعال الإنسانية لصار الناس فوضى هملاً مضاعين، لا يأتمرون لأمر آمر، ولا ينزجرون لزجر زاجر، وفي ذلك من الفساد في العباد ما لا خفاء فيه.

وإذا كان هذا شأن الفقه وهذه مرتبته فما شأن أصوله التي منها استمداده وإليها استناده؟

ومما لا شك فيه أن الأصل أشرف من الفرع؛ إذ شرف الفرع من شرف أصله[1].

وليس بخافٍ على أهل العلم أن علم أصول الفقه مستمد من ثلاثة علوم، هي: علم الكلام، وعلم اللغة العربية، والأحكام الشرعية[2]، وهذا ليس بمطعن في هذا العلم الجليل، الذي يحكم العلوم ولا تحكمه، كما قال الشاعر:

أصول الفقه حاكم كل فنٍّ	وما فن نراه عليه حاكم
فلازمْ درسه في كل حال	ولازمْ ثم لازمْ ثم لازمْ[3]

= وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٩) كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث رقم (١٠٣٧)، وأخرجه ـ أيضاً ـ في صحيحه (٣/ ١٥٢٤) كتاب الإمارة، باب لا تزال الطائفة من أمتي. . . إلخ.

(١) انظر: الوصول إلى الأصول (١/ ٤٧ ـ ٤٨ بتصرف).

(٢) انظر: الإحكام للآمدي (١/ ٩)، ومختصر المنتهى لابن الحاجب (١/ ٣٢)، وبيان المختصر شرح مختصر الحاجب (١/ ٣٠)، وغاية الوصول إلى دقائق علم الأصول (ص ٦٣)، وغيرها.

(٣) انظر: دراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة (ص ٥).

ذلك لأنه وإن استمد بعض مباحث تلك العلوم إلاَّ أنه أضاف إليها إضافات جوهرية، وقدمها في ثوب جديد، وبأسلوب آخر.

وكان من بين تلك العلوم التي أضفى عليها علم الأصول تلك الصبغة: علم اللغة العربية.

«فإن الأصوليين دققوا النظر في فهم أشياء من كلام العرب لم تصل إليها النحاة ولا اللغويون، فإن كلام العرب متسع، والنظر فيه متشعب، فكتب اللغة تضبط الألفاظ ومعانيها الظاهرة، دون المعاني الدقيقة، التي تحتاج إلى نظر الأصولي باستقراء زائد على استقراء اللُّغَوي.

مثاله: دلالة صيغة (افعل) على الوجوب، و (لا تفعل) على التحريم، وكون (كل) وأخواتها للعموم، وغير ذلك مما هو من اللغة، لو فَتَّشْتَ في كتب اللغة لم تجد فيها شيئاً من ذلك غالباً، وغير ذلك من الدقائق اللُّغَوية، التي تعرَّض لها الأصوليون، وأخذوها من كلام العرب باستِقراءٍ خاص، وأدلة خاصة لا تقتضيها صناعة اللغة والنحو، مما سيدرك بالاِطلاع على العلمين»[1].

ومن تلك المباحث اللغوية التي اعتنى بها الأصوليون: الأمر، والنهي، والمعاني الأصلية لهما، والمعاني الأخرى التي ترد لها صيغتا الأمر والنهي عند وجود العلاقة والقرينة التي دلت على تلك المعاني الخارجة عن المعنى الأصلي، وكذا الاستفهام، ومعناه الأصلي، والمعاني التي تخرج لها الصيغة لوجود العلاقة مع القرينة، وإن كان اهتمامهم بالاستفهام أقل من سابقيه.

---

(١) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ١٣ ـ ١٤ بتصرف).

وهذه المباحث الثلاثة هي التي تتعرض لها هذه الرسالة العظيمة في قدرها، والقيمة في مقدارها، والعميمة في نفعها، فقد تَكَلَّمَتْ عن إطلاقات الأمر، والنهي، والاستفهام، بأسلوب فريد، يدرب على استخراج تلك المعاني، ومعرفة العلاقة والقَرينة اللتين برَّرتا خروج تلك الصيغ عن معانيها الأصلية.

وتكمن قيمة هذه الرسالة في أن مؤلفها إمام من أئمة اللغة العربية والعلوم الإسلامية في العصر الحديث، شهد له بالتفوق شيوخه وأقرانه، ودلَّت هذه الرسالة على تضلُّعه في تلك العلوم.

ولعظيم قدر هذه الرسالة قمت ـ على استحياء ـ بخدمتها، وذلك بالتعريف بمؤلفها، وبيان أهميتها، وتحقيق اسمها، وعرضها على مناهج البحث الحديثة، وتوثيق نصوصها، والتعليق على مسائلها، وترجمة أعلامها، وإخراجها في حُلَّةٍ قشيبة تسر الناظرين، وتؤدي بعض حق الشيخ المؤلف علينا.

وكان مما دفعني إلى إخراجها ـ بالإضافة إلى أهميتها العلمية ـ ما أراه من إهمال كبير لعلماء القطر اليماني[1]، الذين لا يقلون عن علماء البلدان الإسلامية الأخرى ـ إن لم يتميزوا في بعض الجوانب ـ، ولذلك فالعزم قائم على إخراج جميع تراث الشيخ عبد الله بن زيد الْمَعْزَبِيْ ـ رحمه الله تعالى ـ[2]، أداءً لحقه، وتخليداً لذكره، وحفاظاً على تراثه العظيم، وتكثيراً لثوابه بتعميم علمه على جميع البلدان الإسلامية.

---

(١) لمعرفة مدى الإهمال الواقع على علماء اليمن راجع الدراسة التي أعددتها بهذا الشأن المسماة: (تراجم علماء اليمن بين الواقع والطموح) تحت الطبع.

(٢) وكذا إخراج تراث غيره من الشيوخ الذين سأتمكن من العثور على مؤلفاتهم؛ لنفس السبب.

والمؤمل من سادتي علماء مدينة زبيد وأسرته الكرام أن يغفروا لي تَطَفُّلِي على هذه الرسائل، إذ إنهم الأقدر على خدمتها، وأن يعينوني على إخراج بقيتها، وأن يصححوا الخطأ، ويُكَمِّلوا النقص، ويَسُدُّوا الخلل، ويتجاوزوا عن الهنات، وينبهوني إلى ما ينبغي فعله.

ولا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتوجه بِكُلِّيَّتِي حامداً وشاكراً الله تعالى الذي وفقني لخدمة هذه الرسالة، وسخر لي من دلني عليها، ومن مكنني منها، ومن وجه إلي النصح في كيفية إخراجها، ومن نشرها لينتفع الناس بعلمها، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، وله الحمد حتى يرضى. ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾[1].

ولا يفوتني أن أتقدَّم بالشكر والتقدير للأستاذ الجليل أحمد محمد عبد الجليل الغزي؛ لتكرُّمه بتصوير هذه الرسالة من مكتبته العامرة، مع ما رافق ذلك من حسن خلق، وطيب معاملة.

وأجدني عاجزاً عن التعبير عن شكري وامتناني وتقديري لفضيلة شيخي العلاَّمة السيِّد محمد بن علي بن إسماعيل البطاح، الذي تكرَّم بقراءة هذه الرسالة بعد تحقيقها، وأكرمني بملاحظاته العلمية القيِّمة، مع تقريظ حافل بالفوائد العلمية القيِّمة، والحث على الاستمرار في نشر العلوم النافعة؛ فجزاه الله خيراً.

ودعائي بالرحمة والمغفرة للعالم الجليل شيخي وأستاذي رمزي سعد الدين دمشقية ــ رحمه الله تعالى ــ، الذي كان له إسهامات جليلة في نشر العلوم النافعة، وإحياء ما اندثر من عادات العلماء وخصالهم الكريمة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٢.

ودعائي بالتوفيق والنجاح لأحبابه الكرام الذين نذروا أنفسهم لخدمة العلم، وحراسة الدين، ومواصلة أداء الرسالة، نفع الله بهم وبعلومهم آمين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[1].

القاهرة في غرّة المحرم ١٤٢٤هـ الموافق ٤ مارس ٢٠٠٣م

وكتبه

المهدي محمد الحرازي

غفر الله له ولوالديه، آمين

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

ترجمة الشيخ العلاَّمة
عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي الزَّبِيْدِي(١)

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هـو الشيخ العلاَّمـة البحر الخِضَـم النبراس، شاعـر زمانـه، صاحـب التآليف العديدة، والأبحاث المفيدة، سيبويه زمانه أو الخليل، تحفة دهره، ذو المجد الأثيل، أبو محمد عبد الله بن زيد بن سالم بن يحيـى المَعْزَبِـي(٢) القَرْمُودِي(٣) ثم الزَّبِيْدِي(٤).

---

(١) من مصادر ترجمته: عطية الله المجيد وحثوة المزيد لتراجم أعيان القرن الرابع عشر مـن علمـاء اليمن وزبيـد، تأليـف الشيـخ العلامـة محمد بـن عبـد الجليـل الغـزي (٢/ ٣٣٨ ـ ٣٤٥) مخطوط في أربعة أجزاء، وجامعة الأشاعر زبيد، تأليف الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي (ص ١١٦ ـ ١٣٢)، مخطوطة الكتاب المعدة للطبعـة الثالثة، وتشنيـف الأسماع بشيـوخ الإجازة والسماع تأليـف الشيـخ محمـود سعيـد ممـدوح (ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩)، الطبعـة الأولـى، وزَبِيـد مسـاجـدهـا ومدارسها العلمية في التاريخ، تأليف الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي، (ص ١٥١ ـ ١٥٢)، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء والمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، طبعة ٢٠٠٠م.

(٢) نسبةً إلى بلد المعازبة، وسيأتي التعريف بها.

(٣) نسبةً إلى قرية القرمودية، وسيأتي التعريف بها.

(٤) نسبةً إلى زبيد، وهي المدينة التي كان فيها مولده الحقيقي، وبها تعلم وعلَّم. =

تاريخ ولادته ومحلها:

وُلد الشيخ العلامة عبد الله بن زيد المَغْزَبي القَرْمُودِي الزَّبِيْدِي في قرية القَرْمُودِية[1] من بلد المعازبة[2] التابعة لقضاء

= وزبيد هي بلاد العلم والعلماء والفقه والفقهاء والدين والصلاح والخير والفلاح، نالت دعوة النبي ﷺ بالبركة حين قدم عليه أبو موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ، ومدينة زبيد هي الحصيب، وسميت باسم واديها، وقد اختطّها ابن زياد عامل المأمون العباسي على بلاد اليمن في عام ٢٠٤هـ، وتقع بين البحر والجبل، ولها تاريخ عظيم، حيث كانت عاصمة الكثير من الدول التي حكمت اليمن، وهي حالياً قضاء في محافظة الحديدة، وقد اعتنى بها كثير من المؤرخين في القديم والحديث، فمن أبرز المتقدمين: الإمام محمد بن محمد بن منصور بن أسير من أهل زبيد في القرن الثامن الهجري في كتابه: الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد، والإمام ابن الديبع الشيباني، وقد أفردها في كتابيه: بغية المستفيد، والفضل المزيد في أخبار زبيد، وتكلم عنها في بقية كتبه التاريخية، مثل: قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ومن أبرز المتأخرين: المؤرخ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي في عدد من كتبه، ومنها: زَبِيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، وغير ذلك.

راجع: بغية المستفيد والفضل المزيد (ص ٤٧ وما بعدها) كلاهما لابن الديبع، ومجموع بلدان اليمن وقبائلها (١/ ٣٨٠ وما بعدها)، ومعجم المدن والقبائل اليمنية (ص ١٨٩ ــ ١٩١)، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون (ص ٣٧)، وزَبِيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ (ص ١٩٩).

(١) القرمودية: قرية في بلاد المعازبة، وتقع شمال شرق بيت الفقيه ابن عجيل.

(٢) المعازبة: من قبائل بيت الفقيه ابن عجيل، ومنها تتفرع الزرانيق، ثم غلب الفرع على الأصل وأصبحت المعازبة من أقسام الزرانيق، والمعازبة: طائفة يطلق عليهم اسم أصل القبيلة.

انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها (٤/ ٧١١، و٦٣٦)، ومعجم المدن والقبائل اليمنية (ص ٣٩٣).

بيت الفقيه[1] أحمد بن موسى عجيل[2].

وقد اخْتُلِفَ في تاريخ ميلاده:

فعند الشيخ الغُزِّي[3]: أنه وُلد سنة ١٣١٠هـ، وقد ضبط ذلك ـ أيضاً ـ عند تاريخ الوفاة حيث قال: «وذلك في ١٣٨٩هـ عن سبع وسبعين عاماً»، وبالنظر في التاريخين نجد أن عمره حين مات: تسع وسبعون عاماً، ولعلَّ كلمة: (تسع) تصحفت إلى (سبع) وهما متقاربتان.

وعند الشيخ محمود سعيد ممدوح[4]: أنه وُلد سنة ١٣١٥هـ.

ولعلَّ الراجح هو ما ذكره الشيخ الغُزِّي لأمور:

١ ـ الشيخ الغُزِّي تتلمذ على الشيخ المَعْزَبِي، وجرى بينهما كثير من الألغاز والمسائل العلمية.

---

(١) بيت الفقيه: من مدن تهامة ما بين زبيد والحديدة، تقع في الجنوب الشرقي من الحديدة، وتبعد عنها بحوالي ٣٥ كيلومتر، وهي وسط بلاد الزرانيق، تقع بين البحر من الغرب وجبال ريمة من الشرق، وتبعد عن كل منهما بمقدار ست ساعات بالوسائل القديمة، وما بين الساعة إلى الساعتين بالوسائل الحديثة، وهي منسوبة للفقيه أحمد بن موسى بن عجيل.
انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها (٤/ ٦٣٦)، ومعجم المدن والقبائل اليمنية (ص ٦١ ـ ٦٢).

(٢) هو العالم الكبير والقطب الشهير أحمد بن موسى بن عجيل، اشتغل بالعلم على عمه الفقيه إبراهيم بن محمد بن موسى بن عجيل، كان صالحاً زاهداً، له كرامات مشهورة، حج عدة مرات، وكان الناس يقبلون عليه لما سمعوا عنه، خلف سبعة من الأولاد كلهم اشتغل بالعلم، توفي سنة تسعين وستمائة هجرية ـ رحمه الله تعالى ـ.
انظر: طبقات الخواص (ص ٥٧ ـ ٦٤).

(٣) انظر: عطية الله المجيد (٢/ ٣٢٨) و (٢/ ٣٤٣).

(٤) انظر: تشنيف الأسماع (ص ٣٣٧).

٢ ــ عاشا في مدينة واحدة، وهذا أيسر في التأكد من التاريخ، وصاحب الدار أدرى بالذي فيه، والله أعلم.

نشأته العلمية وحياته:

نشأ الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي في حضن والده، وفي قريته التي ولد فيها حتى بلغ السنة الثانية عشرة من عمره، ثم هاجر إلى مدينة زبيد سنة ١٣٢٥هـ، فراراً بدينه من الفتن الكائنة بين الزرانيق[(١)] ــ التي قبيلته جزء منها ــ ومناوئيهم، وبعد أن لاقى القسوة من أهل بلده، وعدم المبالاة بالدين، وجزى الله الشدائد كل خير، وسبحان الله الذي يبتلينا ليُعافِيَنَا، ويمرضنا ليُشَافِيَنَا، ولو أنه استمر في بلده ما كان إلَّا واحداً ممن تُذْكَى بهم نيران الفتنة بين قبيلته ومناوئيهم، ولتَغَافَلَه الزمن كما تغافل عن غيره من أهل بلده ممن هم أعلى شأناً منه بعيداً عن العلم.

وفي زبيد حط رحله في بيت آل الشرف، ومنهم: الشيخ سليمان بن عبده محمد شرف، فقاموا بواجبه خير قيام، فتفرغ لقراءة القرآن الكريم، فلما أتمه شرع في حفظ المتون، فحفظ أبا شجاع، وزُبَدَ ابن رسلان، ومُلْحَة الإعراب، وألفية ابن مالك، وغيرها من سائر المتون منثوراً ومنظوماً، وأخذ على كوكبة من علمائها، واستمر بزبيد حتى سنة ١٣٣٧هـ.

---

(١) الزرانيق: من أشهر قبائل تهامة، ونسبهم في الأشاعر، وهم في الأصل قبائل المعازبة الذين رَدَّد ذكرهم التاريخ في أيام بني رسول وغيرهم، والزرانيق فرع من المعازبة، ولكن قبائل هذا الفرع انتشرت وكثرت واشتهرت حتى دخل من بقي من المعازبة في ضمنهم، ومساكنهم ما بين وادي رِمَع جنوباً ووادي ذُؤَال شمالاً، وما بين البحر غرباً وجبال ريمة الأشابط شرقاً، وأمُّ قراهم بيت الفقيه ابن عجيل.
انظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها (٢/ ٣٩٣ وما بعدها)، ومعجم المدن والقبائل اليمنية (ص ١٩١ ــ ١٩٢).

ثم هاجر إلى مكة المكرمة بغية استكمال الطلب على علماء الحرم الشريف، وسكن رباط اليمانية الذي عند باب إبراهيم، ومكث بها نحو خمس سنوات، وحج خمس حجات، وأخذ على عدد من علمائها.

ثم هاجر إلى المدينة المنورة ــ على مُنَوِّرِها أفضل الصَّلاة والسلام ــ وحظي بكل مطلب وسؤل، وزار الطائف، والمآثر والبقاع المقدسة، ولعل ذلك كان في سنة ١٣٤٣هـ.

ثم رجع إلى مدينة زبيد فتلقاه أهلها بالترحيب والتسهيل والحفاوة والتبجيل، ومكث يُدَرِّسُ في مساجدها، وأربطتها، ومدارسها العلمية، ومنزله العامر حتى توفي ــ رحمه الله تعالى ــ .

شيوخه:

ذكرنا سابقاً أن الشيخ المَغْزَبِي ــ رحمه الله تعالى ــ رحل أول ما رحل إلى مدينة زبيد، وهناك تتلمذ على كبار علمائها، ونهل من علمهم، وارتوى من معينهم، وكانت زبيد حينها تعج بالأئمة العظماء في مختلف الفنون، ثم بعد أن أخذ حظاً وفيراً رحل إلى الحرم المكي ليستكمل ما ليس عنده، وكان بمكة المكرمة كبار علماء العالم الإسلامي الذين طابت لهم البقاع المقدسة، فاستقروا للمجاورة والتعليم، وعليه فإنه يمكن تقسيم شيوخه إلى:

أولاً ــ شيوخه بمدينة زبيد.

ثانياً ــ شيوخه بمكة المكرمة.

أولاً: شيوخه بمدينة زبيد:

أخذ العلم في زبيد على كوكبة من العلماء أشهرهم:

١ ــ السيد العلامة مفتي زبيد سليمان محمد بن عبد الله الإدريسي الأهدل، المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.

٢ ــ السيد العلامة أحمد بن محمد إدريس الأهدل، المتوفى سنة ١٣٥٧هـ، وهو صنو المفتي السابق.

٣ ــ الشيخ العلامة محمد بن عبد الباقي الخليل، المتوفى سنة ١٣٣٧هـ.

٤ ــ الشيخ العلامة حسين بن محمد بن عبد الله الوصابي المقرىء، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ.

٥ ــ السيد العلامة عبد القادر بن محمد الأهدل، المتوفى سنة ١٣٦٢هـ.

٦ ــ السيد العلامة أبكر بن عبد الرحمن الأهدل، المتوفى سنة ١٣٧٩هـ، وكان بين الشيخ المَعْزَبِي وبين هذا الشيخ محبة صادقة ووطيدة، وتبادل أكيد في علم الأدب.

٧ ــ الشيخ العلامة محمد بن أحمد السالِمي، المتوفى سنة ١٣٧٩هـ، وقد طلب منه الإجازة فأجازه خطاً ولفظاً.

٨ ــ الشيخ العلامة أحمد بن يحيى بن الأمين قُشَاعة الزَّبِيْدِي، المتوفى سنة ١٣٤٨هـ[١].

٩ ــ الشيخ العلامة محمد بن إسماعيل المَحْنَبِي الهتاري، المتوفى سنة ١٣٤٩هـ[٢].

---

(١) انظر: عطية الله المجيد وحثوة المزيد (١/ ٥٦).

(٢) انظر: هِجَر العلم ومعاقله في اليمن (١/ ٢٥٥)، وزَبِيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ (ص ٢٢٧).

ثانياً: شيوخه بمكة المكرمة:

وفي مكة المكرمة أخذ العلم على عدد من علمائها الأعلام منهم:

١ ــ الشيخ العلامة محمد جمال الأمير المالكي، مُؤَلِّف: الثمرات الجنية في علم النحو، قرأ عليه في النحو والصرف والبلاغة.

٢ ــ الشيخ العلامة محمد بن علي بن حسين المالكي، مُؤَلِّف: تدريب الطلاب، قرأ عليه في اللغة العربية ــ أيضاً ــ، ومصطلح الحديث الشريف.

٣ ــ الشيخ العلامة سعيد بن محمد الخُلَيدي اليماني، مفتي الشافعية بمكة المكرمة، قرأ عليه فتح الوهاب، وفتح الجواد شرح الإرشاد في الفقه الشافعي.

٤ ــ الشيخ العلامة عمر بَاجُنَيد الحضرمي، قرأ عليه صحيح البخاري.

٥ ــ الشيخ العلامة عمر حمدان المحرسي المَغْرِبِـي، قرأ عليه جوهرة التوحيد، وكثيراً من كتب الحديث.

٦ ــ الشيخ العلامة أحمد الهرساني.

فقد قرأ على الجميع في جميع الفنون، وبرع في منطوقها والمفهوم، وسمع منهم، وحضر مجالسهم، وشاركهم مناقشاتهم.

تـلامـيـذه:

الحق أن الإنسان لا يستطيع أن يحصر تلاميذ الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي؛ لأنه منذ أن أذن له مشايخه بالتدريس وهو يدرِّس إلى أن لاقى ربه، بالإضافة إلى أنه دَرَّسَ في عدة أماكن، فقد دَرَّسَ أثناء إقامته بمكة، وبعد عودته إلى مدينة زبيد.

تولى التدريس بجامع الباشا وما زال به حتى توفي، وكذلك عُيِّن مدرِّساً بالمدرسة العلمية التي تسمَّت فيما بعد بمعهد السيد مرتضى الزَّبِيْدِي،

ودرَّس بجامع النور[١]، ومسجد الشمَاخي، والرباط العامرية لواقفه الفقيه العلامة يحيى بن عمر الأهدل، وكذلك تولى التدريس بمسجد سليمان بن يحيى مقبول الأهدل، وبمسجد الدَّارَة[٢]، ودرس في منزله، وفي آخر أيامه اقتصر على التدريس بمسجد الدَّارَة ليلاً وبعد الفجر، وفي جامع الباشا بعد العصر، وفي المدرسة العلمية ضحوة النهار.

وقد دَرَسَ عليه الطلاب من: اليمن، والحبشة، والصومال، والحجاز، وجاوا، فمن تلامذته من أهل اليمن: آل حسان، وآل نعمان، وآل الإرياني، وآل شجاع الدين، وآل النور، وأهل زبيد ممن طلب العلم في عصره، فلا تجد طالباً حمل المحبرة منهم إلاّ وقرأ عليه، من أجلِّهم: السيد سليمان بن محمد الأهدل الزَّبِيْدِي، والسيد محمد بن علي البطاح الزَّبِيْدِي، والسيد عبد الله بن عبد القادر الأنباري، والشيخ عبد الوهاب بن محمد أحمد داود السالِمي الزَّبِيْدِي، والسيد محمد بن عبد القادر الأهدل الزَّبِيْدِي، والشيخ محمد بن عوض مَنْقَشْ الزَّبِيْدِي، وغيرهم[٣].

ومن علماء الحجاز: علي بن يحيى الهكلي، وغيره، ومن أهل صنعاء وما حولها: الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب الإرياني، والشيخ عبد الوهاب المجاهد، ومن أهل تعز: الشيخ أحمد بن محمد نعمان، وغيرهم.

---

(١) جامع النور يسمَّى أيضاً مسجد الدارة. أفادني بهذا السيِّد العلاَّمة محمد بن علي بن إسماعيل البطاح الأهدل، حفظه الله تعالى ونفع به.

(٢) هو جامع النور نفسه، كما مرَّ.

(٣) ذكره الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي في كتابه: (زَبِيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ)، معظم من تتلمذ على الشيخ عبد الله المَعْزَبِي، ولو قمنا بحصر تلاميذه من خلال ذلك الكتاب لانتظم لنا عدد كبير من تلاميذه.

أدبــه:

كان الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي متخصصاً في اللغة العربية علاوةً على الفقه والحديث والتفسير، وكان شاعراً فصيحاً، ذا نكتة أدبية، وقد سخَّر كثيراً من أشعاره لمعالجة الأوضاع الاجتماعية، ولم تَخْلُ أشعاره من ألفاظ علمية، وضوابط فقهية، ولغوية، ومراسلات لأحبابه، ومطارحات لأهل الفضل من شيوخه وتلامذته وأترابه.

وسأذكر هنا بعض النماذج، مع الإشارة إلى أنه كما كتب الشعر الفصيح وأبدع فيه، كتب ما هو دونه مما تتخلله اللهجة الخاصة بزبيد وما حولها، وقد عالج بمثل هذا الشعر المشاكل الاجتماعية، وصور به المظالم التي تقع على الناس، وصَرَخ به إلى الحكام بدلاً عن جماهير أهل تلك البلد، ولعله كان يرى أن مثل هذا النوع من الشعر أقرب إلى العامَّة وأرفق بهم، لتعلقه بهمومهم وآمالهم وآلامهم، وأقرب إلى الظرف والدعابة.

منها ما حرره عام ١٣٥٩هـ حين خرج للنزهة إلى أرض الجنتين الخضراء برأس الوادي زبيد من ممتلكات شيخه السيد العلامة أبكر بن عبد الرحمن الأهدل:

الحمــد لله هــذا غــايــةُ الأربِ	وغايةُ السُّؤْلِ بل ذا غايةُ الطلبِ
قـد اجتمعنـا علـى وعـد علـى فَـرَحٍ	وبَسْطِ أُنْسٍ وصار الكلُّ في طربِ
خُضْـرُ الـرِّيـاضِ أرتنـا مـا نُسَـرُّ بِـهِ	مـن مثمـرٍ يـانـعٍ أو مُـوْرِقٍ رطـبِ

إلى آخر الأبيات، ثم أرسلها إلى شيخه بعد النزهة.

فأجاب عليه بقوله:

لله دَرُّكَ يــا عــلَّامــةَ العــربِ	يا بحرُ يا فخرُ في علمٍ وفي أدبِ
يـا واحـدَ الـدهـرِ يـا نِبـراسَ بلـدتِنـا	يا بهجةَ الدينِ في علمٍ وفي حَسَبِ
شـرفتُمُـونـا فقـد زادتْ مَسَـرَّتُنـا	فنـورُ مَـرْبَعِنَـا سـارٍ إلَـى الحُجُـبِ

إلى آخر الأبيات.

وأبياته تبين مدى ما كان عليه من صلات حميمة مع شيوخه، والرد يوضح منزلته عند شيخه.

ومنها الأبيات التي كتبها إلى الأستاذ أحمد محمد نعمان سنة ١٣٦٠هـ حين رجع من مصر:

أهـلاً بِبَـدرِ دُجًـى ونجـمٍ زاهـرِ ... آنسـتَ فـانْـزِل فـي سَـوادِ النَّـاظِـرِ
وامكثْ إذا ضاقتْ عليك رِحابُها ... بفـؤادِ صبِّـك ذي الـودادِ الطـاهـرِ
قَسَمـاً بمـن ردَّ الكليـمَ لأمِّـه ... وحمـاهُ مـن لُـجِّ الخِضَـمِّ الـزَّاخـرِ
مـا زلـتُ مكلـومَ الفـؤادِ لبُعْـدِكـم ... وخيال شخصِك لا يفارقُ خاطِري

إلى آخر الأبيات.

وهي تبين مدى ما كان عليه الشيخ المَعْزَبِي من تواصل حميم مع أقرانه وعلماء عصره.

ولم يقتصر اهتمامه على شيوخه وأقرانه بل امتد إلى تلاميذه وهُمُ الامتداد الحقيقي له، فكتب إليهم الشعر موجهاً وناصحاً وحاثاً على المثابرة على طلب العلم وعدم النكوص عنه، من ذلك ما حرره إلى تلميذه السيد العلامة عبد الله بن عبد القادر الأنباري حين تغيب عن درس جَمْعِ الجَوَامِع لأعمال توجب التأخير:

وأقـولُ يـا فخـرَ الأمـاجـدِ مـا الـذي ... ألهـاكَ حتـى لا تَـرُوح وتَغتـدي
وتجـدّ فـي طلـبِ العلـوم بهمَّـةٍ ... تُـوليـك منـزلـةً فُـوَيْـقَ الفَـرْقَـدِ
جمعُ الجوامِعِ يشتكي هُجْرَانكُم ... شكـوى العليـل سقـامـه للعُـوَّدِ
أنفـاسُـه تُصلـي صميـمَ فـؤاده ... وتَشُـبُّ نـاراً فـي الحشـا والأكبُـدِ
خَـلِّ الشَّـواغـلَ دُبْـرَ أُذْنِـك واجتهـدْ ... واشحـذْ لشفـرةِ ذِهْنِـك المتـوقِّـدِ
وَصِـلِ النهـارَ بليلـه ودعِ الكَـرَى ... واكسبْ لنفسك ما يسرُّك في غَدِ

إلى آخر الأبيات.

وهو في توجيهه لتلاميذه لم يكن يأمرهم بما لا يفعله، أو يحضهم على ما ليس من شيمته، فها هو يحكي لنا حاله مع الكتب، وشغفه بها، ومنادمته لها، وهو بذلك ينصحنا من طَرْفٍ خفي بالجد والمثابرة على مطالعة الأسفار:

كتابي أَنيسي في انفرادي ووحدتي ... إذا رامَ مَن أهواهُ هَجري وجَفْوتي
يُشَنِّفُ سمعي كل يوم بتحفةٍ ... من العلم أشهى مِن غرامي وصبوتي
وإن رامَني الأعداءُ يوماً بنكبةٍ ... رأوني بعيداً في الكواكبِ رتبتي
سناني ورمحي بل ودرعي وصارمي ... وجرارُ جيشي ما رأوا من فضيلتي

ولم تَخْلُ أشعاره من بعض الغزليات الراقية، المشتملة على الصور العجيبة، والتشبيهات البديعة، مع البعد عن الإسفاف والخروج عن المألوف، من ذلك قوله:

إن الغواني اللواتي قد ملكنَ عُرَى
صبري أخذنَ الحِجَى والسمعَ والبصرا

فما تصورَ فكري شخصَ غانيةٍ ... إلاَّ وألزمَ فكريْ طرفيَ السهرا
أَبَيْتُ أرعى نجومَ الليلِ في قلقٍ ... عيناي لم تُغمضا حتى أرى السحرا
معنى الملاحةِ لا يخفى على رجلٍ ... مهذب النفس في فن الغرام قَرَا
يذيبُ مهجتَه لينُ الكلامِ من الـ ... ـخود الكعابِ فيضحى باهتاً نَضِرا
له من الغصنِ معنًى في تمايلِهِ ... ومن بروقِ الدَّياجي مَنْظَراً نَضِرا
كأنما قلبُه المرآة حاكية ... مهما نظرتَ بها الأشكالَ والصورا

ولم يقتصر في شعره على الأغراض الشعرية المعروفة في الأدب وإنما سخر جزءاً منه لنظم المسائل العلمية، وتقريبها للأذهان، ومن أمثلة تلك المسائل التي نظمها قوله في أفعال القلوب السبعة:

عَلِمْتُه ثم وجدتُ فضلَه — وما رأيت في الأنام مثلَه

ظننتُ أني مدركٌ لِشَأْوِه — وخِلْتُ أنَّي محرزٌ لِنُبْلِه

ثم حَسِبْتُ وزَعَمْتُ أنَّني — عمَّا يُقَهْقِر دونَه لا أنثني

فهاكَ أفعالَ القلوبِ سبعةْ — فاحفظْ تُزاد في الأنامِ رفعةْ

وله قصائد أخرى قام فيها بما يجب على العالم نحو مجتمعه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعالجة للمشاكل الاجتماعية، والتعبير عن هموم مجتمعه وآماله وآلامه وعاداته وتقاليده.

والملفت للنظر في كثير من شعره المتعلق بالمجتمع أنه يتسم بالدعابة والنكتة والظرف، مع ما يتخلله من بعض كلمات اللهجة الخاصة بزبيد وما حولها، ولعله كان يرى ذلك أقرب إلى العامة وأرفق بهم.

وقد نظم منظومة سمَّاها: (زُبَد المآكل)[1] ضَمَّنَها مأكولات زبيد، وجعلها مشتملة على مقدمةٍ، وبابِ الفطور، وبابِ الغداء، وبابِ العشاء، وخاتمة، وقد صاغها بأسلوب ساخر ومضحك، وفي مقدمتها يقول:

وبعد هذي زُبَدُ المآكل — تفيدُ كلَّ عالِمٍ وجاهلِ

يعرفْ[2] بها الإنسانُ كيف يأكلُ — إذا أتاه رزقُه المُسَهَّلُ

أبوابُها ثلاثةٌ وخاتمةْ — آدابُها لكلِّ شخصٍ لازمةْ

نظمتُها على طريقِ الهَزَلِ — للطَّالبِ الكسلِ كثيرِ الأكلِ

---

(١) ذكرها الأستاذ عبد الرحمن الحضرمي كاملةً في كتابه: جامعة الأشاعر زبيد (ص ١١٩ ــ ١٢١)، وعلَّق عليها، فليراجعها من شاء في ذلك الكتاب.

(٢) لعله لو قال: (يدري) لكان أفضل في النظم.

وعلى عادة العلماء في تبادل الألغاز كتب إليه الشيخ العلاَّمة محمد بن عبد الجليل الغُزِّي (المتوفى في ٢٠ رجب ١٤٠١هـ)[١] لغزاً في لفظة: (شمس) فقال:

مـا ذاتُ ضـرٍّ ونفـعٍ شـأنُهـا عجبُ ... مرتْ على خلقِها الأعصارُ والحِقَبُ
حمـراءُ صفـراءُ نـور العيـن زاهـرة ... كـأنهـا حيـن تَسْتَجلي لنا الـذهـبُ
فيها الصلاحُ لمن رام الصلاحَ بها ... والتَّعْـبُ فيهـا لمـن نـالتـه والحـربُ

فأجابه الشيخ المَعْزَبِي بقوله:

هـذي لهـا منـزلٌ لا يُـرتَقَـى أبـداً ... مشهورةٌ قد دراها العُجْمُ والعربُ
مـديمـةُ السيـرِ فـي كـلِّ الـزمـانِ ولا ... رحـلٌ يُشـدُّ لهـا كـلاًّ ولا قتـبُ
ولا يَطَا فوق ظهرِ الأرضِ منسمها ... لكـن لهـا خفـةٌ يَقْضِـي بهـا العجبُ
والانتفـاعُ بهـا عـمَّ الأنـامَ ولا ... زالت لها الناسُ طول الدهر ترتقبُ
فإن تَقُلْ غيرَها قد رُمْتَ صَحَّ لما ... ذكرت في الوصف يا من شأنُهُ الأدبُ
لكن غفلـتَ عن التحديـدِ يا أملـي ... وما وصفتَ لما تهوى كما يَجِبُ
شمساً وشماً أرى في اِسمها جمعا ... لا زِلْتَ للرُّشْدِ يا ابْنَ الغُزِّ تَصْطَحِبُ

وله في المراثي تراث ضخم، فقـد رثى جُلَّ مـن مات في حياتـه مـن العلماء إن لم نقل كلهم، بمراثٍ دونها النجوم في عليائها، والبدر في ليلته، سَطَّر فيها حزنه وأساه على شيوخه وأقرانه وتلاميذه الذين سبقت إليهم المنية، فخسرهم النـاس، وافتقدهم العلم، وهي مراثي صـدق، وخلجات قلب، وهل بعد فراق الأحبة بالموت من حزن؟ وهل يكون الشاعر المتمكن من أدواته أكثر صدقاً من تلك المواقف؟ وهل الشعر إلاَّ فكرة ووجدان وصورة؟

---

(١) راجع ترجمتـه فـي كتـاب: زَبِيـد مساجدهـا ومدارسهـا العلميـة فـي التـاريـخ (ص ١٧٨ ــ ١٧٩).

ومن بديع مراثيه تلك القصيدة التي رثى بها شيخه العلامة أبكر بن عبد الرحمن الأهدل، ومطلعها:

مُهَجٌ تذوبُ وأكبُدٌ تَتَقَطَّعُ ... وجوًى تكادُ به الجوانحُ تُوْلَعُ
رحماكَ يا ربَّ العباد لما بِنَا ... ما للرزيةِ للرزيةِ تَتْبَعُ

إلى أن قال:

أزبيدُ مالَكِ والبكاءُ فإن ذا ... أمْرُ الإلـٰهِ ومَنْ لأمرِه يدفعُ
ذهبتْ رجالُكِ يا زبيدُ فما البكا ... مُجدٍ ولا طولُ التَّحَسُّرِ ينفعُ[1]

وقد حفظ لنا الشيخ محمد بن عبد الجليل الغُزِّي كثيراً من تلك المراثي في كتابه الجليل: (عطية الله المجيد)، ويقوم ولده الأستاذ أحمد محمد عبد الجليل الغُزِّي بجمعها ودراستها.

مؤلفاته:

معلوم أن المؤلفات لا يعبر حجمها وعددها بالضرورة عن علم مؤلفها، فقد يكون عالماً كبيراً ولكنه لا يشتغل كثيراً بالتأليف؛ لعدم وجود مبرر للتأليف عنده، أو للانشغال بالتدريس، وهو عند بعض الشيوخ أهم من التأليف، وإن كان ابن الجوزي[2] وابن السبكي[3] وغيرهما يرون أن التصنيف أفضل من التدريس؛ لعموم نفعه للمعاصر والمتأخر، وبقائه على ممر العصور.

والشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِي متفق على إمامته وتضلُّعه في العلوم، وقد اشتغل بالتدريس شأنه شأن شيوخ مدينة ــ العلم والعلماء والفقه والفقهاء

(١) انظر: المرجع السابق (ص ١٧٨ ــ ١٧٩)، وعطية الله المجيد (١/ ١٢).
(٢) انظر: وصايا ونصائح لطالب العلم، لابن الجوزي (ص ٣٠ ــ ٣١).
(٣) انظر: منع الموانع عن جمع الجوامع، لابن السبكي (ص ٨٢ وما بعدها).

والدين والصلاح والخير والفلاح ـ زبيد[1]، الذين يصرفون غالب وقتهم وأنفَسه للإفادة والتدريس والإفتاء، ومع انشغاله بالتدريس إلاَّ أنه شارك بمؤلفات لطيفة، دلت على غزارة علمه، وجودة فهمه، ومشاركته في مختلف العلوم، معقولها والمفهوم، مع تبريزه الذي لا ينكر في علم اللغة العربية.

ومن مؤلفاته ما يلي:

١ ـ منحة الوهاب على ألفاظ ملحة الإعراب[2]، مخطوط.

٢ ـ الأسئلة النحوية لقراء الأجرومية[3]، مخطوط.

٣ ـ تلخيص العبارة في علم الاستعارة[4]، مخطوط.

٤ ـ ديوان شعره ومراسلاته وألغازه، مخطوط.

٥ ـ قطوف من الأمثال العربية. طبع.

٦ ـ تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام[5]، (وهو هذه الرسالة) التي قمت بدراستها وتحقيقها.

وله رسائل أخرى، لعلَّ الله يعين على إخراجها، حتى ينتفع بها العلماء وطلاب العلم.

---

(١) هكذا وصفها الإمام عبد الرحمن بن الديبع الشيباني في كتابه: بغية المستفيد في أخبار زبيد (ص ٤٧).

(٢) في تشنيف الأسماع (ص ٣٣٩): منحة الوهاب شرح ملحة الإعراب.

(٣) في تشنيف الأسماع (ص ٣٣٩): رسالة على طريقة السؤال والجواب، ولم يشر إلى موضوعها.

(٤) في تشنيف الأسماع (ص ٣٣٩): تلخيص العبارة في أقسام الاستعارة.

(٥) هكذا ورد في كتاب: الفقه ومجهود علماء تهامة، والجبال المشرفة عليها في تدوينه وتصنيف علومه (ص ٣٧٣)، وورد في عطية الله المجيد (٢/ ٣٣٩): (تشحيذ الأذهان في بحثي الأمر والنهي والاستخدام)، وفي تشنيف الأسماع (ص ٣٣٩) ورد باسم: (نشر الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام).

زهده في المناصب:

جعل الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي الزَّبِيْدِي لذته في العلم، فاشتغل به كل وقته، وطلبه في زبيد ومكة، وعندما تأهل للتدريس اشتغل به ولم ينصرف لغيره، ولم يشغل نفسه بالمناصب الحكومية؛ لما فيها من صرف عن العلم، وتضييع للأوقات، وحرجٍ، لا سيما إذا كانت متعلقة بالقضاء، ولتفوقه في العلوم وبُعْد صيته عرض عليه الإمام[1] بعض المناصب ولكنه رفض، مؤثراً للعلم على الجاه، وللإقلال على الغنى، وتلك سمة اتسم علماء تلك النواحي، فنفع الله بعلمهم، وبارك في أوقاتهم.

وصف العلماء له:

إنَّ الناظر في مصادر ترجمة الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي ــ رحمه الله تعالى ــ يلحظ بوضوح مدى ما كان عليه الشيخ من التمكُّن في العلوم، والاشتغال بالتدريس، وسلوك طريق أهل الصلاح والفلاح.

وصفه الشيخ العلامة محمد بن عبد الجليل الغُزِّي[2] بأنه: الشيخ العلامة البحر الخِضَم النبراس، شاعر زمانه، صاحب التآليف العديدة، والأبحاث المفيدة، سيبويه زمانه أو الخليل، تحفة دهره، ذو المجد الأثيل.

ووصفه الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي[3] بأنه:

---

(١) عاصر الشيخ المَعْزَبِـي ــ رحمه الله تعالى ــ إمامين من أئمة اليمين، هما: الإمام يحيى حميد الدِّين المتوفَّى سنة ١٩٤٨م، والإمام أحمد بن يحيى حميد الدِّين المتوفَّى سنة ١٩٦٢م، ولم تبين مصدار ترجمة الشيخ المَعْزَبِـي أيّ الإمامين عرض عليه بعض المناصب، وذلك لا يضرّ؛ لأنَّ المقصود بيان عزوف الشيخ عن المناصب رغم عرضها عليه ممَّن يقدر على منحها، وذلك متحقق في ما ذكر.

(٢) انظر: عطية الله المجيد (٢/ ٣٢٨).

(٣) انظر: جامعة الأشاعر زبيد (ص ١١٦).

العلامة، إمام اللغة العربية، وبأنه كان متخصصاً في اللغة العربية علاوةً على الفقه والحديث والتفسير، وكان شاعراً فصيحاً، ذو نكتة أدبية، وكان شعره أكثر معالجة للحياة الاجتماعية.

ووصفه الشيخ محمود سعيد ممدوح[1] بأنه: العلامة الفاضل، المربي الكامل، الأديب الشاعر، الفقيه الشافعي، وبأنه: كان ذا همة ومروءة وديانة وعفاف وإنصاف، على طريق أهل الفلاح من الذكر والسلوك، والاشتغال بالتدريس في كل وقت وحال، فلا يرد طالباً لدرس.

ووصفه شيخه السيد العلامة أبكر بن عبد الرحمن الأهدل بقوله:

لله دَرُّكَ يــا عــلَّامَــةَ العــربِ ... يا بحرُ يا فخر[2] في علمٍ وفي أدبِ
يـا واحـدَ الـدهـرِ يـا نبـراسَ بلـدتِنـا ... يا بهجةَ الدين في علمٍ وفي حسبِ

وقد وصفه الأستاذ الشاعر عبد الله بن محمد عطية في مرثاته له بأوصاف كثيرة، وستأتي.

آخر حجَّة له:

كان الشيخ المَعْزَبِي ــ رحمه الله تعالى ــ بعد عودته من مكة المكرمة يعاود الحج كثيراً؛ لمقابلة مشايخه وأقرانه وتلاميذه، وآخر حجة حجها كانت سنة ١٣٨١هـ، أي قبل وفاته بحوالي ثمان سنوات، وقد أكرمه العلماء في هذه الحجة إكراماً كبيراً، اعترافاً بفضله، وأداء لحقه، واجتمع إليه فيها جمع كبير من طلاب العلم وأجاز لهم.

وممن روى عنه بمكة المكرمة زميله في الطلب الشيخ محمد بن ياسين الفاداني تدبيجاً، والشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي،

---

(١) انظر: تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع (ص ٣٣٧ وص ٣٣٩).

(٢) يطلق أهل اليمن على من اسمه عبد الله: فخر الدِّين، وقد يختصرون فيقولون: الفخري.

والشيخ إسماعيل بن عثمان زين الضحوي، وغيرهم[1].

وفاته ورثاؤه:

وبعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والتأليف والمطارحات الأدبية، والمراسلات العلمية، والنكات والظرف الذي رافق تلك الرحلة العظيمة من حياة الشيخ عبد الله بن زيد المَعْزَبِـي، مع القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافاه الأجل المحتوم في سنة ١٣٨٩هـ عن سبع وسبعين عاماً[2] قضاها في خدمة العلم والعلماء، وعبادة الله تعالى.

ودفن بمقبرة باب سهام بجوار ضريح السيد العلامة الشهيد عبد الله بن محمد البطاح الأهدل ــ رحمهما الله تعالى ــ[3].

وقد رثاه أدباء عصره بمراثٍ كثيرة، ونقتطف هنا بعضاً مما رثاه به الأستاذ الكبير الشاعر عبد الله بن محمد بن يحيى عطية الزَّبِيْدِي المتوفى سنة ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٥م)، وفي أبياته ذكر الشيخ الحجة الفذ الأوحد محمد بن أحمد السالِمي رحمه الله تعالى (المتوفى في أوائل المحرم ١٣٨٩هـ):

جَـلَّ المصـاب فـلا تكـابـر	واسكب من الدمع الغوازر
جـل المصـاب فمـا التجلـد	بـالمفيـد لمـن يكـابـر
فعلام لا تبكي وعين المجـ	ـد داميـة المحـاجـر
فـي كـل يـوم كـوكـب	تهـوي بـه كـف المقـادر
لكـأن ثـأراً للـزمـان	لـدى زبيـد بـه يجـاهـر
بـالأمـس شيَّعنـا أبـا العلمـاء	أسـتـاذ الأكـابـر

---

(١) انظر: تشنيف الأسماع (ص ٣٣٨ ــ ٣٣٩).

(٢) هكذا في عطية الله المجيد (٢/ ٣٤٣)، ولعل الصحيح: «عن تسع وسبعين عاماً».

(٣) انظر: عطية الله المجيد (٢/ ٣٤٣).

الســـالِمـــي محمـــداً شيــخ الأوائــل والأواخــر
زيــن المحــافــل كعبــة الــ ــقصــاد عنــوان المفــاخــر
واليــوم يــا لــزبيــد مــن هول المصائب والمصائر
تبكــي ابــن زيــد عــالمــاً فــذًّا ونحــريــراً وشــاعــر
العــالــم اللغــوي واللســن البليــغ سنــي الخــواطــر
رب البيـــان ومصـــدر الـــ ــعــرفــان إن عــز المصــادر
كنــزان مــا الــذهــب المصفى مــا الــدراري مــا الجــواهــر
طـــودان للعـــرفـــان تقـــ ــصــر عنهمــا بــاع المنــاظــر
نجمــان فــي أفــق العلــوم سنــاهمــا مــلأ البصــائــر
كــانــا ومــا كــانــا ســوى بحــر مــن العــرفــان زاخــر
واليــوم حــلاًّ فــي التــراب فــلا رحيــق ولا معــاقــر
مـــن للفنـــون تنـــوعـــت فــريــاضهــا بهمــا نــواضــر؟
مــن للعــويــص يفــك مغلقــه ومَـــنْ مَـــنْ للـــذخــائــر؟
مــن للمجــالــس والمســاجــد والمحـــافـــل والمنـــابـــر؟
مــن للحــديــث ولــلأصــول وللشـــــوارد والنـــــوادر؟
مــــن للعطــــاش لنهلــــه مــن للقطيــن وللمهــاجــر؟
إيــه زبيــد أمــا لــرزئــك فـــي بنيـــك النجـــب آخـــر
فــي كــل يــوم كــوكــب يهــوي فـــأفـــق المجـــد شـــاغـــر
والـــدوحـــة الغنـــاء أيـــن غصــونهــا أمســت هــواجــر
كــانــت ومــا كــانــت ســوى مهوى القلوب سنا النواظر
التــاج مــن أثمــارهــا حلــت بـــه هـــام المفـــاخـــر
والمتــن لــلإرشــاد والعنــوان عـــز عـــن النظـــائـــر
أيـــن الكنـــوز مـــن الكنـــو ز الحـــافـــلات بكـــل نـــادر؟

الـدوحـة الغنَّـاء منجبـة	الفطـاحـل والعبـاقـر
مـا بـالهـا كـادت تجـف	فـلا معيـن ولا أزاهـر
أيـن الأولـى رفعـوا منـار	العلـم يهـدي كـل حـائـر
النـاشـرون سنـاه فـي	شتـى البـوادي والحـواضـر
العـالمـون العـاملـون	المسكتـون لكـل هـاذر
القـائلـون الحـق فـي وجـه	المعـانـد والمكـابـر
الأغنيـاء بفضلهـم والفضـل	مـن أغلـى الـذخـائـر
النـاظمـون قـلائـداً	حليـن أجيـاد الجـآذر
النـاثـرون دراريـا	سـالـت بهـا تلـك المحـابـر
أمسـت خـلاء لا كـؤوس بهـا	تـدار ولا مسـامـر
إيـه زبيـد وأنـت أنـت	سَمَـاءُ هـاتيـك الـزواهـر
مـا بـال أفقـك أقتـم	هـلا لهـذا الليـل آخـر

تتمة:

قال الشيخ الغُزِّي ــ رحمه الله تعالى ــ : «وقد خلف ولداً اسمه محمد، له مقروءات على والده ومشايخه، وقد قام بشؤون والده في التدريس بجامع باشا خارج مدينة زبيد من الجهة الشرقية، وله درس آخر في مدرسة الثورة، وفقه الله وسدد خطاه، وصبَّره على فراق والده. آمين»(١)، وجعله خير خلف لخير سلف.

وقد بلغني في آخر زيارة لي إلى مدينة زبيد في شهر محرم ١٤٢٤هـ، أنه انتقل إلى جوار ربه، ولم يحدد لي صاحب الخبر تاريخ وفاته ــ رحمه الله تعالى ــ ، وأولاده موجودون في زبيد.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: عطية الله المجيد (٢/ ٣٤٥).

عنوان الكتاب

ذكر الشيخ محمد عبد الجليل الغزي[1] ـ ضمن مؤلفات الشيخ عبد الله بن زيد المَغْزَبِي ـ أن من مؤلفاته: (تشحيذ الأذهان في بحثي الأمر والنهي والاستخدام)، والملاحظ أن الاسم فيه اختلال، فقد ذكر فيه كلمة: (بحثي) والمذكور بعدها ثلاثة، ثم إن كلمة: (الاستخدام)[2] وإن كانت من مباحث البلاغة إلَّا أنها لم ترد في الرسالة، ولعل الشيخ الغزي ـ رحمه الله تعالى ـ، قد نقل إليه اسم الكتاب هكذا فقيده كما نقل إليه.

وذكر الشيخ محمود سعيد ممدوح[3] الكتاب باسم: (نشر الأفهام في

---

(١) انظر: عطية الله المجيد (٢/ ٣٣٩).

(٢) الاستخدام: هو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضميره معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر.

فالأول كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد بالسماء الغيث، وبضميره النبت.

والثاني كقول البحتري:

فسقى الغضا والساكنيه وإن هُمُ ... شَبُّوه بين جوانح وضلوع

أراد بضمير الغضا في قوله: «والساكنيه» المكان، وفي قوله: «شبوه» الشجر.

انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٤/ ٢٩ ـ ٣٠)، والتعريفات (ص ٣٣).

(٣) انظر: تشنيف الأسماع (ص ٣٣٩).

إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام)، وهو قريب من العنوان المثبت على الرسالة، ولكن كلمة: (نشر) لا تنسجم كثيراً مع سياق العنوان.

وأثبتها الدكتور عبد الله الوشلي[1] باسم: (تشحيذ الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام)، وقد وثقها من النسخة التي توجد في مكتبة الشيخ محمد عبد الجليل الغزي، وهي النسخة التي قمت بتصويرها والتحقيق على أساسها.

وهذا العنوان ينسجم من حيث السجع، ويتفق مع محتوى الرسالة، فقد اشتملت على ثلاثة موضوعات:

الأول: إطلاقات الأمر.

الثاني: إطلاقات النهي.

الثالث: إطلاقات الاستفهام.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الأصوليين والبلاغيين قد اختلف مسلكهم في تلك الإطلاقات بين مستكثر ومتوسط ومقل، فالمقل والمتوسط أدخل بعض المعاني في البعض، وأتى بالمعنى الذي تندرج تحته عدة معانٍ، وأما المستكثر فقد شغف بتلك المعاني واستكثر منها، وبعضها كالمتداخل، فمثلاً التأديب والإرشاد داخلان في الندب، والإنذار قريب من التهديد[2]، ونحو ذلك.



(١) انظر: الفقه ومجهود علماء تهامة والجبال المشرفة عليها في تدوينه وتصنيف علومه (ص ٣٧٣).

(٢) انظر: المستصفى (١/ ٤١٩).

أهمية هذه الرسالة

تحظى هذه الرسالة بأهمية كبيرة تتمثل فيما يلي :

١ ـ أنها تشتمل على ثلاثة مباحث مهمة، يتنازعها عِلْمان جليلان هما: علم أصول الفقه، وعلم البلاغة، وقد صِيغت لتكون أقرب إلى أصول الفقه، وهي فعلاً من أقسام الكلام التي هي من مباحث الكتاب، يقول الشيخ إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر مطير الحكمي في مباحث الكتاب من منظومته: (سلم الوصول إلى علم الأصول):

هي الكلام: الأمر، نهي، وخبر ... عرض، تمنٍّ، من أبوك يا عمر؟
وقسم، حقيقة، مجَاز ... وهو الذي عن أصله ينحاز[1]

٢ ـ أنها تطرقت لأكثر المعاني التي تخرج لها صيغة الأمر والنهي والاستفهام، وبأسلوب مختصر وواضح، بعيداً عن التشعبات والخلافات.

٣ ـ أن هذه الرسالة انفردت ـ فيما أعلم ـ بالنص على العلاقة والقرينة في كل مثال ورد وعلى كل معنى خرج، ووضحت ذلك توضيحاً كاملاً، وبأسلوب واضح ومبسط، ومع أن بعض كتب الأصول قد ذكرت للأمر والنهي معاني أكثر، إلاَّ أنها لم تهتم ببيان العلاقة والقرينة إلاَّ في ما ندر، اكتفاءً بمعلومات القارىء البلاغية.

---

(١) انظر: هذه المنظومة في دراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة في شرح المنظومة (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٨)، تحت الطبع في دار البشائر الإسلامية.

٤ ــ ذِكْرُ العلاقة والقرينة وتفصيلها بهذا الأسلوب مفيد جدًّا للتدرب على استخراجهما من الأمثلة التي تذكر، وعليه فإن لهذه الرسالة من اسمها أوفر الحظ والنصيب، فهي تشحذ الأفهام، وتدربها على استخراج العلاقات والقرائن وفهمهما.

٥ ــ لم يكتفِ الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ بالمعاني الواردة للأمر والنهي في كتب الأصول، وإنما ذكر بعض المعاني البلاغيّة التي لم يتعرض لها الأصوليون، مثل: الالتماس والتمني في النهي، وغير ذلك مما يعلم من خلال تحقيق هذه الرسالة.



ملاحظات

تعرض الشيخ المَعْزَبِي ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه الرسالة لثلاثة موضوعات هي: إطلاقات الأمر، والنهي، والاستفهام، وقد أبدع فيها إبداعاً كبيراً.

وقد ذكرت بعض ملامح ذلك الإبداع في أهمية الرسالة، وهنا أذكر بعض الملاحظات التي جرت العادة بذكرها، وهي لا تنقص من قيمة هذه الرسالة، ولا تقلل من قدر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ، وذلك لأن هذه الملاحظات في ضوء مناهج البحث الحديثة، وهو غير ملزم بها، فقد سار في رسالته هذه على منهج المتقدمين في الدخول إلى الموضوع المراد بحثه مباشرةً دون الخوض في المقدمات التي قد تطغى على الموضوع.

وعليه يمكن إجمال الملاحظات فيما يلي:

١ ـ تقضي مناهج البحث الحديثة التمهيد للموضوع بتعريف لغوي واصطلاحي، وهذا ما لم يفعله الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ .

٢ ـ عنون الشيخ للنهي والاستفهام بـ (فصل..)، ولم يعنون للأمر، بل دخل فيه مباشرةً بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه.

٣ ــ عرَّف الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ الاستفهام اصطلاحاً فقط، ولم يعرِّف الأمر والنهي.

٤ ــ نص في النهي على صيغته، ولكنه لم ينص على صيغة الأمر، واكتفى في الاستفهام بما ورد في التَّعريف من قوله: «. . . بأداة من أدواته».

٥ ــ ذكر ــ رحمه الله تعالى ــ في الأمر أنه يرد لستة وعشرين معنى، ثم عددها مستخدماً:

أولها: ، الثاني: ، الثالث: ، . . . إلخ، وهذا ما لم يصنعه في النهي والاستفهام، حيث ذكر فيها أن الصيغة قد تخرج عن أصل معناها إلى معانٍ أخرى، تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، ثم عَدَّدَ بعض تلك المعاني، من غير نص على عددها، مع عدم ذكر: أولها، الثاني، . . . إلخ.

٦ ــ ذكر الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ في عنوان رسالته أنها في إطلاقات: الأمر، والنهي، والاستفهام، والناظر في الرسالة يجد أنه لم يستوعب جميع الإطلاقات، وإنما ذكر معظمها وأهمها، ولعله استند إلى أن الأكثر يأخذ حكم الكل.



عملي في خدمة هذه الرسالة

يتمثل عملي في هذه الرسالة فيما يلي:

١ ــ كتابتها وفق قواعد الإملاء الحديثة، وتقسيم النص إلى فقرات، ووضع علامات الترقيم التي تُساعد على فهم المعنى، وتيسير الوصول إلى المطلوب بسهولة، فرغم جودة الخط ووضوحه إلَّا أنه خلا مما سبق.

٢ ــ ضبط النص ضبطاً مُحْكماً، وتشكيل ما غلب على ظني أنه يشكل.

٣ ــ توثيق موضوعات الكتاب توثيقاً علمياً من الكتب العلمية المعتمدة.

٤ ــ عزو الآيات القرآنية إلى سورها، والتعليق عليها متى استدعى الأمر ذلك.

٥ ــ تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنَّة المعتمدة.

٦ ــ عزو الأبيات الشعرية إلى مصادرها حسب الإمكان.

٧ ــ ترجمة الأعلام الواردة فيها بشكل مختصر.

٨ ــ التعريف ببعض الحدود والمصطلحات حرصاً على عدم تضخم الرسالة، وقد كان العزم قائماً على التعريف بجميع الحدود والمصطلحات ثم تركت ذلك لما سبق.

٩ ـ التقديم لهذه الرسالة بالتعريف بمؤلفها، وبها، وبأهميتها.

١٠ ـ وضع فهارس لموضوعات الرسالة.

هذا ما وفَّقني الله تعالى له في خدمة هذه الرسالة، وهو جهد المقل، أسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يأجرني عليه، وأن يغفر لي ولمؤلفه وللمسلمين أجمعين.



وصف النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسخة خطية واحدة، تمتاز بجودة الخط ووضوحه، وعدم أخطائه إلاَّ ما يسبق به القلم، لم يذكر اسم ناسخها.

وقد أخبرني الشيخ العلامة السيد محمد بن علي البطاح الأهدل أنها بخط الشيخ العلامة أحمد بن إسماعيل المزجاجي ـ رحمه الله تعالى[1] ـ، وكان عالماً مبرزاً لا سيما في علم الفرائض والحساب، حنفي المذهب، وهو صاحب خط جميل، جمع خطه بين جمال الخط القديم، وملامح الخط الحديث، وقد خطت يراعه كثيراً من الرسائل والكتب، فصار خطه مميزاً لدى علماء زبيد، يعرفونه كلما رأوه دون أن ينص عليه كما هو الحال في هذه الرسالة.

وهـذه النسخـة تكـرَّم بهـا علـيَّ الأستـاذ الجليـل أحمـد بـن محمـد

(١) له ترجمة غير مكتلمة في كتاب: عطية الله المجيد وحثوة المزيد (١/ ٤٥)، ولم يذكر فيها تاريخ وفاته.
وقد ترجم له الأستاذ المؤرِّخ عبد الرحمن الحضرمي ترجمة مختصرة في كتابه: زَبِيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ (ص ١٦٦)، ذكر فيها: أنه كان يدرس بالجبرتية في علم الفرائض والمساحة والفقه الحنفي والعربية، وأنه توفي سنة ١٣٩٧هـ، رحمه الله تعالى.

عبد الجليل الغزي ـ حفظه الله تعالى وبارك فيه ـ ، وهو نجل المؤرخ الكبير الشيخ العلامة محمد بن عبد الجليل الغزي صاحب كتاب: (عطية الله المجيد وحثوة المزيد).

ولا رقم لهذه الرسالة في مكتبته العامرة بالمخطوطات؛ لعدم فهرسة المكتبة حين التصوير، والرسالة تحتوي على ١١ صفحة عدا صفحة العنوان المقيد فيها اسم الرسالة ومؤلفها.

وفيما يلي نماذج لصفحة العنوان، والصفحة الأولى، والصفحة الأخيرة:

تشنيف الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام
لشيخنا العلامة الهمام فخر الإسلام الشيخ عبد الله
ابن زيد العنسي الزبيدي
حفظه الله تعالى
آمين

صورة عنوان الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد اعلم ان الاصل فى
الامر الوجوب واستعماله فيه حقيقة فمتى اطلق اقتضى الوجوب
مالم توجد قرينة صارفة عن الحقيقة وقد يطلق ويراد به غيره لوجود
القرينة الصارفة عن الوجوب فيكون مجازا اى لفظا مستعملا فى غير
ما وضع له لعلاقة اى مناسبة بين المعنى الحقيقى الذى هو الوجوب
والمجازى كالندب وغيره مما سيأتى مع قرينة مانعة عن ارادة
المعنى الحقيقى وللامر اطلاقات مشهورة وهى ستة وعشرون
اولها الوجوب وهو الاصل نحو قوله تعالى اقيموا الصلاة الثانى الندب
نحو قوله تعالى فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا والقرينة الصارفة عن
الوجوب الاجماع على انه لا يجب على السيد ان يعتق مملوكه او يبيعه
والمكاتبة بيع والعلاقة بين الوجوب والندب المشابهة المعنوية
لاشتراكهما فى مطلق الطلب الثالث الاباحة كقوله تعالى كلوا من
الطيبات والقرينة الاجماع على عدم وجوب الاكل والعلاقة المشابهة
المعنوية ايضا لاشتراك الاباحة والوجوب فى مطلق الاذن والتضاد
لان اباحة كل من الفعل والترك يضاد ايجاب احدهما الرابع الامتنان
كقوله تعالى كلوا من رزقه والقرينة والعلاقة ما تقدم فى الاباحة
والامتنان هو تعداد النعم وهو من الله ممدوح ومن غيره مذموم
ويفارق الاباحة باقترانه بذكر ما يضطر اليه بخلافها وبانها تكون فى
الشئ الذى سيوجد بخلافه الخامس التسخير وهو تبديل الشئ
من حالة الى حالة اخرى فيها مهانة ومذلة كقوله تعالى كونوا
قردة خاسئين والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقى خروج ذلك
عن وسع المخاطبين وطاقتهم لان تصييرهم انفسهم قردة محال عليهم

والعلاقة

أى لفظا مستعملا فيما وضع له صح

أى بالاجماع

صورة الصفحة الأولى

اللازمية بوسائط لان الاستفهام يستلزم الجهل بالمستفهم
عنه وهو يستلزم عدم الاعتناء بالمجهول وهو يستلزم
احتقاره والقرينة حال المتكلم والتعجب نحو الم تر الى ربك
كيف مد الظل والعلاقة المشابهة فى التسبب عن الجهل لان
الاستفهام عن الشئ يتسبب عن الجهل به وكذلك التعجب
والقرينة العلم بالفاعل ضرورة والتعجب من حضرة الحق سبحانه وتعالى
بمعنى تعجيب المخاطب اذ يستحيل عليه تعالى ان يتعجب من شئ لاحاطة
علمه بجميع الاشياء والتعجب فى الآية حاصل من الهمزة بضميمة
كيف والله سبحانه وتعالى أعلم ونسأله الرضى والتوفيق
وحسن الختام هذا آخر ما يسره الله جمعه أسأل الله
النفع به لكل من تلقاه بقلب سليم وان يجعله
خالصا لوجهه الكريم ومقربا الى جنات النعيم
وصلى الله على سيدنا محمد ابى القاسم
الامين وعلى اله وصحبه اجمعين

صورة الصفحة الأخيرة



لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٦٠)

تَشْحِيذُ الأَفْهَامِ
فِي
إِطْلَاقَاتِ ٱلأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ وَٱلاستِفْهَامِ

تَأْلِيفُ
الشَّيخ العَلَّامَةِ الهُمَامِ فَخرِ الإِسْلَامِ
عَبدِ اللهِ بنِ زَيدٍ المَعْزِبِيِّ الزَّبِيدِيِّ اليَمَانِيِّ
(ت ١٣٨٩ هـ)
رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
المهدي محمد الحرازي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، وبه نستعينُ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ خاتمِ النبيين، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

وبعد:

[فصل
في الأمر][1]

اعلم أن الأصلَ[2] في الأمر: الوجوبُ، واستعمالُه فيه

---

(١) عرِّف الأمر بتعريفات متعددة تبعاً لاختلاف أصحابها في مسائل الأمر، من اشتراط العلو، أو الاستعلاء، أو هما معاً، أو عدم اشتراط شيء منهما، والإرادة والطلب، وغير ذلك، وسأذكر نماذج لبعض تلك التعريفات:
١ ـ الأمر: هو طلب الفعل ممن هو دونك بـ (افعل).
٢ ـ الأمر: هو حقيقة في القول الطالب للفعل.
٣ ـ الأمر: هو إرادة الفعل.
٤ ـ الأمر: طلب الفعل بالقول على سبيل الاستعلاء.
راجع دراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة في شرح المنظومة (١/ ٤٨٦ وما بعدها)، ونهاية السول شرح منهاج الوصول (١/ ٣٧٥)، والإحكام للآمدي (٢/ ٣٦٤)، والمحصول (٢/ ١٧).

(٢) اختلف العلماء في تحديد الأصل لغةً على خمسة أقوال:
الأول: ما يبنى عليه غيره. =

. . . .

= **الثاني**: المحتاج إليه.

الثالث: ما منه الشيء.

الرابع: منشأ الشيء.

الخامس: ما يستند تحقق الشيء إليه.

وأما الأصل في الاصطلاح فله عدة معانٍ:

الأول: الدليل، يقال: الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة، أي دليلها.

الثاني: الراجح، يقال: الأصل في الكلام الحقيقة، أي الراجح عند السامع.

الثالث: المستصحب أو القاعدة المستمرة، يقال: تعارض الأصل والطارىء، ويقال: إباحة الميتة للمضطر على خلاف الأصل، أي على خلاف القاعدة المستمرة.

الرابع: القاعدة الكلية، يقال: لنا أصل، وهو أن الأمر للوجوب، والمراد بقوله: لنا أصل، أي: قاعدة كلية.

الخامس: الصورة المقيس عليها، وهو ما يقابل الفرع في باب القياس، على اختلافٍ في تفسير الأصل.

والمراد بالأصل هنا: الراجح.

انظر: القاموس المحيط (باب اللام، فصل الهمزة، ص ١٢٤٢)، والتعريفات (ص ٤٥)، والكليات (ص ١٢٢)، ونهاية السول شرح منهاج الأصول (١/ ٨ ـ ٩)، وشرح الكوكب المنير (١/ ٣٨)، والمحصول في علم الأصول (١/ ٧٨)، والإحكام للآمدي (١/ ٨)، وشرح عضد الملة والدين على مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٥)، وتقريب الوصول (ص ٨٩)، ولطائف الإشارات شرح تسهيل الطرقات لنظم الورقات في الأصول الفقهيات (ص ٨)، وقواعد الأصول ومعاقد الفصول (ص ٢٢)، وهداية العقول لابن القاسم (١/ ٣٦)، وإرشاد الفحول (ص ٣)، والفصول اللؤلؤية (ص ٩٦)، ومراقي السعود (ص ٥٩)، وشفاء غليل السائل (ص ١٢)، وغاية الوصول إلى دقائق علم الأصول ـ المبادىء والمقدمات ـ (ص ٢٣).

حقيقةٌ[1]، أي لفظٌ مستعملٌ فيما وُضِـعَ له، فمتى أُطْلِقَ اقتضى الوجوب، ما لم تُوجد قرينة صارفة عن الحقيقة[2].

---

(١) **الحقيقة في اللغة**: إما فعيل بمعنى مفعول من قولك: حققت الشيء أحقه إذا أثبته، أو فعيل بمعنى فاعل من قولك: حق الشيء يحق إذا ثبت.
انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٢٦٩)، والتلخيص (٤/ ٢٨)، وشرح أبي يعقوب على التلخيص (٤/ ٤)، والمصباح المنير (١/ ١٤٤)، ولسان العرب (٢/ ٩٤٠).
وفي الاصطلاح: عرف بعدة تعريفات أخصرها: ما بقي على موضوعه فلم يستعمل في غيره.
انظر: المراجع البلاغية السابقة، والدرة الموسومة (٢/ ٤٧١)، والجواهر الأنقات (لوحة ١١)، وشرح العبادي على شرح المحلي على الورقات (ص ٦٣).

(٢) ما ذكره الشيخ من أن الأمر عند تجرده عن القرائن حقيقة في الوجوب هو مذهب الجمهور من أرباب المذاهب الأربعة، وجماعة المتكلمين، وبه قال بعض أئمة الزيدية، وأبو الحسن الأشعري.
ولكن هل هو حقيقة في الوجوب شرعاً أو لغةً أو عقلاً؟ فيه ثلاثة مذاهب.
وهناك مذاهب أخرى في هذه المسألة تبلغ بضعة عشر قولاً، منها:
ـ حقيقة في الندب، وهو وجه للشافعي، وبه قال أبو هاشم وأبو علي، ورواية عن المنصور من الزيدية.
ـ حقيقة في الإباحة؛ لأنَّ الإباحة هي المحققة، والأصل عدم الطلب.
ـ مشتركة بالاشتراك اللفظي بين الوجوب والندب، وبه قال الموسوي من الشيعة.
ـ حقيقة في القدر المشترك بين الوجوب والندب، وهو الطلب، وبه قال أبو منصور الماتريدي ومشايخ سمرقند.
ـ حقيقة إما في الوجوب وإما في الندب وإما فيهما جميعاً بالاشتراك اللفظي، ونحن لا ندري أيها؟ قال به بعض الواقفة كالشيخ أبي الأشعري، والقاضي الباقلاني. =

وقد يُطْلَقُ ويراد به غيره؛ لوجود القرينة الصارفة عن الوجوب، فيكون مجازاً، أي لفظاً مستعملاً في غير ما وُضِعَ له؛ لعلاقة، أي مناسبة بين المعنى الحقيقي الذي هو الوجوب، والمجازي كالندب وغيره مما سيأتي، مع قرينةٍ مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي.

وللأمر إطلاقاتٌ مشهورة، وهي ستٌّ وعشرون[1]:

= - مشترك بين الوجوب والندب والإباحة، ولكن هل هو بالاشتراك اللفظي أو المعنوي؟ فيه رأيان.

- مشترك بين الوجوب والندب والكراهة والإباحة والتحريم، حكاه أصحاب البرهان، والمحصول، والإحكام.

- مشترك بين الوجوب والندب والإرشاد والتهديد، حكاه الغزالي في المستصفى ونسبه للأشعري والقاضي وأصحابهما.

- أمر الله للوجوب، وأمر النبي ﷺ للندب إلاَّ ما كان موافقاً للنص أو مبيناً لمجمل، حكاه القاضي عبد الوهاب في الملخص عن شيخه أبي بكر الأبهري.

- حقيقة في الطلب، مجاز في ما سواه.

- مشترك بين ستة أشياء، وهي: الوجوب والندب والتهديد والتعجيز والإباحة والتكوين.

- مشترك بين الوجوب والندب وبين الشأن والعرض، وبه قال الشيخ الحسن الرصاص من الزيدية.

راجع دراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة في شرح المنظومة (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٣)، والمعتمد (١/ ٥٠ وما بعدها).

(١) تعددت الأرقام عند العلماء فيما تَرِدُ له صيغة الأمر، فأوصلها بعضهم إلى ستة وثلاثين معنى، وبعضهم إلى خمسة وثلاثين، وبعضهم إلى ثلاثة وثلاثين، وبعضهم إلى ستة وعشرين، وبعضهم إلى عشرين، وبعضهم إلى ستة عشر، وبعضهم إلى خمسة عشر، وبعضهم إلى أقل من ذلك، كما يرى ذلك الناظر في كتب الأصول، مع العلم أن هذه المعاني يتميز بعضها عن بعض بالقرينة. =

أولها: الوجوب[1]: وهو الأصل، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[2].

الثاني: الندب[3]: نحو قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾[4].

والقرينة الصارفة عن الوجوب: الإجماعُ على أنه لا يجب على السيد أن يعتق مملوكه أو يبيعَه، والمكاتبةُ بيعٌ[5].

والعلاقة بين الوجوب والندب: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

= انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٧)، والمحصول (٢/ ٣٩)، والمستصفى (١/ ٤١٧)، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، ومنهاج الوصول (ص ٣٧)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ١٧)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، ومفتاح الوصول (ص ٢١)، ونهاية السول (٢/ ٣٨٧ وما بعدها)، والجواهر الأنقات (لوحة ١٤)، والفصول اللؤلؤية (ص ١٤٠)، ودراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٧٤).

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٧)، والمحصول (٢/ ٣٩)، والمستصفى (١/ ٤١٧)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ١٧)، ونهاية السول (١/ ٣٨٧)، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢).

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣، وسورة النور: الآية ٥٦.

(٣) انظر المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٤) سورة النور: الآية ٣٣.

(٥) وهذا هو رأي جمهور علماء الأمصار.

وذهب عكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار، والضحاك بن مزاحم وجماعة أهل الظاهر إلى أن ذلك واجب على السيد.

انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١٦٢)، وفتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٩)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣١٨)، والنكت والعيون للماوردي (٣/ ١٤٢).

الثالث: الإباحة[1]: كقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[2].

والقرينة: الإجماع على عدم وجوب الأكل.

والعلاقة: المشابهة المعنوية أيضاً؛ لاشتراك الإباحة والوجوب في مطلق الإذن أو التضاد؛ لأن إباحة كلٍّ من الفعل والترك يضاد إيجاب أحدهما.

الرابع: الامتنان[3]: كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[4].

والقرينة والعلاقة: ما تقدم في الإباحة.

والامتنان: هو تعداد النعم[5]، وهو من الله ممدوح، ومن غيره مذموم.

---

(١) انظر: المستصفى (١/ ٤١٧)، والمحصول (٢/ ٤٠)، ونهاية السول (١/ ٣٨٧ وما بعدها)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٨)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٧٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ١٨)، ودراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة (٢/ ٥٧١).

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥١.

(٣) انظر: المستصفى (١/ ٤١٧)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٨)، والتحبير شرح التحرير (٥/ ٢١٨٨)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٢)، ونهاية السول (١/ ٣٩١)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢).

(٤) سورة تبارك: الآية ١٥.

(٥) ولذلك سماه إمام الحرمين بالإنعام؛ لما فيه من تذكير النعمة، وقد أفرده الشيخ في هذه الرسالة بالذكر، وهو المعنى العشرون.
انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٨)، والتحبير (٥/ ٢١٨٨)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٢).

ويفارق الإباحة باقترانه بذكر ما يُضْطَرُّ إليه بخلافها[1] وبأنها تكون في الشيء الذي سيوجد بخلافه[2].

الخامس: التسخير[3]: وهو تبديل الله الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ أخرى

---

(1) عبر الشيخ بالاضطرار، وعبر غيره بالحاجة والاحتياج.
وهو قول عند بعض العلماء في التفريق.
انظر: المراجع السابقة المواضع نفسها، ونهاية السول (١/ ٣٩١)، وجمع الجوامع وشرحه للمحلِّي وحاشية البناني (١/ ٣٧٣).

(2) هذا قول آخر في التفريق بين الإباحة والامتنان.
ولم يذكر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أن هذا وما قبله قولان، بل ذكرهما على أنهما وجهان للتفريق.
انظر: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢) وحاشية البناني على جمع الجوامع وشرحه للمحلِّي (١/ ٣٧٣)، ونهاية السول (١/ ٣٩١).

(3) عبَّر الزركشي ـ رحمه الله تعالى ـ في البحر المحيط (٢/ ٣٥٩) بالسخرية واعتبره الصواب، وحجته أن السخرية الهزء، وأما التسخير فهو نعمة وإكرام، لكن تفسيره للتسخير هو معنى ما ذكره الشيخ هنا.
وأجاب البناني في حاشيته على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣): بأن التسخير كما يستعمل في الإكرام يستعمل في التذليل والامتهان.
أما الإسنوي في شرحه لمنهاج الوصول (١/ ٣٩٢، ٣٩١) فقد تعجب ممن اعتبر التعبير بالسخرية أصوب من التسخير واعتبره تغليطاً للأئمة، وتكريراً لبعض الإطلاقات، وفسر التسخير بالانتقال إلى حالة ممتهنة.
والتعبير بالتسخير ورد عند كثير من العلماء، منهم: الغزالي في المستصفى (١/ ٤١٨)، وتبعه ابن قدامة في روضة الناظر (١/ ٥٩٨)، والرازي في المحصول (٢/ ٤٠)، وابن السبكي في جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، والمرداوي في التحبير (٥/ ٢١٩٠) وابن النجار في شرح الكوكب (٣/ ٢٥)، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، وغيرهم.

فيها مهانةٌ ومذلةٌ[1]، كقوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2].

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: خروج ذلك عن وُسْعِ المخاطبين وطاقتهم؛ لأنَّ تَصْيِيْر أنفسهم قردة محال عليهم.

والعلاقة بين المعنى الحقيقي وبينه: المشابهة في مطلق الإلزام، فإن الوجوب: إلزام المأمور به.

والتسخير: إلزام الذُّلِّ والهوان.

السادس: الإكرام[3]: نحو قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[4]، أي الجنة.

والقرينة[5]: قوله تعالى: ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[6]، فإنه يدل على الإكرام، ولا وجه لحمله على الوجوب.

والعلاقة[7]: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الإذن.

---

(1) انظر: نهاية السول (1/ 391)، والبحر المحيط (2/ 359).

(2) سورة البقرة: الآية 65.

(3) انظر: المستصفى (1/ 418)، والمحصول (2/ 40)، والتحصيل (1/ 272)، ومنهاج الوصول مع شرحه نهاية السول (1/ 387 و 391)، وروضة الناظر (2/ 597)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (1/ 372)، وجمع الجوامع (1/ 373)، والبحر المحيط (2/ 359)، والتحبير (5/ 2188)، وشرح الكوكب المنير (3/ 23).

(4) سورة الحجر: الآية 46.

(5) انظر: التحبير (5/ 2188)، وشرح الكوكب المنير (3/ 23)، وحاشية البناني على جمع الجوامع وشرحه المحلِّي (1/ 373).

(6) سورة الحجر: الآية 46.

(7) انظر: نهاية السول (1/ 391).

السابع: الإهانة[1]: نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[2].

والقرينة: كون الكافر حال الخطاب بالصيغة في غصص المذوق ومحنه، فليس المراد أمره بذوق العذاب وإلاَّ كان تحصيلَ حاصل، وهو محال لذاته.

والعلاقة: ما مر في التسخير، أو المضادَّة[3]؛ لأن الإيجاب على

---

(١) انظر: المستصفى (١/ ٤١٨)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٧)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (١/ ٣٧٢)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٢)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

وسماه جماعة: التهكم، وضابطه: أن يؤتى بلفظ يدل على الخير والكرامة والمراد ضده، وبهذا فارق التسخير.

والفرق بين الإهانة والاحتقار: أن الإهانة: إنما تكون بقول، أو فعل، أو ترك قول، أو ترك فعل، كترك إجابته والقيام له، ولا تكون بمجرد الاعتقاد، والاحتقار: قد يكون بمجرد الاعتقاد، فإن من اعتقد في شخص أنه يعيبه ولا يلتفت إليه يقال: إنه احتقره، ولا يقال: إنه أهانه.

والحاصل: أن الإهانة: هي الإنكاء، والاحتقار: عدم المبالاة، وسيأتي في هذه الرسالة، وهو المعنى الثالث عشر.

راجع: البحر المحيط (٢/ ٣٦٣)، وحاشية البناني على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٦)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢).

(٢) سورة الدخان: الآية ٤٩.

(٣) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧).

العباد تشريف لهم؛ لما فيه من تَأَهُّلِهم لخدمة الملك الحق[1]، قال ﷺ حاكياً عن ربه: «ما تقرب إلي المتقربون بمثل ما افترضت عليهم»[2]، فهو ضد الإهانة.

الثامن: التهديد[3]: وهو التخويف[4] مطلقاً، سواء كان بمصاحبة وعيد مبيَّن أو مُجْمَل.

فالأول: كأن يقول السيد لعبده: دُمْ على عصيانك فالعصا أمامك.

والثاني: كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[5]، أي فسترون منا ما هو أمامكم، فهذا يتضمن وعيداً مجملاً.

والقرينة الصارفة عن الوجوب: ظهورُ أن ليس المراد طلب دوام عبده على عصيانه؛ لقوله عقبه: فالعصا أمامك، ولا أمرهم بكل عمل شاؤوا بأن

---

(١) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري بألفاظ قريبة (١١/ ٣٤٨) في كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم (٦٥٠٢).
وأخرجه البيهقي (٣/ ٣٤٦) في كتاب صلاة الاستسقاء، باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله بالصدقة ونوافل الخير رجاء الإجابة.

(٣) انظر: المستصفى (١/ ٤١٨)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (١/ ٣٧٢)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٨)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٢)، وجمع الجوامع وشرحه للمحلِّي وحاشية البناني (١/ ٣٧٢)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٢٦٤)، والتحبير (٥/ ٢١٨٩)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٣ ـ ٢٤)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٧).

(٤) هكذا ورد في اللغة، يقال: هدده: خوفه، والتهديد: التخويف.
انظر: مختار الصحاح (ص ٣١٢)، والقاموس المحيط (ص ٤١٨).

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٠.

يكونوا هملاً، بل الوعيد والتهديد؛ لقوله تعالى عقبه: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

والعلاقة بين المعنى الحقيقي وبين التهديد: التضاد، وذلك أن المأمور به إمّا واجبٌ أو مندوب، والمهددُ عليه إمّا حرامٌ أو مكروه(٢).

وصحح بعضهم: أن المهدد عليه لا يكون إلاَّ حراماً؛ لاقترانه بذكر المتوعَّد به(٣).

التاسع: التعجيز(٤): أي إظهار ....

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٢) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٠)، والإبهاج شرح المنهاج (٢/ ١٨)، وحاشية البناني على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤).

(٣) لم يذكر الشيخُ مَنْ ذلك البعض المصحح، وبالنظر في كتب الأصول وجدت أن الإمام تاج الدين السبكي نص في الإبهاج (٢/ ١٨) على ذلك، فقد علق على ما ذكر من أن المهدد عليه حرام أو مكروه بقوله: «كذا قيل، وعندي: أن المهدد عليه لا يكون إلاَّ حراماً، كيف وهو مقترن بذكر الوعيد».
وقد نقل البناني في حاشيته على جمع الجوامع وشرحه للمحلِّي (١/ ٣٧٢) هذا القول عن ابن السبكي، وذكر أن المحلي حين قال عن التهديد: «ويصدق مع التحريم والكراهة» لم يلتفت إلى قول المصنف في شرح المنهاج.

(٤) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٢)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (١/ ٣٧٢)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٧)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٧).
والفرق بين التعجيز والتسخير: أن التسخير نوع من التكوين، فإذا قيل: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ معناه: انقلبوا إليها، والتعجيز: إلزامهم بالانقلاب ليظهر عجزهم، لا لينقلبوا إلى الحجارة.
وقال ابن عطية: عندي في التمثيل به نظر، وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر =

العجز[1]، نحو قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[2].

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: ظهورُ أن ليس المراد طلب إتيانهم بسورة من مثله؛ لخروجه عن وسعهم وطاقتهم، لكونه محالاً.

والعلاقة: المضادَّة؛ لأن التعجيز يكون في المستحيلات، والطلب في الممكنات[3].

العاشر: التسوية[4]: نحو قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾[5]، أي صبركم وعدمه سواء.

= فعل ما لا يقدر عليه المخاطب، كقوله: ﴿فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]، ونحوه، وأما هذه الآية فمعناها: كونوا بالتوهم والتقدير: كذا وكذا.

انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٦٠)، والتحبير (٥/ ٢١٩١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٦).

(١) انظر: شرح المحلي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

ومَثَّلَهُ الصيرفي والقفَّال والآمدي بقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝﴾ [الإسراء: ٥٠].

(٣) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٦).

(٤) انظر: المستصفى (١/ ٤١٨)، ومسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت (١/ ٣٧٢)، والإحكام للآمدي (٢/ ٣٦٧)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، ومنهاج الأصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٣)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٨). وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٧).

(٥) سورة الطور: الآية ١٦.

والقرينة: ظهورُ أن ليس المراد طلب الصبر؛ لقوله: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾[1]، وإلاَّ كان طلباً له ونهياً عنه.

والعـلاقـة بيـن المعنـى الحقيقـي والمعنـى المجـازي: التضـاد؛ لأن التسوية بين الفعل والترك تُضاد إيجاب أحدهما[2].

الحادي عشر: التمني[3]: نحو قول امرىء القيس[4] في معلَّقته:

ألا أيُّهـا الليـلُ الطـويـلُ ألا انْجَلـي　　　بِصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ[5]

---

(١) سورة الطور: الآية ١٦.

(٢) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٣)، والتحبير (٥/ ٢١٩٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: المستصفى (١/ ٤١٨)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٨)، والمحصول (٢/ ٤٠ ـ ٤١)، والإحكام للآمدي (٢/ ٣٦٧)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦٠)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩٣)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٩)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٨).

(٤) هو حندج بن حجر بن عمرو الكندي المعروف بامرؤ القيس، الشاعر الجاهلي المعروف الملقب بذي الجروح، قال ابن خالويه: لأن قيصر أرسل إليه حلة مسمومة فلما لبسها أسرع السم إليه فتثقَّب لحمه، فسمي ذا الجروح، توفي نحو ٨٠ قبل الهجرة.
انظر: الأعلام لِلزِّركلي (٢/ ١١ ـ ١٢).

(٥) انظر هذا البيت في: ديوان امرىء القيس (ص ٤٩)، وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص ٥٩)، ومعجم شواهد العربية (ص ٣٠٤)، وخزانة الأدب (٢/ ٢٨٧)، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/ ٧٦٤).
وكاد هذا البيت أن يكون مثالاً للتمني عند جميع العلماء، حتى عند من رأى أن الأحسن التمثيل بغيره مثَّل به أولاً، وكتب اللغة والأصول شاهدة بذلك.

أي ليس فيه قضاء أرب أيضاً، فهو كالليل، لكن المهموم يطلب الانتقال من حالة إلى أخرى؛ لشدة الضجر[١].

والقرينة: ظهورُ أن ليس الغرض طلب الانجلاء من الليل، إذ ليس ذلك في وسعه.

وحُمِلَ على التمنِّي دون الترجي؛ لاستطالة الشاعر تلك الليلة، حتى كأنه لا طماعية له في انجلائها[٢].

والعلاقة: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

وَمَثَّلَ بعضهم للتمني بقولك لآخر: كُنْ فلاناً[٣]، ومنه حديث: كُنْ أبا خيثمة[٤] ....

---

(١) انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

(٢) تنزيل ليل المحب لطوله منزلة المستحيل انجلاؤه مبالغة، ولهذا قال الشاعر:

وليل المحب بلا آخر

وإلاَّ فانجلاء الليل غير مستحيل، ومعلوم أنَّ الترجِّي يكون في الممكنات، والتمنِّي في المستحيلات.

انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٣)، وشرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩٣)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٩)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦١).

(٣) حكي هذا المثال عن ابن فارس، وهو المثال الذي ذكره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في غاية الوصول (ص ٦٤)، واستحسنه الزركشي في البحر المحيط (٢/ ٣٦١)، وانظر: التحبير (٥/ ٢١٩٣)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٩).

(٤) في النسخة الخطية: (كن حديثاً أبا خيثمة)! وأبو خيثمة هو الصحابي عبد الله بن خيثمة الأنصاري السالمي المدني، شهد مع رسول الله ﷺ أحداً وباقي المشاهد، وتأخر عن غزوة تبوك عدة أيام، ثم التحق بالنبي ﷺ وهو بتبوك، فلما قَرُبَ بحيث يُرَى شخصٌ ولا يعرف من هو قال له النبي ﷺ: (كن أبا خيثمة) فإذا هو أبو خيثمة، عاش إلى زمن يزيد بن معاوية. =

كما في البخاري[1].

الثاني عشر: الإرشاد[2]: نحو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن

= انظر ترجمته في: الإصابة (٤/ ٥٣)، وأسد الغابة (٣/ ٢٢٥).
ومعنى كن أبا خيثمة: أنت أبو خيثمة، قال ثعلب: العرب تقول: كن زيداً، أي أنت زيد، قال القاضي عياض: والأشبه عندي أن (كن) هنا للتحقيق والوجود، أي لتوجد يا هذا الشخص أبا خيثمة حقيقة، وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب، وهو معنى قول صاحب التحرير: تقديره: اللّٰهمَّ اجعله أبا خيثمة.
انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٩)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٢٧٨).

(١) لم أعثر على هذا الحديث في صحيح البخاري رغم كثرة البحث والرجوع إلى معظم طبعاته، وقد عزاه مُحَقِّقَا شرح الكوكب المنير إلى صحيح البخاري (٣/ ٨٦)، وهذا الموضع وجدته في طبعة صحيح البخاري بحاشية السندي كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، إلاَّ أن اللفظة المذكورة ليست فيه، ولعله اشتبه عليه ما ورد في صحيح مسلم، إذ هو جزء من حديث في صحيح مسلم (١٧/ ٩٠) كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (٥٣/ ٢٧٦٩).

(٢) انظر: المستصفى (١/ ٤١٧)، والتحصيل (١/ ٢٧٢)، ومسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، ولب الأصول (ص ٦٤)، ومنهاج الوصول (١/ ٣٨٧).
ويختلف الإرشاد عن النَّدْبِ في أمرين:
١ ـ الإرشاد يرجع إلى مصالح الدنيا بخلاف الندب.
٢ ـ الإرشاد لا ثواب فيه بخلاف الندب، ولذلك لا ينقص الثواب بترك الإشهاد في المداينات، ولا يزيد بفعله.
انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٧)، والمحصول (٢/ ٣٩)، ونهاية السول (١/ ٣٨٩)، وشرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، والإحكام للآمدي (٢/ ٣٦٧)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والتحبير (٥/ ٢١٨٦)، =

﴿رِجَالِكُمْ﴾[1]، أي أشهدوا على الدين شاهدين، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[2].

والقرينة الصارفة عن الوجوب إلى الإرشاد: تداينُ المسلمين وتبايعُهم في العُصُرِ الخوالي بلا إشهادٍ من غير نكير من أحد منهم، وأيضاً فإن المصلحة فيه دنيوية راجعة إلى التراضي وقد حصل، قال ﷺ: «لا يحل مالُ امرئٍ مسلمٍ إلاَّ بطيبِ نفسٍ منه»[3].

والعلاقة بينه وبين المعنى الحقيقي: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب[4].

الثالث عشر: الاحتقار[5]: نحو قوله تعالى: ﴿أَلْقُوا مَآ أَنتُم

= وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٠)، ومسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والمستصفى (١/ ٤١٩).

نعم قد يقترن بالإرشاد نية امتثال المرشد بفعل ما أرشد إليه، فتجتمع فيه المصلحتان، فإن قصد الامتثال والانقياد إلى الله تعالى أثيب عليه، لكن لأمر خارج، وكذا إن قصدهما، أي الامتثال وتحصيل المصلحة الدنيوية، لكن ثوابه في هذه دون ما قبلها.

انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع وشرح المحلِّي عليه (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٣) أخرجه البيهقي (٦/ ١٠٠) في كتاب الغصب، باب من غصب لوحاً فأدخله في سفينة أو بنى عليه جداراً.

(٤) انظر: نهاية السول (١/ ٣٨٨).

(٥) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، ولب الأصول (ص ٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦١)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والمحصول =

تُلْقُونَ ﴾[1]، إذ ما يلقونه من السحر وإن عَظُمَ محتقرٌ بالنظر إلى معجزة موسى عليه الصلاة والسلام، فلا يقال: كيف يوصف السحر المذكور بالاحتقار مع وصف الله تعالى له بالعِظَم[2].

والقرينة: ظهورُ أن ليس المراد طلب الإلقاء منهم؛ لأنهم بصدد أن لا يطيعوه ولا يمتثلوا ذلك؛ لشدة مخالفتهم له في ذلك الوقت، بل تحقير ما يُلْقُونَه، وعدم المبالاة به، كما يؤخذ بالذوق من الآية، فالقرينة حالية.

والعلاقة: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

الرابع عشر: الدعاء[3]: نحو قولك: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عيبي، وكفِّر زلَلِي[4].

= (٢/ ٤١)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٨، و ٣٩٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٨).

(١) سورة يونس: الآية ٨٠.

(٢) انظر: شرح جلال الدين المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وحاشية البناني على جمع الجوامع وشرح المحلِّي عليه (١/ ٣٧٤)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦١)، ونهاية السول (١/ ٣٩٤)، والتحبير (٥/ ٢١٩٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٧).

(٣) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧ و ٣٩٣)، ولب الأصول (ص ٦٤)، وغاية الوصول (ص ٦٤)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٨)، ومسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦٠)، والتحبير (٥/ ٢١٩٣)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٨)، والإحكام للآمدي (٢/ ٣٦٧)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٨).

(٤) ويمثل لهذا المعنى ـ أيضاً ـ بقوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ [نوح: ٢٨]، =

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: هي أن الأمر إما طلب جازم، بحيث لا مندوحة عن ترك المأمور به، أو بحيث يترتب الوعيد على تركه، وذلك لا يُتَصَوَّرُ هنا، وإما طلب غير جازم، بحيث يترتب الثواب على الفعل دون الترك، أو بحيث يترجح الفعل ويلام على الترك، وهو غير مُتَصَوَّرُ هنا أيضاً.

والعلاقة: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب[1].

الخامس عشر: الخبر[2]: كحديث: «إذا لم تستحِ فاصْنَعْ ما شئت»[3]، أي: صنعت[4].

= وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] وغيرهما من آيات الدعاء، ففيها طلب أن يعطيهم ذلك على وجه التفضل والإحسان.
راجع المراجع السابقة.

(١) انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٣)، والتحبير (٥/ ٢١٩٣)، وشرح الكوكب (٣/ ٢٨).

(٢) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٨ و ٣٩٤)، وروضة الناظر (٢/ ٥٩٨)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩٥)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩٤ ـ ٥٩٥) كتاب الأنبياء، باب ٥٤، حديث رقم (٣٤٨٣ و ٣٤٨٤).
وأخرجه أبو داود (٤/ ٢٥٢) كتاب الأدب، باب في الحياء، حديث رقم (٤٧٩٧).
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠) كتاب الزهد، باب الحياء، حديث رقم (٤١٨٣).

(٤) وقيل: المعنى إذا لم تستحِ من شيء لكونه جائزاً فاصنعه، إذ الحرام يُستحيى منه، بخلاف الجائز.
انظر: نهاية السول (١/ ٣٩٤).

والقرينة: ظهورُ أن ليس المراد الأمر بصُنْعِ ما شاء، بل الإخبار بأن الشخص إذا لم يستحِ صَنَعَ مَا شاء؛ لأن ترك الحياء يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الأستار، فالقرينة حالية.

والعلاقة: التضاد، إذ الخبر مضاد للإنشاء، الذي الطلب الجازم فرد منه[1].

السادس عشر: التكوين[2]: ومعناه الإيجاد عن العدم بسرعة[3]، نحو قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[4].

---

(١) أي من الإنشاء.

(٢) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٢)، ولب الأصول (ص ٦٤)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٩)، والمحصول (٢/ ٤١)، والتحصيل (١/ ٢٧٣)، ومنهاج الوصول وشرحه نهاية السول (١/ ٣٨٨ و ٣٩٤).
وسماه الآمدي في الإحكام (٢/٣٦٨)، والغزالي في المستصفى (١/٤١٨): كمال القدرة.
ونسب الزركشي في البحر المحيط (٢/ ٣٥٩) للقفال والشيخ أبي إسحاق وإمام الحرمين أنهم سموا هذا المعنى: التسخير.
وبالرجوع إلى كتب الشيخ أبي إسحاق وإمام الحرمين المطبوعة لم نعثر على ذلك، غير أن الشيخ أبا إسحاق في شرح اللمع (١/ ١٩١) جعل قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] مثالاً للتكوين، وقد سبق التمثيل به عند العلماء للتسخير.
والفرق بين التكوين والسخرية: أن التكوين: سرعة الإيجاد عن العدم، وليس فيه انتقال إلى حالة ممتهنة، بخلاف السخرية فإنه لغةً: الذل والامتهان.
انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: شرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٩).

(٤) جزء من آية في سورة البقرة: الآية ١١٧، وسورة آل عمران: الآية ٤٧ و ٥٩، =

والقرينة: خروج ذلك عن وُسْع المُوْجَد ـ بفتح الجيم ـ وطاقته.

والعلاقة: المشابهة المعنوية في مطلق الإلزام.

السابع عشر: التأديب[1]: وهو تهذيب الأخلاق وإصلاح العادات[2]، ومثاله: قوله ﷺ لعمر بن أبي سلمة[3] ـ وهو دون

= وسورة الأنعام: الآية ٧٣، وسورة النمل: الآية ٤٠، وسورة مريم: الآية ٣٥، وسورة يس: الآية ٨٢، وسورة غافر: الآية ٦٨.

(١) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، ولب الأصول (ص ٦٤)، والمستصفى (١/ ٤١٧)، وفواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (١/ ٣٧٢)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٧).
وجعله الرازي في المحصول (٢/ ٣٩)، والإرموي في التحصيل (١/ ٢٧٢) قريباً من الندب، وجعله البيضاوي في المنهاج (١/ ٣٨٧) من الندب، وجعله الآمدي في الإحكام (٢/ ٣٦٧) داخلاً في الندب.
والظاهر أن بينهما عموماً وخصوصاً من وجه؛ لأن الأدب متعلق بمحاسن الأخلاق، وذلك أعم من أن يكون من مكلف أو غيره؛ لأن عُمَرَ كان صغيراً، والندب مختص بالمكلفين، وأعم من أن يكون من محاسن الأخلاق وغيرها.
انظر: التحبير (٥/ ٢١٨٨)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٢)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٧).

(٢) انظر: غاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤)، ونقله البناني عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في حاشيته على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣).

(٣) هو عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي المدني، ولد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر، توفي والده سنة ثلاث من الهجرة، ثم كان هو الذي زوج أمه بالنبي ﷺ وهو صبي، وقد علمه النبي ﷺ حين صار ربيبه آداب الأكل، وكان النبي ﷺ عمه من الرضاع، طال عمره حتى صار شيخ بني مخزوم، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨).

البلوغ ويده تطيش في الصحفة ـ : «كُلْ مما يليك»[١].

والقرينة المانعة عن المعنى الحقيقي: كون المخاطب ليس من أهل الوجوب ولا من أهل الندب، وإنما المخاطب بهما هو المكلف.

والعلاقة: اشتراك المعنى الحقيقي والمجازي في مطلق الطلب، وهي مشابهة معنوية.

الثامن عشر: الإذن[٢]: كقولك لمن طرق الباب: ادْخُلْ[٣].

والقرينة: ظهورُ أن ليس المراد أمر الطارق بالدخول، فهي حالية.

والعلاقة بين المعنيين: المشابهة المعنوية، وهي اشتراكهما في رفع المنع.

التاسع عشر: الإنذار[٤]: وهو يفارق التهديد بذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٤٣١) في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث رقم (٥٣٧٦).
وأخرجه مسلم (١٣/ ١٩٣) في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم (١٠٨/ ٢٠٢٢).

(٢) انظر: جمع الجوامع وشرحه للمحلِّي (١/ ٣٧٣).

(٣) هذا المثال فيه إشارة إلى أن المراد بالإذن هنا غير الإباحة؛ لأنها حكم شرعي.
وبعضهم: أدخله في الإباحة، بناءً على أنها رفع المنع من الفعل، لا أحد الأحكام الخمسة.
انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع وشرحه للمحلِّي (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٥٨)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، والتحبير (٥/ ٢١٨٩)، والمستصفى (١/ ٣١٨)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٧٢).
وجعله بعضهم قسماً من التهديد، وهو ما ذهب إليه البيضاوي.
وجعله الرازي وسراج الدين الإرموي قريباً من التهديد، ولم يفرداه. =

الوعيد[1]، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾﴾[2].

والقرينة المانعة عن المعنى الحقيقي: ذكر المتوعد به عقبه، فيظهر من ذلك أنه تعالى لا يريد من المخاطبين الاسترسال وإطلاق العنان في التمتع بالشهوات.

والعلاقة: التضاد، وذلك لأن المأمور به إما واجب أو مندوب، والتمتع بالشهوات إما حرامٌ أو مكروه.

العشرون: الإنعام[3]: وهو إسداءُ النعمة، نحو: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[4].

= انظر: منهاج الوصول مع شرحه نهاية السول (١/ ٣٨٧)، والمحصول (٢/ ٤٠)، والتحصيل (١/ ٢٧٢).
والصواب: المغايرة بينهما.
انظر: التحبير (٥/ ٢١٨٩ ــ ٢١٩٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٤).

(١) هذا هو أحد الفروق بين التهديد والإنذار.
والثاني: أن الفعل المهدد عليه يكون ظاهره التحريم والبطلان، وفي الإنذار قد يكون كذلك وقد لا يكون.
انظر: شرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٣)، وحاشية البناني على جمع الجوامع وشرح المحلِّي عليه (١/ ٣٧٣)، والبحر المحيط (٢/ ٣٥٨ ــ ٣٥٩)، والتحبير (٥/ ٢١٨٩ ــ ٢١٩٠) وشرح الكوكب المنير (٣/ ٢٤ ــ ٢٥)، ونهاية السول (١/ ٣٩٠)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٧٢).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٠.

(٣) ذكرنا في معنى الامتنان أن إمام الحرمين سماه الإنعام، وقد أفرد ابن السبكي هذا المعنى، وفسَّره المحلِّي: بمعنى تذكير النعمة، واعتبر البناني أن ما ذكره المحلِّي معنى مجازي للإنعام وأن حقيقته: إسداء النعمة.
انظر: جمع الجوامع وشرحه للمحلِّي وحاشية البناني عليهما (١/ ٣٧٤).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: الإجماع على عدم وجوب الأكل(١).

والعلاقة بينهما: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الإذن.

الحادي والعشرون: التعجب(٢): أي تعجب المخاطب، نحو قوله تعالى: ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾(٣).

والقرينة المانعة عن إرادة المعنى الحقيقي: ظهورُ أن ليس المراد أمر المخاطب بالنظر، وإنما المراد التعجب من ضربهم الأمثال.

والعلاقة بينهما: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

الثاني والعشرون: التكذيب(٤): نحو قوله تعالى: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾(٥).

والقرينة المانعة عن الحقيقة: ظهورُ أن ليس المراد أمرهم أن يأتوا بالتوراة وبتلاوتها، وإنما المراد تكذيبهم في دعواهم، وقوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾(٦) قرينة أيضاً على ذلك.

---

(١) انظر: التحبير (٥/ ٢١٩٧ ـ ٢١٩٨)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤ ـ ٣٥)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦٢)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

(٣) سورة الفرقان: الآية ٩.
وَمَثَّلَهُ الصفي الهندي بقوله تعالى: ﴿ قل كونوا حجارة أو حديدا ﴾ [الإسراء: ٥٠].
وَمَثَّلَهُ ابن فارس والعَلَم القرافي بقوله تعالى: ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ [مريم: ٣٨].

(٤) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٦٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩٧)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٣٣)، وجمع الجوامع وشرحه للمحلِّي (١/ ٣٧٤).

(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٣.

(٦) سورة آل عمران: الآية ٩٣.

والعلاقة بينهما: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

الثالث والعشرون: التفويض[1]: نحو قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾[2].

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: ظهورُ أن ليس المراد أمر المخاطب بقضاء ما شاءه، وإنما المراد تفويض الأمر إليه، بدليل سياق الكلام سابقه ولاحقه.

والعلاقة بين الوجوب والتفويض: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الإذن، لأن قبل ذلك قالوا: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ﴾[3]، وبعده: ﴿إِنَّمَا تَقۡضِى هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾[4]، قالوا ذلك جواباً لتوعُّد فرعون لهم.

الرابع والعشرون: إرادة الامتثال[5]: كقولك لآخر عند العطش: اسقني ماءً.

والقرينة الصارفة عن الوجوب: العلم بعدم وجوب طاعة الشخص لمثله ما لم يكن سيداً.

والعلاقة: الاشتراك في مطلق الطلب.

---

(١) انظر: جمع الجوامع وشرح المحلِّي عليه (١/ ٣٧٤)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩٦)، وشرح الكوكب المنير (ص ٣٢).

(٢) سورة طه: الآية ٧٢.

(٣) سورة طه: الآية ٧٢.

(٤) سورة طه: الآية ٧٢.

(٥) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٦٣)، وجمع الجوامع وشرح جلال الدِّين المحلِّي عليه (١/ ٣٧٣)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٤).

الخامس والعشرون: المشورة[1]: وهي طلب رأيِ المخاطب في أمر تريده، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[2].

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: ظهورُ أن ليس المراد أمر المخاطب بالنظر في الأمر مطلقاً، بل ليستشيرَ به الآمر ويأخذَ برأيه فيه، وعدم وجوب طاعة الآمر أيضاً قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي.

والعلاقة: المشابهة المعنوية في مطلق الطلب.

السادس والعشرون: الاعتبار[3]: وهو النظر في حقائق الأشياء؛ ليستدل بها على شيء آخر، نحو قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟[4] إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾[5].

والقرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي: ظهورُ أن ليس المراد أمر المخاطب بالنظر إلى الثمر وتطوره من حالة إلى حالة من غير اعتبار حكمة؛ لأن ذلك عبث، وإنما المراد الاعتبار بمصنوعِ الله تعالى الدال على عظيم قدرته.

والعلاقة: الاشتراك في مطلق الطلب.



---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٣٦٢)، والتحبير (٥/ ٢١٩٧)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وشرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

(٢) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٣) انظر: التحبير (٥/ ٢١٩٧)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٣٤)، والبحر المحيط (٢/ ٣٦١)، وجمع الجوامع (١/ ٣٧٤)، وشرح المحلِّي على جمع الجوامع (١/ ٣٧٤).

(٤) في النسخة الخطية: (فانظروا)، والصواب هو ما أثبتُّه.

(٥) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

فصل
في النهي[1]

الأصل في النهي التحريم، وهو حقيقة فيه كما عليه

---

(١) النهي في اللغة: الزجر عن الفعل أو القول، أو هو المنع، ومنه: سمي العقل نهية؛ لأنه ينهى صاحبه عن الوقوع فيما يخالف الصواب.
انظر: مجمل اللغة، لابن فارس المجلد الثاني (ص ٨٤٢)، والقاموس المحيط (باب الياء، فصل النون، ص ١٧٢٩)، ومختار الصحاح (باب النون، ص ٣٠٨)، والكليات (ص ٩٠٣)، والتعريفات (ص ٣١٦)، وشفاء غليل السائل (١/ ١٩٨)، ودراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة (٢/ ٥٧٥).
وأما النهي في الاصطلاح: فقد عُرِّفَ بعدَّة تعريفات تضمن كل واحد منها ما يشترطه المعَرِّفُ من العلو أو الاستعلاء أو هما معاً أو عدم اشتراط شيء منهما.
فعرفه إمام الحرمين بقوله: والنهي: استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب.
ويشبهه تعريف الشيخ الشيرازي.
انظر: شرح العبادي على شرح الجلال المحلِّي على الورقات (ص ٩٣)، وشرح اللمع (١/ ٢٩١).
وعرَّفه ابن الحاجب في مختصره (٢/ ٩٤) بقوله: النهي: اقتضاء كفٍّ عن فعل على جهة الاستعلاء.
وعرَّفه ابن السبكي في جمع الجوامع (١/ ٣٩٠)، بقوله: النهي: اقتضاء كفٍّ عن فعل لا بقول كُفَّ.
وزاد المحلِّي ونحوه كذَرْ ودَعْ. =

الجمهور[1].

= هذه نماذج لاتجاهات التعريف للنهي، وهناك تعريفات أخرى للنهي، تكاد لا تخرج عن هذه الاتجاهات، وإن اختلفت في الألفاظ.

(1) اتفق العلماء على أن النهي يَرِدُ لعدة معان عند وجود القرينة الدالة عليها، واختلفوا في أَيِّهَا يكون حقيقة عند التجرد عن القرينة.

فذهب الجمهور إلى أن النهي عند تجرده عن القرائن حقيقة في التحريم مجاز فيما عداه، بل بالغ الشافعي في إنكار قول من قال: إنها للكراهة.

وإلى هذا ذهب الأئمة الأربعة، وأئمة الزيدية، وإمام الحرمين، والرازي، والآمدي، والشيرازي، وعامة الأصوليين، وهو المذهب الراجح.

ولكن هل هو حقيقة في التحريم شرعاً أو لغةً أو عقلاً؟ فيه ثلاثة مذاهب.

انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٥).

وهناك مذاهب أخرى، منها:

ـ حقيقة في الكراهة.

ـ مشتركة بين الكراهة والتحريم، أي حقيقة فيهما.

ـ متواطئة فيهما، فهي للقدر المشترك بينهما، وهو طلب الكف استعلاءً.

ـ حقيقة في التحريم أو الكراهة، ولا ندري لأي معنى وضعت فيتوقف، وإليه ذهب الأشعرية.

وغيرها، وقد اكتفى بعض العلماء بذكر المذهب الراجح، كما فعل الشيخ المَغْرَبِي ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره، وبعضهم ذكر المذهب الراجح ثم قال: وفيه المذاهب التي ذكرناها في أنَّ الأمر للوجوب، وهذا يعني أنَّ المذاهب في هذه المسألة قد تبلغ بضعة عشر مذهباً، والله أعلم.

راجع: البرهان (١/ ١٩٩) و (١/ ٣١٨)، واللمع (ص ٦٦)، وشرح اللمع (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، والتبصرة (ص ٩٩)، والمستصفى (١/ ٤٢٦)، والمنخول (ص ١٩٥)، والمحصول (٢/ ٢٨١)، والإحكام للآمدي (١/ ٤٠٦)، وتحقيق المراد (ص ٢٧٤)، ومفتاح الوصول (ص ٣٧)، ومنهاج الوصول (ص ٤٢)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، وتقريب الوصول =

فمتى وردت صيغته أفادت الحظر والتحريم على الفور[1].

وله صيغة واحدة، وهي المضارع مع لا الناهية[2]، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[3].

وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخَر تُستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال[4]:

= (ص ١٨٧)، ومراقي السعود (ص ١٨٥ ـ ١٨٦)، والفصول اللؤلؤية (ص ١٥١)، والقواعد والفوائد (ص ٢٥١)، وشرح ذريعة الوصول (١/ ١٧٤)، ودراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة في شرح المنظومة (٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠).

(١) وذلك لأن النهي يفيد التكرار في جميع الأوقات ومن جملتها وقت الحال.
وكونه للفور هو ما صححه الآمدي، وابن الحاجب، واختاره أكثر الأشاعرة، وادَّعى ابنُ بَرْهَان الإجماع عليه، وجزم به البيضاوي.
انظر: منهاج الوصول (١/ ٤٣٣)، ونهاية السول (١/ ٤٣٥)، والمحصول (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٥)، وشرح العضد على المختصر، لابن الحاجب (٢/ ٩٤، ٩٥)، والإحكام، للآمدي (٢/ ٤١٢).

(٢) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٤) لم يكن اهتمام العلماء بالمعاني التي تَرِدُ لها صيغة النهي موازناً لاهتمامهم بالمعاني التي ترد لها صيغة الأمر، ولعل ذلك راجع إلى أنهم يفصلون كل ما يتعلق بالأمر، ولأن النهي ضد الأمر والخلاف في كثير من مسائله كالخلاف في الأمر فإنهم يحيلون على الأمر في الضد والمساوي.
والمعاني التي وردت لها صيغة النهي أقل من المعاني التي وردت لها صيغة الأمر، وقد تراوح ما رأيته في بعض المراجع بين أربعة عشر وخمسة عشر، وقد تمكنت من جمع تسعة عشر معنى في دراستي وتحقيقي لكتاب الدرة الموسومة (٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦)، والشيخ ذكر ثلاثة عشر معنى، وسوف أقوم بذكر المعاني التي لم يذكرها الشيخ عقب الانتهاء من توثيق المعاني المذكورة إتماماً للفائدة، وإن حصل فيه خروج عن المنهج المتبع في التحقيق.

فَتَرِدُ للدُّعاء[1]: نحو قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾[2].

والالتماس[3]: كقولك لمن يساويك: أيها الأخ لا تتوانَ.

والعلاقة بين النهي والدعاء والالتماس: الإطلاق والتقييد؛ لأن النهي موضوع لطلب الكف على وجه الاستعلاء، فاستعمل في مطلق طلب الكف على جهة المجاز المرسل.

والقرينة المانعة من المعنى الأصلي: هي كون الطلب في المثال الأول: من الأدنى للأعلى، وفي المثال الثاني: من المساوي، وذلك لا استعلاء معه، فلا يدل على وجوب الامتثال بالكف عن المنهي عنه، وذلك مانع من اقتضاء النهي للحظر والتحريم.

وللتمني[4]: كقول الشاعر:

يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُلْ ... يا صبحُ قِفْ لا تطلعِ[5]

فقوله: (لا تطلع) نهي استعمله الشاعر في التمني.

---

(١) انظر: جمع الجوامع (١/ ٣٩٢)، ولب الأصول (ص ٦٧)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩)، والإحكام للآمدي (٢/ ٤٠٦)، والتحبير (٥/ ٢٢٨٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٨٠)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، ومسلم الثبوت (١/ ٣٩٥)، وتحقيق المراد (ص ١٥٦)، والمنخول (ص ٢٠٥).

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨.

(٣) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩)، والتحبير (٥/ ٢٢٨٢)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٨٢)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٩٥)، وإرشاد الفحول (ص ١١٠).

(٤) انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٤٩)، وجواهر البلاغة (ص ٨٣).

(٥) انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٤٩)، وجواهر البلاغة (ص ٨٣).

والعلاقة بينهما: الإطلاق والتقييد؛ لأن النهي طلب الكف على وجه الاستعلاء، فأُطْلِقَ عن قيده، وَقُيِّدَ بالمحبوب الذي لا طماعية فيه.

والقرينة: استحالة حصول التوقف من الصبح عن الطلوع.

وللتهديد[1]: كقولك لخادمك: لا تُطِعْ أمري.

والعلاقة بينه وبين النهي: السببية؛ لأن النهي عن الشيء يتسبب عنه التهديد والتخويف.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي: ظهور أن السيد لا يريد من عبده عدم الامتثال.

وللإرشاد[2]: كقوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3].

والعلاقة بين الإرشاد والنهي: المشابهة المعنوية؛ لاشتراكهما في مطلق الطلب.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي: الإجماع على جواز سؤال الشارع عما خفي على السائل حكمُه[4].

---

(١) انظر: البحر المحيط (٢/ ٤٢٩)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٩٥)، والتحبير (٥/ ٢٢٨١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٨١)، وتحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد (ص ١٥٦)، وإرشاد الفحول (ص ١٠٩).

(٢) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٦)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، والإحكام للآمدي (٢/ ٤٠٦)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، وجمع الجوامع (١/ ٣٩٢)، ولب الأصول (ص ٦٧)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٩٥)، ومختصر ابن اللحام (ص ١٠٣)، والتحبير (٥/ ٢٢٨١)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٨٠)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٩)، والمنخول (ص ٢٠٥)، وإرشاد الفحول (ص ١٠٩).

(٣) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٤) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي المالكي (٢/ ٧٠٠).

وللدوام[1]: نحو: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة الصارفة: العلم بأن اعتقاد المخاطب عدم غفلة الله تعالى عن عمل الظالمين.

ولبيان العاقبة[3]: نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾[4].

---

(١) هذا المعنى لم يذكره كثير من الأصوليين، وجعل بعضهم مثاله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] مثالاً لبيان العاقبة، ومنهم: الآمدي في الإحكام (٢/ ٤٠٦)، والإسنوي في نهاية السول (١/ ٤٣٤)، والمرداوي في التحبير (٥/ ٢٢٨٠)، وتبعه ابن النجار في شرح الكوكب المنير (٣/ ٧٩)، والغزالي في المنخول (ص ٢٠٤)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، وابن اللحام في مختصره (ص ١٠٣)، والشوكاني في إرشاد الفحول (ص ١٠٩)، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت (١/ ٣٩٥).
وهذا المعنى ومثاله ذكره السيد أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة (ص ٨٣).

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤٢.

(٣) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٦)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، والمنخول (ص ٢٠٤)، والإحكام للآمدي (٢/ ٤٠٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٣٨)، وجمع الجوامع (١/ ٣٩٢)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٧)، ومختصر ابن اللحام (ص ١٠٣)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٩٥)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، وإرشاد الفحول (ص ١٠٩)، والتحبير (٥/ ٢٢٨٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٧٩).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.
أي عاقبة الجهاد الحياة لا الموت.
وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قد مَثَّلَ بها لبيان العاقبة: الزركشي في البحر المحيط =

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة المانعة عن إرادة المعنى الأصلي: قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[1]؛ لأن الطلب مَسُوقٌ لبيان ذلك.

وللتَّيئيس[2]: نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[3].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة المانعة عن المعنى الأصلي: قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[4].

والمعنى: أيْأسوا من العذر.

وللكراهة[5]: نحو: لا تلتفتْ ....

= (٢/ ٤٢٨)، والمحلي في شرحه على جمع الجوامع (ص ٣٩٢)، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في غاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٧).
ومَثَّلَ غيرهم ـ وهم الذين نبهنا عليهم سابقاً ـ لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٦)، والبحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، والمنخول (ص ٢٠٥)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، والإحكام للآمدي (٢/ ٤٠٦)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، وجمع الجوامع (١/ ٣٩٢)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٧)، ومختصر ابن اللحام (ص ١٠٣)، والتحبير (٥/ ٢٢٨٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٨٠)، وفواتح الرحموت (١/ ٣٩٥)، وإرشاد الفحول (ص ١١٠).

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٦.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦٦.

(٥) انظر: تحقيق المراد (ص ١٥٥)، والمنخول (ص ٢٠٤)، والمستصفى (١/ ٤١٨)، والإحكام للآمدي (٢/ ٤٠٦)، ونهاية السول (١/ ٤٣٤)، وجمع =

وأنت تُصَلِّي[1].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة: العلم شرعاً بكراهة الالتفات في الصلاة.

والتوبيخ: نحو:

لا تنـهَ عـن خُلُـق وتـأتـي مثلـه[2] ....

= الجوامع (١/ ٣٩٢)، وغاية الوصول شرح لب الأصول (ص ٦٧)، وفواتح الـرحمـوت (١/ ٣٩٥)، والبحـر المحيـط (٢/ ٤٢٨)، والتحبيـر (٥/ ٢٢٨٠)، وشرح الكوكب المنير (٣/ ٧٨).

(١) ومَثَّلَ له الزركشي في البحر المحيط (٢/ ٤٢٨)، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وذكر أن الصفي الهندي مَثَّلَه بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، أي: على عقدة النكاح.

ومَثَّلَ له المحلي في شرح جمع الجوامع (١/ ٣٩٢)، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لكتابه: لب الأصول (ص ٦٧) بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. لكن هذا المثال عند الزركشي في البحر المحيط (٢/ ٤٢٨) إنما دل عليه السياق، وذلك لجواز إنفاق الرديء، ولأن الخبيـث قـد يقـع علـى الحـرام، كقـولـه تعـالـى: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومَثَّلَ لـه المـرداوي فـي التحبيـر (٥/ ٢٢٨)، وابـن النجـار فـي شـرح الكـوكـب المنيـر (٣/ ٧٨) بقولـه ﷺ: «لا يمـس أحدكـم ذكـره بيمينـه وهـو يبـول» متفـق عليه.

(٢) والشطر الثاني للبيت: عار عليك إذا فعلت عظيم.

وهو لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه (ص ٤٠٤)، وانظر: شرح شذور الذهب (ص ٣١٠)، ولسان العرب (٧/ ٤٤٧) عظظ، والمعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية (٢/ ٨٨٧ ـ ٨٨٨)، وخزانة الأدب (٨/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧)، وشرح قطر الندى (ص ١٤٢).

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة: ظهور أن المتكلم لا يريد من المخاطب عدمَ النهي، وإنما مراده توبيخه على نهيه مع فعله المنهي عنه.

والائتناس[(١)]: نحو: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[(٢)].

والعلاقة: ما تقدم.

والقرينة: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[(٣)].

والتحقير[(٤)]: نحو قول الشاعر:

---

(١) لم أعثر فيما بيدي من كتب الأصول على من ذكر هذا المعنى، وذكر المرداوي في التحبير (٥/ ٢٢٨٢) وتبعه ابن النجار في شرح الكوكب المنير (٣/ ٨٢) هذه الآية: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] مثالاً لمعنى التصبر، ولم يَعْزُ المحققون هذا المعنى لأي كتاب من كتب الأصول.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٤) التحقير: إما لشأن المنهي عنه، وإما للمنهي ـ وهو الموجه إليه الخطاب ـ، فالتحقير لشأن المنهي يُمَثَّلُ له بقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

وإيرادُ معنى التحقير لشأن المنهي عنه هو الوارد في معظم كتب الأصول، وليس هو المقصود هنا، وبالتالي فلا حاجة إلى توثيقه.

وأما التحقير للمنهي فلم أره فيما بيدي من كتب الأصول إلاَّ في لب الأصول وشرحه غاية الوصول (ص ٦٧) كلاهما لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، لكنه مثَّل لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٤٠]، ومَثَّلَ لليأس بقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧]، ونقل عن البرماوي قوله: وقد يقال: إنه راجعٌ للاحتقار، أي لاتحاد آيتيهما، وعلق عليه بقوله: «قلت: والأوجه الفرق، إذ ذكر اليوم في الآية الثانية قرينة لليأس، وتركه في الأولى قرينة للاحتقار». =

لا تَطْلبِ المجدَ إن المَجْدَ سُلَّمُه صعبٌ وعِشْ مستريحاً ناعمَ البال[1]

= وهذا المعنى ذكره السيد أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة (ص ٨٤).

(١) انظر: جواهر البلاغة (ص ٨٤).

وهناك مثال آخر ذكره الهاشمي للتحقير، وهو قول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

المرجع السابق (ص ٨٤).

تتمة:

وَعَدْتُ في أول هذا الفصل بذكر المعاني التي لم يذكرها الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ ، وهذا هو مقام الوفاء، فأقول:

ومما تَرِدُ له صيغة النهي عند وجود القرينة ما يلي:

ــ **الأدب**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي: ورودها في مكارم الأخلاق.

ــ **التحذير**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة: أنه تحذير من الغفلة؛ لأن الموت على الإسلام مما لا يدخل تحت القدرة الإنسانية، فينبغي الحذر من الغفلة، والاستمساك بالإسلام حتى إذا حضر الموت في أية لحظة لم يصادف غفلة.

ــ **كونها لإيقاع أَمْنٍ**: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١].

وعبر عنها الزركشي بقوله: اتباع الأمر من الخوف، لكن قيل: إنه راجع إلى الخبر، كأنه قال: أنت لا تخاف.

ــ **التسوية**: نحو قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦].

والعلاقة: مطلق الطلب.

والقرينة: قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦]، إذ ليس المراد النهي عن الصبر، وإنما المراد: سواء صبركم وعدمه. =

والعلاقة: ما تقدم.

والقرينة: قوله: «إن المجد... إلخ»، فيظهر أن قوله: «لا تطلبِ المجدَ» ليس إلاَّ لحقارة المخاطب وعدم أهليته لطلب المجد.



= ـ الخبر: ومَثَّلَهَا الصيرفي بقوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].
فالنون في (تنفذون) جعلها خبراً ـ لا نهياً ـ يدل على عجزهم عن قدرتهم، ولولا النون لكان نهياً، وأن لهم قدرةً كفهم عنها النهيُ.
ـ **الإباحة**: كالنهي بعد الإيجاب على قولٍ: في أن النهي بعد الأمر للإباحة.
راجع: دراسة وتحقيق كتاب الدرة الموسومة (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦).

فصل
في الاستفهام

الاستفهام[1]: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً قبل بأداة من أدواته[2].

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي[3] إلى معانٍ أُخَر، تفهم من سياق الكلام[4]:

---

(١) هذا هو التعريف الوارد في جواهر البلاغة (ص ٨٥).
وعرفه الجرجاني في التعريفات (ص ٣٧) بقوله:
الاستفهام: استعلام ما في ضمير المخاطب.
وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن.
وعرفه الصعيدي في بغية الإيضاح (٢/ ٣٠) بقوله:
هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة كالهمزة ونحوها.

(٢) أدوات الاستفهام هي: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنّى، ومتى، وأيان، ولكل أداة من هذه الأدوات معنى.
انظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٢/ ٣٠)، والإيضاح مختصر تلخيص المفتاح (ص ٧٨)، وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص ٨٥).

(٣) وهو طلب العلم بمجهول.

(٤) ذكر الشيخ في هذه الرسالة تسعة من تلك المعاني بالإضافة إلى المعنى الأصلي وهو طلب العلم بمجهول، وذكر الشيخ أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة (ص ٩٣ ــ ٩٥) عشرين معنى بالإضافة إلى المعنى الأصلي، وذكر الخطيب =

فترد للتسوية[1]: نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾[2].

والعلاقة بين الاستفهام والتسوية: المسببية بواسطة؛ لأن التسوية بين الشيء وغيره تقتضي عدم الاحتفال به، وهو يقتضي جهله، وهو يقتضي الاستفهام عنه.

والقرينة: قوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[3].

= القزويني في إيضاح البلاغة (ص ٨١ ــ ٨٤) ثلاثة عشر معنى بالإضافة إلى المعنى الأصلي.

وينبغي أن يعلم أنه يرجع في إدراك هذه المعاني التي خرجت عن المعنى الأصلي إلى الذوق الأدبي، ولا يكون استعمالها في غير ما وضعت له إلَّا لطريفة أدبية، تجعل لهذا الاستعمال مزية، يترقى بها الكلام في درجات البلاغة.

انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٥ ــ ٩٦).

وقد نَظَمْتُ ما ذكره الشيخ في هذه الرسالة مع ذكر بقية المعاني التي ترد لها صيغة الاستفهام، وقد نَظَمْتُ المعاني التي لم يذكرها الشيخ بعد قولي:

واقنعْ فإن الأمرَ يعدو العشرة

فقلت:

مستفهماً لطلب المجهول ... هذا هو المقصود في الأصول

وغيره مثل خروج الدار ... في الأمر والنهي كذا الإنكار

تسويةٌ نفيٌ كذا تشويقُ ... تعجبٌ عَظِّمْ بما يليق

وإن يكن بعكس ذا فحقِّرَه ... واقنعْ فإن الأمرَ يعدو العشره

حيث أتى مستبعداً مهولاً ... مقرراً مستأنساً ضيف الفلا

منبهاً على الخطا والباطل ... مكثراً وعيد أهل الباطل

منبهاً على ضلال الطُّرُقِ ... مستنبطاً تهكُّماً للأحمق

تحسُّراً على خلو الدار ... من أهلها ومن شذ الجوار

(١) انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٣).

(٢) سورة البقرة: الآية ٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦.

والنفي[1]: نحو: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[2].

والعلاقة: المسببية كذلك، أي بواسطة؛ لأن نفي الشيء جهلٌ لوجوده، وهو يقتضي الاستفهام عنه.

والقرينة المانعة من المعنى الأصلي: العلم شرعاً بجزاء الإحسان.

والإنكار[3]: **نحو**: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾[4]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[5].

والعلاقة: المسببية كذلك؛ لأن إنكار الشيء سببٌ في عدمه، وعدمه سببٌ في جهله، وجهله سببٌ في السؤال عنه.

والأمر[6]: نحو: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[7]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾[8]، أي: انتهوا، وأسلموا.

والعلاقة: التقييد والإطلاق، بنقل الاستفهام من طلب الجواب إلى مطلق طلب، ثم منه إلى طلب الفعل.

والقرينة: حالية.

والنهي[9]: نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾[10].

---

(1) انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٣).

(2) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(3) انظر: الإيضاح (ص٨٢)، وجواهر البلاغة (ص٩٤)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٠ ــ ٤١).

(4) سورة الأنعام: الآية ٤٠.

(5) سورة الزمر: الآية ٣٦.

(6) انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٣٩)، والإيضاح (ص٨١)، وجواهر البلاغة (ص٩٣).

(7) سورة المائدة: الآية ٩١.

(8) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

(9) انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٣).

(10) سورة التوبة: الآية ١٣.

والعلاقة: الإطلاق والتقييد؛ لنقل الاستفهام من طلب الجواب إلى مطلق طلب، ثم إلى طلب الكف.

والقرينة المانعة: قوله: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾[1].

والتشويق[2]: نحو ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[3].

والعلاقة: المشابهة في التسبُّبِ عن الجهل؛ لأن كلاًّ من الاستفهام والتشويق مسببٌ عن الجهل.

والقرينة: ظهور أن ليس المراد مجرد الدلالة على التجارة التي هي الإيمان بالله ورسوله، وإنما المراد التشويق إلى ما يترتب على ذلك من النجاة من العذاب، والسعادة دنيا وأخرى.

والتعظيم[4]: نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[5].

والعلاقة: المسببية؛ لأن الاستفهام عن الشيء مسببٌ عن الجهل به، والجهل به مسببٌ عن كونه هائلاً عظيماً، لأن الأمر الهائل من شأنه عدم الإدراك.

والقرينة: العلم شرعاً بأن لا شفاعة لأحد إلاَّ بإذنه تعالى.

والتحقير[6]: نحو: أهذا الذي مدحته كثيراً[7].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٣.

(٢) انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٣).

(٣) سورة الصف: الآية ١٠.

(٤) انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٤).

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٦) انظر: الإيضاح (ص٨٤)، وجواهر البلاغة (ص٩٥)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٣).

(٧) ومنه قوله تعالى حكاية عن أبي جهل ــ قاتله الله ــ حين كان يقول للنبي ﷺ مستهزئاً: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].
انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٢٥).

والعلاقة: اللازمية بوسائط؛ لأن الاستفهام يستلزم الجهل بالمُسْتَفْهَمِ عنه، وهو يستلزم عدم الاعتناء بالمجهول، وهو يستلزم احتقاره.

والقرينة: حال المتكلم.

والتعجب[1]: نحو: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[2].

والعلاقة: المشابهة في التسبُّبِ عن الجهل؛ لأن الاستفهام عن الشيء يتسبب عن الجهل به، وكذلك التعجب.

والقرينة: العلم بالفاعلِ ضرورة، والتعجب من حضرة الحق سبحانه وتعالى بمعنى تعجب المخاطَب[3]، إذ يستحيل عليه تعالى أن يتعجب من شيء؛ لإحاطة علمه بجميع الأشياء.

---

(١) انظر: الإيضاح (ص ٨١)، وجواهر البلاغة (ص ٩٥)، وبغية الإيضاح (٢/ ٤٤).

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٥.
ويمثل لهذا المعنى ـ أيضاً ـ بقوله تعالى: ﴿ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ﴾ [النمل: ٢٠].
ودلالة الآية على التعجب من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل؛ لأن سؤال العامل في الآية عن حال نفسه ـ مثلاً ـ يستلزم جهله به، وجهله به يستلزم التعجب منه.
انظر: بغية الإيضاح (٢/ ٣٨).

(٣) مذهب السلف إثبات صفة التعجُّب لله تعالى، وتعجبه ليس من جهل، إذ لا يقتضي التعجُّب الجهل، لكنها صفة تليق به سبحانه وتعالى، وصفة التعجب ثابتة بالكتاب والسنّة، قال تعالى: ﴿**بل عجبتُ ويسخرون**﴾ بضم التاء على قراءة حمزة والكسائي وخلف العاشر، وقوله ﷺ: «عجب ربّك من شاب ليس له صبوة»، أخرجه الروياني في «مسنده» (١/ ٩٦، ٩٧) بإسناد جيد.

والتعجب في الآية حاصل من الهمزة بِضَمِيْمَةِ كَيْفَ(1).

والله سبحانه وتعالى أعلم، ونسأله الرضا والتوفيق، وحسن الختام.

هذا آخر ما يسَّر الله جمعه، أسأل الله النفع به لكل من تلقاه بقلبٍ سليم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنّاتِ النعيم.

---

(1) وهناك معان أخرى تخرج لها صيغة الاستفهام نذكر منها على سبيل الإجمال:
- الاستئناس: كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧].
- والتقرير: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].
- والتهويل: كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣].
- والاستبعاد: كقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣].
- التهكم: كقول القائل: أَعَقْلُكَ يُسَوِّغُ لك أن تفعل كذا؟
- والوعيد: كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].
- والاستنباط: كقوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].
- والتنبيه على الخطأ: كقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].
- والتنبيه على الباطل: كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الزخرف: ٤٠].
- والتحسر: كقول شمس الدين الكوفي:

ما للمنازل أصبحت لا أهلُها ... أهلي، ولا جيرانُها جيراني

- والتنبيه على ضلال الطريق: كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٦].
- والتكثير: كقول أبي العلاء المعري:

صاحِ: هذه قبورُنا تملأ الرحب ... فأين القبور من عهد عاد

انظر: جواهر البلاغة (ص ٩٤ ـ ٩٥).

وصلَّى الله على سيِّدِنا محمَّدٍ أبـي القاسم الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين[1].

❑ ❑ ❑

(١) بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على سيِّدنا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلَّم:
فرغنا من مراجعة هذه الرسالة وقراءتها في مجلس واحد بالتناوب بقراءة الشيخ محمد بن ناصر العجمي أولاً وكاتب هذه السطور ثانياً، والشيخ أحمد بن فارس السلوم ثالثاً، وذلك في صحن المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الأحد ٢١ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ، فصحَّ وثبت والحمد لله ربّ العالمين.
كتبه خادم العلم
نظام محمد صالح يعقوبي



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

النصّ المحقّق

فصل في الأمر

الموضوع	الصفحة

فصل في النهي

الموضوع	الصفحة

فصل في الاستفهام

الموضوع	الصفحة

● ● ●

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
(٦١)

إِجَازَةُ مُفْتِي الشَّافِعِيَّةِ

بِدِمَشْقَ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَزِّيِّ الدِّمَشْقِيِّ

لِلشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ مُصْطَفَى الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الدَّبَّاغِ الْحَلَبِيِّ

اعتنى بها عن نسخة بخط المجيز
مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ الْعَجْمِيِّ
كان الله له

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَمُحِبِّيهِم

دَارُ الْبَشَائِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٠٩٦١١ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

المقــدّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقّ حمده، والصلاة والسلام على سيِّد رسله وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فمن الأُسر العلميّة الشهيرة في دمشق بالعلم والفضل بنو الغزي العامري؛ إذ فيهم الفقيه والمُحَدِّث، والمؤرِّخ والأَديب، فهم بيت علم ورث الفضل والمجد كابراً عن كابر، وقد تبوؤا في هذا المنزلة الرفيعة التي جعلت لهم في التاريخ ذكراً عاطراً.

وممَّن برز من شجرة العلم الوارفة في هذه الأُسرة:

ـ العلامة رضي الدِّين محمد المتوفى سنة (٨٦٤هـ) صاحب كتاب «بهجة الناظرين إلى تراجم المتأخرين من الشافعية البارعين».

ـ ومنهم ابنه بدر الدِّين أحد من تولّى مشيخة القراء وإفتاء الشافعية بالجامع الأموي وله المؤلفات الكثيرة.

ـ وممن نال الشهرة زيادة عليهما ابنه نجم الدِّين الغزي الفقيه والمؤرخ والمُحَدِّث.

وكذلك إخوته فإنهم نبغوا في العلم والنبل.

ـ وممن نبغ وارتفع فيه ابن عمهم وقريبهم العلّامة المؤرخ **محمد بن عبد الرحمن الغزي مفتي الشافعية**، صاحب كتاب «ديوان الإسلام» المشتمل لتراجم المشاهير من أهل كل فن من أرباب التصنيف أو من له معالم ظاهرة، وغيره من المؤلفات مما ستقرأه في ترجمته الحافلة.

* * *

وصف النسخة المعتمدة
في نشر هذه الإجازة

ومن آثاره الباقية إجازته لأحد علماء عصره ألا وهو الشيخ علي بن مصطفى الدباغ الحلبي.

وتقع هذه الإجازة في (١١) ورقة، وعدد الأسطر فيها (٢١) سطراً، وهي بخط جميل مشرق ألا وهو خط الغزي نفسه سنة (١١٣١هـ)، وهي من مكتبة خاصة بدمشق المحروسة.

* هذا، وقد اعتنيت بهذه الإجازة من التعليق عليها وضبطها وترجمة المُجيز والمُجاز، أسأل الله التوفيق والسداد في الأقوال والأفعال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد بن ناصر العجمي

الكويت ـ الجهراء المحروسة

١٢/٣/١٤٢٥هـ



ترجمة مفتي الشّافعية بدمشق
محمّد بن عبد الرّحمن الغزّي
(١٠٩٦ ـ ١١٦٧هـ)

ترجم العلاَّمة محمد بن عبد الرّحمن الغَزِّيّ لنفسه في ثبته «لطائف المنَّة»، فقال:

«ولما جرت عادة بعض المُصنّفين من المُحَدِّثين والمؤرخين أن يُترجموا أنفسهم كما فعل الحافظ شمس الدِّين السَّخاوي في تاريخه المُسمّى بـ«الضوء اللامع لأبناء القرن التاسع»، وشيخ الإسلام الجلال السيوطي في كتابه: «حُسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة» وغيرهما.

والإنسانُ بالدِّلالَةِ على نفسه أولى وأحرى، وصاحبُ البيت بما فيه أدرى، وفائدةُ ذلك بعد إخلاص النِّيَّةِ في التَّحَدُّث بِنِعَم اللّه تعالى الدّلالةُ على ما عنده من الأسانيد العوالي؛ حتَّى تؤخَذَ عنه وتُنشر كما وقع نظير ذلك في العصور الخوالي، وإلاَّ فالأولى بمن كان مثلي مُشتملاً على المقابِح والمثالبِ، عاريًا مِنَ المَحاسِنِ كاسيًا من المعائِب، أن يضرب صَفْحًا عن أن يُجري لنفسِهِ بين النَّاس ذِكْرًا، وأن يُخمل اسمَهُ حياءً من عيوبه، وتغطيةً عليها وسِتْرًا؛ ولكن ما تقدَّم من

التأسِّي والدِّلالة، حَمَلاني على اقتحام هذا الخطر، والتَّفَوُّه بهذه المقالة[1]، فقلتُ:

محمد بن عبد الرحمن المُكنى بأبي المعالي.

كان مولدي في ليلة الجُمعة مع أذان عشائها ليلة الثَّامن عشر من شهر شعبان المُكرم سنة ست وتسعين وألف، ونشأتُ في كفالة والدي، وماتت والدتي وسني دون السَّبع.

ومَنَّ اللّٰهُ عليَّ في صِغَرِي بسرعةِ الفهم، ومُلازمةِ الصَّلوات؛ فقرأت القرآن العظيم تعليمًا على شيخنا وبركتنا وليّ اللّٰهِ الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم الحافظ، وكان من عِباد اللّٰهِ الصَّالحين، لَهُ نَفَسٌ مُبَارَكٌ على المتعلِّمين، وكان ممن قرأ القرآنَ جَمْعًا للسَّبعة ـ من طريقي «التيسير» و «الشاطبية» ـ على الإمام العلَّامة، المُحَدِّث، المقرىء الشيخ محمد الإسطواني الدِّمشقي.

وبعد أن ختمت عليه القرآن العظيم تعليمًا، أقرأني «الجَزرية»، و «مقدمة الميداني»، و «مقدمة الطيبي» ثلاثتهما في علم تجويد القرآن، ثُمَّ قرأت عليه ختمه مُجَوَّدةً.

ثُمَّ تعلَّمت الخط.

واشتغلت بطلب العلم على والدي وعلى مشايخ العلم بالجامع الأموي، فشرعت في قراءة «السنوسيّة» ثُمَّ شرحها على الإمام العالم النَّحْوي الشيخ عبد الرحمن المُجَلِّد الحنفي، و «نظم الزُّبد»، و شرحه

(١) لا شك أن هذا من تواضع العلَّامة الغَزِّيّ، يقول عنه العلَّامة الكتاني في «فهرس الفهارس» (١/ ٥١١): «العلَّامة، المُحَدِّث النحرير، المتمكن، العجب العُجاب في علم التاريخ والأنساب، الشمس الغَزِّي...».

الرملي الكبير، على الإمام العالم الفقيه السيد الشريف خليل الدسوقي الشافعيّ، وحضرت عنده في قراءة «المنهاج»، وشرحه «الغاية» للشربينيّ، و «شرح التحرير» لشيخ الإسلام، وقرأتُ قليلاً من «غاية الاختصار» على قريبه السَّيِّد الشَّريف وليّ اللّٰهِ النَّاسِك نور الدِّين الدَّسوقي، و «شرح الغاية» للشربيني على الإمام الفقيه الشيخ عثمان بن حمودة الرُّحيبي، إمام الجامع الأموي.

ثُمَّ شرعتُ في القراءة على شيخنا شيخ الإسلام أبي المواهب محمد، مفتي السَّادةِ الحنابلة، فقرأتُ عليه «شرحي الجزرية»، لشيخ الإسلام زكريا، ولابن الناظم، ثُمَّ «القواعد البقرية»، ثُمَّ «الشاطبية» من حفظي مع مطالعة شروحها لابن القاصح، والجعبري وأبي شامة، والسيوطي، ثُمَّ «شرح النخبة» لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، ثُمَّ «شرح الألفية» في المصطلح لشيخ الإسلام زكريا.

ثُمَّ شرعتُ في قراءة سورة البقرة جَمعًا لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

ثُمَّ شرعت في قراءة القرآن العظيم جمعًا للسَّبْعة من طريق «الشاطبية» إلى أن ختمت.

وسمعت في أثناء ذلك على شيخنا المذكور بقراءة إخواننا كثيرًا من كتب الحديث، فسمعت غالب «صحيح البخاري»، وأطرافًا من «صحيح مسلم»، و «السنن الأربعة»، و «موطأ مالك»، و «المشارق» للصّغاني، و «المصابيح» للبغوي، و «شرح الألفية» لناظمها الحافظ العراقي، وطلبت منه الإجازة كتابة لما ختمت «الشَّاطبية» سنة ثلاث عشرة ومائة وألف، فكتب إجازة بخطِّهِ أذن لي فيها بالإفتاء والتَّدْرِيس.

وقرأت على شيخنا ومُفيدنا الذي كان أكثر انتفاعي عليه: الإمام

العلَّامة، الفقيه المُتفنن، الشيخ عثمان بن محمد البعلي ـ الشهير بابن الشمعة، تغمَّده اللّٰه برحمته ـ كُتُبًا عديدة، منها: «شرح الأزهرية»، و «شرح القطر» لمصنفه وللفاكهي مع مطالعة حاشية الشيخ ياسين عليه، و «شرح الألفية» لابن الناظم، و «شرح الورقات» لابن إمام الكاملية في الأصول، وشرحها لابن قاسم العبادي بقراءة غيري.

وقرأت عليه «المنهاج» مع مطالعة «الشروح» لابن حجر، والرّملي، والشربيني، والمحلي، وجدنا البدر وغيرها، و «شرح جمع الجوامع» للمحلي بقراءتي، و «شرح المنهج» مرتين بقراءة غيري.

وسمعت عليه أيضًا بقراءة غيري «شرح لب الأُصول» لشيخ الإسلام زكريا، و «شرح الكافية» للحامي، و «شرح النقاية» للسيوطي، و «شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، و «شرح لقطة العجلان»، و «شرح التلخيص» المختصر والمطول، و «المغني» وغيرها.

وقرأتُ على شيخنا العلَّامة المحقق الشيخ عبد الجليل ابن شيخنا شيخ الإسلام أبي المواهب رحمهما اللّٰه تعالى «شرح الشذور» لمصنفه شيخ الإسلام زكريا، و «شرح آداب البحث»، و «شرح رسالة الوضع»، وسمعت عليه بقراءة غيري «شرح التوضيح» للشيخ خالد، و «شرح الشافية» للجاربردي».

إلى أن قال:

«ولازمت دروس شيخنا الإمام الفقيه الفَرَضي الخاشع الناسك، الشيخ عبد القادر ابن الشيخ عمر التَّغْلبي الحَنْبَلِيّ مفتي الحنابلة بدمشق بعد شيخنا شيخ الإسلام أبي المواهب، وقرأت عليه «شرح الرحبية» للشنشوري، و «شرح كشف الغوامض»، وسمعت عليه «شرح الترتيب»

بتمامه بقراءة بعض إخواننا، وكتبت عليه الحساب، وأجاز لي بخطه، **وخَرَّجتُ لَهُ ثَبَتًا لمشايخِهِ ومروياتِهِ**[1].

وحضرت دروس العلاَّمة شيخ الإسلام محمد أفندي العمادي، مفتي الحنفية بدمشق في مدرسته السلطانية السُّليمانية، وكان يودني ويحبني رحمه الله تعالى.

وحضرتُ دروس العم شيخ الإسلام الشيخ عبد الكريم الغَزِّيّ مفتي الشّافعية بدمشق في المدرسة الشَّمية البرانية في «شرح المنهج» لشيخ الإسلام زكريا، وكان يُحبُّني، وله عليَّ تربية وإحسان، وأجازني لفظًا مرارًا عديدة».

وقال أيضًا:

«ودرَّست بالمدرسة القصاعية من أول «المنهاج»، وكتبت عليه دروسًا.

ولما وليت المدرسة الشاميَّة البرانية مع الإفتاء على مذهب إمامنا الشَّافعي رضي اللَّهُ عنه في أواخر شهر رجب سنة خمس وخمسين، شرعتُ في إلقاء الدروس بها في «المنهاج» من كتاب الحج، وكان الافتتاح في ثالث عشر المُحَرَّمِ سنة ست وخمسين، وشرعتُ في كتابة الدروس من المحل المذكور إلى الآن.

ولما وليت تدريس الحديث بالجامع الأموي شَرَعتُ في قراءة «صحيح البخاري» من أوَّله، وفي كتابة شرح مختصر مفيد عليه، وقد

---

(١) وقد طبع هذا الثبت بتحقيق راقم هذه السطور، ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة ١٤١٩هـ.

بيَّضت منه إلى الآن مجلدين في سبعين كُرَّاسًا إلى أبواب التَّهجد، وسمَّيتُه: «الكواكب الدراري»، وكان الافتتاح في هذا الدرس يوم الثلاثاء عاشر شهر رجب سنة اثنين وخمسين.

وجَمَعْتُ تراجم رجال «جمع الجوامع» في الأصول لابن السبكي، سمَّيتُه: «تشنيف المسامع، بتراجم رجال جمع الجوامع».

ولي من الرسائل «نور المُقْلَتين، في الكلام على حديث القُلَّتين»، و «الحلَّة البهيّة في تحقيق النيَّة»، و «الفضل العميم، في إقطاع تميم»، و «العقد الفريد، المنتقى من الدُّرِّ النَّضيد»، ولي نظم كثير جمعته في ديوان...»(1).

* * *

(1) «لطائف المِنَّة في فوائد خدمة السُّنَّة» (ق ١٣ ــ ١٥/ نسخة برنستون بخط المصنف، و ق ٣٥ ــ ٣٧/ نسخة الظاهرية).
هذا وقد كتب حفيد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغَزِّي بخطّه وهو محمد كمال الدين ابن الغَزِّيّ، صاحب «النعت الأكمل» على النسخة التي بخط جدّه في نهاية ترجمته ما يلي:
«وكانت وفاة الجدّ المرحوم المُترجَم قُبيل غروب شمس يوم الخميس سابع شهر الله المحرم افتتاح سنة سبع وستين ومائة وألف بتقديم السين، وصُلِّي عليه عقب صلاة الجمعة بمقصورة الجامع الشريف الأموي بجمعٍ حافلٍ بالعلماء والأعيان والرؤساء، والناس، وقُرِئ نسبه الشريف على تكة الجامع، ودُفِنَ بمرج الدحداح تجاه الباب الذي للجبّانة الكبرى. كتبه حفيده محمد كمال الدِّين ابن الغَزِّي، غُفِرَ له».

نبذة مختصرة من ترجمة
المجاز الشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ الحلبي
(١١٠٤ ـ ١١٧٤هـ)

علي بن مصطفى الملقَّب بأبي الفتوح الدبَّاغ المعروف بالميقاتي الشافعي الحلبي، صاحب العلوم الغزيرة، والتصانيف الشهيرة، العالم الإمام، المحقِّق المُحَدِّث، الأديب الماهر، النّحرير، الشيخ البارع المدقِّق القدوة.

كان أحدَ مَنْ أنجبتهم الشهباء في زماننا واشتهروا بالفضل والأدب، وكان له في كل فنّ القدح المعلّى، عليّ الهمة، كاشفاً في المعلومات كل مدلهمّة.

وُلِد في سنة أربع ومائة وألف، وقرأ القرآن، واشتغل بطلب العلم على جماعة، كالعالم الشيخ أحمد الشراباتي، والفاضل الشيخ سليمان النحوي. وارتحل إلى دمشق وأخذ بها عن الشيخ محمد الغزِّي مفتي الشّافعية، والشيخ عبد الكريم الخليفتي المدني، والشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، والشيخ أبي الطاهر الكوراني المدني، والشيخ محمد عقيلة المكي، والشيخ أبي الحسن السندي نزيل المدينة، والشيخ محمد المعروف بالمشرقي المغربي، والشيخ منصور المنوفي، والشيخ

عبد الرؤوف البشبيشي، والشيخ أبـي المواهب الحنبلي الدمشقي، والشيخ محمد بن علي الكاملي الدمشقي. وله مشايخ كثيرون من أهل الحرمين ومصر والقدس وغير ذلك.

وكان له المعرفة التامّة بالأنساب والرجال والتاريخ. وكان موقتاً بجامع بني أُميّة بحلب.

وله من التآليف «شرح على البخاري» وصل فيه إلى الغزوات، و «حاشية على شرح الدلائل» للفاسي.

وكان شعره رائقاً نضيراً، وله مقاطيع وموشحات وغير ذلك.

وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع ربيع الأول سنة أربع وسبعين ومائة وألف رحمه الله تعالى»[1].

* * *

(١) انتهى مختصراً مِن: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي، (٣/ ٢٤٨ ــ ٢٦٠ ــ ط دار صادر، وعنه الطباخ في: «إعلام النبلاء» (٧/ ١٤).

علومهم امين ويوصي المجاز بتقوى الله وطلب العلوم الشرعيه
واستفادتها وافادتها لطالبيها مع الاخلاص وحسن النيه
وان لاينسانا واحبابنا من الدعاء الصالح بالعفو والعافية
وحسن الختام اعاذنا الله واياه والمسلمين من شرور انفسنا وسيات
اعمالنا وان يعصمنا من كيد الخائنين وزيغ الزايغين وترهات
المبطلين ونساله سبحانه ان يلحقنا بعباده الصالحين وان
يدخلنا في رحمته انه ارحم الراحمين وان يغفر ذنوبنا ويستر
عيوبنا ويطهر قلوبنا ويفرج كروبنا ويملا من رحمته
الشاملة ذنوبنا ويفعل ذلك بوالدينا ومشايخنا واخواننا
في الله وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
انه سبحانه جواد واهب العطيات والحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات وتتنزل البركات وتتجدد المسرات وصلى
الله على سيدنا محمد سيد اهل الارض والسموات وعلى اله
واصحابه وازواجه الطاهرات امين يارب العالمين
قال ذلك بفمه وقيده بقلمه الفقير الحقير محمد بن عبد الرحمن
ابن زين العابدين بن زكريا بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد
العامري الغزي الشافعي لطف الله تعالى به وعفى عن
ذنبه في اواسط شهر شوال المبارك من شهور سنة
احدى وثلاثين ومائتين والف

الورقة الأخيرة من النسخة المعتمدة في التحقيق، وهي بخط الغَزِّي



لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٦١)

إِجَازَةُ مُفْتِي الشَّافِعِيَّةِ

بِدِمَشْقَ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الغَزِّيِّ الدِّمَشْقِيِّ

لِلشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ مُصْطَفَى المَعْرُوفِ بِابْنِ الدَّبَّاغِ الحَلَبِيِّ

اعتنى بها عن نسخة بخط المجيز

مُحَمَّد بْن نَاصِر العَجْمِيّ

كان الله له



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الَّذي رَفَعَ مقامَ طالِبِ حديثِ رَسُولِهِ فجعلَهُ عَلِيّاً، وأَعَزَّ قَدْرَ مَنِ ٱنْقَطَعَ إليه وسلك سبيلاً حسناً وطريقاً جَليّاً، ووضع من شذَّ عن هداه واتَّبع هواه وكان للشيطان وليّاً، سبحانه مِن إلـٰهٍ وَفَّق مَن شاء لاتِّباع سنَّته وهداه صراطاً سويّاً.

أحمده على فضله المتَّصل العالي، وأشكره على إنعامه المتواتر المتوالي، وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا اللَّـه وحده لا شريك له، إلـٰهٌ خالقُ السمواتِ والأرض، شهادةً أدَّخِرُها ليوم الحساب والعرض.

وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله المرسل رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، ورؤوفاً رحيماً بالمؤمنين وسراجاً منيراً، الذي بعثه بشرعٍ ناسخٍ لشرائع مَن تقدَّمه وليس بمنسوخ، وَرَفَعَ أَعْلامَهُ وخصَّه بخير أُمَّـةٍ وجعل بَعْثَهُ للساعة علامةً، وخفضَ أعداءَ دينه بإشارةٍ: «لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهرين بالحقِّ لا يضرُّهم من خَذَلَهُمْ إلى يوم القيامة»[1].

صلَّى اللَّـه وسلَّم عليه وعلى آله المُكرَّمين الأفرادِ، المطهَّرين مِن الأَرْجَاس والعلل القادحة بين العباد، وعلى أَصحابه الجهابذة الثقات أئمَّـة الاقتداء، الذين لا يُبْحَثُ عن عَدَالَتِهِمْ فهم نجوم الاهتداء، الطالعون في أُفُقِ الملة المحمَّديَّة كالبدور، الذين تسلسل صحيح فضلهم فليس بغريب

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦٣٢)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣) من حديث المغيرة بن شعبة.

ولا منكور، ما سال في وجناتِ الطروسِ عِذَارُ السُّطور، وعطَّرت الحدائقَ نفحاتُ الزُّهور.

أمّا بعد:

فإنَّ فضلَ علم الحديث مستفيضٌ مشهورٌ، وشَرَفَهُ على سائر العلوم بكلِّ لسانٍ مذكورٌ، كيف لا؟ وأعظمُ مدار الأحكام الشَّرعيَّة ـ العمليَّة والاعتقاديَّة ـ على الحديث: متناً وإسناداً، وضَبْطاً وإتقاناً وانتقاداً، وهو العلم الذي لا يتركه إلاَّ كلُّ ملحدٍ جاحد، والفنُّ الذي لا يحتاج متابعه إلى نصب البراهين وإقامة الشواهد، والسبيل الأحمد الذي لا يَشُكُّ مسلم في إنارته، والْمَسْلَكُ المُوطَّأ الذي لا يرتاب عاقلٌ في استقامته.

قد ورد الحثُّ على الاعتناءِ به في قول سيِّد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام: «نَضَّر الله امرءاً سَمِعَ مَقالتي فوَعَاها، فأدَّاها كما سَمِعها»، رواه الترمذيُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال: حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه» عن جبير بن مطعم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأبو داود، وابن ماجه، والترمذي، عن زيد بن ثابت[1].

---

(١) حديث ابن مسعود: أخرجه أحمد (١/ ٤٣٧)، والترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥١٢٦، ٥٢٩٦)، وإسناده حسن.

وأما حديث جبير بن مطعم: فأخرجه أحمد (٤/ ٨٠)، وابن ماجه (٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٥٤١)، وابن حبان في مقدمة «المجروحين» (١/ ٤، ٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٧)، وفي إسناده ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث، إلاَّ أنَّ الحديث صحيح بما له من شواهد.

وأما حديث زيد بن ثابت: فأخرجه أحمد (٥/ ٨٣)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦) وإسناده صحيح.

وفي رواية صحيحة: «نَضَّر الله ٱمْرَءاً سَمِعَ مِنّا حديثاً فأدَّاه عنّا كما سمعه، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ منْ سامِعٍ»[1].

وفي أُخرى حسنة: «نَضَّر الله ٱمْرَءاً سَمِعَ منَّا حديثاً فحفظه حتى يُبَلِّغه غيرَه، فَرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقهٍ ليس بفقيه»، رواه الترمذي في «جامعه»، والضياء المقدسي في «المختارة» عن زيد بن ثابت[2].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم في خطبةِ حجَّة الوداع، كما أخرجه الشيخان في «الصحيحين»: «ليبلِّغِ الشَّاهدُ منكمُ الغائِبَ»[3].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «بَلِّغوا عنِّي ولو آية»[4].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: «اتَّقوا الحديث عنِّي إلاَّ ما علمتم».

رواهما البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فلهذا كان علم الحديث أولى ما بذلت في تحصيله الهِمم العوالي، وأعلى ما تصرَّمَت في طلبه الأيَّام والليالي، لا سيما إذا حصلت روايته

---

(١) أخرجها بهذا اللفظ: ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٨٦)، من حديث زيد بن ثابت، وإسنادها ضعيف فيها ليث بن أبـي سليم ضعيف لاختلاطه.

(٢) أخرجها: أحمد (٥/ ١٨٣)، والترمذي (٢٦٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠) وإسنادها صحيح.

(٣) البخاري (١/ ١٥٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبـي بكرة.

(٤) الحديث الأول: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو وليس من حديث ابن عمر، وأما الحديث الآخر: فأخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٢٣)، والترمذي (٢٩٥١)، وأبو يعلى (٢٣٣٨) من حديث ابن عباس وليس من حديث ابن عمر، ولم يخرجه البخاري، وإسناده ضعيف فيه عبد الأعلى بن عامر الثعلبـي ضعفه أحمد وأبو زرعة وغيرهما.

بالأسانيد العالية، والطرق الشريفة السامية، حرصاً على بقاء سلسلة الإسناد التي هي من خصائص هذه الأمة المحمَّدية إلى يوم التّناد.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «طلب الإسناد العالي سُنَّةٌ»[(١)].

وقال الإمام محمَّد بن أسلم: قُرب الإسناد قُربة إلى الله تعالى.

وقال الإمام عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[(٢)].

وقال بعض السلف: إنَّ السند كالسيف للمقاتل[(٣)].

لا سيَّما وقد حكى الحافظ أبو بكر ابن خير[(٤)] اتِّفاق العلماء على أنه لا يصحُّ لمسلم أن يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كذا، حتى يكون عنده ذلك القول مروياً ولو على أقلِّ وجوه الروايات؛ لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، وفي بعض الروايات: «من كذب عليّ» مطلقاً بدون تقييد[(٥)].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ٢٦٣)، و «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي (١/ ١٢٣).

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ١٢٣).

(٣) هو سفيان الثوري كما أخرجه السمعاني في «أدب الإملاء» (١/ ١٢١).

(٤) «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ٧)، و «العلل» للترمذي (٥/ ٧٤٠).
وقال الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٨٥): «الشيخ الإمام البارع الحافظ المجوِّد المُقرىء.. محمد بن خَيْر بن عمر الإشبيلي عالم الأندلس» توفي سنة (٥٧٥هـ)، وكلامه هذا في «فهرسة ما رواه عن شيوخه» (ص ١٦، ١٧).

(٥) حديث متواتر وهو في معظم كتب السنّة، وقد أفرده بالتأليف الإمام الطبراني، وذكر من رواه من الصحابة ابن الجوزي في مقدمة «الموضوعات» (١/ ٥٥).

وإليه أشار الحافظ العراقي في «ألفيّة المصطلح» بقوله:

قلت ولابن خيرٍ امتناعُ   جزمٍ سوى مرويِّه إجماعُ

ومن فضائل حملة الحديث:

ما روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنَّهُ قيل له: يا أبا عبد الله، مَنِ الفرقةُ الناجية التي ذكرها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند ذكر افتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية؟ فقال: هم أصحاب الحديث، الذين يحفظون على الأُمَّة شرائعهم وسنن نبيِّهم.

وروي عنه أيضاً أنه قيل له: من الأبدال؟ فقال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فما أدري مَن هم؟

وروى عبد الله بن إسحاق عنه أيضاً نحو هذا، وفيه أنه قال: إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أعرف لله أبدالاً[1]؟

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعيَّ رضي الله عنه يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت النبي صلَّى الله عليه وسلَّم[2].

وقال أبو يعقوب البويطي: سمعت الشَّافعي يقول: إذا رأيتُ صاحب حديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم هو بمنزلته.

(١) أخرج هذه الأقوال عن الإمام أحمد: الخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٥، ٢٧، ٥٠)، وابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) «مناقب الإمام الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٧٧).

وقال أيضاً: قال لنا الشَّافعي: جزاهم الله عنَّا خيراً؛ إنهم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا فضل. يعني المحدِّثين.

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: مَن عَظَّمَ أصحابَ الحديث عَظُمَ في عين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ومن حقَّرهم سقطَ من عين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فإن أصحاب الحديث أحباب[1] رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[2].

ومن النّظم في ذلك ما وجد بخطِّ أبي المعالي هِبة الله الشّيرازي:

رواة أحاديث الرَّسول عصابة ... بهم يثبت الإسلام والدِّين والدُّنيا

فلولاهمُ لم يَبْدُ للدِّين مَنْصِبٌ ... ولم يك بين الناس حكمٌ ولا فُتيا

وللحافظ الجلال السيوطي في ذلك:

مَن كان مِن أهل الحديث فإنَّه ... ذو نَضرة في وجهه نور سَطَعْ

إنَّ النبيَّ دعا بنَضرةِ وَجْهِ مَنْ ... أدَّى الحديثَ كما تحمَّلَ واستمعْ

وقلت:

رواةُ حديث المصطفى لَهُمُ الفخرُ ... وفي أفق العليا هُمُ الأنجمُ الزُّهرُ

همُ حفظوا أخبارَه وحديثَه ... ففاز لَهُمْ قدْحٌ وضاعَ لهم نَشْرُ

وفي الوجه منهم بهجةٌ ونضارةٌ ... بدعوة خير الخلق فيما روى الحَبْرُ

عليهم تحيَّاتٌ مِن اللَّهِ دائماً ... بِرَوْحٍ وريحانٍ يفوحُ لها عِطْرُ

---

(١) في «مناقب أحمد»: «أحبار».

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٣٣).

ومِمَّا اختصَّ به أصحاب الحديث، ولم يشاركهم فيه سواهم:

أنَّ الله تعالى يرزقهم ملكة نورانيّة يقذفها الله تعالى في قلوبهم، يقتدرون بها على تمييز كلام النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من غيره، ويحصل لهم ذلك كما قال ابن دقيق العيد: بكثرة محاولة ألفاظ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم[1]، وهذا مما أكرمهم الله تعالى به.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي: إن الحديث المنكر يقشعِرُّ منه جلد طالب الحديث، وينفر من قلبه في الغالب.

وقال الربيع بن خُثَيْم: إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه، وظلمةٌ كظلمة الليل تنكره[2].

هذا، وإنَّ من طرق الرواية **الإجازة**، على مذهب من قال بذلك وأجازه، وهم جمهور المحدِّثين، واستقرَّ عليه عملهم، وأوجبوا العمل بها.

وهي تنوب لطالبها مناب السَّماع، وفيها للراغب في نشر السُّنَّة الشريفة نوع اتساع؛ فلهذا ثابر على تحصيلها ذوو الهِمم العَلِيَّة، وحرص على نيلها الموفَّقون أرباب الشِّيَم الزكيَّة، من كلِّ نحريرٍ برع في طلب العلوم، وجمع المنطوق منها والمفهوم، حتى امتطى من درجات الكمال ذروتها وسنامها، وكشَفَ عن وجوه مخدَّرات الحقائق لثامها.

---

(١) «الاقتراح» لابن دقيق العيد (ص ٢٣١).

(٢) انظر كلام ابن الجوزي في: «الموضوعات» (ص ١٠٣).

وكلام الربيع: أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٥١٣)، والحاكم في «معرفة علوم الحديث» (٦٢).

وإنَّ ممَّن أكرمه الله بهذه الكرامات، وجَمَعَ فيه هذه المزايا ومنحه هذه المقامات، وظهرت عليه أنوار التوفيق وعلامات السَّعادة، وأشرقت في أسِرَّته بَوارِقُ الفضل ولوائحُ السيادة، وبذل عَلِيَّ هِمَّتِهِ في اكتساب الفضائل، وصَرَفَ نقد عمره في اجتناء المحامد واجتناب الرذائل: **الأديبَ اللوذعيَّ الكامل، والهُمامَ الألمعيَّ الفاضل، أخي في الله الشيخ عليَّ ابن الشيخ مصطفى، المعروف بابن الدَّبَّاغ، الحلبيَّ الشَّافعيَّ سلَّمه الله.**

فإنَّه هاجر من حلب إلى دمشق، وكانت هجرته إلى الله ورسوله، وجعل بها الاشتغال بالعلوم ديدنه؛ إذْ كانت جلَّ مطلوبه ومأموله، وقطنها برهة من الزمان، قرين تحصيل، وزميل تفريع وتأصيل، مع ما اتصف به من براعةٍ ساد بها وزاد حُسَّادَه غمّاً، ويراعة فاق بها أقرانه نثراً ونظماً:

هذا وليل الشّباب الجُون مُنْسَدِلٌ　　　فكيف حينَ يجيءُ الليلُ بالسُّرُجِ

وقلت متمثلاً:

أُعيذه فاضلاً بالله ما سَمِعتْ　　　بمثله أُذُنــي ولا رأتْ عَيْنـي
صحيح لفظٍ وخطٍّ قالَ حاسدُهُ　　　كأنَّهُ الجَمْعُ ما بينَ الصَّحيحينِ

فنظر إليَّ بعين الرضا، وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وراج على نقده مُزجىٰ بضاعتي القليلة، والتمس منِّي أن أُجيزه بمرويَّاتي، وأبيح له رواية مقروءاتي ومسموعاتي.

فقدَّمت في ذلك رِجلاً وأخَّرت أخرى، ثُمَّ رأيتُ امتثال أمره أَولى، وقَبول إشارته أحرى، فأجبته إلى ما التمس من ذلك، مستمدًّا الفتح من القدير المالك.

وأجزت له أن يروي عنِّي جميع ما قرأته وسمعته ورويته ــ بسماع أو عرض أو مناولة أو إجازة خاصَّة أو عامَّة أو مكاتبةٍ ــ إجازةً عامَّة مطلقةً مما يجوز لي وعني روايته من العلوم الشَّرعيَّة، وهي: علم التفسير والحديث والفقه والعقائد السنيّة، وآلاتها كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والقراءات والفرائض والحساب والمنطق وغيرها.

وأذنت له أن يروي ذلك ويقيِّده بالشرط الصحيح المعتبر عند أهل الحديث والأثر.

* **وأخبره ــ أدام الله سموَّه، وحقَّق له من الخيرات مرجُوَّه ــ أنِّي أخذت العلم دراية ورواية عن جهابذة فخام، وأئمة أعلام، وسادة كرام، منهم:**

ــ **شيخ الإسلام** مفتي السَّادة الحنابلة بدمشق الشام الإمام المحدِّث المُسْنِد، الخاشع، الناسك الهُمام، **الشيخ محمَّد أبو المواهب** ابن العلَّامة المُحَدِّث الفقيه الشيخ عبد الباقي الحنبلي الأثري، رحمهما الله تعالى، وضاعف عليهما إنعامه ووالى.

حضرت دروسه بالجامع الأموي المعمور، وبحجرته دار الحديث داخل مشهد المحيا[1] بالجامع المرقوم، ودرسه بين العشائين بالجامع أيضاً.

وسمعت منه: الحديث المسلسل بالأَوَّلِيّة، وأنا صغير.

---

(١) هو الموضع الذي يتم فيه إحياء ليلة النصف من شعبان؛ وذلك في الجهة الشرقية من الجامع الأُموي.

وقرأت عليه من فن المصطلح «شرح ألفية العراقي» لشيخ الإسلام زكريّا، و «شرح النخبة» لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، ومن فن القراءات والتجويد «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام زكريّا، وشرحها لابن مصنفها، و «القواعد البقرية» و «الشاطبيتين» مع مطالعة شروحهما، وسورة البقرة إفراداً للقراء السبعة، وجمعاً لأهل سما[1] والقرآن العظيم جمعاً للقراء السبعة.

وأجاز لي ما يجوز له وعنه روايته، وبالإفتاء والتدريس.

ومن شيوخه: شيخ الإسلام النّجم الغزِّي عمّ جدِّي، والشيخ محمَّد ابن بدر الدِّين البَلْباني الصَّالحي، والمنلا إبراهيم بن حسن الكوراني المدني، والشيخ علي الشبراملسي المصري، والشيخ محمَّد بن محمَّد الأسطواني الدِّمشقي، والشيخ العلاَّمة إبراهيم بن منصور الفتَّال، والشيخ نجم الدِّين الفرضي، والشيخ صفيِّ الدِّين أحمد القشاشي المدني، والشيخ علي القبردي الصَّالحي، والشيخ خير الدِّين الرملي الحنفي، وغيرهم.

ـ **ومنهم**: العالم العلاَّمة المُحَقِّق، والحبر البحر الفهَّامة المدقِّق، العارف بالله تعالى، صاحب المقام الأنسي والمشهد القدسي، الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي، ابن الإمام العلاَّمة فخر العلماء الأعلام الشيخ إسماعيل ابن الشيخ عبد الغني، فَسَح الله في أجله، وأدام النفع بعلمه وعمله.

حضرت دروسه التفسيريَّة بالمدرسة السليمية بصالحية دمشق.

---

(١) (سما): مصطلحٌ شاطبيٌّ عنى به أبو القاسم بن فيرّة الشاطبي رحمه الله قُرَّاء مكة: أي ابن كثير، والبصرة: أي أبي عمرو.

وقرأت عليه كتباً كثيرة، منها: «مغني اللبيب» لابن هشام، إلاَّ أوراقاً يسيرة من آخره، وحصَّة كبيرة من «مختصر المعاني والبيان»، وعرضت عليه «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للجلال السيوطي، و «السيرة النبوية» للشيخ العلاَّمة نور الدِّين علي الحلبي ثمَّ القاهري، وسمعت منه نحو ثلثَيْ «صحيح البخاري»، وذلك من أوله إلى كتاب التفسير، وأجازني بما يجوز له روايته وبمصنفاته الكثيرة الحافلة.

ومن شيوخه: النّجم الغزِّي، والشيخ علي الشبراملسي، والشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمَّد الأسطواني، والشيخ محمَّد المحاسني وغيرهم.

ــ **ومنهم**: **العالم العلاَّمة**، والحبر المُحَقِّق الفهَّامة، السيِّد الشريف برهان الدِّين إبراهيم ابن المرحوم العلاَّمة السيِّد محمَّد بن السيِّد كمال الدِّين محمَّد بن حمزة الحسيني، **نقيب السادة الأشراف بدمشق**، روَّح الله روحه، وأجزل فتوحه.

حضرت درسه بداره في «صحيح البخاري» مرَّتين أو ثلاثاً، وأجازني بمرويَّاته.

ومن شيوخه: والده المرقوم الشيخ عبد الباقي الحنبلي، والشيخ محمَّد البطنيني، والشيخ إبراهيم الفتَّال وغيرهم.

ــ **ومنهم**: **المُحَقِّق العلاَّمة**، والمدقِّق الفهَّامة، الخاشع الناسك القانت وليّ الله، **المنلا إلياس أبو إبراهيم الكردي** الكوراني الشَّافعي، نزيل دمشق، أدام الله أيام حياته، وأعاد علينا من بركاته.

أجاز لي رواية مرويَّاته، ومصنفاته.

ـ ومنهم: **شيخنا بالمكاتبة، الإمام العالم العلاَّمة، العُمدة الرُّحْلَة الحُجَّـة، الفهَّامـة، الشيخ أبـو العبَّاس أحمد بن محمَّد بن أحمـد بن عـلي** النَّخلي المكِّي الصوفي الشَّافعي، تغمَّده الله برحمته.

ـ ومنهم: **شيخنـا أيضاً بالمكاتبـة**، العالم العلاَّمـة الفقيـه، والحبر العمـدة المحدِّث النَّبيـه، **الشيـخ محمَّـد بـن محمَّـد** بـن محمَّـد بـن أحمـد **البُديري الشَّافعي الشهير بابـن الميِّت**، مفتـي ثغـر دمياط، أطال الله بقاءه، وأدام في المعالي ارتقاءه.

ـ ومنهـم: **شيخنـا** خـاتمـة الفقهـاء والمحـدِّثيـن، وإمـام الجهـابـذة المُسنـديـن، المعمَّـر الأوحـد، والقـدوة الأمجـد، مـولانـا **الشيـخ أبـو عبـد الرحمن محمَّـد** ابـن المرحـوم الشيـخ عـلي **الكاملـي الدِّمشقـي** الشَّافعي، حفظه الله تعالى.

* * *

ولنكتف بذكر هولاء السَّادة عن ذكر من سواهم من مشايخنا الكرام، رَوماً للاختصار في الكلام، ونتبرَّك بإيراد شيء من **أسانيدنا بالقرآن العظيم، والكتب الستة** التي هي دواوين الإسلام، وغيرها من كتب العلوم المتداولة في أيدي الأنام، فنقول:

* **قرأت القرآن العظيم** جميعه من طريقي الشاطبية والتيسير على شيخنا المرحوم الشيخ أبـي المواهب محمَّد الحنبلي رحمه الله قال: قرأته على والدي الشيخ عبد الباقي الحنبلي من طريق الشاطبية والتيسير أيضاً قال: قرأته على شيخ الإقراء بالدِّيار المصريَّة الشيخ عبد الرحمن اليمني قال: قرأته على والدي الشيخ شحاذة اليمني قال: أخذته عن الشيخ ناصر الدِّين محمَّد الطبلاوي، عن شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، عن

الشيخ عثمان الزبيدي المصري، عن الحافظ أبـي الخير شمس الدِّين محمَّد بن محمَّد الجزري، عن عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدِّين البغدادي، عن محمَّد بن عبد الخالق الشهير بابن الصائغ، عن عليّ بن شجاع صهر الشاطبـي، عن الإمام وليّ الله أبـي القاسم بن فِيرّه بن أبـي القاسم الرعيني الشاطبـي، عن أبـي الحسن عليّ بن هذيل، عن أبـي داود سليمان الأموي، عن الحافظ المقرىء أبـي عمرو الداني صاحب التيسير.

قال أبو عمرو:

أما رواية شعبة: فقرأت بها على أبـي الفتح فارس بن أحمد، وهو على أبـي الحسين عبد الباقي، وهو على إبراهيم البغدادي، وهو على يوسف بن يعقوب الواسطي، وهو على شعيب الصريفيني، وهو على يحيـى بن آدم، وهو على شعبة، وهو على عاصم.

وأما رواية حفص: فقال الداني: حدَّثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبون قال: حدَّثنا بها أبو الحسن الهاشمي الضرير المقرىء قال: حدَّثنا بها أبو العبَّاس أحمد بن سهل الأشناني قال: قرأت على أبـي عبيد بن الصباح قال: قرأت على حفص.

وقال حفص: قرأت على عاصم، وهو على أبـي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي وزرّ بن حبيش، وهما على عثمان بن عفان وعليّ بن أبـي طالب وأُبَـيّ بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وهم قرؤوا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

وأسانيد بقية القراء معلومة في كتاب التيسير وغيره.

* **وأما المسلسل بالأَوَّلِيّة:**

فحدَّثني به شيخنا المرحوم الشيخ أبو المواهب وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثني به والدي الشيخ عبد الباقي وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا به القدوة المعمَّر الشيخ عبد الرحمن البَهوتي الحَنْبليّ وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثنا به الشيخ جمال الدِّين يوسف ابن شيخ الإسلام، زكريّا الأنصاري وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثني به والدي شيخ الإسلام وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثنا شيخ الإسلام والحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، قال: أخبرنا الإمامان الحافظان شيخ الإسلام زين الدِّين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي وصهره نور الدِّين أبو الحسن علي بن أبي بكر الهَيثمي وهو أول حديث سمعته منهما متفرقين، قالا:

حدَّثنا الصَّدْر أبو الفتح محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم المَيْدُومي وهو أول حديث سمعناه من لفظه، قال: أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرَّاني وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحَنْبليّ، وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح أحمد بن عبد الملك النَّيسابوري وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا والدي أبو صالح المؤذِّن وهو أول حديث سمعته منه، قال:

أخبرنا أبو طاهر محمَّد بن محمَّد بن مَحْمِش الزِّيادي وهو أول حديث سمعته منه، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمَّد بن يحيى بن بلال البَزَّاز وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثنا به عبد الرحمن بن بِشْر بن الحَكَم العَبْدي النَّيسابوري وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدَّثنا به سفيان بن عُيينة وهو أول حديث سمعته من سفيان، عن عمرو بن

دينار، عن أبـي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

أنَّ رسـول الله صلَّـى الله عليـه وسلَّـم قـال: «الـرَّاحِمُـونَ يَـرْحَمُهُـمُ الـرَّحْمَـٰـنُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَـىٰ، ٱرْحَمُـوا مَـنْ فِـي الأَرْضِ يَـرْحَمْكُـمْ مَـنْ فِـي السَّمَاءِ»(١).

---

(١) أخرجه مسلسلاً: ابن قدامة في «صفة العلوّ» (ص ٤٥)، وابن المستوفي في «تاريخ إربل» (١/ ٤٠٦)، وابن رشيد في رحلته «ملء العيبة» (٣/ ٢٩٠، ٢٩١)، والذهبـي في «السير» (١٧/ ٦٥٦)، وفي «المعجم الكبير» له (١/ ٢٢، ٢٣)، والتجيبـي في «مستفاد الرحلة والاغتراب» (ص ٥٢، ٥٣، ٤٤٢)، وابن إمام الصخـرة فـي «مشيختـه» (١)، والحـافـظ العـراقـي فـي «الأربعيـن العشـاريـة» (ص ١٢٥)، وابن حجر في «الإمتاع في الأربعين» (ص ٦٢)، وابن جماعة في «مشيخته» (١/ ٨٢، ٨٣)، وابن ناصر الدِّين الدمشقي في «المجلس الأول من أماليه» (ص ٢١، ٢٢)، وفي كتاب «مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾» (ص ٣٣، ٣٥، ٣٦، ١٢٤، ١٣٥، ٢٠١، ٢٠٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٩٩، ٣١٣، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٩١، ٣٩٢، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٦ ــ ٤٥٨)، والسيوطي في «جياد المسلسلات» (ص ٧٣)، والسخاوي في الجواهر المكللة» (٣٤/ أ)، وفي «البلدانيات» (ص ٤٧)، وزكريا الأنصاري في «ثبته» (٢/ ب)، والحجاوي في «ثبته» (٧/ نسخة الظاهرية ٤٥٣٧)، وإبراهيم الأحدب في «ثبته» (٨٩/ أ ــ نسخة الظاهرية ٦٨٠٣)، وعبد الباقي الحنبلي في «رياض الجنة» (ص ١٧)، والروداني في «صلة الخلف» (ص ٣١)، وصالح الجنيني في «ثبته» (٥/ نسخة دار الكتب المصرية ٢٧٤٦٣)، وفي «إجازته لإبراهيم بن إسماعيل النابلسي» (٢٤/ ب ــ نسخة الظاهرية ٥٤٤٤)، وحسن العُجيمي في «كفاية المتطلع» (٣/ نسخة الكتاني بالرباط ١٠٩٨)، وعبد الله بن سالم البصري في «الإمداد» (ص ١٠)، وعبد القادر التغلبـي في «ثبته» (ص ٤٦، ٤٧)، ومحمد بن أحمد عقيلة في «الفوائد الجليلة» (ص ٥٧)، وفي «ثبته» (٥٦/ أ ــ نسخة مكتبة خاصة بدمشق عليها خطه)، ويوسف الحسيني الحلبـي =

. . . .

= في «كفاية الراوي» (ص ١٥ ـ من مختصره للطباخ)، والعجلوني في «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بِكُمَّلِ الرِّجال» (٣٧/ نسخة المحمودية بالمدينة النبوية رقم ٢٤٨)، ومحمد بن الطيب الشرقي في «عيون الموارد السلسلة من عيون الأسانيد المسلسلة (٦/ أ ـ نسخة المحمودية ٣٧٦/ ٢٣١)، والمنيني في «ثبته» (٨٨/ نسخة الظاهرية ٣٧٠٧)، والسفاريني في «ثبته»، وفي «إجازته» للزبيدي، و «إجازته لعبد القادر بن خليل»، وعبد الرحمن بن عبد الله البعلي في «منار الإسعاد في طريق الإسناد» (٦٢/ ب ـ نسخة دار الكتب المصرية ١٣٣)، وفي «إجازته لخليل المرادي» (٦٤/ب ـ نسخة الظاهرية)، وصفيّ الدِّين البخاري في «معجم شيوخه» (ص ١٥ ـ ١٨)، وفي «العروس المجلية» (ص ٣٣) (كلاهما تخريج الزبيدي)، وعلاء الدِّين السَّليمي في «ثبته» (٣٤/ أ ـ الظاهرية ١٠١، و ٣٢/ أ ـ نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض)، وعبد الخالق المزجاجي في «نزهة رياض الجنة» (ص ١٩)، ومحمد الأمير الكبير في «ثبته» (ص ١٧٣)، وأحمد بن عبيد العطار في «انتخاب العوالي والشيوخ» (ص ٣٧)، وسعيد الحلبي في «إجازته لابنه عبد الله» (٣/ ب ـ نسخة الظاهرية ٣٧٠٧)، ومحمد عابد السندي في «حصر الشارد» (١/ ٥٣٠)، والكزبري في «ثبته» (ص ٣٢، ٣٣)، والحمزاوي في «عنوان الأسانيد» (ص ٣٢ ـ ٤٦)، ومن طريقه جمال الدِّين القاسمي في ثبته «الطالع السعيد في مهمات الأسانيد» (قطعة منه غير مرقَّمة بخطِّه)، وعبد الرزّاق البيطار في «ثبته» (١٣٠/ نسخة دار الكتب المصرية ١٧٥٧٨)، ومحمد شمس الحق العظيم آبادي في «الوجازة في الإجازة» (ص ٤٧)، وإبراهيم بن عيسى في «إجازته لعلاَّمة الكويت عبد الله الخلف الدحيّان» (ص ٣٦٨)، ومحمد عبد الباقي في «المناهل السلسلة» (ص ٤، ٥)، وفي «نشر الغوالي من الأسانيد العوالي» (ص ٣).

وأخرجه من غير تسلسل: الحميدي في «مسنده» (٥٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٣٨)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، ومسدد بن مسرهد والعدني في «مسنديهما» كما في «المجلس الأول» لابن ناصر الدِّين (ص ٢٥)، والبخاري في

هذا حديث حسن مشهور، تفرَّد به الإمام أبو محمَّد سفيان بن عُيينة الهِلالي، عن عمرو بن دينار، وهما ممَّن يحتجّ بأفرادهما، وأما أبو قابوس فتابعي محلّه الصدق وليس بالمشهور، ولم يروه سواه، ولا رواه عنه سوى عمرو بن دينار، ولم يروه عن عمرو غير سفيان، وعنه اشتهر، والمشهور من تسلسله في الأمصار هذا القدر الذي ذكر.

قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة»: قد يقع التسلسل في معظم الإسناد، كحديث المسلسل بالأَوَّلِيّة؛ فإن السلسلة تنتهي فيه إلى سفيان بن عُيينة فقط، ومن رواه مسلسلاً إلى منتهاه فقد وَهِم[1].

= «التاريخ الكبير» (٩/ ٦٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأبو عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٤٠)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤١)، وفي «شعب الإيمان» (١٠٥٣٧)، وفي «الآداب» (٣٨)، وفي «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٢٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٦٠) من طرق عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس به، وقال الترمذي بعده: «حسن صحيح»، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه في «المعجم الكبير» (١/ ٢٣)، وقال العراقي بعده: «هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود والترمذي من غير تسلسل»، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في الإمتاع» (ص ٦٣)، وقال بعد ذكره لتصحيح الترمذي: «وكأنّه صحَّحه باعتبار المتابعات والشواهد...»، وصححه ابن جماعة في «مشيخته» (١/ ٨٣)، وقال ابن ناصر الدِّين الدمشقي في «مجالسه» (ص ١٢٤):

«هذا حديث حسن لقصور درجة أبي قابوس عن ثقات الصحيح، وارتفاعه عن مستوى الضعفاء، لكونه وُثِّق»، وحسَّنه في مواضع أخرى من مجالسه (ص ٢٦٣، ٢٩٩، ٣١٤، ٣٤١)، وقال الحافظ السخاوي في «الجواهر المكللة»: «هذا حديث حسن عال».

(١) «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» لابن حجر (ص ١٢٠).

* **وأما المسلسل بالفقهاء الشَّافعيّة:**

فنرويه عن شيخنا محدِّث الدِّيار المكِّيَّة الشيخ أحمد النَّخلي الشَّافعي، قال: أخبرنا العلاَّمة الشَّمس محمَّد البابلي الفقيه الشَّافعي، قال: أخبرنا الفقيه نور الدِّين علي بن يحيى الزيادي الشَّافعي، قال: حدَّثنا الشهاب أحمد بن محمَّد الرملي الفقيه الشَّافعي، عن إمام الفقهاء شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري الشَّافعي، قال: أخبرنا شيخ الإسلام عَلَمُ الدِّين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدِّين عمر البُلْقيني الشَّافعي، إذْناً عن والده السِّراج البُلْقيني الشَّافعي، قال: أخبرنا شيخ الإسلام المُجْتَهد الحَبْرُ تقيِّ الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُّبْكي الشَّافعي، قال: حدَّثنا الإمامان الحَبْران شيخ الإسلام تقيِّ الدِّين علي بن وهب ابن دقيق العيد القُشيري الشَّافعي والحافظ شرف الدِّين عبد المؤمن بن خلف الدِّمْياطي الشَّافعي، قالا:

حدَّثنا الإمام الحافظ الفقيه زكيّ الدِّين عبد العظيم بن عبد القوي المُنْذري الشَّافعي قراءة عليه، قال: أخبرنا الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن المُفَضَّل بن علي المَقْدِسي الشَّافعي قراءة عليه غير مرة، قال: أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمَّد بن سِلَفَة السِّلَفي الشَّافعي، قال: أخبرنا الإمام إلْكِيَا أبو الحسن علي بن محمَّد بن علي الطبري الهرَّاسي الشَّافعي، قال: أخبرنا إمام الحرمين أبو المَعَالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجُوَيني الشَّافعي، قال: أخبرنا والدي الشيخ أبو محمَّد الشَّافعي، قال: أخبرنا الفقيه الكبير القاضي أبو بكر أحمد بن الحُسين الحِيْرِي الشَّافعي، قال: حدَّثنا الفقيه أبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب الأَصَمّ الشَّافعي، قال: ثنا الرَّبيع بن سُليمان الفقيه الشَّافعي، قال الإمام الحَبْر البَحْرُ المُجتهد أبو عبد الله محمَّد بن إدريس

الشَّافعـي إمـام كُـلّ شَافعي: عـن مالك بـن أنس، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما:

أنَّ النبـي صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «المُتَـبَايِعَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ صَاحِبِهِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، إلَّا بَيْعَ الخِيَارِ».

هذا حديث صحيح، أخرجه الشيخان وأبو داود، والنسائي من طريق مالك[1].

* **وأُخْبِرُه** أعزه الله بعزه وجعله في كنفه وحرزه أني:

أروي «صحيح الإمام الحافظ النّاقد الحجّة أبـي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي»، من طرق عديدة بأسانيد عالية مفيدة.

منها: روايتي له عن شيخنا مُحَدِّث الشام الشيخ محمَّد بن علي الكاملي فسح الله في أجله، إجازةً عن العمِّ الشيخ نجم الدِّين الغزِّي، عن والده شيخ الإسلام بدر الدِّين أبـي البركات محمَّد الغزِّي إجازة خاصة، قال:

أخبـرنـا بـه الشيـوخ الأئمـة: والـدي شيـخ الإسـلام رضـيُّ الـدِّيـن أبـو الفضـل محمَّـد، وشيـخ الإسـلام زكـريّـا الأنصـاري، وشيـخ الإسـلام برهان الدِّيـن ابـن أبـي شريـف المقدسي، والحافـظ أبـو الفتح محمَّـد بن

---

(١) أخرجه مسلسلاً بالفقهاء الشافعية: المنذري في «جزء المتابعين بالخيار» (ص ٣١)، والذهبـي في «السير» (١٠/ ٦٣، ٦٤)، وابن جماعة في «مشيخته» (١/ ٤٣٨)، والسيـوطـي فـي «جيـاد المسلسـلات» (ص ٨١)، والسخـاوي فـي «الجواهر المكللة» (٤١/ أ).
وأخرجه من غير تسلسل: مالك في «الموطإ» (٢/ ٦٧١)، والبخاري (٢٠٠٥)، ومسلم (١٥٣١)، وأبو داود (٣٤٤٨)، والنسائي (٧/ ٢٤٨).

محمَّد بن علي المِزِّي العوفي الإسكندري نزيل دمشق.

قال الأول: أخبرني والدي العلاَّمة القاضي رضيُّ الدِّين أبو البركات محمَّد إجازة، قال: أنبأنا والدي شيخ الإسلام شهاب الدِّين أبو نعيم أحمد الغزِّي العامري، قال: حدَّثنا قاضي غزَّة علاء الدِّين علي بن خلف بن كامل سماعاً عليه لجميع الصحيح، قال: أخبرنا محدث الدنيا أبو العبَّاس أحمد بن أبي طالب بن نعمة الصَّالحي الحجار.

وقال الثاني والثالث والرابع: أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ــ قال شيخ الإسلام زكريّا: قراءة عليه لجميعه، وقال الأخيران: سماعاً لمعظمه وإجازة لسائره ــ .

قال: أنبأنا به العفيف أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن محمَّد النشاوري المكِّي، والنَّجم أبو محمَّد عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن رزين الحموي ثم المصري، والصلاح أبو علي محمَّد بن محمَّد بن علي الزفتاوي، والمسند برهان الدِّين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخي الشامي الضرير، والعلاء أبو الحسن علي بن محمَّد بن محمَّد بن أبي المجد الدِّمشقي، قالوا كلهم: أخبرنا به أبو العبَّاس الحجار، عن أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزَّبيدي الحَنْبلي سماعاً، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجزي الهروي سماعاً، عن جمال الإسلام أبي الحسن عبد الرحمن بن محمَّد بن مظفر الداوودي سماعاً، عن أبي محمَّد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي سماعاً، عن أبي عبد الله محمَّد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، قال:

أنبأنا به مؤلفه الحافظ أبو عبد الله البخاري سماعاً عليه

مرتين، مرَّة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرَّة ببخارى سنة خمسين ومائتين.

وبسنده قال: حدَّثنا الحميدي عن سفيان عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمَّد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

قال الإمام أبو زكريّا يحيى النووي في كتاب «الأذكار»: **هذا حديث صحيح متفق على صحته**، مجمع على عظم موقعه، وقد كان السلف وتابعوهم من الخلف يستحبون استفتاح المصنفات بهذا الحديث؛ تنبيهاً للمطالع على حسن النيّة، واهتمامه بذلك واعتنائه به(٢).

قال الإمام أبو سليمان الخطابي: كان المتقدِّمون من شيوخنا يستحِبُّون تقديم هذا الحديث أمام كلِّ شيءٍ يُنشأ ويُبتدأ من أمور الدِّين؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعه، انتهى(٣).

*** وأروي «صحيح الإمام الحافظ الحُجَّة الرُّحلة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن كوشاذ القشيري النيسابوري»** رضي الله **عنه:**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩)، ومسلم (٣/ ١٥١٥).

(٢) «الأذكار» (ص ٤٥).

(٣) «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» للخطابي (١/ ١٠٦).

عن شيخنا العلاَّمة العارف بالله تعالى الأستاذ الشيخ عبد الغني النـابلسـي الحنفـي حفظـه الله تعـالـى، عـن العـلاَّمـة الشيـخ نـور الـدِّيـن أبـي الضياء عليّ الشبراملسي المصري، عن البرهان إبراهيم بن إبراهيم اللَّقاني المالكي، عن أبـي النجا سالم السنهوري، عن النّجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، عن الإمامين أبـي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني والحافظ أبـي النعيم رضوان بن محمَّد العقبـي.

قال الأول: قراءة، وقال الثاني: سماعاً على الشرف أبـي الطاهر محمَّد بن محمَّد بن عبد اللطيف القاهري، عن أبـي الفرج عبد الرحمن بن محمَّد بن عبد الهادي الحَنْبلي المقدسي سماعاً لجميعه، عن أبـي العبَّاس أحمد بن عبد الدائم النابلسي سماعاً، عن أبـي عبد الله محمَّد بن علي بن محمَّد بن صدقة الحرَّاني سماعاً، عن فقيه الحرم أبـي عبد الله محمَّد بن الفضل بن أحمد الفُراوي سماعاً، عن الإمام أبـي الحسين عبد الغافر بن محمَّد الفارسي النَّيسابوري سماعاً، قال:

أخبرنا به أحمد بن محمَّد بن عيسى بن محمَّد بن عروبة الجَلُودي النَّيسابوري سماعاً، قال: أنبأنا به أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن سفيان الفقيه الزاهد النَّيسابوري سماعاً، قال:

أخبـرنـا بـه سمـاعـاً ــ سـوى ثـلاثـة أفـوات معلـومـة، فبـالإجـازة أو الوِجَادَةِ ــ مؤلفه الإمام الحافظ المُتقن أبو الحسين مسلم بن الحجاج النَّيسابوري.

وبسنـده قـال: حـدَّثنـا سـويـد بـن سعيـد، قـال: حـدَّثنـا مـروان الفزاري، عـن أبـي مالك سعـد بن طارق، عن أبيـه أَشْيَـم رضي الله تعالى عنه، قال:

سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ»[1].

* **وأروي «سُنن الإمام الحبر الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السِّجستاني» رحمه الله:**

عن شيخنا الشيخ أحمد بن محمَّد النخلي المكِّي، عن الشيخ محمَّد بن علاء الدِّين البابلي، عن الشيخ سليمان بن عبد الدائم البابِلِي، عن الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريّا، عن والده المذكور قراءة وسماعاً لبعضه وإجازة لسائره، قال: أخبرنا العزّ عبد الرحيم بن الفُرات، عن أبي العبَّاس أحمد بن محمَّد الجُوخِي إذناً، عن الفخر أبي الحسن علي بن البخاري، قال: أنبأنا بها أبو حفص عمر بن محمَّد بن معمر بن طَبَرْزَد البغدادي سماعاً، قال: أخبرنا الشيخان أبو البدر إبراهيم بن محمَّد بن منصور الكَرْخي، وأبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمَّد الدومي، قالا: أخبرنا به الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، قال: أخبرنا به أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، قال: أنبأنا به أبو علي محمَّد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن مؤلفها الحافظ أبي داود السجستاني رحمه الله تعالى.

* **وأروي جامع الإمام الحافظ الحجة أبي عيسى محمَّد بن عيسى بن سَوْرَة بنَ موسى بن الضحَّاك السَّلمي التِّرْمذي رحمه الله:**

عن شيخنا الشيخ محمَّد البديري الدِّمياطي، عن المنلا إبراهيم بن حسن الكوراني، عن الصفي أحمد بن محمَّد القشاشي.

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ٥٣).

ونرويه أعلى من هذا: عن شيخنا أبي المواهب، عن الصفي القشاشي، عن الشَّمس محمَّد بن أحمد الرملي، عن شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، عن قاضي القضاة عزّ الدِّين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي، عن زين الدِّين أبي حفص عمر المراغي، عن الفخر أبي الحسن علي بن أحمد بن البخاري، عن أبي حفص عمر بن محمَّد بن طَبَرْزَد، عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَروخي، قال: أنبأنا أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي، قال: أخبرنا أبو محمَّد عبد الجبار الجرَّاحي المروزي، أنبأنا الشيخ الثقة الأمين أبو العبَّاس محمَّد بن محبوب بن فضيل المحبوبي، عن مصنفه الحافظ أبي عيسى الترمذي رحمه الله.

* **وأروي سنن النسائي الصغرى المسمَّاة بـ «المجتبى»:**

عن شيخنا أحمد النخلي، عن الشَّمس محمَّد البابلي سماعاً، عن أبي النجا سالم السنهوري، عن النّجم محمَّد الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريّا سماعاً للبعض وإجازة للباقي، قال: قرأتها على الزين أبي النعيم رضوان بن محمَّد العقبي، عن البرهان التنوخي الشامي الضرير إجازة، بسماعه لجميعه على أبي العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحجار بإجازته من أبي طالب عبد اللطيف بن محمَّد بن علي القبيطي، بسماعه لجميعه على أبي زرعة طاهر بن محمَّد بن طاهر المقدسي، عن أبي محمَّد عبد الرحمن بن حمد الدوني سماعاً، قال: أخبرنا بها القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار، قال: أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمَّد الدينوري المعروف بابن السني، قال: أخبرنا بها مؤلفها الحافظ الفقيه الحبر أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخراساني النسائي رحمه الله تعالى.

* **وأروي «سُنن الإمام الحافظ الحجّة أبي عبد الله محمَّد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني» رحمه الله:**

عن شيخنا السيِّد الشريف إبراهيم بن السيِّد محمَّد النقيب الحسيني المعروف بابن حمزة، قال: أخبرنا والدي السيِّد الشريف محمَّد النقيب، قال: أخبرنا حافظ دمشق نجم الدِّين محمَّد الغزِّي، عن والده شيخ الإسلام بدر الدِّين الغزِّي، قال: أخبرنا قاضي القضاة زكريّا الأنصاري، أنبأنا الحافظ شهاب الدِّين أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، قال: أخبرنا المسند المعمَّر برهان الدِّين أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن صديق الحريري المعروف بالرَّسَّام، قال:

أخبرنا أبو العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحجَّار، قال: أنبأنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمَّد القبيطي، قال: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمَّد المقدسي، عن أبي منصور محمَّد بن الحسين المقومي، قال: أنبأنا أبو طلحة القاسم بن أبي الهدى الخطيب، عن أبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القطان، قال: حدَّثنا بها مؤلفها الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني رحمه الله تعالى.

* **ولنذكر أسانيد بعض الكتب المتداولة على وجه الاختصار تبرُّكاً بمصنفيها الأئمة الأخيار، فنقول:**

أما كتب الإمام الحبر البحر، محرّر المذهب، أبي زكريّا يحيى النووي، فأرويها:

عن شيخنا المرحوم أبي المواهب، عن العمّ الشيخ نجم الدِّين الغزِّي، عن الجد شيخ الإسلام بدر الدِّين الغزِّي، عن القاضي أبي يحيى

زكـريّـا الأنصـاري، عـن شيـخ الإسـلام الحـافـظ أبــي الفضـل ابـن حجـر العسقـلاني، عـن المسنـد برهـان الدِّيـن التَّنـوخي الشَّامـي، عـن الشيـخ عـلاء الدِّيـن بـن العطَّار، عـن مؤلفهـا الشيـخ أبـي زكريّـا يحيـى النـووي رضي الله عنه.

وأروي كتب الحافظ أبـي الفضل ابن حجر العسقلاني:

عن شيخنا أبـي المواهب، عن النّجم الغزِّي، عن والده الجدّ البدر الغزِّي، عن العلاَّمة شهاب الدِّين أحمد القسطلاني، عن شيخ الإسلام شهاب الدِّين ابن حجر العسقلاني.

وأروي كتب السيوطي:

عن شيخنا الشيخ أبـي المواهب، عن الشيخ عليٍّ بن إبراهيم القبردي الصَّالحي، عن البرهان إبراهيم بن الأحدب الفرضي الصالحي، عن الجدّ البدر الغزِّي، عن الحافظ جلال الدِّين عبد الرحمن بن أبـي بكر السيوطي رحمه الله.

وأروي كتب العلاَّمـة شيخ الإسلام شهاب الدِّين أبـي العبَّاس أحمد بن محمَّد بن حجر الهيتمي:

عن شيخنا أبـي المواهب الحَنْبَلِـيّ، عن والـده الشيخ عبـد الباقي، عن الشَّمس محمَّد بن محمَّد المَيداني، عن العلاَّمة شهاب الدِّين أحمد بن حجر الهيتمي رضي الله عنه.

وأروي تصانيف شيخ الإسلام زكريّا:

عن شيخنا الشيخ أحمد بن محمَّد النخلي، عن الشيخ العلاَّمة عبد الله بن سعيد باقشير المكِّي الشَّافعي، عن الإمام محمَّد بن عبد الله الطبري المكِّي الحسيني الشَّافعي سبط ابن حجر الهيتمي، عن جده لأمِّه

الشهاب أبـي العبَّاس أحمد بن حجر، عن مؤلفها شيخ الإسلام زكريّا رحمه الله.

وأروي كتب العلاَّمة الشيخ عبد الرؤوف المناوي:

عن شيخنا أحمد النخلي، عن الشَّمس محمَّد البابلي، عن المناوي رحمـه الله ورضـي عنـه وعـن جميـع العلمـاء العـامليـن، وأعـاد علينـا مـن بركاتهم وبركات علومهم، آمين.

* **ونوصي المُجاز** بتقوى الله، وطلب العلوم الشَّرعيَّة، واستفادتها، وإفادتها لطالبيها، مع الإِخلاص، وحسن النِّيَّـة، وأن لا ينسانا وأحبَّاءنا من الدُّعاء الصَّالح بالعفو والعافية، وحسن الختام، أعاذنا الله وإياه والمسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يعصمنا من كيد الخائنين، وزيغ الزائغين، وترَّهات المبطلين.

ونسأله سبحانه أن يلحقنا بعباده الصَّالحين، وأن يدخلنا في رحمته إنه أرحم الراحمين، وأن يغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، ويطهِّر قلوبنا، ويفرِّج كروبنا، ويملأ من رحمته الشاملة ذَنوبنا، ويفعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وإخواننا في الله، وجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، إنه سبحانه جواد واهب العطيات.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات، وتتنزل البركات، وتتجدد المسرَّات.

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد سيِّد أهل الأرض والسموات، وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطّاهرات، آمين، يا رب العالمين.

قال ذلك بفمه، ورَقَمَه بقلمه الفقير الحقير محمَّد بن عبد الرَّحمن بن زين العابدين بن زكريّا بن محمَّد بن محمَّد بن أحمد العامري

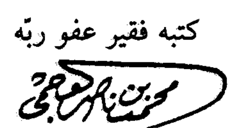
الغزِّي الشَّافعي لطف الله تعالى به، وعفى عن ذنبه، في أواسط شهر شوَّال المبارك من شهور سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف[1].



(١) * انتهيتُ من مقابلته بأصله الذي بخط المجيز، وذلك بقراءة أخي الشيخ محمد مجير الخطيب الشافعي في العشر الأُولى من شعبان المكرَّم سنة ١٤٢٤هـ؛ في محراب الشافعية بالجامع الأُموي بدمشق المحمية، بحضور الأخ المجدّ الشيخ وائل الحنبلي.

* ثم انتهيتُ من مقابلتها مع أخي عالم البحرين الشيخ نظام يعقوبي الشافعي حفظه الله تعالى، في المسجد الحرام ليلة الثالث والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤٢٤هـ، ختمت بخير.

كتبه فقير عفو ربّه



فهرس المحتوى

الموضوع	الصفحة

• • •

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٦٢)



الكلمات البينات

في قولِهِ تعالى

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

لِلعلَّامةِ مَرْعي بن يُوسُف الكَرْمي المَقْدِسي الحَنبَلِيِّ
توفي سنة ١٠٣٣هـ
رحمه الله تعالى

محمد خير رمضان يوسف

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّـهِ الذي هدانا للإسلام، ووفّقنا للأعمالِ الصالحة. والصلاةُ والسلامُ على نبـيِّ الرحمة محمد، وعلى آلِهِ وأصحابه الهداةِ الطيبين، ومن تبعهم بإحسانٍ من أمته أجمعين. وبعد:

فلعلَّهُ لا توجدُ كلمةٌ أحلىٰ من البشرى. ولعلك لن تقفَ على معنى أجملَ من البشارة. وقد لا تجدُ لحظةً مشابهةً لانشراحِ الصدر، وابتهاجِ النفس، وتهلُّلِ الوجهِ، وقتَ وقوعِ البشرى!

وقد تختلفُ البشارةُ ومدىٰ وقعها في النفسِ من شخصٍ إلى آخر، حسبَ طبائعِ الناسِ واهتماماتهم، وحسبَ حاجاتهم وتوجُّهاتهم. ولكنها من المؤكدِ تختلَفُ حَسبَ طبقات الناسِ من حولِ المرء. فهناك فرقٌ بين بشرى الأب وبشرى الابن، وفرقٌ بين بشَرى الأستاذِ وبشرى التلميذ، وفرقٌ بين بشارةِ سلطانٍ وبشارةِ أحدِ الرعيّة.

فهناك فارقٌ بين أن يهتفَ لك ملكٌ أو رئيسٌ فيبشِّرُكَ بمنصبٍ أو جاهٍ أو مالٍ لا تتوقعه، وبين بشرى تلميذٍ يخبرُكَ بنجاحِ أحدِ أقربائك..

لكن أليس كلُّ هذا إلى زوال؟ أليس من ورائهِ محنةٌ وحسابٌ لا تدري

مآله؟ وقد لا تصفو لك البشرى فيما يصاحبها ـ من بعد ـ من همومِ الدنيا ونكدها.

أفأخبركَ إذاً بأجملِ وأروعِ وأصفى وأهنأ بشرى، لا تصاحبها شائبة، ولا يقارنها زوال، ولا تفارقها سعادة؟

إنها بشرى الحقِّ سبحانه. بشارةٌ منه عزَّ شأنُه وجلَّتْ قدرته. بشارةُ اللّهِ ربِّ العالمينَ لعبادهِ الأتقياءِ المؤمنين.

فكم يكونُ وزنُ هذه البشارةِ ما دامت من الخالقِ الحق، مقارنة بما ذُكِرَ من بشاراتِ الآخرين؟!

لا شكَّ أنها ستكونُ غاليةً ونفيسة ومهمة، بل وفي غايةِ الأهمية. فما هي؟

إنها بشارةٌ من جنسِ ما يحلو للإنسان، ولا يتوقعُ أكبرَ ولا أفضلَ منها!

إنها بشارةٌ بالجنة، هذه التي يعملُ المسلمُ ويدأبُ ليلَ نهارَ للفوزِ بها، ولا يدري أيظفرُ بها أم يكبُّ على وجههِ في النار؟!

إنها بشرى لا تخصُّ كلَّ الناس، بل هي لطبقةٍ معينةٍ منهم، لمن آمن، وعملَ صالحاً. نعم، الإيمانُ الصادقُ العميق، والعملُ الصالحُ الموافقُ للدِّين، الخالصُ لوجهِ ربِّ العالمين.

فبشرى لكَ أيها المؤمن، وألفُ بشرى وبشرى للفوزِ بجناتٍ تجري تحتها الأنهار، وفيها من الأطعمةِ والثمارِ ما لا عهدَ لكَ بها سوى أسمائها. ولكَ فيها من الأزواجِ المطهَّراتِ ما تؤنسُكَ وتزيدُ من نعيمك، طاهراتٍ من قذارةِ الدنيا ونجاساتها.

وما الذي يريحُ الإنسانَ أكثرَ من المسكنِ الطيِّبِ المريح، والمطعمِ الهنيءِ المريء، والزوجةِ الجميلةِ الموافقة؟

لا! إن من وراءِ هذا خيراً كثيراً، ما حلمَ إنسانٌ أن يحصلَ عليه في الدنيا!

إنه الخلود! الخلودُ مع الهناءةِ والسرورِ والمتعةِ والجمال!

عند ذلك تصفو لك الحياة، وتعلمُ أن ما أنت فيه ليس حلماً، ولا هو مؤقّتٌ كما في الدنيا، بل هو جائزةٌ لكَ من الله. وإذا كنتَ ضيفاً في الدنيا ممتحَناً في سلوكِكَ، فأنت الآنَ صاحبُ ملك حقيقيٍّ واسع، جزاءً من اللّٰهِ لكَ على عملِكَ الصالح، بدون امتحانٍ ولا حساب، معزَّزٌ مكرَّم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾[1]. إنه من عند ربِّك. أنت في الجنة. أنت على مائدةِ أكرمِ الأكرمين!

ولا يتوقَّعُ أهلُ الجنةِ سعادةً أكبرَ من هذه، ولا حياةً أهنأ منها!

وفي حديثٍ شريف، وبيَّنَهُ اللّٰهُ تعالى في آيةٍ كريمة، أن الربَّ سبحانَهُ يطلبُ من عبادهِ أن يسألوهُ فلا يجدونَ المزيد، فيحلُّ عليهم رضوانه!

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٧٢﴾[2].

وقد لا يستطيعُ القلمُ أن يعبِّرَ عن نفسيةِ المرضيِّ عنهم على الوجهِ الأمثل، فهي خاصَّةٌ بحياةِ أنبياءِ اللّٰهِ وأوليائه. فلنوقفِ القلمَ عند هذا الحدِّ، ولندْعُ اللّٰهَ سبحانَهُ أن يجعلنا أهلاً لجنته، فهو الجوادُ الرحيم، والمحسنُ الكريم.

---

(١) سورة فصلت: الآيتان ٣١، ٣٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٢.

وهذا الكتابُ شرحٌ لما أجملناه، تفسيراً لقولهِ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾(١).

حيثُ بيَّنَ المؤلفُ وجوهَ تفسير الآيةِ الكريمة: أثراً ورأياً، غريباً وإعراباً، قراءةً وتوجيهاً، عبرةً وإرشاداً.

واقرأ معي قولَه تعالى في آيةٍ مشابهة، فيها بشرى لعباده المؤمنين المجاهدين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾(٢).

نعم.. إنه بشرى.. ونور.. وجنات.. وخلود..

إنه باختصار: الفوز العظيم!

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾(٣).

وما أبلغَ وأعمق هذه البشرى من كلام ربِّنا الكريم، الذي لا مبدِّل لكلماته: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) سورة التوبة: الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٢.

(٤) سورة يونس: الآيات ٦٢ ـ ٦٤.

فهلاَّ دعوتَ ربَّك، بل وجعلتَهُ ورداً يومياً تقولُ فيه:

اللَّهم اجعلني من أوليائك الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، واجعلني من عبادِكَ المؤمنين المتقين، وأسألُكَ البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة، وأسألُكَ الفوزَ العظيم.

* * *

والمخطوطةُ الأولى (أ) ــ التي اتخذتها أصلاً ــ نسخةٌ ثمينة نادرة، على الرغمِ من أنها ليست بقلمِ المؤلف، لكنها بقلم عالمٍ محدِّث، هو الشيخ عبدِ القادر بن مصطفى الصفوري الأصل، الدمشقي الشافعي، المحقِّق الكبير[1]. وقد نقلها من نسخة المؤلف. وكلاهما من القرن الحادي عشر.

وإذا كان الناسخُ عالماً، وكان النقلُ من نسخةِ المؤلف، فإن القلبَ يطمئنُّ إلى صحتها اطمئناناً ثابتاً إن شاء الله.

وهي من مقتنيات مكتبة برلين بألمانيا، وتقع في (٢١) ورقة، في كل وجه (١٩) سطراً. كتبت بخط واضح معتنى به، ولا تكادُ تجد فيها خطأً! ويبدو أنها ضمن مجموع، حيث رقمت أوراقها من ٢٤ إلى ٤٤.

وجاء في صفحة العنوان ما يلي: رسالة لطيفة تتضمن فوائد شريفة وبشارات بخيرات حسان في منازل مخلدة منيفة، رأيت بخط مؤلفها

---

(١) قال فيه المحبي: كان من أساطين أفاضل عصره، مشهور الذكر، بعيد الصيت، اتفق أهل عصرنا على جلالته وعظم شأنه ودينه وورعه وصيانته وأمانته. وكان فقيهاً مفسِّراً محدِّثاً أصولياً نحوياً، وعنده فنون كثيرة غيرها. وكان منقطعاً عن الناس، كثير البلوى والأمراض... أعطي المدرسة البلخية ودار الحديث الأشرفية فسكنهما ودرَّس فيهما مدة حياته، وكان يدرِّس بالجامع الأموي فيحضره أعيان الطلبة الشافعية... ت ١٠٨١هـ. خلاصة الأثر ٢/ ٤٦٧.

تسميتها علـى ظهر أول صحيفة: **الكلمات البينات**[1] **في قوله تعالى**: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾. ويليها نصيحة عظيمة صـريحـة للمصنـف رحمـه الله تعـالـى مقتبسـة مـن أنـوار السنـة المحمـديـة الصحيحة. علقتُ هذه النسخة لنفسي ولمن شاء الله تعالى بعد حلولي برمسي، راجياً من فضل ربـي أن يكون بتلك البشارات في تيك الجنات الروضات مع هاتيك الأزواج أُنسي. آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وكتبه عبد القادر ابن المرحوم الشيخ مصطفى الصفوري المشهور بالفرضي، عفا اللّٰهُ عنهما بمنِّه ورضي. آمين.

وجاء قول هذا الناسخ العالِم في آخر المخطوطة: تمت على يد أفقر العبـاد: عبـد القـادر الصفـوري عشيـة نهـار الخميـس المبـارك... [2] شهـر جمادى الآخرة سنة ست وستين وألف من الهجرة النبوية، وذلك في إحدى مدارس المرحوم السلطان سليمان بالقسطنطينية المحمية، صانَ الله سلطانها وأمدَّهُ بدوامِ التوفيق وأيدهُ بالعنايات الربانية الرحمانية، وأصلح الله أحوالَ وكلائه وأحوال سائر الرعية والمسلمين. ومن خط مؤلفها حسب ما رأيتُ مكتوباً في الأصل ما صورته: تمَّ بخط مؤلفه سنة ١٠٢٨. انتهى. والحمد لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى سائر النبيين والملائكة والعباد الصالحين. آمين.

---

(١) وليس «الكلمات السنيات» كما هو في (د) و (ظ)، وكما أورده الزركلي في ترجمته في الأعلام. وهو صحيح في إيضاح المكنون ٢/٣٧٨ وغيره، مثل «خلاصة الأثر» الذي هو أهم مصدر لترجمته. ولعل سبب الخطأ هو كتابة «البينات» بدون نقط، أو تمطيطها، فصحفت إلى «السنيات».

(٢) بياض بالأصل.

ثم قال رحمه الله: ثم رأيت بخط الأصل الذي نقلتُ منه الرسالة المتقدمة، وهي تأليف الشيخ مرعي الحنبلي المتقدم ذكره ما نصه[1]:

قال المؤلفُ سامحَهُ اللّـٰهُ وعفا عنه آمين:

قد أحببتُ أن أذكرَ هنا نصيحةً، عملاً بقولِ النبـيِّ ﷺ:

«**الدين النصيحة. الدين النصيحة، الدين النصيحة**». قالها ثلاثاً[2].

هذا وشرفُ الوزراءِ الكرام، وأربابِ المناصبِ الفخام، هو فعلُ الخيرات، وإجراءُ الصدقات، ونشرُ الإِنصافِ والعدل، وإسباغُ النعماءِ والفضل، ونصرُ الحقّ، ومعونةُ المستحقّ، والأخذُ بيدِ الضعيف، وإقامةُ الحقِّ على الشريف، وإسعافُ فقرِ العلماءِ من لوازمِ الدِّينِ وشيمِ الملوكِ المرضيين، إذ هم حملةُ شريعةِ سيِّدِ المرسلين. فامشِ أيها الملكُ على أثرِ أقوالهم، وإذا سُئلتَ غداً فاجعلِ الحوالةَ على سؤالهم، وأقمْ حدودَ اللّـٰهِ على الشريفِ كما تقامُ على المشروف، فلا معروفَ إلاَّ في التسويةِ بين أوامرِ المعروف.

واعملْ بوصيةِ مولانا عليٍّ المرتضىٰ لولديه الحسن والحسين عليهم من الله الرضا، حيث قال لهما عند موته: «قولا الحق، وارحما اليتيم، وأعينا الضعيف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالمِ خصماً، وللمظلومِ أنصاراً، واعملا لله، ولا تأخذكما في اللّـٰهِ لومةُ لائم».

---

(١) قلت: ولم ألحق هذه النصيحة بالأصل لأنها ناقصة، واكتفيت بإيرادها في المقدمة للفائدة.

(٢) بتكريره ثلاث مرار رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة ٤/ ٣٢٤ رقم ١٩٢٦، وقال: حديث حسن صحيح. ولمرة واحدة رواه الشيخان، صحيح البخاري (تعليقاً)، كتاب الإيمان، باب قول النبـي ﷺ: «**الدين النصيحة**» ١/ ٢٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلاَّ المؤمنون ١/ ٥٣.

فهي وصيةٌ جديرةٌ بأن تُتلقىٰ بالقبولِ والتسليم ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾[١].

واللّٰهُ تعالى يجزي الحسنةَ بعشرِ أمثالها، ولا يضيِّعُ لنفسٍ مثقالَ ذرةٍ من أعمالها. فعليكَ باتباعِ السيرةِ الحسنةِ لتكونَ ممن سَنَّ سُنَّةً حسنة. ومن ذلك التبصُّرُ في حالِ المظلوم، وجَبْرُ قلبِهِ المكلوم، فخيرُ سننِ الخيرِ ما بقيَ على الدوام مخلَّداً، وعُمِلَ به حتى يكونَ أجرهُ على تردُّدِ الأيامِ مردَّداً. وارحمْ من في الأرضِ يرحمكَ من في السماء. وقابلِ المظلومَ بسوابغِ العدلِ والنعماءِ اغتناماً لدعائه، فإن دعاءَهُ مستجاب، ويرفعُ اللّٰهُ دعوتَهُ فوقَ الغمامِ والسحاب.

وعليكَ بجبرِ قلبِ من قصدك، وبذلِ النوالِ لمن استرفدك، فما عُبِدَ اللّٰهُ بأفضلَ من جبرِ الخواطر، فاجعلْ ذلك دأبكَ في الأولِ والآخر، فحكمةُ اللّٰهِ مطويَّةٌ فيما يأمرُ به على ألسنةِ رسله، وليست مما يستنبطه ذو العلمِ بعلمه، أو يستدلُّ عليه ذو العقلِ بعقله. ولم يأتِ نبأُ الله إلاَّ ليَعبدَ له الدين، قائماً على أصوله، صادعاً بحكمِ اللّٰهِ تعالى وحكمِ رسوله. ومن حكمهِ أن الشريفَ والمشروفَ في الحقِّ سواء، ولا عبرةَ باتباعِ الأغراضِ والهوى. والضعيفُ في بابِ الإحسانِ أولى بالمراعاةِ من أربابِ الدنيا والجاه.

هذا، وقد صارَ طالبُ العلمِ، والمتوشِّحُ بوشاحِ الفضلِ والحِلْم، والمنتظمُ في عقدِ الشريعةِ وشرطه، والمتسقُ في سلكِ الخيرِ وسمطه، لا قيمةَ له ولا مقدار، ولا يُعبأ به بين أهلِ هذه الدار[٢].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٣٥.

(٢) هنا تنتهي الوصية في المخطوطة. تليها فائدة، وهي رقية لعسَر البول، لا علاقة لها بالوصية.

والنسخة الثانية (ظ) من مقتنيات المكتبة الظاهرية بدمشق، ورد عنوانها «الكلمات السنيات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ ». وتحت العنوان دعاء طويل، هو «الدعاء باسم الله الأعظم. . . » كما يبدو في التصوير. ولم يظهرْ لي اسمُ ناسخها ولا تاريخ النسخ، ويبدو أنهما يكمنان في أول المجموع أو آخره، حيث إن هذا المخطوط جاء ضمن مجموع من (١٤٥ ــ ١٥٩) أي في (١٥) ورقة، في كلِّ ورقة (٢٣) سطراً.

والنسخة الأخيرة (د) من مقتنيات دار الكتب المصرية، وورد عنوانها: «الكلمات السنيات في آية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ». وناسخها أحمد بن عوض المقدسي الحنبلي، كتبها سنة ١١١٨هـ، وفي آخر النسخة ما يفيد أن المؤلف فرغ منها بالجامع الأزهر سنة ١٠٢٤هـ، وأن النص منقول من خطه. وتقع في (٧) ورقات، في كل ورقة (٢٥) سطراً، وهي الأخرى ضمن مجموع، سابقها ولاحقها بخط الناسخ نفسه.

وفي هذه النسخة سقط كثير متعمد، مع استدراكات عديدة في بعض الصفحات، فهي إما تجارية مزيَّفة، أو أن الناسخ اختصرها لنفسه، ولكنه لم يشرْ إلى ذلك! فقد تخطَّى جُملاً وفقراتٍ كثيرة بلغت نصف الكتاب، ويلاحظ أنه جاء في (٧) ورقات، بينما الأولى في (٢٧) ورقة، والثانية في (١٥) ورقة. وقد قارنت عدة صفحات بهذه النسخة ثم استبعدتها، ولم ألتفت إليها إلاَّ عند التحقق من كلمة مختلف فيها.

ولم أشر إلى اختلافات النسخ إلاَّ لفائدة أو ضرورة.

وجزى الله خيراً أخي الشيخ محمد بن ناصر العجمي الذي حصَّل النسختين الأخيرتين.

هذا، وقد ناب عني إخوة في مقارنة النسخة المعتمدة أصلاً بما سبق

أن نسختهُ منها وصُفّ، وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٤هـ بالمسجد الحرام، كما ذكر ذلك في آخر الكتاب؛ لينتظم في سلسلة كتب «لقاء العشر الأواخر»، فجزاهم الله خير الجزاء.

* * *

والمؤلف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكَرْمي، نسبةً لطور كرم بفلسطين التي ولد فيها، وانتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة، فكان أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر. إمامٌ محدِّثٌ فقيه، ذو اطلاعٍ واسعٍ على نقولِ الفقهِ ودقائق الحديث، ومعرفةٍ جيدةٍ بالعلومِ المتداولة.

تصدَّرَ للإقراءِ والتدريس بجامع الأزهر، ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن. وكان منهمكاً على العلوم انهماكاً كلِّياً، فقطعَ زمانَهُ بالإفتاءِ والتدريس، والتحقيق والتصنيف، فسارت بتآليفه الركبان، التي بلغت أكثر من سبعين كتاباً! ومات بمصر في ربيع الأول سنة ١٠٣٣هـ[1].

اللّٰهمَّ لا تحرمنا فضلك. وتجاوزْ عنا بعفوِكَ وكرمك.

اللّٰهمَّ إنا نسألُكَ الجنةَ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذُ بكَ من النارِ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل.

اللّٰهمَّ اجعلنا ممن بشَّرْتَهُ بالجنة.

اللّٰهمَّ إنا نسألَكَ الفردوسَ الأعلى، مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

محمد خير رمضان يوسف

٢٠/١٠/١٤٢٤هـ

---

(١) خلاصة الأثر ٤/٣٥٨ ـ ٣٦١، ديوان الإسلام ٤/١١٠ رقم ١٨٠٧، هدية العارفين ٢/٤٢٦، الأعلام ٧/٢٠٣، معجم المؤلفين ١٢/٢١٨.

نمـاذج صــور
من النسخ المعتمدة في التحقيق



الكلمات السنيات في قوله تعالى وبشر الذين
امنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات

ورقة العنوان من النسخة الظاهرية (ظ)

الكافر متناهية ومقابلته الجزم المتناهي بعقاب ما لا نهاية له ظلم وهو على
الله تعالى محال ثانيهما أن ضرر العقاب خالٍ عن النفع فيكون قبيحاً لأن
ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى لتعاليه عن النفع والضر ولا إلى العبد لأنه
ضرر محض ولا إلى أهل الجنة لأنهم مشغولون بلذاتهم فلا فائدة لهم في الالتذاذ
بعقاب دائم في حق غيرهم من القلوب الرحيمة ثم لم يذكر غاية الكلام كما هو مشا
هد وقد بينت شبههم والرد عليهم في مؤلف لطيف وسميته توقيف
الفريقين على خلود أهل الدارين وأيضاً فلأن أهل الجنة لو علموا بالزوال لكانوا
في أشد عقوبة وأهل النار لو علموا بالفناء لكان نوع استراحة فيصير الثواب
عقاباً والعقاب ثواباً خاتمة أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة
كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا
فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم
يقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت
فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر
وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا وفي لفظ البخاري وهم
في غفلة وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون نسأل الله أن يجعلنا
من المؤمنين الآمنين الموقنين بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين
قوله فيشرئبون بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح الراء بعدها تحتية بهمزة ثم مو
حدة مشددة أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر وروى الحاكم وابن
ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت
في هيئة كبش أملح فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين
وجلين مخافة أن يخرجوا مما هم فيه فيقال هل تعرفون هذا فيقولون
نعم هذا الموت فيقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخر
جوا مما هم فيه فيقال أتعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به
فيذبح على الصراط ويقال للفريقين خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً
والأحاديث في هذا كثيرة

آخر النسخة الظاهرية (ظ)

والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والمجد [illegible]
وكان الفراغ من كتابته من خط مؤلفه رحمه الله تعالى يوم الجمعة [illegible]
في نصف شعبان المعظم
على يد الفقير أحمد
ابن عوض بن محمد
الحنبلي القدسي
سنة ١١١١
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

بلغ مقابلة
على خط مؤلفه فصح
إن شاء الله تعالى

الكلمات البينات في قوله تعالى وبشر
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
تصنيف العبد الفقير إلى الله سبحانه
مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
نفعنا الله ببركاته
في الدنيا والآخرة
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم
قال العبد الفقير إلى الله سبحانه مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي

أول نسخة دار الكتب المصرية (د)

ر بالحفظ للبخاري وهم في غفلة وهو لا في غفلة أهل الدنيا وهم
لا يؤمنون نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المؤمنين لا منهم
الموقنين بمنه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

قال مؤلفه رحمه الله رحمة واسعة
الفقير مرعي الحنبلي المقدسي
فرغت من وضع هذه
الفوائد آخر رجب
بالجامع الأزهر
سنة أربع وعشرين
والألف ومن خطه
نقلت

وكان الفراغ من كتابتها نهار الأحد آخر شهر شعبان المعظم قدره
سنة ثمانية عشر ومائة والألف ختمت بالخير والوفق
وعلقه لنفسه ولمن شاء الله تعالى بعده حلول في مسيره
فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه العبد المذنب
الواثق بربه العليم أحمد بن عوض المقدسي الحنبلي
غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وشفاه من ذنوب
العيوب وسقاه من ذنوب الغيوب
بمنه وكرمه وحلمه
وكرمه آمين
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا

آخر نسخة دار الكتب المصرية (د)

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٦٢)



في قولِهِ تعالى

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

لِلْعَلَّامَةِ مَرْعِي بن يُوسُف الكَرْمِي المَقْدِسِي الحَنْبَلِيّ

توفي سنة ١٠٣٣هـ
رحمه الله تعالى

محمد خير رمضان يوسف



بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبدُ الفقيرُ إلى اللّهِ تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي:

حمداً لكَ اللّهمَّ بديعَ السماوات، وشكراً لكَ على ما أوليتَ ووالَيتَ من المسرَّاتِ والبشارات. ألستَ القائلَ في تنزيلِ كتابِكَ المقدَّس[1]: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾؟ سبحانكَ! لا نُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسك، لا علمَ لنا إلَّا ما علَّمتنا، تعلمُ ما مضىٰ وما هو آت.

وصلاةً وسلاماً على عبدِكَ المرتضىٰ، ورسولِكَ المجتبىٰ، ونبيِّك المصطفى خيرِ البريّات، وعلى آلهِ وأصحابهِ أولي الفضائلِ والكرامات.

[أما بعد، فهذه فوائدُ مشرقات، وفرائدُ متفرِّقات، بعد التفرُّقِ مجتمعات، في الكلام على قولِ ربِّ السماوات: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾، [بحُسْنِ عبارات، ورمزِ إشارات، يُلَذُّ بمعانيها، ويظفرُ بما فيها مُوافيها][2]، جنحتُ في الكلام على ذلك لمجرَّدِ الظاهر، إذ لكلِّ آيةٍ من المعاني ما تضيقُ به الدفاتر، [فإن كلامَ الله كلامٌ معجزٌ أنيق، وبحرٌ عميق، لا نهايةَ لأسرارهِ وعلومه، ولا غايةَ

---

(١) في (ظ)، (ك): تنزيلك المقدس.

(٢) ما بين المعقوفتين من (د) فقط.

لمنطوقِه ومفهومِه، ولا إدراكَ لحقائقِ معانيه، ولا وصولَ لتركيبِ مبانيه][1][2].

قال بعضُ العلماء: إن أحرفَ القرآنِ في اللوح المحفوظِ كلُّ حرفٍ كجبلِ قاف[3]، تحت كلِّ حرفٍ معانٍ لَا يحيطُ بها إلاَّ اللَّهُ تعالى[4]!

ولذلك قال الإمامُ عليٌّ كرَّمَ الله وجهه: لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً من تفسيرِ فاتحةِ الكتاب[5]!

وقال بعضُ العلماء: لكلِّ آيةٍ ستونَ ألفَ فهم، وما بقيَ من فهمها أكثر[6]!

وقال آخرون: القرآنُ يحوي سبعةً وسبعينَ ألفَ علمٍ ومائتي علم، ثم يتضاعفُ ذلك أربعاً[7]!

وفي الإحياء للغزالي: من زعمَ أنه لا معنى للقرآنِ إلاَّ ما ترجمَهُ ظاهرُ التفسيرِ فهو مخبرٌ عن حدِّ نفسِه، وهو مصيبٌ في الإخبارِ عن نفسه، مخطىءٌ في الحكم بردِّ كافَّةِ الخَلْقِ إلى درجتِه التي هي حدُّهُ ومحطُّهُ، بل الأخبارُ والآثارُ تدلُّ على أنَّ في القرآنِ متَّسعاً لأربابِ الفهم، ففيهِ رموزٌ وإشارات، ومعانٍ وعبارات، وتلويحٌ ودلالات،

---

(١) ما بين المعقوفتين من (د) فقط.

(٢) من قوله: «أما بعد» حتى هنا لم يرد في (أ).

(٣) في الأصل: قَ. وهو جبل وهمي يحيط بالأرض. وذكر القاسمي في تفسيره ١١/ ٤١١٥ أن العرب يعنون به جبال القوقاز.

(٤) إحياء علوم الدين ١/ ٤١٩. وفيه «بعض العارفين» وليس «بعض العلماء».

(٥) المصدر السابق ١/ ٤٣٢.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق باختصار.

يختصُّ بدركها أهلُ الفهمِ من ذوي العنايات[١].

فنقولُ في الكلامِ على هذه الآيةِ [بحسب الظاهر][٢]، ونحن بالعجز والتقصيرِ معترفون، ومن بحرِ كرَمِ اللّـهِ مغترفون: قال اللّـهُ سبحانه وتعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٢٥﴾[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) المصدر السابق باختصار وتصرُّف.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

مقدمة

في مناسبة هذه الآية لما قبلها

اعلم ــ أيّدكَ اللّـهُ تعالى ــ أن اللّـهَ سبحانَهُ[1] مدحَ المؤمنين من أولِ السورة إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[2].

وذمَّ الكافرين في آيتين، أولهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[3].

ثم ذمَّ المنافقين في ثلاثَ عشرةَ آية، أولها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[4].

ثم لما مدحَ المؤمنين، وذمَّ الكافرين والمنافقين، كأنه قيل: هذا المدحُ والذمُّ لا يستقيمانِ إلاَّ بتقديمِ الدلائلِ على إثباتِ التوحيدِ والنبوَّةِ والمعاد. فإن أصولَ الإسلامِ هي هذه الثلاثة؛ فلهذا السببِ بيَّنَ تعالى هذه الأصولَ بالدلائلِ القاطعة.

---

(١) في (ظ): مقدمة: اعلم وفقك الله تعالى أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن الله سبحانه. . .

(٢) سورة البقرة: الآيات ١ ــ ٥.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٦، ٧.

(٤) سورة البقرة: الآيات ٨ ــ ٢١.

فبدأ أولاً بإثباتِ الصانعِ وتوحيده، وبيَّن ذلك بخمسةِ أنواع من الدلائل:

أولها: أنه استدلَّ على التوحيدِ بأنفسهم، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[1].

ثانيها: بأحوالِ آبائهم وأجدادهم، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[2].

ثالثها: بأحوالِ أهلِ الأرض، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[3].

رابعُها: بأحوالِ أهلِ السماء، وإليه الإشارةُ بقولِه: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾.

خامسُها: بالأحوالِ الحادثةِ المتعلقةِ بالسماءِ والأرض، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾. فإن السماءَ كالأبِ والأرضَ كالأم، تنزلُ قطرةٌ من صلبِ السماءِ إلى رَحِمِ الأرض، فيتولَّدُ منها أنواعُ النبات.

ولمَّا ذكرَ تعالى هذه الدلائلَ الخمسةَ رتَّبَ المطلوبَ عليها فقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

فهو مشتملٌ على إثباتِ الإلهِ، وعلى إثباتِ كونه واحداً؛ لأن تلكَ حوادث، وكلُّ حادثٍ لا بدَّ له من مُحْدِث، وذلك دليلٌ على وجودِ الصانع[5]، لأنها حدثتْ لا على وجهِ الخَللِ والفساد، وذلك دليلٌ على

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٢) جزء من الآية السابقة.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢.

(٤) هذه وما سبق تابع للآية ٢٢ من سورة البقرة.

(٥) لم ترد هذه الجملة في (ظ).

وحدةِ الصانع: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1].

ثم هنا لطيفةٌ أخرى مرعيَّةٌ في هذه الآية، وهي: أن الترتيبَ الحسنَ المفيدَ في هذه الآيةِ في التعليمِ من الأظهرِ فالأظهر، نازلاً إلى الأخفىٰ فالأخفىٰ في الدلائل[2]؛ لأنه تعالى قال: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾. فجعلَ استدلالَ كلِّ عاقلٍ بنفسهِ مقدَّماً على جميعِ الاستدلالات؛ لأن اطِّلاعَ كلِّ أحدٍ على أحوالِ نفسهِ أتمُّ من اطِّلاعهِ على أحوالِ غيره، فيجدُ بالضرورةِ من نفسهِ أنه تارةً يكونُ مريضاً وتارةً صحيحاً، وتارةً ملتذّاً وتارةً متألِّماً، وتارةً شابّاً وتارةً شيخاً. والانتقالُ من بعضِ هذه الصفاتِ إلى غيرها ليس باختياره، ولا باختيارِ أحد.

وأيضاً كثيراً ما يجتهدُ في طلبِ شيءٍ فلا يجد، وكثيراً ما يكونُ غافلاً عنه فيحصل؛ وعند ذلك يعلمُ كلُّ أحدٍ عند نقضِ العزائم وفسخِ الهممِ أنه لا بدَّ له من مدبِّرٍ يكونُ تدبيرهُ فوق تدبيرِ البشر.

وربما اجتهدَ العاقلُ الذكيُّ في الطلبِ فلا يجد، والغِرُّ الغبيُّ يتيسَّرُ له ذلك المطلوب. فعند هذه الاعتباراتِ يلوحُ له صدقُ قولِ الإمامِ الشافعيِّ رضي اللّٰهُ عنه:

ومن الدليلِ على القضاءِ وكونهِ ... بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ[3]

ويظهرُ له أن هذه المطالبَ إنما تحصلُ وتتيسَّرُ بناءً على قسمةِ قسَّامٍ لا تمكنُ منازعتهُ ومغالبته.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) في (ظ): مرتقياً للأخفى فالأخفى.

(٣) من قوله: «يلوح» حتى هنا لم يرد في (ظ).

وبالجملة، فلمّا كان اطّلاعُ كلِّ أحدٍ على أحوالِ نفسهِ أشدَّ من اطّلاعهِ على أحوالِ غيره، لا جرمَ قدَّم هذا الدليلَ على سائرِ الدلائل.

ثم تتلوها مرتبةٌ ثانية، وهي: علمُ كلِّ أحدٍ بأحوالِ آبائهِ وأجدادهِ وأهلِ بلده.

ثم مرتبةٌ ثالثة، وهي: معرفةُ الإنسانِ بأحوالِ الأرضِ التي هي مسكنُ الخلائق، فإنها مختلفةُ الأجزاء، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾[2].

ثم مرتبةٌ رابعة، وهي: العلمُ بأحوالِ الأفلاك، فإن بعضَها يخالفُ البعضَ في العلوِّ والسُّفل، والصِّغرِ والكِبَر، والبطءِ والسرعة، وغيرِ ذلك.

ثم مرتبةٌ خامسة، وهي: الأحوالُ المنزلةُ من السماءِ إلى الأرض، وهي نزولُ القطرِ من صلبِ السماءِ ووقوعهِ في رَحِمِ الأرض.

ثم بعد ذلك يحدثُ في الأرضِ الواحدةِ أنواعٌ من النبات، بحيث يخالفُ كلُّ واحدٍ منها صاحبَهُ في اللونِ والشكلِ والطعمِ والطبعِ والخاصيَّة، وليس ذلك إلاَّ بفعلِ قادرٍ مختار يفعلُ بالعلمِ والقدرةِ لا بالعِلِّيةِ والطبيعية.

وإذا عرفتَ ذلك ظهرَ لكَ أن للَّهِ في ترتيبِ هذه الدلائلِ الخمسةِ وتقديمِ بعضِها على بعضٍ حكمةً بالغةً وأسراراً مرعيَّة.

فسبحان من لا نهايةَ لعلمه، ولا غايةَ لحكمته!

* * *

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٧.

ثم إنَّ اللَّـهَ تعالى لما بيَّنَ دلائلَ إثباتِ الصانعِ ووحدانيتِه، أردفَ هذه المسألةَ بمسألةِ إقامةِ الدلائلِ على نبوَّةِ محمد ﷺ، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[1].

وذلك لأن التحدي وقعَ بكلِّ القرآنِ في قولِه تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]. فلما عجزوا عن معارضةِ كلِّ القرآنِ أتْبَعَهُ بالتحدي بعشرِ سورٍ من القرآن، فقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ﴾[3]. فلما عجزوا عنه أَتْبَعَهُ بالتحدِّي بسورةٍ واحدة، فقال ها هنا: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾. فلما عجزوا عنه أتبعَهُ بالتحدِّي بآية، فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾[4].

فلما عجزوا عنه مع توفُّرِ الدواعي ظهرَ كونهُ معجزاً باهراً وبرهاناً قاهراً.

* * *

ثم إنه تعالى أتبعَ هذه المسألةَ بمسألةِ المعاد، وهي قولُه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) سورة هود: الآية ١٣.

(٤) سورة الطور: الآية ٣٤. وليس المقصود به «آية واحدة» كما ذكر المؤلف، بل المقصود القرآن، أي: إن كانوا صادقين في قولهم تقوَّله وافتراه فليأتوا بمثل ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاؤوا بمثله... الدر المنثور ٦/ ١٥٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٣.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥.

الآية. كأنه قيل: إنا قدَّمنا مدحَ المؤمنين وذمَّ الكافرينَ والمنافقين، ولو لم يكنْ معادٌ يجدُ المحسنُ ثمرةَ إحسانه، ويجدُ المسيءُ عاقبةَ إساءته، لم يكنْ ذلك لائقاً بحكمتي.

فلذلك أتبعَ سبحانه وتعالى ذكرَ التوحيدِ والنبوَّةِ بذكرِ المعاد، وبيَّنَ عقابَ الكافرينَ وثوابَ المطيعين. ومن عادةِ اللّٰهِ تعالى أنه إذا ذكرَ الوعيدَ أن يعقبَهُ بذكرِ الوعد، فلذلك قال بعده: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية.

* * *

إذا تقرَّرَ هذا فنقول: أما قولهُ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ فالبشارةُ بفتح الباءِ وضمِّها وكسرها. وحَكىٰ فيها في تهذيب الأسماءِ واللُّغَاتِ الكسرَ والضمَّ فقط[1].

وبَشَرَ وبَشَّرَ بالتخفيف والتشديد. وكذا في المضارع.

وبمعنى البشارة: البِشْر، والتبشير، والإِبشار.

يقال: بشَّرْتُ فلاناً أُبَشِّرُهُ تبشيراً.

وبَشَرْتُهُ ــ بتخفيف الشين ــ أَبْشُرُهُ بَشْراً[2]، كقتلتهُ أقتلهُ قتلاً. لغتان.

والبشيرُ: المبشِّرُ. والبشيرُ: الحسنُ الوجه.

والبِشْرُ: الطلاقة.

والاستبشار: الفرحُ والسرور.

وتباشيرُ الصبح: أوائله.

(١) تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٧.

(٢) المصدر «بشر» يأتي بالحركات الثلاث في الباء.

والبَشَرَةُ: ظاهرُ جلدِ الإنسان.

وأما البشارةُ فهي أولُ خبرٍ سارٍّ يَرِدُ على الإنسان[1]. وعبارةُ بعضهم: هي الخبرُ الصدقُ السارُّ الذي ليس عند المخبَرِ علمه[2]. ولهذا قال الفقهاء: لو قال لعبيده: أيكم يبشرني بقدوم فلانٍ فهو حرٌّ، فبشَّروهُ معاً، عُتِقَ الكلُّ، وفُرادىٰ: عُتِقَ الأول؛ لأنه هو الذي أفادَ خبرُهُ السرورَ. ولو قال مكانَ «بشَّرني»: «أخبرني»، عُتقوا جميعاً؛ لأنهم جميعاً أخبروه. كذا في الكشاف[3]، وابن عادل، وغيرهما[4].

والذي نصَّ عليه فقهاؤنا[5]: إنما يعتقُ الأولُ فقط كالبشارة[6].

وسميتْ بشارةً لأنها تؤثِّرُ في بَشَرةِ الإنسان[7]، وتُظهرُ في بَشَرَةِ الوجهِ أثرَ السرور. ومنه سُمِّيَ الآدميون بَشَراً لظهورهم. فإن كانت البشارةُ خيراً أثَّرتِ المسرَّةَ والانبساط، وإن كانت شرّاً أثَّرت الغمَّ والانقباض. والأغلبُ في عرفِ الاستعمالِ أن تكونَ[8] البشارةُ بالخير، والنذارةُ بالشرِّ. وربما تستعملُ البشارةُ في الشرِّ، ومنه قولهُ تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا

---

(١) قال ناسخه في الهامش: الذي كان يقرره بعض مشايخنا في تعريفها: هي الخبر السارُّ أولاً. وهو أولى من عبارة المصنف، فتأمل. لكن يفهم ذلك مما بعده.

(٢) أورده الآلوسي في روح المعاني ١/ ٣٢١.

(٣) الكشاف ١/ ٢٥٤.

(٤) وهو عند القرطبي بتوسع أكثر ١/ ٢٣٨.

(٥) يعني الحنابلة.

(٦) من أول ص ٢٤ حتى هنا لم يرد في (د).

(٧) وعن سيبويه قوله: إنها خبر يؤثر في البشرة حزناً أو سروراً. روح المعاني ١/ ٣٢١.

(٨) من «وَبَشَرَ وبَشَّرَ» حتى هنا لم يرد في (ظ).

﴿أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾[1]، إلاَّ أن يكونَ استعمالُها في ذلك من باب التهكُّم بالمخاطَب. وهو ظاهرُ كلام الزمخشري وغيره، فإنه قال: وأما ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾[2] فمن العكس في الكلام الذي يُقْصَدُ به الاستهزاءُ الزائدُ في غيظِ المستهزأ به وتألُّمِه واغتمامَه[3].

لكن قال ابنُ فارس[4] وغيرُهُ: والبشارةُ تكونُ بالخيرِ والشرِّ، فإذا أُطلقتْ كانت في الخير، وإن استعملتْ في الشرِّ فبقيد. والمقيَّدة كقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

قال ابن الخازن[5]: والبشارةُ إيرادُ الخبرِ السارِّ، ثم كثُرَ حتى وضعَ موضعَ الخير والشرّ[6].

وقال الواحدي[7]: التبشيرُ إيرادُ الخبرِ السارِّ الذي يظهرُ أثرهُ في بَشَرَةِ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢١، وسورة التوبة: الآية ٣٤، وسورة الانشقاق: الآية ٢٤.

(٣) الكشاف ١/ ٢٥٥.

(٤) أحمد بن فارس القزويني الرازي. من أئمة اللغة والأدب. ت ٣٩٥هـ.

(٥) هكذا في الأصل. ويعرف بالخازن فقط. وهو علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم. ت ٧٢٥هـ.

(٦) ضبب الناسخ في (أ) على الكلمتين الأخيرتين بعد «الخير» فظهرتا برسم: سرّا وسا. وفي (ظ): سرّاً واساً. ولفظه من تفسير النسفي ١/ ٣٢: والبشارة إيراد الخبر السار على سامعٍ يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه، لأن الإنسان إذا فرح بشيءٍ وسُرَّ به ظهر ذلك على بشرة وجهه. ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر.

(٧) العالم المفسر علي بن أحمد بن محمد الواحدي، صاحب البسيط، والوسيط، والوجيز في التفسير. ت ٤٦٨هـ.

المخبَرِ، ثم كثرَ استعمالهُ حتى صارَ بمنزلةِ الإخبار، فاستُعملَ في نقيضه، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وفي «تهذيب الأسماء واللغات»: قال قوم: أصلُ التبشيرِ فيما يَسُرُّ ويَغمُّ، لأنه يظهرُ في بشرةِ الوجهِ أثرُ الغمِّ كما يظهرُ أثر السرور[2].

و «بَشِّر» فعلُ أمرٍ معطوفٌ على الجملةِ السابقة، من عطفِ قصةٍ على أخرى، فلا يُطلبُ له مُشاكلٌ حتى يصحَّ عطفهُ عليه.

وقُرىء «وبُشِّرَ» على صيغةِ الفعلِ مبنيّاً للمفعول، عطفاً على ﴿أُعِدَّتْ﴾[3].

وأجازَ الزمخشري وأبو البقاء[4] أن يكون «وبَشِّر» عطفاً على ﴿فَاتَّقُوا﴾[5] ليعطفَ أمرٌ على أمر[6]. وردَّهُ أبو حيان[7] بأن «فاتقوا» جوابُ الشرط، والمعطوفُ يكونُ جواباً أيضاً، لأن حكمَهُ حكمُهُ، ولا يصحُّ هنا،

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/١٠٣. ويبدو أنه من الوجيز، فقد ورد باختصار. وورد بعد الآية في (ظ): إلاَّ أنه ليس فيها ليس أكثر استعمالاً [هكذا].

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٧. ومنه أخذ قول ابن فارس والواحدي، وتصريفات أخرى. ومن آية سورة النساء (١٣٨) حتى هنا لم يرد في (د).

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٤) هو العلامة النحوي البارع عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري النحوي الحنبلي. له: تفسير القرآن، وإعراب القرآن، وغيرهما. ت ٦١٦هـ. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩١.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٦) الكشاف ١/ ٢٥٤.

(٧) محمد بن يوسف بن علي النحوي، أبو حيان، صاحب البحر المحيط. ت ٧٤٥هـ.

لأن التبشيرَ لا يترتَّبُ على قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾[1].

وأجازَ الزمخشري وأبو السعود المفتي[2] أن «وبشر» بالبناءِ للمجهولِ معطوفٌ على «أُعدَّت» كما تقدَّم قبل[3]، وهذا فاسد، لأن «أعدت» صلةُ «التي»، والمعطوفُ على الصلةِ صلةٌ، اللَّهمَّ إلاَّ أن يُقالَ إن «أعدَّت» مستأنف. والظاهرُ أنه من تمامِ الصلة، أو أنه حالٌ من الضمير في «وقودها»[4]. وتعليقُ التبشيرِ بالموصولِ للإشعارِ بأنه معلَّلٌ بما في حيِّزِ الصلةِ من الإيمانِ والعملِ الصالح، لكن لا لذَاتِهما، فإنهما لا يكافئان النعمَ السابقة، فضلاً من أن يقتضيا ثواباً مؤبداً فيما يستقبلُ، بل بجعلِ الشارعِ ومقتضىٰ وعده[5].

والخطابُ في قوله: ﴿وَبَشِّرِ﴾ للنبيِّ ﷺ. وقيل: لكلِّ من يتأتَّىٰ منه التبشير. وفيه رمزٌ إلى أن الأمرَ لعظمِهِ وفخامةِ شأنِه حقيقٌ بأنْ يتولَّىٰ التبشيرَ به كلُّ من يقدرُ عليه.

* * *

(١) انظر: البحر المحيط ١/ ١١٠.

(٢) الإمام المفسر القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، صاحب التفسير المعروف باسمه، وهو «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». ت ٩٨٢هـ.

(٣) لم يبد لي أن أبا السعود والزمخشري أجازا هذا الوجه، بل قال الأول: «وقرىء وبُشِّرَ على صيغة الفعل مبنياً للمفعول عطفاً على أعدت...» ثم أخذ يعلل هذا الوجه. تفسير أبي السعود ١/ ٦٨. أما الزمخشري فلم يزد على قوله في الكشاف ١/ ٢٥٤: وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه: «وبشر» على لفظ المبني للمفعول عطفاً على «أعدت».

(٤) هنا ينتهي تعليق المؤلف، وما يليه من كلام أبي السعود. ولم يرد هذا والفقرة التي قبله في (د).

(٥) تفسير أبي السعود ١/ ٦٨.

وأما قولهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فـ «الذين» اسمُ موصولٍ محلُّهُ النصبُ على المفعولية. وجملة «آمنوا» صلةٌ لا محلَّ لها من الإعراب.

و «الإيمانُ» لغةً: مطلقُ التصديق، وشرعاً ــ على ما صَرَّحَ به الأشعريَّةُ وأكثرُ الأئمة ــ: هو تصديقُ القلبِ الجازمُ بما عُلِمَ ضرورةً مجيءُ الرسولِ به من عند الله تفصيلاً فيما عُلِمَ تفصيلاً، كالتوحيد، والنبوَّة، والبعث، والجزاء، وأركانِ الإسلام. وإجمالاً فيما عُلِمَ إجمالاً.

والمرادُ بتصديقِ القلبِ بذلك إذعانهُ وقبولهُ له. وإنما قلنا بذلك لئلاَّ يَرِدَ علينا[1] من صدَّقَ بقلبِهِ ولم يذعن، كإبليسَ وأبي طالب، وذلك شبهةٌ قويَّةٌ لمن جعلَ الأعمالَ من الإيمانِ كما اختارَهُ الأكثر، كما يأتي[2].

فإن الكفرَ ــ كما في البغوي ــ أربعةُ أنواع: كفرُ إنكار، وكفرُ جحود، وكفرُ عناد، وكفرُ نفاق.

فكفرُ الإنكارِ هو أن لا يعرفَ اللّٰهَ أصلاً ولا يعترفَ به!

وكفرُ الجحودِ هو أن يعرفَ اللّٰهَ بقلبهِ ولا يقرَّ بلسانه، ككفر إبليسَ ونحوه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ﴾[3].

وكفرُ العنادِ هو أن يعرفَ اللّٰهَ تعالى بقلبهِ ويعترفَ بلسانهِ ولا يدينَ به، ككفرِ أبي طالبٍ حيث يقول:

ولقد علمتُ بأن دينَ محمدٍ	من خيرِ أديانِ البريَّةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذارِ مسبَّةٍ	لوجدتني سمحاً بذاكَ مبينا[4]

(١) يعني شبهة من صدق...

(٢) يأتي بيانه في الصفحات التالية.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: السيرة النبوية ص ١٥٠. =

وأما كفرُ النفاقِ فهو أن يقرَّ باللسانِ ولا يعتقدَ بالقلب.

وجميعُ هذه الأنواعِ سواءٌ في أنَّ من لقي اللَّـهَ بواحدٍ منها لا يُغْفَرُ له. وأبو طالبٍ وإن كان عندهُ تصديقٌ وإقرارٌ، لكن ليس معه إذعانٌ وقبول.

ولذلك قال شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدين ابنُ تيميَّة: إن مجرَّدَ تصديقِ القلبِ واللسانِ مع البغضِ والاستكبارِ لا يكونُ إيماناً باتفاقِ المسلمين، حتى يقترنَ بالتصديقِ عمل. وأصلُ العملِ عملُ القلبِ، وهو الحبُّ والتعظيمُ المنافي للبغضِ والاستكبار[1]. انتهى.

وقد أفردنا مسألةَ الإيمانِ والإسلامِ وعمومِهما وخصوصِهما، وهل الأعمالُ من الإيمان، وهل يزيدُ وينقص، وهل إيمانُ المقلِّدِ صحيح، بالتصنيف، وأطلنا الكلامَ على ذلك[2]، فلا يليقُ بهذه الرسالةِ اللطيفة.

* * *

وأما قولُهُ تعالى: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ فهو معطوفٌ على ﴿ءَامَنُوا۟﴾. قال ابنُ الخطيب وغيره: هذه الآيةُ تدلُّ على أن الأعمالَ غيرُ داخلةٍ في الإيمان؛ لأنه تعالى ذكرَ الإيمانَ ثم عطفَ عليه العملَ الصالح، فوجبَ التغاير، وإلَّا لزمَ التكرار، وهو خلافُ الأصل. انتهى.

يعني: ففي الآيةِ ردٌّ على من جعلَ العملَ من الإيمان، لأن العطفَ دليلٌ على المغايرة.

= وصدر البيت الأول فيه:

وعرضتَ ديناً قد عرفتُ بأنه ....

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (كتاب الإيمان) ٧/ ٥٣٧ بمعناه.
ومن قوله: «وإنما قلنا بذلك» حتى هنا، لم يرد في (د).

(٢) لعله في كتابه «توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان».

والذي ذهبَ إليه جمهورُ المحدِّثينَ والمعتزلةُ والخوارجُ أن الإيمانَ مجموعُ ثلاثةِ أمور: اعتقادُ الحقِّ، والإقرارُ به، والعملُ بمقتضاه.

فمن أخلَّ بالاعتقادِ وحدَهُ فهو منافق.

ومن أخلَّ بالإقرارِ فهو كافر.

ومن أخلَّ بالعملِ فهو فاسقٌ إجماعاً، وكافرٌ عند الخوارج، وخارجٌ عن الإيمانِ غيرُ داخلٍ في الكفرِ عند المعتزلة.

وأما المرجئةُ[1] فقالوا: الإيمانُ اعتقادٌ ونطقٌ فقط.

والكرَّاميةُ[2] قالوا: هو نطقٌ فقط.

وبالجملةِ فالعبدُ إذا فعلَ فعلاً لا يدلُّ على الكفر، كالفسق، فمن أطلقَ عليه الإيمانَ فبالنظرِ إلى إقراره، ومن نفىٰ عنه الإيمانَ فبالنظرِ إلى كماله. ومن أطلقَ عليه الكفرَ فبالنظرِ إلى أنه فعلَ فعلَ الكافر.

وقال المفتي[3] في تفسيره: وفي عطفِ العملِ على الإيمانِ دلالةٌ على تغايرهما، وإشعارٌ بأنَّ مدارَ استحقاقِ مفهومِ البشارةِ هو مجموعُ الأمرين، فإنَّ الإيمانَ أساس، والعملُ الصالحُ كالبناءِ عليه. ولا اعتبارَ بأُسٍّ لا بناءَ به[4]. كذا قال المفتي في تفسيره.

وهل ينفعُ الإيمانُ ويعتبرُ بلا عمل؟ على مذهبين:

فمنهم من قال: إن النطقَ بالشهادتين شطرٌ من الإيمان، وجزءٌ منه

---

(١) وقد سميت المرجئة بهذا الاسم لتقديمهم القول وإرجائهم العمل.

(٢) نسبة إلى مؤسِّسها محمد بن كرّام السجستاني (ت ٢٧٥هـ) الذي يرى أن الله جوهر وجسم لا كالأجسام، حيث له حدٌّ واحد... تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

(٣) يعني أبا السعود.

(٤) في (ظ): والاعتبار بالأساس لا بالبناء.

داخلٌ في مسمّاه. وإليه ذهب الإمامُ النووي رحمه الله، وحكى الاتفاق عليه، فقال في شرحِ مسلم:

اتفقَ أهلُ السنَّةِ من المحدِّثينَ والفقهاءِ والمتكلِّمين على أن المؤمنَ الذي يُحكمُ بأنه من أهلِ القبلةِ ولا يخلدُ في النار، لا يكونُ إلاَّ من اعتقدَ بقلبهِ دينَ الإسلامِ اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين. فإن اقتصرَ على إحداهما لم يكن من أهلِ القبلةِ أصلاً، إلاَّ إذا عجزَ عن النطقِ لخللٍ في لسانه، أو لعدمِ التمكنِ منه لمعاجلةِ المنيَّة، أو لغيرِ ذلك، فإنه يكونُ حينئذٍ مؤمناً[1]، يعني بالاعتقاد، من غيرِ تلفُّظٍ بالشهادتينِ.

وعليه فمدارُ استحقاقِ البشارةِ مجموعُ الأمرين. وصحَّ كلامُ المفتي. لكن يخرجُ منه من لم ينطقْ بالشهادتينِ لعذرٍ كما مرَّ.

قلت: ولعلَّ ما حكاهُ الإمامُ النووي رحمهُ اللّٰهُ محمولٌ على الكافرِ الأصليِّ إذا آمنَ بقلبهِ فقط، وإلاَّ فقد اتفقوا على الإسلامِ بالتبعيَّة. وفي مسائلَ أُخَرَ بلا نطقٍ بالشهادتين.

والذي ذهبَ إليه جمهورُ المحقِّقينَ أن النطقَ بالشهادتينِ إنما هو شرطٌ لإجراءِ الأحكامِ الدنيوية: من الصلاةِ عليه، والتوارث، والمناكحة، وغيرها، غيرُ داخلٍ في مسمَّى الإيمان.

وعليه فمن صدَّق بقلبهِ ولم يقرَّ بلسانهِ مع تمكنهِ من النطقِ بالشهادتين، فهو مؤمنٌ عند الله. ويؤيدُ ذلك الحديثُ الصحيح، وهو قولهُ ﷺ:

«من ماتَ وهو يعلمُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللّٰهُ دخلَ الجنة»[2].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٤٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك ١/ ٤١، وابن أبـي شيبة في المصنف ٣/ ٢٣٨، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ١٧٤، =

فاقتصرَ الشارعُ ﷺ على العلمِ دون العمل. فظهرَ بهذا أن الإيمانَ وحدَهُ بدونِ العملِ به اعتبارٌ وأيُّ اعتبار.

وعليه، فعطفُ العملِ على الإيمانِ في الآياتِ لبيانِ الأشرفِ الكاملِ أو الغالب، أو أن[1] المرادَ به المستحقُّ للبشارةِ من غيرِ سابقةِ عذاب، بخلافِ من لم يعمل، فهو داخلٌ في المشيئة، وإن كان لا يخلدُ في النار، كما دلَّ عليه الحديثُ الصحيح، فتأمَّلْ.

فالمؤمنُ المطيعُ له الجنةُ بوعدٍ من اللَّـهِ تعالى من غيرِ تعذيب.

والكافرُ له التعذيبُ المؤبَّدُ بوعيدِ اللَّـهِ تعالى.

والمؤمنُ العاصي في مشيئةِ اللَّـهِ تعالى، إن شاءَ غفرَ له وأدخلَهُ الجنةَ بلا تعذيب، وإن شاءَ عذَّبَهُ ثم أدخلَهُ الجنةَ بفضله[2].

والمرادُ بـ «الأعمالِ الصالحاتِ» ما يشتملُ على كلِّ عملٍ صالح. وحاصلهُ: كلُّ ما استقامَ من الأعمالِ بدليلِ العقلِ والنقل. ولا يكونُ مستقيماً إلَّا ما فيه الإخلاصُ، والعلمُ والنيَّة. فعن عثمانَ رضي اللَّـهُ تعالى عنه أن المرادَ: أخلصوا الأعمال. يدلُّ عليه قولهُ تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[3]. والمُرائي لا يكونُ عملهُ صالحاً، لأنه لا يكونُ خالصاً[4].

= وأحمد في المسند ١/ ٦٥، وابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين رقم ٤، من حديث عثمان.

(١) في (أ): وأن.

(٢) في (ظ): عذبه بذنبه ثم أدخله الجنة.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠. وعلق الناسخ في الهامش: أقول: ظاهرُ الآية يدلُّ على أن العملَ الصالحَ مقيدٌ بالإخلاص، فالصلاح وصفٌ آخر غير الإخلاص، فتأمله.

(٤) في (ظ): لأنه ليس خالصاً.

وقولهُ تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1].

وقولهُ ﷺ في الصحيح: «**يقولُ اللّـهُ تعالى: أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك. من عملَ عملاً أشركَ فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كُلُّهُ للذي أشرك**»[2].

قال ابن تيمية[3]: وهذا هو التوحيدُ الذي هو أصلُ الإسلام، وهو دينُ اللّـهِ الذي بعثَ به جميعَ رسله، وله خلق الخلق، وهو حقُّهُ على عبادهِ أن يعبدوهُ ولا يشركوا به شيئاً[4].

[ولهذا كان الإمامُ عمر بنُ الخطابِ رضي الله عنه يقول: اللّـهم اجعلْ عملي كلَّهُ صالحاً، واجعلهُ لوجهكَ خالصاً، ولا تجعلْ لأحدٍ فيه شيئاً][5].

وقال الفضيل بن عياض[6] في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[7] قال: أخلصهُ وأصوبه.

---

(1) سورة البينة: الآية ٥.

(2) نقل المؤلف لفظه من فتاوى ابن تيمية ٢٨/ ١٣٤، ولفظه عند أحمد: «**أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**» المسند ٢/ ٣٠١. وهو عند ابن ماجه بلفظ: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك**». سننه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٥ رقم ٤٢٠٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٣١٣. ولفظه عند مسلم: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**». صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٨/ ٢٢٣.

(3) في (ظ): قال بعض المحققين.

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ١٣٥.

(5) الزهد للإمام أحمد ٢/ ٢٧. ولم يرد هذا في (أ).

(6) أبو علي الفضيل بن عياض المروزي. أحد الأعلام. قدم الكوفة شاباً. قال فيه شريك القاضي: فضيل حجة لأهل زمانه. ت ١٨٧هـ. العبر ١/ ٢٣١.

(7) سورة هود: الآية ٧، وسورة الملك: الآية ٢.

فقيلَ له: يا أبا علي، ما أخلصهُ وأصوبه؟

فقال: إن العملَ إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكنْ خالصاً لم يقبل، حتى يكونَ صواباً خالصاً. والخالصُ أن يكونَ لله، والصوابُ أن يكونَ على السنَّة[1].

وقال سعيد بن جبير[2] والحسن البصري: لا يُقبلُ قولٌ إلاَّ بعمل، ولا يُقبلُ قولٌ وعملٌ إلاَّ بنيَّة، ولا يُقبلُ قولٌ وعملٌ ونيَّةٌ إلاَّ بموافقةِ السنَّة، وهي الشريعة[3].

وفي حديث معاذ بن جبل رضي اللَّهُ تعالى عنه: العلمُ إمامُ العمل، والعملُ تابعهُ[4].

[وهذا ظاهر، فإن القصدَ والعملَ إنْ لم يكنْ بعلمٍ كان جهلاً وضلالاً واتِّباعاً للهوى، وهذا مشاهد، فإن كثيراً من الناس من يتعبَّدُ بعباداتٍ لم يأمرِ اللَّهُ بها، بل قد نهىٰ عنها][5].

وقيل في تفسيرِ الآيةِ ما رُوي عن عليٍّ كرَّمَ اللَّهُ وجهه: إن المرادَ: وأقاموا الصلواتِ المفروضات.

وقال معاذ بن جبل رضي اللَّهُ تعالى عنه: العملُ الصالحُ الذي يكونُ

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ١٣٤.

(٢) سعيد بن جبير الوالبي الكوفي المقرىء، الفقيه المفسِّر. أحد الأعلام. قتله الحجاج وله نحو خمسين سنة، في شهر شعبان سنة ٩٥هـ. العبر ١/ ٨٤.

(٣) هذا القول رواه أبو همام السكوني عن أبيه، كما في حلية الأولياء ٧/ ٣٢. ووردت الجملة الأولى من قول الحسن في المصدر السابق ٢/ ٣٣٥، والدر المنثور ٥/ ٤٦٢.

(٤) لعله يعني حديث «عثمان» السابق: «**من مات وهو يعلم**. . .»؟

(٥) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

فيه أربعةُ أشياء: العلم[1]، والنيّة، والصبر، والإخلاص.

وقال سهل بن عبد الله[2]: «وعملوا الصالحات» أي لزموا السنَّة، لأن عملَ المبتدعِ لا يكونُ صالحاً ألبتة.

وقال بعضهم: أدّوا الأمانات.

وقيل: أدّوا الفرائضَ واجتنبوا المحارم.

وقيل: الأعمالُ الصالحاتُ نوعان: أعمالٌ بينكَ وبين العباد، كأداءِ الأمانات، والوفاءِ بالعهود، وقضاءِ الحقوق، وصلةِ الأرحام. وأعمالٌ بينكَ وبين اللّـهِ تعالى، وهي نوعان: ظاهرةٌ وباطنة. فالظاهرةُ أداءُ الشرائع، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والطهارة. والباطنةُ صفاتُ القلب، كالتوكل، والرضا بالقضاء، والصبرِ في البلاء، والشكرِ في الرخاء. والأمرُ في ذلك سهل[3].

---

(١) في (أ): العمل.

(٢) القدوة العارف سهل بن عبد الله التستري الزاهد. لقي ذا النون، وأسند عن خاله محمد بن سوار. له مواعظ وأحوال وكرامات، وكان من أكبر مشايخ القوم. ت ٢٨٣هـ. صفة الصفوة ٤/ ٦٤، العبر ١/ ٤٠٧. وورد في (أ): سهل بن عطاء الله.

(٣) قال ناسخه معلقاً: قوله: (والأمر في ذلك سهل) [ولم ترد هذه العبارة في (أ)] الظاهر أن مراده بمرجع الإشارة المذكور من الخلاف في المراد بالأعمال الصالحات، أي ليس له عظيم جدوى، أو مراده: سهل على من سهل الله عليه. وأقول: هو في الحقيقة عظيم الخطر، إذ ترتيب هذا الجزاء الجسيم عليه يحرك كل ذي لبٍّ سليم لطلب معرفته ليفوز بالجزاء المذكور. ويظهر للفقير أن الحكمة في عدم ذكر الموصوفات في الآية الكريمة بالتصريح والتعيين هي الحكمة في إخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة وليلة القدر. وهي هنا حضُّ العاملين على التقيد بكل عمل صالح، وفي تينك حضُّ الداعين والقائمين على استيعاب ذلك =

وأما قولهُ تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ فالجارُّ والمجرورُ خبرُ «أنَّ» مقدَّم.

والتحقيقُ: أن الخبرَ متعلِّقُ الظرف. و «جناتٍ» اسمُها مؤخَّر. و «أنَّ» وما في حيِّزها في محلِّ جرٍّ عند الخليل والكسائي، ونصبٍ عند سيبويه والفرَّاء[1]. لأن الأصل: «وبشِّر الذين آمنوا بأن لهم». فحذفَ حرفَ الجرِّ مع «أنَّ». وهو حذفٌ مطَّردٌ معها ومع «أنْ» الناصبة. ويظهرُ أثرُ ذلك في التابع، كقولِ الشاعر:

ومـا زرتُ ليلـى أنْ تكـونَ حبيبـةً إلـيَّ ولا دَيْـنٍ بهـا أنـا طـالبُـهْ

فعطفُ «دَيْن» بالجرِّ على محلِّ «أنْ» يبيِّنُ كونَها مجرورة.

واللامُ من الحروفِ الجارَّةِ للظاهرِ والمضمر، لكن تُكسرُ مع الظاهرِ إلَّا في الاستغاثة، وتفتحُ مع المضمرِ[2] كما هنا إلَّا مع ضميرِ ياء المتكلم، نحو «لي».

واللامُ أكثرُ الحروفِ معان:

فهي للملك، نحو: المالُ لزيد.

وللاختصاص، نحو: الجنةُ للمؤمنين.

وللاستحقاق، نحو: النارُ للكافرين.

= اليوم وتلك الليلة بالاشتغال بالدعاء والعبادة. فتدبَّر. ونسأل الله من فضله التوفيق لسلوك ذلك الطريق وتسهيله حتى نصل لذلك الجزاء مع خير فريق بمنِّه وكرمه. آمين. لكاتبه عبد القادر الصفوري غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين.

(١) هم من أئمة اللغة والأدب. الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت ١٧٠هـ. علي بن حمزة الكسائي، ت ١٨٩هـ. عمرو بن عثمان سيبويه، ت ١٨٠هـ. يحيى بن زياد الفراء، ت ٢٠٧هـ.

(٢) في (أ): الضمير.

وللتعليل، نحو: قمتُ لك.

وللتعجُّب، نحو: للّـٰهِ دَرُّك.

وللاستعلاء، نحو ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾[1].

وللقَسَم، نحو: لَلّـٰهُ لا يؤخرُ الأجل.

وللوقت، نحو: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[2].

وللتأريخ، نحو: كُتِبَ لخمسٍ خَلَوْنَ من رمضان.

وللعاقبة، نحو: «لِدُوا للموت، وابْنُوا للخراب»[3].

وبمعنى «في»، نحو: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٣) هذا يروى حديثاً لكنه لا يصح. أورده البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٦ رقم ١٠٧٣٠ من حديث أبي هريرة وأوله: «**ملك بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم...**». وآخره: «**وملك بباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب وابنوا للخراب**». ويليه حديث أبي حكيم مولى الزبير رفعه: «**ما من صباح يصبحه العباد إلاَّ وصارخ يصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب واجمعوا للفناء وابنوا للخراب**». انظر تخريج رواياته في كشف الخفاء ٢/ ١٤٠. وضعف الألباني الحديث الثاني في ضعيف الجامع الصغير ٥١٨٩. أما الأول فورد في أكثر من مصدر بدون محل الشاهد، وقال فيه صاحب مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٨: رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين، في أحدهما المقدام بن داود وهو ضعيف، وقال ابن دقيق: إنه وثق. وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٥٢٨ رقم ٨٥٥: وهو عند أحمد والنسائي في الكبرى بدون الشاهد فيه، وصححه ابن حبان ثم شيخنا. يعني ابن حجر. قلت: ويروى غير مرفوع أيضاً، كما في كشف الخفاء، والمصدر الأخير.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

وبمعنى بعد، نحو: «صوموا لرؤيته»[1]، أي: بعد رؤيته.

وبمعنى إلى، نحو: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[2].

وبمعنى مع، نحو:

فلمّا تفارقنا كأني ومالكاً | لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

وبمعنى من، نحو:

وإنَّ قرينَ السوءِ لستَ بواجدٍ | لهُ راحةً ما عشتَ حتى تفارقه

وزائدة، نحو: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[3].

وللجزاء، نحو: لو جئتني لأكرمتُك.

وللأمر، نحو: لَتضرب.

وللتأكيد، نحو: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾[4].

وللابتداء، نحو: لَزيدٌ قائم.

وللتعريف، نحو: الرجل، عن الأخفش، وأحدِ قولَي سيبويه[5].

وللجنس، وللعهد.

و﴿جَنَّٰتٍ﴾: جمع جَنَّة. وسُمِّيَتِ الجنةُ جنَّةً لاستتارِ أرضِها بأشجارها، أو لأنها تَسْتُرُ وتُظِلُّ من يكونُ فيها بما فيها من الشجر.

---

(١) قوله ﷺ: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غُبِّيَ عليكم فأكملوا عدَّة شعبان ثلاثين». رواه البخاري في صحيحه ٢/٢٢٩ من حديث أبي هريرة، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا».

(٢) سورة الرعد: الآية ٢.

(٣) سورة هود: الآية ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.

(٥) هكذا وردت الجملة في (أ)، (ظ)، ولم ترد في (د).

ومنه سُمِّيَ الجِنُّ جِنّاً لاستتارهم. والجنينُ من ذلك.

والدِّرْعُ جُنَّة.

وجَنَّ الليلُ إذا سَتَر. والجنونُ يسترُ العقلَ.

وعن بعضهم: إن الجنَّةَ كلُّ بستانٍ فيه نخل.

وقال الفرَّاء: الجنَّةُ ما فيه النخيل، والفردوسُ ما فيه الكرم.

وقال الزجَّاج[1]: كلُّ نبتٍ كثفَ وكثرَ وسترَ بعضهُ بعضاً فهو جَنَّة.

وقيل: الجنةُ: البستانُ فيه النخيلُ والشجرُ المتكاثف.

وسُمِّيتْ دارُ الثوابِ جَنَّةً لما فيها من الجِنان.

وفي قوله سبحانه: ﴿جَنَّـٰتٍ﴾ بصيغةِ الجمعِ إشعارٌ بتعدُّدها. وهو كذلك، فإن الجنةَ اسمٌ لدارِ الثوابِ كلِّها. وهي مشتملةٌ على جناتٍ كثيرة، مرتبةٌ على حسبِ استحقاقاتِ العاملين، لكلِّ طبقةٍ منهم جنَّةٌ من تلك الجنات. لكن اختلفوا في مقدارِ عِدَّتها:

فقال القرطبي: قيل: الجِنانُ سبع: دارُ الجلال، ودارُ السلام، ودارُ الخُلد، وجنَّةُ عدن، وجنةُ المأوى، وجنةُ نعيم، وجنةُ الفردوس.

وزادَ بعضُهم: علِّيين. ففي حديث البراء بن عازب يرفعه:

«**إن علِّيين تحت العرش**»[2].

وفي تفسير السمرقندي[3] هي ثمان. قال ابنُ عباس رضي اللّٰهُ

---

(١) العالم اللغوي إبراهيم بن السري الزجاج. ت ٣١١هـ.

(٢) أورده القرطبي في تفسيره ١٩/ ٢٥١ بلفظ: «**عليون في السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى**». وأورده السيوطي موقوفاً بمعناه في الدر المنثور ٦/ ٥٤١.

(٣) في (أ): وفي بعض التفاسير.

عنهما: هي دارُ الجلال، ودارُ القرار، ودارُ السلام، وجنةُ عدن ــ وهي قصبةُ الجنة، ومشرفةٌ على الجنانِ كلِّها ــ ، وجنة المأوىٰ، وجنةُ الخُلد، وجنةُ الفردوس، وجنةُ نعيم.

وقيل: الجنانُ أربعٌ فقط، واختارهُ الحَليمي[1]، لما روىٰ إمامنا أحمد والطيالسي والبيهقي عن أبي موسى رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ:

«جِنانُ الفردوسِ أربع: جنتانِ من ذهبٍ حليتُهما وآنيتُهما وما فيهما، وجنتانِ من فضةٍ حليتُهما وآنيتُهما وما فيهما. . .» الحديث[2].

وهذه الأربعُ توصفُ بالمأوى، والخُلد، والعدْن، والسلام.

قال ابن زيد[3]: هي أربع: جنتانِ للمقرَّبينَ السابقينَ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾[4]، وجنتانِ لأصحابِ اليمين والتابعين.

---

(١) القاضي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد الحليمي البخاري، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف. صاحب وجه في المذهب. وكان إماماً متقناً. ت ٤٠٣هـ. العبر ٢/ ٢٠٥.

(٢) هذا لفظ مسند الطيالسي ص ٧٢ لكن المؤلف أورد أوله «جنات».
وهو بألفاظ متقاربة في مسند أحمد ٤/ ٤١٦، قال في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧: رجاله رجال الصحيح، شعب الإيمان ١/ ٣٤٨ رقم ٣٨٤. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٦٣٥ لأحمد والطبراني. قلت: ويأتي الحديث في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ ٨/ ١٨٥ وأوله: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما. . .»** والراوي واحد هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم صاحب التفسير، (ت ١٨٢هـ).

(٤) سورة الرحمن: الآية ٥٢. وانظر قريباً من هذا التفسير «الدر المنثور» ٦/ ٢٠٣.

لطيفة: روى ابن أبـي الدنيا عن أنس رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ:

«خلقَ اللّٰهُ جنةَ عَدْنٍ بيده، بناها لَبِنَةً من دُرَّةٍ بيضاء، ولَبِنةً من ياقوتةٍ حمراء، ولَبِنةً من زُمُرّدةٍ[1] خضراء. ملاطُها المسك، وحشيشُها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، وترابُها العنبر، ثم قال لها: انطقي. فقالت: قد أفلحَ المؤمنون. فقال: وعزَّتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيل»[2]!

تـنـبـيـه: قال ابن عادل[3]: هذه الآياتُ صريحةٌ في أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان، لأنه تعالى قال في صفةِ النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝٢٤﴾[4]. وقال في صفةِ الجنةِ في آيةٍ أخرى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾[5]. وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾. وهذا إخبارٌ عن وقوعِ هذا المُلْكِ وحصوله. وحصولُ المُلْكِ في الحالِ يقتضي حصولَ المحلولِ في الحال. كذا قال. قال: فدلَّ على أن الجنةَ والنارَ مخلوقتان. انتهى.

وإلى القولِ بأنهما مخلوقتانِ ذهبَ جمهورُ الأمة.

---

(١) في «صفة الجنة»: زبرجدة.

(٢) صفة الجنة لابن أبـي الدنيا رقم ٢٠، وضعف محققه إسناده. وأورده الحافظ المنذري بألفاظ متقاربة وقال: رواه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٤٧ والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. الترغيب والترهيب ٣/ ٣٨٠، ٤/ ٥١٣. وكذا قال في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧، وما ذكراه من رواية ابن عباس وليس أنس. وأورده باختصار ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٢، من رواية أنس، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. عقب عليه الذهبـي بقوله: بل ضعيف.

(٣) الإمام المفسر عمر بن عادل الدمشقي، توفي بعد ٨٨٠هـ. صدر تفسيره محققاً في (٢٠) مجلداً.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وذهبتْ طائفةٌ من المعتزلةِ والخوارجُ إلى أنهما لم تُخلقا بعد. وبه قال منذر بن سعيد البلوطي[1]. واحتجوا بقولِ امرأةِ فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾[2]. وبما جاء في **الأحاديث الصحيحة**: من عمل كذا غُرِسَ له في الجنة كذا[3]. قالوا: لو كانت الجنةُ مخلوقةً لم يكنْ للدعاءِ في استئنافِ الغرسِ والبناءِ فائدة.

وأجيبَ بأنه لا مانعَ من أن يُحْدِثَ اللَّـهُ في الجنةِ أشياءَ يُنعمُ بها على عبادهِ شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، فيُحدثُ فيها ما شاءَ من البنيانِ والغرس، كما أن الأرضَ مخلوقةٌ ثم يُحدثُ اللَّـهُ تعالى فيها ما يشاءُ من بنيانٍ وغيره.

والدليلُ على وجودِ الجنةِ الآنَ ما مرَّ، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[5]، وقولهُ ﷺ في حديثِ الترمذيِّ وصحَّحه:

«لمّا خلقَ اللَّـهُ الجنةَ والنارَ أرسلَ جبريلَ عليه السلام إلى الجنةِ فقال:

---

(١) أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي، قاضي الجماعة بقرطبة. كان ظاهري المذهب، فطناً، مناظراً، ذكياً، بليغاً، مفوّهاً، شاعراً، كثير التصانيف، قوّالاً بالحق، ناصحاً للخلق، عزيز المِثْل. ت ٣٥٥هـ. العبر ٢/ ٩٦.

(٢) سورة التحريم: الآية ١١.

(٣) كقوله ﷺ: **«من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلة في الجنة»**. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه ٥/ ٥١١ رقم ٣٤٦٤ والذي يليه، وقال في الأول: حديث حسن صحيح غريب، وفي الثاني: حديث حسن غريب. وصححه في صحيح الجامع الصغير ٦٤٢٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٥) سورة النجم: الآية ١٥.
ولم ترد الآيتان في (أ).

انظرْ إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. قال: فجاءها ونظرَ إليها...» الحديث[1].

وذِكْرُ أدلةِ كلٍّ من الفريقينِ في هذه المسألةِ مما يطول.

وقد أطالَ العلامةُ ابنُ القيِّم الكلامَ على ذلك في أولِ كتابهِ «حادي الأرواح إلى بلادِ الأفراحَ» فراجعه.

قال الزمخشري: والذي يقولُ إنها مخلوقةٌ ــ يعني الجنة ــ يستدلُّ بسُكنى آدمَ وحوَّاءَ الجنة، وبمجيئها في القرآنِ على نهجِ الأسماءِ الغالبةِ اللاحقةِ بالأعلام، كالنبيِّ، والرسول، والكتاب[2]. انتهى.

قلت: وعلى هذا التعليلِ فالصراطُ والميزانُ والحوضُ مخلوقةٌ الآن، لمجيئها على نهجِ الأسماءِ الغالبة، فتأمَّلْ فإنَّهُ جيِّد، وهو حقٌّ إن شاء اللَّهُ تعالى.

* * *

---

(١) تكملته: **«فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزَّتكَ لا يسمعُ بها أحدٌ إلاَّ دخلها. فأمرَ بها فحُفَّتْ بالمكاره، فقال: ارجعْ إليها فانظرْ إلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فرجعَ إليها فإذا هي قد حُفَّتْ بالمكاره، فرجع إليه فقال: وعزتك لقد خفتُ أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظرْ إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فإذا هي يركبُ بعضُها بعضاً. فرجع إليه فقال: وعزَّتك لا يسمعُ بها أحدٌ فيدخلها. فأمر بها فحُفَّتْ بالشهوات، فقال: ارجع إليها. فرجع إليها فقال: وعزَّتك لقد خشيتُ أن لا ينجوَ منها أحدٌ إلاَّ دخلها»**. سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء «حفت الجنة بالمكاره» ٤/٦٩٣ رقم ٢٥٦٠، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الكشاف ١/٢٥٦ ــ ٢٥٧.

وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ فاللامُ[1] في «الأنهار» للجنس، كما في قولِكَ: لفلانٍ بستانٌ فيه الماءُ الجاري.

أو عوضٌ من المضافِ إليه على رأي بعضِ الكوفيين، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[2].

أو للعهد.

والإشارةُ إلى ما ذُكِرَ في قولِه سبحانه: ﴿أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[3].

وفي الكشاف: ولولا أن الماءَ الجاريَ من النعمةِ العظمىٰ واللذَّةِ الكبرى، وأن الجنانَ والرياضَ وإن كانتْ آنقَ شيءٍ وأحسنَهُ، لا تروقُ النواظرَ، ولا تبهجُ الأنفسَ، ولا تجلبُ الأريحيةَ والنشاطَ حتى يجري فيها الماء، وإلَّا كان الأُنسُ الأعظمُ فائتاً، والسرورُ الأوفرُ مفقوداً، وكانت كتماثيلَ لا أرواحَ فيها، وصورٍ لا حياة لها؛ لَمَا جاءَ اللّٰهُ تعالى بذكرِ الجنّاتِ[4] مشفوعاً بذكرِ الأنهارِ الجارية من تحتها، مَسُوقَيْنِ على قِرانٍ واحد[5]، كالشيئين لا بدَّ لأحدهما من صاحبه. ولَمَا قدَّمَهُ على سائرِ نعوتها[6].

والنهَرُ ــ بفتح الهاءِ وسكونها ــ: المجرىٰ الواسعُ، فوق الجدولِ ودون البحر، كالنيلِ والفرات. والمرادُ بها «ماؤها» على الإضمار، أو على المجاز، كما في: سالَ الميزابُ. يقال: جرى الماءُ يجري جَرْياً وجَرْيَةً وجَرَياناً أي سالَ.

---

(١) يعني «الـ» التعريف فيها.

(٢) سورة مريم: الآية ٤.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤) هنا زيادة كلمة «إلَّا» في الأصلين: (أ)، (ظ)، وليست في الكشاف.

(٥) القِران: الجمع بين الشيئين.

(٦) الكشاف ١/٢٥٨.

وفي ابن عادل: وهل النهرُ هو مجرى الماء، أو الماءُ الجاري نفسُهُ؟

الأولُ أظهر، لأنه مشتقٌّ من نَهرت، أي وَسعت، ومنه النهار، لاتِّساعِ ضوئه. وقوله ﷺ: «ما أنهرَ الدمَ»[1]، ومعناه ما وسَّعَ المذبحَ حتى يجريَ الدمُ كالنهر.

فإن قيلَ بأن النهرَ اسمٌ للماءِ الجاري؛ فنسبةُ الجري إليه حقيقة.

وإن قيلَ للأخدودِ؛ فنسبةُ الجري إليه مجاز. انتهى.

و «تحت» بمعنى سُفل. والمراد: تجري من تحت شجرِها أو قصورها، لا من تحت أرضِها. وإنما يحتاجُ إلى هذا التقديرِ إذا قيلَ بأنَّ الجنةَ هي الأرضُ ذاتُ الشجر. وأما إذا قيلَ بأنها الشجرُ نفسهُ فلا حاجةَ إلى ذلك.

وعلى كلِّ تقديرٍ فأنهارُ الجنةِ ليستْ تجري في أخدود، بل على وجهِ أرضِ الجنة. منضبطةً بالقدرة، لما روى أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن أنس رضي اللّـهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ اللّـهِ ﷺ:

«لعلكم تظنون أن أنهارَ الجنةِ أُخدودٌ في الأرض؟ لا والله! إنها لسائحةٌ على وجهِ الأرض، حافَّتاها خيامُ اللؤلؤ، وطينُها المسكُ الأَذْفَر».

قلت: يا رسولَ الله، ما الأَذْفَر؟

قال: «**الذي لا خلطَ معه**»[2].

وأخرجهُ ابنُ أبـي الدنيا عن أنس رضي اللّـهُ تعالى عنه موقوفاً[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الذبائح، باب التسمية على الذبائح ٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٢٠٥. ونقله المؤلف من الدر المنثور ١/ ٨٢.

(٣) صفة الجنة رقم ٦٨.

قال الترمذي: وهو أشبهُ بالصواب[1].

وروى الترمذي وصححه والبيهقي عن معاوية بن جندب رضي اللّٰهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقول:

«إنَّ في الجنةِ بحرَ الماء، وبحرَ العسل، وبحرَ اللبن، وبحرَ الخمر، ثم تَشَقَّقُ الأنهارُ منها بعدُ»[2].

وروى ابنُ حبّانَ والحاكمُ والبيهقيُّ وابنُ أبـي حاتم والطبراني عن أبـي هريرة رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ:

«أنهارُ الجنةِ تتفجّرُ من جبلِ مسكٍ»[3].

لطيفة: روى الحارث بن أبـي أسامة، والبيهقيُّ عن كعب رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال:

نهـرُ النيـلِ نهـرُ العسـلِ فـي الجنـة، ونهـرُ دجلـةَ نهـرُ اللبنِ في الجنة،

(١) هذا قول الحافظ المنذري وليس الترمذي. الترغيب والترهيب ٤/ ٥١٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة ٤/ ٦٩٩ رقم ٢٥٧١ وقال: حديث حسن صحيح. وصححه في صحيح الجامع الصغير ٢١٢٢. وللبيهقي أورده في الترغيب والترهيب ٤/ ٥١٨ أوله: **«في الجنة بحر للماء وبحر للبن...»**. وهو من كتابه «البعث والنشور» ونقله المؤلف من الدر المنثور ٦/ ٢٥.

(٣) لفظه عند ابن حبان: **«أنهارُ الجنة تخرج من نحن تلالِ ـ أو من تحت جبالِ ـ مسك»**. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦/ ٤٢٣ رقم ٧٤٠٨ وقال محققه: إسناده حسن. وبألفاظ متقاربة أورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨ ولفظه: **«أنهار الجنة تفجر من تحت جبال مسك»** لابن أبـي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث. قلت: ورواية للعقيلي في الضعفاء نقلها الزبيدي في الإتحاف ١٠/ ٥٣٢.

ونهرُ الفراتِ نهرُ الخمرِ في الجنة، ونهرُ سيحانَ نهرُ الماءِ في الجنة[1].

وقال بعضُ المفسِّرين في قولِهِ تعالى: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾[2]: قال كعبٌ في تفسيرِ هذه الآية: نهرُ دجلةَ نهرُ مائهم، ونهرُ الفراتِ نهرُ لبنهم، ونهرُ مصرَ نهرُ خمرهم، ونهرُ سيحانَ نهرُ عسلهم. وهذه الأنهارُ تخرجُ من نهرِ الكوثر.

وفي كلامِ الإمامِ ابنِ حزم رحمه اللَّهُ تعالى: ليس المرادُ أن هذه الأنهارَ الموجودةَ في الأرضِ هي التي في الجنة، بل هذه أسماءُ أنهارٍ في الجنة، يقالُ لها النيل، والفرات، وسيحان، ودجلة، كاسم السلسبيل، والكوثر.

وقد أطلتُ الكلامَ على ذكرِ أنهارِ الجنةِ، وعيونِها، وما أعدَّ اللَّهُ تعالى لعبادِهِ المؤمنينَ فيها، في كتابنا «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»، فراجعْهُ تظفرْ بالمراد[3].

* * *

وأما قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ فقال النحويون:

«كلما» منصوبةٌ على الظرفيةِ باتفاق. وناصبُها الفعلُ الذي هو جواب. وهو هنا «قالوا». وجاءَتْها الظرفيةُ من جهةِ «ما»، فإنها محتملةٌ لوجهين:

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٥.

(٢) سورة محمد: الآية ١٥.

(٣) في (ظ): وقد أطلنا الكلام على ذكر أنهار الجنة وعيونها في غير هذا الموضع، والله أعلم.

أحدهما: أن تكونَ حرفاً مصدرياً، والجملةُ بعدَهُ صلة، فلا محلَّ لها. والأصل: «كلَّ وقتِ رزقٍ».

الثاني: أن تكونَ اسماً نكرة، بمعنى «وقت». فلا تحتاجُ على هذا إلى تقديرِ وقت. والجملةُ بعدَهُ في موضعِ خفضٍ على الصفة، فتحتاجُ إلى تقديرِ عائد، أي: كلَّ وقتٍ رُزقوا فيه. ولهذا الوجهِ مُبَعِّدٌ، وهو ادِّعاءُ حذفِ عائدِ الصفةِ وجوباً، حيثُ لم يردْ مصرَّحاً به في شيءٍ من أمثلةِ هذا التركيب.

ومن هنا ضعف قولُ أبي الحسن الأخفش[1] في نحو «أعجبني ما قمتُ»، أن «ما» اسم، والأصل «ما قمته»، أي: «القيامَ الذي قمته». وقولُه في «يا أيها الرجل» أن «أيا»[2] موصول، والمعنى: «يا من هو الرجل». فإن هذين العائدين لم يلفظْ بهما قط. ولو صحَّ ما ذكرَ لجازَ ذلك، لأن الأصلَ أن العائدَ يكونُ مذكوراً لا محذوفاً. وهنا مباحثُ أُخرَ ليس هذا محلَّها.

وقال المنطقيون: «كلما» تقتضي عمومَ الأفعال، كما أن «كل» تقتضي عمومَ الذوات.

وقال الخطِّيون: «كلما» إذا كانت ظرفاً كُتبت «ما» معها متصلة، نحو: كلما جئتني أكرمْتُكَ، وكما هنا.

وإن كانت اسماً كُتبتْ منفصلة، نحو: كلُّ ما عندي لك. وكلُّ ما في الدنيا فانٍ.

و «كلما رزقوا» لا يخلو: إما أن يكونَ صفةً ثانيةً لـ «جنات»، أو خبرَ مبتدأ محذوف، أو جملةً مستأنفة.

---

(١) هو الأخفش الأوسط: سعيد بن مسعدة البصري، أبو الحسن، العالم اللغوي. ت ٢١٥هـ.

(٢) هكذا في النسختين.

لأنه لمّا قيلَ: «أن لهم جنات» لم يخلُ قلبُ السامعِ أن يقعَ فيه: هل ثمارُ تلك الجناتِ تُشبهُ[1] أثمارَ الدنيا أم أجناسٌ أُخَر؟

فقيل: إن ثمارَها أشباهُ ثمارِ الدنيا، أي أجناسَها أجناسُها، وإن تفاوتتْ إلى غايةٍ لا يعلمُها إلاَّ اللّـٰهُ تعالى. بل قال شيخُ الإسلامِ وحافظُ زمانهِ تقيُّ الدين ابنُ تيمية رحمهُ اللّـٰهُ تعالى: قد ثبتَ عن ابنِ عباس رضي اللّـٰهُ تعالى عنهما أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنةِ إلاَّ الأسماء[2]. وقد أخبرَ اللّـٰهُ تعالى أنه لا ﴿ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[3]. انتهى.

و «مِنْ» الأولى والثانية[4] للابتداء، واقعتانِ موقعَ الحال، كأنه قيل: «كلَّ وقتٍ رُزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات، مبتدأ من ثمره».

فصاحبُ الحالِ الأولى «رزقاً». وصاحبُ الثانيةِ ضميرهُ المستكنُّ في الحال، فهو ــ كما قال الزمخشري ــ بمنزلة قولك: رزقني فلان. فيُقالُ لك: من أين؟ فتقول: من بستانه. فيقال: من أيِّ ثمرةٍ رزقكَ من بستانه؟ فتقول: من الرمان[5].

وتحريرهُ أن الرزقَ جُعِلَ مبتداً من الجنات، والرزقَ من الجناتِ مبتدأً من ثمره[6].

وفي تفسيرِ ابن عادل: «منها» متعلقٌ بـ «رُزقوا»، وكذلك «من ثمره»، لأنها بدلٌ من قوله «منها» بدلَ اشتمالٍ بإعادةِ العامل.

---

(١) في (ظ): كسبه.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٧، الدر المنثور ١/ ٨٢، الزهد لهناد ١/ ٤٩ رقم ٣.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٤) في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾.

(٥) الكشاف ١/ ٢٦٠.

(٦) هذا تابع لقول الزمخشري، أورده المؤلف بإيجاز.

وجوَّزَ الزمخشريُّ أن يكونَ «من ثمره» بياناً، على منهاجِ قولِكَ: رأيتُ منكَ أسداً[1].

قال ابنُ عادل: وفيه نظر، لأن من شرطِ ذلك أن يحلَّ محلَّها الموصول، وأن يكونَ ما قبلها محلًّى بـ «الـ» الجنسية، يعني كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[2]. وأيضاً فليس قبلها شيءٌ يتبيَّنُ بها. وكونُها بياناً لما بعدها بعيدٌ جدًّا، وهو غيرُ المصطلحِ عليه.

و «رزقاً» مفعولٌ ثانٍ لـ «رُزقوا»، وهو بمعنى مرزوق. وكونهُ مصدراً بعيد، لقوله: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾. والمتشابهُ هو المرزوق.

و «ثمره» جمعُها ثَمَر، وجمعُ ثمرٍ ثِمار، وجمعُ ثِمارٍ ثُمر ــ بضمِّ الميمِ وسكونها ــ وجمعُ ثُمر أثمار.

وأثمارُ الجنةِ وأشجارُها كثيرة، لا يحيطُ بها إلاَّ خالقُها.

قال ابنُ عباس ــ رضي اللّٰهُ تعالى عنهما ــ في قولِهِ تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾[3]: ما في الدنيا ثمرةٌ حلوةٌ ولا مُرَّةٌ إلاَّ وهي في الجنة، حتى الحنظل[4]!

وقال كثيرٌ من المفسِّرينَ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[5] أي بستانانِ من الياقوتِ الأحمرِ والزبرجدِ الأخضر، ترابُهما

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٣) سورة الرحمٰن: الآية ٥٢.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٠٤، تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧٧.

(٥) سورة الرحمٰن: الآية ٤٦.

الكافورُ والعنبر، ودقاقُهما المسكُ الأَذْفَر، كلُّ بستانٍ مائةُ سنة، وفي وسطِ كلِّ بستانٍ دارٌ من نور، جنةٌ لخوفِ ربِّهِ، وجنةٌ لتركِ شهوته.

وعن ابن عباس رضي اللّٰهُ تعالى عنهما: نخلُ الجنةِ ذهبٌ أحمرُ، وعروقُها زمرُّدٌ أخضر، وثمرها كالقلال، أحلىٰ من الشَّهْد، وأَلينُ من الزبد، لا عُجْمَ[1] لها[2].

وروى البيهقيُّ بسندٍ حسن عن سلمان رضي اللّٰهُ تعالى عنه، أنه أخذَ عوداً صغيراً ثم قال: لو طلبتَ في الجنةِ مثلَ هذا العودِ لم تبصرْهُ.

قيل: فأين النخلُ والشجر؟

قال: أصولُها اللؤلؤ والذهب، وأعلاهُ الثمر.

وروى سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن البراء بن عازب ــ رضي اللّٰهُ تعالى عنه ــ في قولهِ تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾[3]، قال: إن أهلَ الجنةِ يأكلونَ من ثمارِ الجنةِ قياماً، وقعوداً، ومضطجعين، على أيِّ حالٍ شاؤوا[4].

ورويا أيضاً عن مجاهدٍ قال: أرضُ الجنةِ من وَرِق، وترابُها مسك،

---

(١) العُجام: نوى كل شيء. وفي (أ): «عجو»: وهو ما يخلط من التمر بعضه ببعض. وما أثبت في المتن هو الصحيح، وموافق لما ورد في المصادر المذكورة.

(٢) صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم ٥٠ وهو عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس. ووقفت على هذا القول لسعيد بن جبير أيضاً، كما في حلية الأولياء ٤/٢٨٧، والزهد والرقائق لابن المبارك ص ٥٢٣ رقم ١٤٨٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٤.

(٤) الدر المنثور ٦/٤٨٦، الزهد والرقائق، ما رواه أبو نعيم ص ٦٧ رقم ٢٣٠، صفة الجنة رقم ١١٥.

وأصولُ شجرها ذهب وورِق، وأفنانُها اللؤلؤ والزبرجد والورِق، والثمارُ بين ذلك. فمن أكلَ قائماً لم تؤذه، ومن أكلَ مضطجعاً لم تؤذه، ومن أكلَ جالساً لم تؤذه: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾[1].

وفي تفسيرِ القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾[2] أي ظلّ الأشجارِ قريبٌ[3] من الأبرار، فهي مُظِلَّةٌ عليهم زيادةً في نعيمهم، وإن كان لا شمسَ هناك ولا قمر، كما أن أمشاطَهم الذهبُ والفضةُ وإن كان لا وسخ فيه ولا شَعَث.

ثم يقال: إن ارتفاعَ الأشجارِ في الجنةِ مقدارُ مائة عام. فإذا اشتهى وليُّ اللّـهِ ثمرتَها تدانتْ منه حتى يتناولها.

وقال: «وذُلِّلتْ» أي سُخِّرتْ لهم قطوفُها. «تذليلاً» أي تسخيراً، يتناولها القائمُ والقاعدُ والمضطجع.

قال مجاهد: إن قامَ أحدٌ ارتفعتْ له، وإن جلسَ تدلَّتْ[4] عليه، وإن اضطجعَ دنتْ منه فأكلَ منها[5].

وقال ابنُ عباس رضي اللّـهُ تعالى عنهما: إذا همَّ أن يتناولَ من ثمراتها تدلَّتْ[6] إليه حتى يتناولَ منها ما يريد[7].

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٤٨٧، صفة الجنة رقم ٥١، الزهد والرقائق، ما رواه أبو نعيم رقم ٢٢٩، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٦.
(٢) سورة الإنسان: أول الآية ١٤.
(٣) في النسختين: قريبة. والتصحيح من القرطبي.
(٤) في (ظ): تذللت.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٦، الدر المنثور ٦/ ٤٨٧، صفة الجنة ١١٤.
(٦) في (ظ): نزلت.
(٧) ينظر الدر المنثور ٦/ ٢٠٤.

وتذليلُ القطوفِ هو تسهيلُ التناول[1]، رزقنا اللّٰهُ ذلك بمنِّهِ وكرمه. آمين.

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ ففي الكشاف للزمخشري: فإن قيل: كيف قيل: «هذا الذي رُزقنا من قبل»؟ وكيف تكونُ ذاتُ الحاضرِ عندهم في الجنةِ هي ذاتُ الذي رُزقوهُ في الدنيا؟

قلت: إن معناه: هذا مثلُ الذي رُزقناهُ من قبلُ وشبهُهُ، بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. وهذا كقولِكَ: أبو يوسفَ أبو حنيفة؛ لاحتكامِ الشبه[2]، كأن ذاتَهُ ذاتُهُ[3].

وقيل: مبنيٌّ على الضمِّ لأنه حذفَ المضافَ إليه ونوىٰ ثبوتَ معناه.

قال النحاس[4]: واختلفَ النحويون في علَّةِ ضمِّ «قبلُ» و «بعدُ» على بضعةَ عشرَ قولاً. وليس هذا محلَّهُ.

وقوله: «رُزقنا من قبل» فيه ثلاثةُ أقوالٍ للمفسرين:

أحدها: أن المعنى: هذا الذي طُعمنا من قبل. يعني في الجنة. فرزقُ الغداةِ كرزقِ العَشِيِّ. وهو مرويٌّ عن ابنِ عباس رضي اللّٰهُ تعالى عنهما والضحاك ومقاتل، لأن طعامَ الجنةِ متشابهُ الصور، كما يُحكى عن الحسن رضي اللّٰهُ تعالى عنه أن أحدَهم يُؤتىٰ بالصَّحْفةِ فيأكلُ منها، ثم يوتىٰ بأخرى

---

(١) ما سبق في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) في الكشاف: تريد أنه لاستحكام الشبه.

(٣) الكشاف ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٤) المفسر النحوي أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبو جعفر النحاس. ت ٣٣٨.

فيراها مثلَ الأولى، فيقولُ ذلك، فتقولُ له الملائكة: كُلْ، فاللونُ واحدٌ والطعمُ مختلف[1].

الثاني: «هذا الذي رُزقنا من قبل» يعني في الدنيا. قالَهُ ابن مسعود وابنُ عباس أيضاً وقتادة ومجاهد وابنُ زيد. أي: قالوا: هذا الذي رُزقنا من ثمراتِ الجنة مثلُ الذي كُنّا رُزقناهُ من ثمارِ الدنيا. أي في الصورةِ والاسم. وإلاّ فقد ثبتَ عن ابنِ عباسٍ أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنةِ إلاّ الأسماء[2]. كما تقدَّم[3].

وإنما جُعِلَ ثمرُ الجنةِ كثمارِ الدنيا لتميلَ النفسُ إليه حين تراه، فإن الطباعَ مائلةٌ إلى المألوف، نافرةٌ عن غيرِ المعروف. وبيانه: أن الإنسانَ بالمألوفِ آنس، وإلى المعهودِ أميل، وإذا رأىٰ ما لم يألَفْهُ نفرَ عنه طبعهُ وعافتْهُ نفسه، ولأنه إذا ظفرَ بشيءٍ من جنس ما سلفَ له به عهدٌ، وتقدَّمَ له معه إلفٌ، ورأى فيه مزيَّةً ظاهرةً، وفضيلةً بيِّنةً، وتفاوتاً بينه وبين ما عهدَ بليغاً؛ أفرطَ ابتهاجهُ واغتباطهُ، وطالَ استعجابُه واستغرابه[4]، وتبيَّنَ له كُنْهُ النعمةِ فيه، وتحقَّقَ مقدارُ الغبطةِ به. ولو كان من جنس لم يعهدْهُ[5] ــ وإنْ كان فائقاً ــ حسبَ أن ذلك الجنسَ لا يكونُ إلاّ كذلك، فلا يتبيَّنُ موقعَ النعمةِ حقَّ التبيُّن، بخلافِ ما إذا رأوا[6] شيئاً فائقاً من جنسِ ما رأوهُ سابقاً، فيكونُ ذلك أبينَ للفضل، وأظهرَ للمزيَّة، وأجلبَ للسرور، وأزيدَ في التعجُّبِ من أن يُفاجَأوا بذلك الشيءِ من غيرِ عهدٍ سابق.

---

(١) تفسير الطبري ١/ ١٣٣، الدر المنثور ١/ ٨٣.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) انظر ص ٥٥.

(٤) في (أ): واستعذابه.

(٥) في (ظ): ولو كان جنساً لم يعده.

(٦) في (ظ): أرادوا.

الثالث: أن ثمرَ الجنةِ إذا جُنِيَ خَلَفَهُ مثلُهُ، فإذا رأوا ما خَلَفَ المجنيَّ اشتبهَ عليهم، فقالوا: «هذا الذي رُزقنا من قبل». قاله[1] يحيى بن أبي كثير[2]، وأبو عبيدة[3].

قال أبو عبيدة: إن نخلَ الجنةِ نضيد، ما بين أصلهِ إلى فرعهِ، وثمرها كأمثالِ القِلال، كلما نُزعتْ ثمرةٌ عادتْ مكانَها أخرى[4].

لطيفة: روى الطبراني عن أبي هريرة رضي اللَّهُ تعالى عنه قال:

ما من عبدٍ يسبِّحُ اللَّهَ تسبيحة، أو يحمدهُ تحميدة، أو يكبِّرُهُ تكبيرة، إلاَّ غرسَ اللَّهُ له بها شجرةً في الجنة، أصلُها من ذهب، وأعلاها من جوهر، مكلَّلةً بالدرِّ والياقوت، ثمارُها كَثُدِيِّ الأبكار، ألينُ من الزبد، وأحلى من العسل، كلما جنى منها شيئاً عادَ مكانَهُ مثلُهُ. ثم تلا: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[5][6].

* * *

(١) في الأصل: قال. وقد أورد قولهما استنتاجاً. ينظر تفسير الطبري ١/ ٣٣، الدر المنثور ١/ ٨٣، تفسير ابن كثير ١/ ٦٣.

(٢) أبو نصر يحيى بن صالح بن أبي كثير اليمامي. عالم مشهور. ت ١٢٩هـ.

(٣) هو معمر بن المثنى البصري النحوي. من أئمة العلم. ت ٢٠٩هـ.

(٤) تفسير الطبري ١/ ١٣٣، صفة الجنة رقم ٤٨. والقلال جمع قُلَّة، وهي الجرَّة الضخمة.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٣٣.

(٦) رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً على أبي هريرة، وفيه سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/ ٨٩. وفيه «يسبح الله».

وأما قولهُ تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ فالظاهرُ أنها جملةٌ مستأنفة. وكلامُ الزمخشري يُشعرُ بأنها معترضة[1]. وقيل: هي عطفٌ على «قالوا».

و «أُتُوا» بالبناءِ للمجهولِ في قراءةِ العامة، بمعنى: جيؤوا به.

وقرأ هارون بن موسى[2] «وأَتَوْا» بفتحِ الهمزة، بالبناءِ للفاعل. أي الخدمُ والولدانُ أَتَوا بالرزقِ.

و «متشابهاً» منصوبٌ على الحالِ من الضميرِ في «به» العائدِ على الرزق، بمعنى المرزوق.

و «المتشابه» من الشَّبَهِ والشِّبْه، وهما كالمَثَلِ والمِثْل.

والتشبيـهُ التمثيـل، والمشـابهـةُ الممـاثلـة، والأمـورُ المتشـابهـات: المشكلات. والمتشابه: المتماثل.

وحقيقةُ المتشابه الذي فيه شبهٌ من غيره، حتى يكاد[3] لا يتميَّزُ منه.

وفي قوله تعالى هنا «متشابهاً» أربعةُ أقوالٍ للمفسِّرين:

أحدُها: أنه متشابهٌ، أي متماثلٌ في المنظرِ واللون، مختلفٌ في الطعم. قاله ابنُ عباس وابن مسعود ومجاهد والربيع بن أنس وأبو العالية والضحاك والسدِّي ومقاتل[4].

---

(١) ينظر الكشاف ١/ ٢٦١.

(٢) هارون بن موسى الدمشقي. الأخفش الدمشقي، أو أخفش باب الجابية. شيخ القراء بدمشق. ت ٢٩٢هـ.

(٣) في الأصل: تكاد.

(٤) أبو العالية هو رفيع بن مهران الرياحي المقرىء المفسر. ت ٩٣هـ. والضحاك هو ابن مزاحم البلخي الخراساني، مفسِّر، من أشراف المعلمين وفقهائهم. ت ١٠٥هـ.

الثاني: أنه متشابه، أي متماثلٌ في جودته، لا رديءَ فيه ولا فاسدَ ولا متغيِّر، بل كلُّهُ خيارٌ يُشبهُ بعضهُ بعضاً. قالَهُ الحسن وقتادة وابن جريج[1].

الثالث: أن التشابهَ إنما هو في الأسماءِ فقط دونَ الألوانِ والطعوم. قالَهُ أبو زيد[2] والأشجعي[3]. فلا تشبهُ ثمارُ الجنةِ شيئاً من ثمارِ الدنيا في لونٍ ولا طعم، وإنما تتفقُ أساميها لا غير. وفي ذلك ترغيبُهم في وجودِ لذَّاتٍ لم يعهدوها ولم يقفوا على غايتها.

الرابع: أنه يُشبهُ ثمارَ الدنيا في الخلقةِ والاسمِ والطعم، غيرَ أنه أحسنُ في المنظرِ والمطعم. قالَهُ قتادة وابن زيد ويحيى بن سعيد ومحمد بن كعب ومجاهد أيضاً. وفي ذلك ترغيبهم في طلبِ ما عرفوهُ في الدنيا بلونهِ وطعمه، وزيادةُ نشاطٍ لهم، حيث وجدوا ما اتفقتْ صورها وتفاوتتْ معانيها[4].

فإن قيل: فما وجهُ الامتنانِ بتشابههِ وكلما تنوعتِ المطاعمُ واختلفتْ ألوانُها كان أحسن؟

والجوابُ: ما مرَّ من أنه متشابهٌ في المنظرِ مختلفٌ في الطعم، وما كان كذلك كان أغربَ عند الخلقِ وأحسن. فإنكَ لو رأيتَ تفاحةً فيها طعمُ سائرِ الفواكهِ كان نهايةً في العجب.

---

(١) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز. فقيه الحرم المكي. ت ١٥٠هـ.

(٢) هكذا في الأصلين، ولعله «ابن زيد» كما يأتي بعد سطور، ويعني عبد الرحمن، صاحب التفسير.

(٣) لعلَّ المقصود بالأشجعي عبيد الله بن عبد الرحمٰن الكوفي الحافظ. سمع من هشام بن عروة وجماعة. وقال: سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث. ت ١٨٢هـ. شذرات الذهب ٢/ ٣٦٥.

(٤) تنظر هذه الأقوال موزعة في تفسير الطبري ١/ ١٣٣ ــ ١٣٤، تفسير ابن كثير ١/ ٦٣، الدر المنثور ١/ ٨٣.

وإن قلنا إنه متشابهٌ في الجودةِ جازَ اختلافهُ في الألوانِ والطعوم.

وإن قلنا إنه يشبهُ صورةَ ثمارِ الدنيا مع اختلافِ المعاني كان أظرفَ وأعجب. وكلُّ هذه مطالبُ مؤثرة. والله أعلم.

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ﴾ فأزواجُ جمعُ زوج. وهو لغةَ البعلُ. ويُطلقُ على الذكرِ والأنثى كما يأتي.

ويُطلقُ أيضاً على الذكر والأنثى من كلِّ حيوان، قال تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1].

وعلى الشفعِ من كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[2].

وعلى الصنف، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[3].

واللون، قال تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[4] أي لونٍ حسن.

والقرين، قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[5].

قال الفرّاء: أهلُ الحجازِ يقولونَ لامرأةِ الرجلِ زوج، ويجمعونها أزواج. يعني: وهذه هي اللغةُ الفصيحةُ التي جاءَ بها القرآن. وتميمٌ وكثيرٌ من قيسٍ. وأهلُ نجدٍ يقولونَ زوجة، [ويجمعونها على زوجات][6].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧.

(٤) سورة ق: الآية ٧.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢٢.

(٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

أنشدَ أبو الجرّاح[1]:

يا صاحِ بلِّغْ ذوي[2] الزوجاتِ كلِّهمِ   أنْ ليس وصلٌ إذا انحلَّتْ عُرى الذنبِ

وزعمَ الأصمعيُّ أن العربَ لا تكادُ تقولُ زوجة!

وفي «تهذيب الأسماء واللغات»: أهلُ نجدٍ يقولون: «زوجة» للمرأة، وأهلُ مكةَ والمدينةَ يتكلمونَ بذلك أيضاً[3].

وثبتَ في صحيحي البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفةِ أهلِ الجنة:

«لكلِّ واحدٍ منهم زوجتان»[4].

هكذا هو في الصحيحينِ بالتاء.

وفي صحيح مسلم أن النبيَّ ﷺ قال:

«هذه زوجتي فلانة» يعني صفيّة، في حديثِهِ الطويلِ الذي قال فيه:

---

(١) هكذا في الأصل. ولعله «ابن الجراح»: أبو الخطاب علي بن عبد الرحمن بن هارون البغدادي الكاتب. إمام كبير مقرىء. وله شعر في أعلى درجة. ت ٤٩٧هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٧٢.

(٢) في (ظ): أبو.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ١٣٧.

(٤) حديث أوله: **«أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر...»** صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة أهل الجنة ٤/ ٨٦، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها ٨/ ١٤٧. وفي المصدر الأخير نفسه، باب أول زمرة تدخل الجنة ٨/ ١٤٥ ـ ١٤٦ أوله بلفظ: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر...»**.

«إن الشيطان يجري من ابنِ آدم مجرى الدم»(١).

والمعنى هنا: ولهم في الجناتِ زوجاتٌ، وهنَّ نساءُ الدنيا، وحورُ الجنةِ جميعاً؛ ليتمَّ لهم بذلك الأُنسُ والبسطُ والراحات، وتهنأ لهم الجنةُ والأطعمةُ والأشربةُ والكرامات.

وقولهُ سبحانَهُ: «أزواج» بصيغةِ الجمع، فيه إشارةٌ إلى تعدُّدِ الأزواجِ في الجنة. وهو كذلك، لما روى الشيخان البخاريُّ ومسلم عن أبـي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنهم تذاكروا: الرجالُ أكثرُ في الجنةِ أم النساء؟ فقال: ألم يقلْ رسولُ اللّـهِ ﷺ:

«ما في الجنةِ أحدٌ إلاَّ له زوجتان؟ إنه ليُرى مخُّ ساقيهما من وراءِ سبعين حُلَّةً، ما فيها عَزَب»(٢).

---

(١) قوله ﷺ: **«يا فلان هذه زوجتي فلانة»**. وفي الحديث الطويل التالي: **«على رسلكما إنها صفية بنت حيـي»**. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجته ٧/ ٨.

(٢) ليس في الصحيحين بهذا اللفظ، وقد نقله المؤلف من الدر المنثور ١/ ٨٤ لأحمد والبخاري ومسلم والبيهقي في البعث. فلعله من لفظ الأخير. كما رواه بهذا اللفظ الدارمي في سننه ٢/ ٣٣٦. وورد في الأصل: **«إلاَّ وله... ساقها»**. والتصحيح منهما. إنما ورد في صحيح مسلم عن أيوب عن محمد قال: إمّا تفاخروا وإمّا تذاكروا: الرجالُ في الجنة أكثر أم النساء، فقال أبو هريرة: أوَلم يقل أبو القاسم ﷺ: **«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوءِ كوكبٍ درِّي في السماء، لكل امرئٍ منهم زوجتان اثنتان يُرى مخُّ سُوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب»**. صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة ٨/ ١٤٥ ـ ١٤٦، والمصدر السابق من صحيح البخاري ـ وليس في الأخير حكاية أوله ـ . وروى الترمذي في سننه من حديث أبـي سعيد رفعه: **«أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لونِ أحسن كوكب درِّي في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، على** =

وروى الترمذي وصححه والبزار عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبـيِّ ﷺ قال: **«يزوَّجُ العبدُ في الجنةِ بسبعينَ زوجةً»**.

قيل: يا رسولَ الله، أيطيقها؟

قال: **«يُعطىٰ قوةَ مائة»**[1]!

وروىٰ إمامنا أحمد والترمذي عن أبـي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسولَ اللّٰهِ ﷺ قال:

«إن أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً الذي له ثمانونَ ألفَ خادم، واثنتانِ وسبعونَ زوجة، وينصبُ له قُبَّةٌ من لؤلؤ وياقوتٍ وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء»[2].

جعلنا اللّٰهُ من أهلِ الجنة. آمين.

* * *

= كل زوجة سبعون حُلَّةً يبدو مُخُّ ساقها من ورائها». سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه ٤/ ٦٧٠ رقم ٢٥٢٢، وقال: حديث حسن صحيح. وآخر عن أبـي سعيد أيضاً في باب صفة نساء أهل الجنة ٤/ ٦٧٧ رقم ٢٥٣٥ من كتاب صفة الجنة، وقال: حديث حسن.

(١) لفظه: **«يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع»**. قيل: يا رسول الله أوَ يطيق ذلك؟ قال: **«يعطى قوة مائة»**. سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة ٤/ ٦٧٧ باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة رقم ٢٥٣٦ وقال: حديث صحيح غريب. وصححه في صحيح الجامع الصغير ٨١٠٦. ونقل المؤلف لفظه من الدر المنثور ١/ ٨٤. ويبدو أنه من لفظ البزار. والله أعلم.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/ ٧٦ وهذا لفظه. وهو في سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة ٤/ ٦٩٥ رقم ٢٥٦٢، وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٢٦٦ وأوله: **«أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم...»**. ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (ما رواه أبو نعيم) رقم ٤٢٢.

وأما قولهُ تعالى: ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ فهذه هي قراءةُ الجمهور.

وقرأ ابنُ مسعود وزيد بن علي: «مطهَّرات»، لأنه نعتٌ للنسوة. وهي جمعُ زوج.

وهما لغتانِ فصيحتان. يقال: النساءُ فَعَلْنَ، وهنَّ فاعلاتٌ وفواعلُ، والنساءُ فعلتْ، وهي فاعلة. فالجمعُ على اللفظِ، والإفرادُ على تأويلِ الجماعة، أي: جماعةَ أزواجٍ مطهَّرة.

ولغةُ[1] الجمهورِ أفصح، لأن الأكثرَ المسموعَ من العربِ في نعتِ الجمعِ القليلِ الألفُ والتاء، وفي نعتِ الجمعِ الكثيرِ الهاءُ وحدَها. يقال: أَحْمُرٌ مستنفرات، و ﴿ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾[2]، وبيوتٌ خاوية[3].

ولم يقلْ «طاهرة» لما قال الزجّاجُ وغيرهُ: إن «مطهَّرة» أبلغُ من «طاهرة» لأنه للتكثير.

وفي الكشاف: فإن قلت: فهلاّ قيل: طاهرة؟ قلت: في «مطهَّرة» فخامةٌ [لصفتهنَّ] ليستْ في «طاهرة»، وهي الإشعارُ بأن مُطهِّراً طهَّرهنَّ، وليس ذلك إلاَّ اللّـهُ عزَّ وجلَّ، المريدُ بعبادهِ الصالحينَ أنْ يخوِّلهم كلَّ مزيَّةٍ فيما أعدَّ لهم[4]. انتهى.

و «الطهارةُ»: النظافةُ والنزاهة[5]، والفعلُ منها طَهَر بالفتح، ونُقِلَ الضمُّ. واسمُ الفاعلِ منها: طاهر.

---

(١) في (ظ): وقراءة.

(٢) سورة المدثر: الآية ٥٠.

(٣) هكذا توقف هنا في النسختين، وتكملته: وبيوتات خاويات.

(٤) الكشاف ١/ ٢٦٢. وما بين المعقوفتين زيادة منه.

(٥) «النزاهة» لم ترد في (ظ).

والطهارةُ خلافُ الدَّنَس.

والتطهيرُ: التنزُّهُ عن الإثمِ والقبح.

واختُلفَ في تطهيرِ نساءِ الجنة:

ـ فقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ في الخَلْقِ، هُنَّ من المسكِ والكافورِ والعنبرِ والزعفران، لا من الترابِ والمنيِّ والعَلَقة.

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ في الحال. فليس تحت الجلودِ دمٌ ولا قيح، ولا في البطونِ ما في بطونِ البشر[1].

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عن الأمراضِ والأعراضِ من الورمِ والدَّرَنِ والصُّداعِ وسائرِ الأوجاع.

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عن الولادة.

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأبدانِ عمّا يخرجُ منها من بولٍ أو منيٍّ أو غائطٍ أو حيضٍ أو نفاسٍ أو مُخاط أو بلغم.

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأفعال. فلا يصاخبْنَ، ولا يجادلْنَ، ولا يعترضْنَ، ولا يعرِّضْنَ، ولا يغلظْنَ القول، ولا يُسِئنَ الفعل، ولا ينشزْنَ.

ـ وقيل: مطهَّراتُ الأخلاق، فلا يحسدْنَ، ولا يحقدْنَ، ولا يبغضْنَ، ولا يَغِرْنَ[2].

---

(١) قال ناسخه معلقاً في الحاشية: قولهُ: «ما في بطون البشر» أي في الدنيا. وأما في الآخرة فلا يبقى في بطون البشر فضلات ولا قذر. وورد في (ظ): «بطون نساء البشر».

(٢) من الغَيْرة.

ـ وقيل: مطهَّراتٌ من استرابةِ القلوبِ بهنَّ[١]، فلا يملْنَ إلى غير أزواجهنَّ، ولا يقعُ في قلوبِ الرجالِ ما ينفِّرُ طباعَهم عنهنَّ[٢].

قلت: كلٌّ من هذه الأقوالِ صحيحٌ في حقهنَّ. رزقَنا اللَّـهُ أزواجاً منهنَّ مطهَّراتٍ من الغائطِ والبولِ والحيضِ والنفاسِ والدَّرَنِ والمخاطِ والبُزاق والمنيِّ والقيءِ والولدِ ودَنَسِ الطبعِ وسوءِ الخُلقَ، وكلِّ قَذَرٍ ودَنَس.

وقال ابن عباس رضي اللَّـهُ تعالى عنهما: «مطهَّرةٌ» نقيَّةٌ من القذرِ والأذى[٣].

وفي الحديث، في قولهِ تعالى سبحانه: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾[٤]: «خيِّراتُ الأخلاقِ، حِسانُ الوجوه»[٥].

ويروى[٦]: لَسْنَ بذرْباتٍ، ولا دَفَراتٍ[٧]، ولا فَجَرات، ولا متطلِّعات، ولا متشرِّفات، ولا متسلِّطات، ولا مائلات، ولا طوَّافاتٍ في الطُّرق، ولا يَغِرْنَ، ولا يؤذِيْن.

---

(١) في (ظ): عن استرابة لقلوبهنَّ.

(٢) تنظر هذه الأقوال أو بعضها في تفسير الطبري ١/ ١٣٦ ـ ١٣٧، الدر المنثور ١/ ٨٣ ـ ٨٤، روح المعاني ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٣٧، الدر المنثور ١/ ٨٣، تفسير ابن كثير ١/ ٦٣.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٧٠.

(٥) رواه الطبري في تفسيره ٢٧/ ٩٢. وهو من حديث طويل لأم سلمة رضي الله عنها، قال فيه الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير بنحوه... وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٨، ٧/ ١١٩. وانظر تخريج الحديث التالي.

(٦) في (ظ): وفي الحديث.

(٧) دَفَر الشيء: خبثت رائحته.

وقال ابنُ مسعود رضي اللّـهُ تعالي عنه: لا مَرِحات[1]، ولا طمّاحات، ولا بَخِرات[2]، ولا دَفِرات. ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[3]، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[4].

وقال الأوزاعي: «خيراتٌ»: لسْنَ بذربات اللسان، ولا يَغِرْنَ، ولا يؤذِيْنَ[5].

وفي حديثِ أمِّ سلمة رضي اللّـهُ تعالى عنها من روايةِ الطبراني:

«يَقُلْنَ: ألا نحن الخالدات، فلا نموتُ أبداً. ألا ونحن الناعمات، فلا نبأسُ أبداً. ألا ونحن المقيماتُ، فلا نظعنُ أبداً. ألا ونحن الراضياتُ، فلا نسخطُ أبداً. طوبى لمن كنّا له وكان لنا»[6].

وروى الطبراني بسندٍ صحيح عن ابن عمر رضي اللّـهُ تعالى عنهما قال: قال رسولُ اللّـهِ ﷺ:

«إن أزواجَ أهلِ الجنةِ ليغنِّينَ أزواجهنَّ بأحسنِ أصواتٍ ما سمعها أحدٌ قط. إن مما يغنِّين: نحن الخَيْراتُ الحسان، أزواجُ قوم كرام، [ينظرْنَ بقرَّةِ

---

(١) من مَرِح: إذا تبختر واختال. وفي المصدرين التاليين «مراحات». ومراحى جمع مرِح.

(٢) البَخَر: الرائحة الكريهة من الفم.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٢٢.
والخبر في الدر المنثور ٦/ ٢١١، وصفة الجنة رقم ٣١٣.

(٤) سورة الصافات: الآية ٤٩.

(٥) الدر المنثور ٦/ ٢١١، الزهد والرقائق لابن المبارك رقم ١٥٣٩.

(٦) هذا تابع للحديث المخرج سابقاً، من حديث أم سلمة الطويل، وأوله: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ قال: «حور بيض عين ضخام العيون...». رواه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٣٦٧ رقم ٨٧٠، وقال فيه الهيثمي: فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. مجمع الزوائد ٧/ ١١٨ ـ ١١٩.

أعيان]. وإن مما يغنين: نحن الخالداتُ فلا نَمُتْنَهْ، نحن الآمِناتُ فلا نَخَفْنَهْ، نحن المقيماتُ فلا نَظْعَنْهْ»[1].

وروى إمامنا أحمد وابن حبان والبيهقيُّ عن أبي سعيد الخدري رضي اللّٰهُ تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ ﴾[2] قال:

«ينظرُ إلى وجههِ في خدِّها[3]، أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيءُ ما بين المشرقِ والمغرب، وإنه يكون عليها سبعونَ ثوباً يَنْفُذُها بصرُهُ حتى يرىٰ مُخَّ ساقِها من وراءِ ذلك»[4].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٢٦٠ من حديث ابن عمر، وما بين المعقوفتين منه. وفي آخره: **«فلا يظعن»**. وورد في النسختين: **«ما سمعها»**. والتصحيح منه. وقال: لم يروه عن زيد بن أسلم إلاَّ محمد تفرد به ابن أبي مريم. وقال فيه الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩. وكذا قال في الترغيب والترهيب ٤/ ٥٣٨. وصححه في صحيح الجامع الصغير ١٥٦١. قلت: وللترمذي رواية قريبة عن علي رفعه برقم ٢٥٦٤.

(٢) سورة الرحمٰن: الآية ٥٨.

(٣) في النسختين: «وجهها.. خدرها». والتصحيح من الترغيب والمستدرك.

(٤) نقله المؤلف من الترغيب والترهيب ٤/ ٥٣٤ من لفظ البيهقي في البعث. ولفظه في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١٦/ ٤١٠ رقم ٧٣٩٧: **«إن الرجل في الجنة ليتكيء سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه المرأة فتقرب منه، فينظرُ في خدِّها أصفى من المرآة، فتسلِّمُ عليه فيردُّ السلام، ويسألها: من أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد. وإنه يكون عليها سبعون ثوباً فينفذها بصرهُ حتى يرى مخَّ ساقها من وراء ذلك. وإن عليهن التيجان، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب»**. وقال محققه: إسناده ضعيف. وأوله عند أحمد ٣/ ١٦: **«إن أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم...»** وفي آخره: **«... على كل =**

وروى الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: إن المرأةَ من الحورِ العين ليُرىٰ مخُّ ساقِها من وراءِ اللحمِ والعظمِ من تحتِ سبعين حُلَّة، كما يُرىٰ الشرابُ الأحمرُ في الزجاجةِ البيضاء[1].

وروى ابن أبـي الدنيا عن ابن عباس رضي اللّٰهُ تعالى عنهما قال: لو أن امرأةً من نساءِ أهلِ الجنةِ بصقتْ في سبعةِ أبحرٍ لكانتْ تلك الأبحر أحلى من العسل[2]!

وروى البزار والطبراني عن سعيد بن عامر بن حِذْيَم رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقول:

«لو أنَّ امرأةً من نساءِ أهلِ الجنةِ أشرفتْ لملأتِ الأرضَ ريحَ مسك، ولأذهبتْ ضوءَ الشمسِ والقمر»[3].

فثبتَ بذلك أنهنَّ مطهَّرات، وأيُّ مطهَّرات!

لطيفة: اختلفَ المفسِّرون في تسميتهنَّ بالحورِ العين.

فقال مجاهد: سُمِّيتْ حوراً لأنه يحارُ فيها الطَّرْف، بادٍ مخُّ ساقِها من وراءِ ثيابها، فينظرُ الناظرُ وجهَهُ في كبدِ إحداهنَّ كالمرآةِ من رقَّةِ الجلد، وصفاءِ اللون[4].

= زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء لحومها ودمها وحللها». وباللفظ الذي أورده المؤلف موافق للمستدرك أيضاً ٢/ ٤٧٥ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: دراج صاحب عجائب!

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق ١/ ٨٥، صفة الجنة لابن أبـي الدنيا رقم ٢٩٣. وقال محققه: في سنده حفص بن عمر العدني ضعيف.

(٣) قال الحافظ المنذري: الحديث رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن في المتابعات. الترغيب والترهيب ٤/ ٥٣٣.

(٤) الدر المنثور ٥/ ٧٥٣.

وقال مكي: سُمِّيَ نساءُ الجنةِ بالحورِ لبياضِهنَّ، ومنه قيلَ للدقيقِ الحُوَّارىٰ. ومنه الحَواريُّون لبياضِ ثيابهم.

قال: والحَوَرُ في العينِ هو شدَّةُ سوادِ الحدقةِ مع بياضِ ما حولها. والعِيْنُ هنَّ الكبيراتُ الأعين، يقال: امرأةٌ عيناء، ورجلٌ أعين.

تنبيه: قد ظهرَ مما قررناهُ من الأحاديثِ وغيرِها أن الحُورَ كالآدمياتِ، من لحمٍ وعظمٍ ومخٍّ وساقٍ وغيرِ ذلك. وهذا أدعىٰ للشهوةِ، وأقربُ للذَّةَ، فإنَّ الطِّباعَ مائلةٌ إلى المعروف، نافرةٌ عن غيرِ المألوف. وقد سُئلتُ عن هذا فأفتيتُ بهذا. واللّـٰهُ سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

وأما قولهُ تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فاعلمْ أن مجاميعَ اللذَّات: إما المسكن، وإما المطعمُ والمشرب، وإما المنكح.

فوصفَ تعالى المسكنَ بقولهِ تعالى: ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

والمطعمَ بقوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾.

والمنكحَ بقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾.

ثم هذه الأشياءُ إذا حُصِّلَتْ وقارنَها خوفُ الزوال، كان النعيمُ منغَّصاً، والعيشُ مكدَّراً[1]. فبيَّنَ تعالى زوالَ هذا الخوفِ بقولهِ سبحانه: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

فدلَّتِ الآيةُ على كمالِ النعيم والسرور، ومزيدِ النعمةِ والحبور؛ لأن الخلودَ هنا هو البقاءُ الدائمُ الذي لا انقطاعَ له ولا غايةَ لمنتهاه[2].

---

(١) هذه الجملة لم ترد في (ظ).

(٢) وكذا هذه لم ترد في (ظ).

وهل يطلقُ الخلودُ على ما لا نهايةَ له ولا انقطاعَ بطريقِ الحقيقةِ أو المجاز؟ قولان:

قالتِ المعتزلة: الخلدُ هو الثباتُ اللازمُ والبقاءُ الدائمُ الذي لا ينقطع. واحتجُّوا على ذلك بالآيةِ وغيرِها.

وقال ابن الخطيب: قال أصحابنا: الخلدُ هو الثباتُ الطويل، سواءٌ أدامَ أم لم يَدُمْ. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾[1]، ولو كان التأبيدُ داخلاً في مفهومِ الخلدِ لكان ذلك تكراراً[2].

وقال بعضهم: حقيقةُ الخلودِ الدوامُ من وقتِ الابتداءِ، ولهذا لا يجوزُ أن يُقالَ للّٰهِ تعالى إنه خالد، لأنه قديمٌ أزليٌّ لا ابتداءَ له.

والبقاءُ الأبديُّ في الجنةِ لأهلها [وفي النارِ لأهلها][3] هو قولُ جميعِ أهلِ الإسلام، [لأن الخلودَ هو البقاءُ الدائمُ الذي لا انقطاعَ له][4]، فقد دلَّتِ الآياتُ القرآنيةُ والأحاديثُ النبويَّةُ على خلودِ أهلِ الجنةِ فيها أبداً، وعلى ذلك إجماعُ أهلِ السنةِ والجماعة. وأجمعوا على أن عذابَ الكفارِ لا ينقطع، كما أن نعيمَ أهلِ الجنةِ لا ينقطع. يدلُّ على ذلك الكتابُ والسنَّةُ وإجماعُ الأمة، خلافاً للجهمية، حيث ذهبوا إلى أن الجنةَ والنارَ تفنيانِ ويفنىٰ أهلُها. وخلافاً لأبـي الهذيل المعتزلي[5] وموافقيه، حيث قالوا: ينقطعُ عذابُ

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٧.

(٢) علق ناسخه تعليقة جيدة فقال: أقول لك أن يمنع كونه تكراراً على هذا التقدير لاحتمال كونه يدفع توهم المجاز عن طول المكث. فتأمل. كاتبه.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في (أ).

(٤) لم يرد في (أ).

(٥) محمد بن الهذيل العلاف. من أئمة المعتزلة. ت ٢٣٥هـ.

الكفارِ وله غايةٌ ونهاية. واحتجُّوا على ذلك بالمنقولِ والمعقول، فاحتجُّوا من القرآن بآيات:

الأولىٰ: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[1] فدلَّ هذا النصُّ على انقطاع عذابهم، لأن مدةَ السماواتِ والأرضِ متناهية، فلزمَ أن تكونَ مدةَ العقاب منقطعة.

الثانيةُ: قولهُ تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾[2] استثناءٌ من مدة عذابهم[3]. وذلك يدلُّ على الزوال.

الثالثةُ: قولهُ تعالى: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ ﴾[4]. فبيَّنَ تعالى أن لبثهم في العذابِ لا يكونُ إلَّا أحقاباً معدودة.

وأما المعقولُ فوجهان:

أحدهما: أن معصيةَ الكافرِ متناهية، ومقابلةُ الجرمِ المتناهي بعقابِ ما لا نهايةَ له ظلم، وهو على اللّٰهِ تعالى محال[5].

ثانيهما: أن العقابَ ضررٌ خالٍ من النفع، فيكونُ قبيحاً، لأن ذلك

---

(١) سورة هود: الآيتان ١٠٦ ــ ١٠٧.

(٢) سورة هود: الآية ١٠٧.

(٣) في (ظ): عقابهم.

(٤) سورة النبأ: الآية ٢٣.

(٥) علق ناسخه بقوله: قوله: «ظلم» ممنوع، لأن اللّٰهَ تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء، فجميع ما يصدر عنه سبحانه إما فضل وإما عدل. وأيضاً يخلد الكافر في العذاب في مقابلة نيته، لأن نيته الدوام على الكفر ولو بقي الأبد، فجوزي بعذاب الأبد، كما صرح به بعضهم. والمؤمن نيته البقاء على الإيمان كذلك، فجوزي بالنعيم المؤبد، فضلاً من الله ونعمة. كاتبه.

النفعَ لا يرجعُ إلى اللّٰهِ تعالى لتعاليهِ عن النفعِ والضرِّ، ولا إلى العبدِ لأنه ضررٌ محض، ولا إلى أهلِ الجنةِ لأنهم مشغولون بلذّاتهم، فلا فائدةَ لهم في الالتذاذِ بعقابٍ دائمٍ في حقِّ غيرهم، بل القلوبُ الرحيمةُ تتألمُ بذلك غايةَ التألُّمِ كما هو مشاهد.

وقد بيَّنتُ شبههم والردَّ عليهم في مؤلَّف لطيفٍ وسميته «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين». وأيضاً فلأن أهلَ الجنةِ لو علموا بالزوالِ لكانوا في أشدِّ عقوبة، وأهلُ النارِ لو علموا بالفناءِ لكانوا في أشدِّ راحة، فيصيرُ الثوابُ عقاباً، والعقابُ ثواباً! واللّٰهُ سبحانه وتعالى أعلم.



خاتمة

روى الشيخان البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ:

«يُجاءُ بالموتِ يومَ القيامةِ كأنه كبشٌ أملحُ، فيوقفُ بين الجنةِ والنار، فيُقال: يا أهل الجنة، هل تعرفونَ هذا؟

فيشرئبُّونَ وينظرونَ ويقولون: نعم، هذا الموت!

ويُقال: يا أهلَ النار، هل تعرفونَ هذا؟

فيشرئبُّونَ وينظرونَ ويقولون: نعم، هذا الموت!

فيؤمَرُ به فيُذبح، ثم يقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ ولا موتَ فيها، ويا أهلَ النارِ خلودٌ ولا موتَ فيها»!

ثم قرأ رسولُ اللّٰهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾[١]، وأشارَ بيده إلى الدنيا[٢].

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم ٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء =

وفي لفظ البخاري: «وهم في غفلة»: وهؤلاء في غفلةٍ ـ أهلُ الدنيا ـ وهم لا يؤمنون[1].

قولهُ: «فيشرئبون» بفتح أولهِ، وسكونِ المعجمة، وفتح الراءِ، بعدها تحتيَّةٌ مهموزة، ثم موحدةٌ مشدَّدة: أي يمدُّونَ أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

روى الحاكم وصححه وابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللّٰهُ تعالى عنه قال: قال رسولُ اللّٰهِ ﷺ:

«يؤتىٰ بالموتِ في هيئةِ كبشٍ أملحَ، فيوقفُ على الصراطِ فيُقال: يا أهلَ الجنة. فيطَّلعونَ خائفينَ وجلينَ مخافةَ أن يخرجوا مما هم فيه. فيُقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت. فيُقال: يا أهلَ النار. فيطَّلعونَ مستبشرينَ فرحينَ أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفونَ هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيُؤمرُ به فيذبحُ على الصراط، ويُقالُ للفريقين: خلودٌ فيما تجدون، لا موتَ فيها أبداً»[2].

= ٨/ ١٥٢ ـ ١٥٣. واللفظ لمسلم، وفيه: «فلا موت» في الموضعين. وأوله عند البخاري: «يؤتى بالموت كهيئة كبش».

(١) في حاشية البخاري نقلاً من العيني: قوله: «وهم في غفلة» فسر بهؤلاء ليشير إليهم بياناً لكونهم أهل الدنيا، إذ الآخرة ليست دار غفلة.
ويأتي بعد هذا في (ظ): نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الآمنين الموقنين، بمنّه وكرمه، آمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٨٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. . . وقال في الحديث التالي: وقد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث بغير هذا اللفظ من حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد. وهو في =

والأحاديثُ في هذا كثيرة[1]، وفيما ذكرناهُ كفايةٌ لمن تدبَّرَ، وتأمَّل، واستبصر.

واللَّـهَ أسألُ الوفاةَ على الإسلام، والنظرَ إلى وجههِ الكريمِ في دارِ السلام. آمين[2].

* * *

= سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة النار ٢/١٤٤٧ رقم ٤٣٢٧ وأوله: «**يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط...**». قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه بإسناد جيد. الترغيب والترهيب ٤/٥٦٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٩٩٩، والذي قبله للترمذي عن أبـي سعيد رفعه.
قلت: وينظر لفظ الحديث في المصادر السابقة فإن المؤلف لم ينقله منها، وفيه اختلاف في بعض الألفاظ.

(١) هنا تنتهي (ظ).

(٢) بسم اللَّـه الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

تمت مقابلة الأصل المخطوط نسخة (أ) مع النسخة المصفوفة في مجالس، أولها بعد العصر يوم الأحد ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ، وآخرها خلال استراحات صلاة التراويح ليلة الاثنين ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ، بقراءة الشيخ أحمد بن فارس السلوم أولاً، ثم الشيخ العربـي الدائز الفرياطي، ثم كاتب هذه السطور، على الشيخ المحقق تفاحة الكويت محمد بن ناصر العجمي، مع التصحيح، والحمد لله. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه خادم العلم

نظام محمد صالح يعقوبي

بصحن المسجد الحرام، تجاه الكعبة المشرفة،
زادها الله عزاً وشرفاً، وحماها وأهلها
من كيد الكائدين وحسد الحاسدين
وحقد الحاقدين.
آمين.

الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية

❑ ❑ ❑

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

❑ ❑ ❑

فهرس الشعر

❑ ❑ ❑

فهرس الأعلام

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات

❑ ❑ ❑

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٦٣)

السنا والسنوت

في معرفة ما يتعلق بالقنوت

من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية

تأليف
الشيخ العلامة المحقق
شمس الدين محمد بن رسول الحسيني الشافعي البرزنجي ثم المدني
(١٠٤٠ - ١١٠٣هـ)
رحمه الله تعالى

حققه وعلق عليه
العربي الدائز الفرياطي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

قالوا في البَرْزَنْجي

● «العلامة ذو التصانيف العديدة المفيدة الإمام الهمام».

إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) في حلية أهل الفضل والكمال

* * *

● «الشيخ العالم جمال المحققين، وفخر العلماء العالمين، وخاتمة الجامعين بين كمال التحرير وحسن التقرير، علامة المعقول والمنقول، فهَّامة الفروع والأصول، وقد جاور بالحرمين ونشر فيهما جواهر العِلْمين؛ فأقرأ الحديث والتفسير، وبحث فيهما مع أئمة التقرير والتحرير، وألَّف كتباً كثيرة نافعة في فنون عديدة ما بين مختصر ومطول».

حسن بن علي العجيمي (ت ١١١٣هـ) في خبايا الزوايا

* * *

● «المحقق المدقق الأوحد الهمام، ... ألف تصانيف عجيبة...، وكانت له قوة واقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة في أسرع وقت وأعذب لفظ وأسهله وأوجزه وأكمله. وبالجملة فقد كان من أفراد العالم علماً وعملاً».

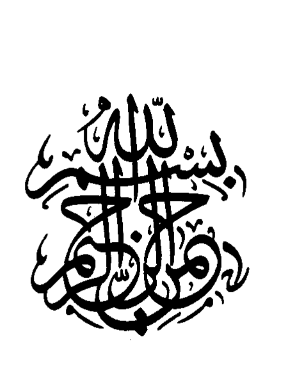
محمد خليل بن علي المرادي (ت ١٢٠٦هـ) في سلك الدرر

* * *

● «العلامة المحقق والفهامة المدقق».

عبد الرحمن الأنصاري (ت بعد ١١٩٧هـ) في تحفة المحبين والأصحاب

* * *



مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه ورسله، محمد بن عبد الله سيد الخلق أجمعين، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار الغُرِّ الميامين، وعلى من اتبع سبيلهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن التفقه في السنن النبوية، وتفهُّم معانيها، وشرح غريبها وبيان ما يشكل منها، يعد من المقاصد الشريفة، والرتب المنيفة، والعلم بذلك من أشرف العلوم الشرعية، عند ذوي الفهوم الألمعية، وقد قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

ومن جملة الفقه في السنن معرفة الأحاديث التي يبدو معناها مشكلاً، ونحوها مما يرى أنه لِما ثَبَتَ مُخالفاً، فيتوجب على أهل العلم إزالة ما أشكل، وتوضيح ما يظن أنه مختلف، مع مراعاة القواعد من غير تكلف ولا اعتساف، وهذه غاية عظيمة قلَّ من يوفق لتحصيلها، ومركب صعب عز من يمتطيه: «وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه، الغوَّاصون على المعاني الدقيقة».

وفي هذه الرسالة يتصدى الإمام العالم المحقق المدقق شمس الدين البرزنجي ــ وهو ممن جمع بين صناعة الحديث والفقه ــ لبيان ما ورد عن النبي ﷺ في القنوت، وذكر مذاهب العلماء فيه، وما لكل مذهب من الأدلة،

وسرد الروايات في ذلك، وخوض غمار الجمع والتوفيق بينها، وبيان الصحيح في ذلك من غيره، ناقلاً أقوال الأئمة الحفاظ، وخصوصاً الحافظ ابن حجر، والإمام النووي، وفي إثر ذلك أتى بفوائد لطيفة، واختيارات وجيهة تدل على حسن فقاهته وامتداد باعه.

وقد دفعني احتفاء شيخنا الفاضل أبـي ناصر العجمي ـ حفظه الله ـ بها، وتنبيهه على أهميتها وقيمتها العلمية إلى العناية بتحقيقها وخدمتها، واغتنمتها فرصة طيبة أعود إلى صاحبـي البرزنجي فأجدد به العهد، وأوثق الصلة، وأصحح ما بدر من أخطاء، وأضيف ما استجد من معلومات.

وفي هذا الصدد لا أنسى أن أشكر كل من ساعدني بنصح أو إفادة، وفي مقدمتهم فضيلة الدكتور مقبل الرفيعي، وفضيلة أستاذنا الدكتور إبراهيم محمد نور سيف، على ما أفاداني به من فوائد قيمة، جزى الله الجميع خيراً، وأسأل الله أن يجنبنا موارد الزلل، ويرزقنا الإخلاص ويوفقنا للصواب في القول العمل، وأن يغفر لنا ولمؤلفها، ويجعلها في موازين حسناته، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

العربي الدائز الفرياطي

في المدينة النبوية

السبت فاتح محرم الحرام سنة ١٤٢٥هـ

الفصل الأول
ترجمة العلامة البَرْزَنجي[1]

قبل الشروع في نصّ الرسالة يناسب أن أقدّم ترجمةً مركزةً لمؤلفها لنتعرف على جوانب من شخصيته، ونقف على شيوخه وتلاميذه، ونسوق تواليفه، ونلاحظ مكانته من خلال ثناء العلماء عليه.

وقبل هذا لا بد أن أشير إلى أن البرزنجي قد درسه قبلي الأخوان الفاضلان: محمد هداية، والأخ محمد معصوم ــ كما أشرت أسفله ــ وقد

---

(١) انظر ترجمته في: خبايا الزوايا لأبي الأسرار حسن بن علي العُجيمي (مخ الحرم النبوي ل/ ٣٤٠)، وحلية أهل الفضل والكمال في الاتصال بكمَّل الرجال للعجلوني (مخ عارف حكمت ل/ ٣١ ــ ٣٢)، وتحفة المحبين والأصحاب للأنصاري ص ٨٧، وسلك الدرر للمرادي ٤/ ٦٥ ــ ٦٦، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٣، ومشاهير الكرد ٢/ ١٢٨، وتاريخ السليمانية ص ٢٧٧ ــ ٢٨٠، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٣٠٢، ومعجم المؤلفين لكحالة ٣/ ٤٠٩، ٢٩٢، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إلياس ١/ ٥٥٠، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير ٣/ ٢١٥٤ (٣٠٢٤).

وقد ترجم له بتوسع الأخ الباحث محمد هداية نور وحيد في مقدمة تحقيقه لكتاب النوافض على الروافض ص ٤ ــ ٢٩، والباحث السوري محمد معصوم في مقدمة تحقيقه لكتاب الصافي عن الكدر ص ١٣ ــ ٢٨.

ومن المصادر التي لم أقف عليها: فوائد الارتحال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر لمصطفى بن فتح الله الحموي، وهو تلميذ البرزنجي.

أضف ما وقفت عليه بعدهما من معلومات وزوائد، مع الحرص على الاختصار وعدم الإطالة. وقد صغت الترجمة في المباحث التالية:

المبحث الأول: نسبه ومولده

هو شمس الدين محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد بن قلندر الحسيني البرزنجي الشهرزوري الشافعي.

ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبـي طالب رضي الله عنه.

اشتهرت نسبته إلى برزنج، والتي يقول ياقوت بأنها مدينة من نواحي أران بينها وبين برذعة ١٨ فرسخاً في طريق باب الأبواب، وفي برزنج المعبَر الذي على نهر الكُر يعبر فيه إلى شماخي مدينة شروان[١]، وغالب سكانها من الأكراد.

ويقول المستشرق كي لسترنج في سياق حديثه عن برذعة: «وعند المعبَر الذي على نهر الكر... على بعد ١٨ فرسخاً أي: مسيرة يوم واحد في الطريق من برذعة إلى شماخي في شروان مدينة برزنج، ويقصدها التجار، وتحمل السلع الكثيرة إليها ومنها»[٢].

قلت: وأخبرني بعض الإخوة الأكراد بأنها قرية في شمال العراق على الحدود الإيرانية قريبة من مدينة السليمانية، وتابعة في التنظيم الإداري لها. ولا زالت تعرف بهذا الاسم؛ كما أفاد أن كلمة (برزنج) مركبة من كلمتين: كلمة البَرّ، وكلمة الزَّنْج ومعناها (بر الزنج)، ومعلوم طبقة الزنج وما جرى من أحداثهم في صدر العصر العباسي من فتن وغيرها.

وُلـد بشهـر زور ـ بلـدة الإمـام ابـن الصـلاح ـ ليلـة الجمعـة المـوافـق ١٢ ربيع الأول من سنة (١٠٤٠هـ).

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٣٨٢.

(٢) بلدان الخلافة الشرقية لكي لسترنج ص ٢١٢.

المبحث الثاني: نشأته ورحلاته

نشأ العلامة البرزنجي نشأة دينية، وتربى تربية صالحة في أسرة علمية، فتهيأت له الأجواء أن يدرس القرآن الكريم، ويجوِّده على والده الذي كان من أهل العلم، وأن يتخرج به في بقية العلوم الأخرى.

وقرأ في بلده على جماعة من الشيوخ كالملا محمد شريف الكوراني الصديقي (ت ١٠٧٨هـ)، ثم لازم خاتمة المحققين إبراهيم بن حسن الكوراني، وغيرهما[(١)].

ولم يكتف بذلك بل دعته همته العالية، وشغفه بالعلم إلى شد الرحلة، وإعمال المطي إلى بعض المراكز العلمية المشهورة في عصره، فرحل إلى عدة أقطار مثل همذان، وبغداد، ودمشق، وحلب، والقسطنطينية، ومصر. وكان يأخذ عن علماء كل بلدة يدخلها، أو قرية ينزلها[(٢)].

ولذا يعتبر البرزنجي من العلماء الرحالين، الذين جابوا الآفاق، وارتحلوا إلى الأمصار لطلب العلوم، بيد أنه في الأخير ألقى عصا التسيار في المدينة النبوية، وجاور بالمسجد النبوي الشريف.

وقد حدد تلميذه عبد الرحمن الأنصاري تاريخ قدومه المدينة بسنة (١٠٦٨هـ)، ويؤيد هذا ما في آخر كتاب (الإشاعة) للبرزنجي وأنه أتم تأليفه بالمدينة سنة (١٠٧٦هـ)، فيكون مدة مجاورته بالمدينة (٣٦) سنة.

وقد تزوج بنت أحد التجار في المدينة يدعى الخواجة محمد علي المغربي، وفيها تصدر للتدريس، وأخذ عنه الناس، واجتمع عليه الطلبة، واشتهر فضله، وعظم خطره، وذاع صيته، وصار من سراة المدينة ورؤسائها، وقُصد بالسؤال والفتوى، وصنف التواليف الحسنة.

---

(١) معجم المطبوعات لسركيس ١/ ٥٥٠.

(٢) سلك الدرر للمرادي ٢/ ٦٥.

المبحث الثالث: شيوخه، وتلاميذه

(أ) شيوخه:

وقد أخذ البرزنجي عن شيوخ أجلاء، وأعلام محققين، كان إليهم المرجع في علم الرواية والإسناد، وعليهم المعول في الأصول والفروع، ومن أهمهم:

١ ــ الشيخ العلامة برهان الدين إبراهيم بن حسن الكُوراني الشافعي عالم المدينة المنورة في عصره (ت ١١٠١هـ)[١].

٢ ــ شيخ الحنابلة المفتي تقي الدين عبد الباقي بن عبد الباقي بن إبراهيم البعلي الحنبلي (١٠٠٥ ــ ١٠٧١هـ)[٢].

٣ ــ مفتي حلب أبو الوفاء محمد بن عمر بن عبد الوهاب العُرْضي الشافعي (٩٩٣ ــ ١٠٧١هـ)[٣].

٤ ــ الإمام المحدث الراوية أبو السعود عبد القادر بن علي الفاسي المغربي، عالم فاس ومفتيها في عصره (ت ١٠٩١هـ)[٤].

وقد أخذ عنه البرزنجي مع جماعة من حفاظ المشرق بواسطة استدعاء كتبه أبو سالم العياشي بتاريخ سنة (١٠٧٦هـ).

٥ ــ الشيخ الرحالة المحدث عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد المغربي الثعالبي الجعفري المكي المالكي (١٠٢٠ ــ ١٠٨٠هـ)[٥].

---

(١) فهرس الفهارس للكتاني ١/ ١٦٦، والأعلام للزركلي ١/ ٣٥.

(٢) خلاصة الأثر للمحبي ٢/ ٢٨٣، وفهرس الفهارس للكتاني ١/ ٤٥٠.

(٣) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٦/ ٣٠٨، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٨.

(٤) نشر المثاني ٢/ ٥٨، وسلوة الأنفاس ١/ ٣٠٩.

(٥) مختصر نشر النور والزهر ٢/ ٣٣٤ ــ ٣٣٦.

٦ ــ الشيخ محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح الإسحاقي المنوفي (ت ١٠٦٠هـ)[١].

٧ ــ الإمام العلامة النابغة الجهبذ الشيخ محمد بن سليمان الرُّوداني المغربي المالكي المكي نزيل الحرمين (١٠٣٧ ــ ١٠٩٤هـ)[٢].

يقول البرزنجي: «كنا عام (١٠٨٩هـ) بالمسجد النبوي في مجلس شيخنا المرحوم محمد بن سليمان المغربي وهو يقرأ البخاري»[٣].

٨ ــ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن علاء الدين البابلي الشافعي القاهري (١٠٠٠ ــ ١٠٧٧هـ)[٤]، وهو من شيوخه المصريين، وقد أسند عنه في هذا الجزء الذي أعمل عليه[٥].

وله غيرهم من الشيوخ، وفيما ذكرت كفاية.

(ب) تلاميذه:

وأما تلاميذه، فقد تتلمذ له جماعة من الأعيان من مختلف البلدان، بل مما يدل على مكانة البرزنجي ومنزلته أن أخذ عنه جماعة هم في عداد شيوخه، مثل الشيخ حسن العجيمي (ت ١١١٣هـ)، أو أقرانه مثل الشيخ مصطفى الحموي (ت ١١٢٣هـ) وغيرهما.

---

(١) الأعلام للزركلي ٦/ ٢٤٧، ومعجم المؤلفين ٣/ ٤٦٣.

(٢) صفوة من انتشر ص ١٩٦، وخلاصة الأثر ٤/ ٢٠٤، وهدية العارفين ٣/ ٢٩٨، وفهرس الفهارس ١/ ٤٢٥، والأعلام للزركلي ٦/ ١٥١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٣٣٤، و ٣/ ٦٤٥.

(٣) النوافض للروافض للبرزنجي (مخ ل/ ٥٠ أ).

(٤) خلاصة الأثر ٤/ ٣٩، وفهرس الفهارس ١/ ٢١٢، والأعلام للزركلي ٦/ ٢٧٠.

(٥) السنا والسنوت له (مخ الظاهرية ل/ ١ أ).

ومن أبرز تلاميذه:

١ ـ محدث الشام العلامة إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني الدمشقي (١٠٨٧ ـ ١١٦٢هـ)[١].

٢ ـ العلامة أبو الأسرار حسن بن علي العجيمي المكي (ت ١١١٣هـ)، قال عن البرزنجي: «وقد حضرت دروسه واستفدت منه وعليه فوائد فريدة واختصصت به ولله الحمد»[٢].

٣ ـ العلامة صالح بن إبراهيم الجنيني الدمشقي (١٠٩٤ ـ ١١٧٠هـ)[٣]، وهو آخر من بقي يروي عن البرزنجي وطبقته.

٤ ـ محدث اليمن عبد الرحمن بن عبد الله بلفكيه العلوي الشافعي (ت ١١٦٣هـ)[٤].

٥ ـ الشيخ العلامة علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الديبع الزبيدي (ت ١٠٧٢هـ)[٥].

٦ ـ العلامة أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن الكوراني الشافعي (١٠٨١ ـ ١١٤٥هـ)[٦].

٧ ـ العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الهادي التتوي السندي المدني (ت ١١٣٩هـ)[٧].

---

(١) راجع: فهرس الفهارس ١/ ٩٨ ـ ١٠٠.
(٢) خبايا الزوايا (مخ ل/ ٣٤٠).
(٣) سلك الدرر ٢/ ١٠٨، وفهرس الفهارس ١/ ٣٠١.
(٤) النفس اليماني للأهدل ص ٧٣، وفهرس الفهارس ١/ ٤٤٦.
(٥) البدر الطالع ٢/ ١٧٩.
(٦) سلك الدر ٤/ ٢٧، والأعلام للزركلي ٦/ ١٩٥.
(٧) فهرس الفهارس ١/ ١٤٨، والأعلام للزركلي ٧/ ١٣٢.

٨ ــ الشيخ الأديب المؤرخ مصطفى بن فتح الله الحموي الشافعي (ت ١١٢٣هـ)، وقد صرح بأن البرزنجي شيخه في معرض ترجمته للمقبلي وما جرى بينه وبين البرزنجي من مناظرات ومباحثات.

المبحث الرابع: مؤلفاته

مع اشتغال البرزنجي بالتدريس والإفادة للطلاب إلاّ أنه لم يغفل جانب التأليف والكتابة في بعض المسائل التي يراها تستحق البحث والدراسة، وأن تُفْرَدَ بالكلام والتحرير، وقد أثنى على مؤلفاته القاصي والداني، والمحب والشاني؛ فهذا تلميذه الأنصاري يقول عنه: «واشتغل بالعلوم من منطوق ومفهوم، وألف التآليف العديدة وصنف التصانيف المفيدة».

وقال العجلوني: «العلامة ذو التصانيف العديدة المفيدة»[1].

وتعرض لذكره العلامة صالح المقبلي في ذيل العلم الشامخ فقال: «ثم في سنة ٨٩ ــ بعد الألف ــ جاءنا رجل شريف كردي، ذو فضيلة ظاهرة، وفطنة باهرة، قد ألف عدة رسائل تنبىء عما في محفوظه، حين لم يلق من يعرفه العلم بل ولا يتمكن من ذلك للمانع الذي عنده وهو أن لا يشتري إلاّ تلك السلعة المخصوصة المألوفة»[2].

وهذه قائمة شاملة لمؤلفاته، ورسائله، **وقد جعلتها على قسمين: المؤلفات المطبوعة أو المخطوطة**، وتكلمت عن كل واحد منها، وعرفت به. **والقسم الثاني المؤلفات التي لم أقف عليها** لا مطبوعة ولا مخطوطة، وأفردتها حتى يتمكن الباحث من معرفة الموجود من تراث البرزنجي من المفقود الذي لم يعثر عليه.

---

(١) حلية أهل الفضل والكمال للعجلوني (مخطوط ل ٣١).

(٢) العلم الشامخ للمقبلي ص ٣٤١ و ٣٤٥.

أولاً: المؤلفات المطبوعة أو المخطوطة:

إذا نظرنا إلى تآليف البرزنجي المطبوعة وكذلك المخطوطة، نجد أنها قليلة بالنسبة لغيرها، فهي لا تتجاوز (١٢) كتاباً، وهي كالتالي:

١ ــ الإشاعة في أشراط الساعة:

وهو أكثر كتبه شهرة، وأوسعها انتشاراً، وقد تطايرت نسخه بعد فراغ المؤلف منه، وما زال منتشراً حتى بدأت الطباعة، وكان من أول من اهتم بنشره الفاضلان داود أفندي التكريتي، وحسن خليل أفندي في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة (١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) في ٢٨٨ص[١]، ثم توالت طبعاته بعد ذلك[٢].

ومن نسخه الخطية: ثلاث نسخ في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل: الأولى وهي نسخة المؤلف، وقد أتمها سنة (١٠٧٦هـ) وتقع في ١٧٦ق[٣]، والثانية في مجموع (١٨/ ٢٥) وقد نسخها إبراهيم بن ملا أيوب سنة (١١٤٨هـ)[٤]، والثالثة نسخها أحمد بن محمد بن صالح بن خضر الموصلي سنة (١٢٧٣هـ) وتقع في ١٢٧ق[٥].

ومنه نسخة في مكتبة الحرم النبوي بخط مغربي، ناسخها هو السيد منصور بن سويسي عام (١٢٤٨هـ)، في ٩٦ ق مجموع من (١/ ب) إلى (٩٦/ أ).

٢ ــ الإغارة المصبِّحة على مانعي الإشارة بالمسبِّحة:

وقد ذكره بهذا الاسم المؤلف نفسه في النوافض، يقول فيه: «ورد في

---

(١) معجم المطبوعات ١/ ٥٥٠، والمعجم الشامل للتراث المطبوع ١/ ١٦٧.

(٢) وقد طبع قبل مدة في دار المنهاج بجدة باعتناء: حسين محمد شكري.

(٣) فهرس مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ٥/ ٢٩.

(٤) فهرس مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ١/ ١٩٧.

(٥) فهرس مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ٢/ ٢٧١.

رفعها (٢٥) حديثاً أكثرها صحيحة، جعلناها في رسالة سمَّيناها: «الإغارة المصبِّحة على مانعي الإشارة بالمسبِّحة»[١].

وهي رسالة صغيرة، منها نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المدني مخرومة من أولها تقع في (٢ ق) ضمن مجموع من (١١٣/أ) إلى (١١٤/ب) فيلم (١٨)[٢].

٣ ــ الجاذب الغيبـي إلى الجانب الغربـي:

وهو في حل مشكلات ابن عربـي، ذكره وأحال عليه في رسالته: القول المختار؛ قال: «كما بينا ذلك أتم بيان في كتابنا: الجاذب الغيبـي إلى الجانب الغربـي»[٣].

ويفيد العلامة الزركلي بأنه مخطوط، وأن المصنف ترجمه عن الفارسية، فالبرزنجي مترجم له فقط، وليس مؤلفاً[٤].

٤ ــ خالص التلخيص:

وهو مختصر لتلخيص المفتاح، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية بالقاهرة في (٥٨٠١هـ)، تقع في ٣٧ ق[٥].

٥ ــ سَداد الدِّين وسِداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدَين:

وفي مقدمته نصَّ على ضبط العنوان فقال: «والسين في الجملة الأولى مفتوحة، والدال مكسورة، وفي الثانية بعكس ذلك، وفيه الجناس الخطي التام، والمصحف اللفظي»[٦].

---

(١) النوافض للبرزنجي ص ٥٨٣.

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة الحرم النبوي ص ٢١٦.

(٣) القول المختار للبرزنجي ص ٤٦.

(٤) الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٤.

(٥) الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٤.

(٦) سداد الدين ص ٨.

سبب التأليف:

ويتلخص فيما يلي:

ـ أنه وقف على كلام علي القاري في الموضوع في شرح الشفا وفي شرح الفقه الأكبر، وأنه أفرد القضية بالتأليف.

ـ طلبُ تلميذِهِ أبـي المواهب ابن شيخه عبد الباقي الحنبلي (١٠٤٤ ـ ١١٢٦هـ)[١].

نسخه:

من الكتاب نسخة في الظاهرية بدمشق برقم (٨٩٦٩) في ٩٩ ورقة، نُسِخَتْ بتاريخ الأحد ٢٨ جمادى الآخرة (١٠٩٠هـ)[٢].

وقد طبع في مصر في مطبعة اللواء سنة (١٣٢٣هـ) في ٣٧٦ ص.

٦ ـ السنا والسنُّوت فيما يتعلق بالقنوت:

وهو هذا الجزء الذي أحاول تحقيقه. وسيأتي الحديث عنه مفصلاً إن شاء الله.

٧ ـ الصافي عن الكدر فيما جاء عن سيد البشر في القضاء والقدر:

وهو كتاب حافل في موضوعه، يدل على معرفة البرزنجي بالسنة والأثر، ومشاركته في التصحيح والتضعيف، وتمسكه بالحديث الشريف، جمع فيه (٥٩٦) حديثاً وأثراً.

ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة الملك عبد العزيز مجموعة عارف حكمت رقم: ٤٨ (٩٩/ ٢٣٢)، نسخها محمد بن عبد الله بن حسن الأحسائي سنة (١١٠٠هـ) بالمدينة النبوية بقلم تعليق، وتقع في (٤٠) ورقة.

---

(١) سداد الدين ص ٦.

(٢) فهرس الظاهرية (التصوف) لمحمد رياض المالح ٢/ ٣٢ (١٠٧٨).

وفي نهايته يصرح البرزنجي بأنه انتهى منه عشية يوم السبت تاسع شهر جمادى الثانية عام ١٠٩١هـ بمنزله بزقاق البدور الكائن بباطن المدينة النبوية.

وقد قام بتحقيقه ـ في رسالة علمية لنيل الماجستير في قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية ـ الباحث السوري محمد معصوم حسن، ونوقش في ٢/٦/١٤١٥هـ، وجاء الكتاب في ٤٩١ صفحة.

٨ ـ القول السديد والنمط الجديد في وجوب رسم الإمام والتجويد:

وقد نسبه إليه البغدادي وغيره[١].

والكتاب كان مخطوطاً في مكتبة الشيخ أحمد عبيد في دمشق كما صرح به الزركلي[٢].

٩ ـ القول المختار في حديث: «تحاجَّت الجنة والنار»:

وهو جزء صغير تعرض فيه لمسائل الحديث المذكور بالشرح والتفصيل، وقد تشرفت بخدمته وتحقيقه، ونشر ضمن لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام لسنة (١٤٢٣هـ) في ٧١ ص.

١٠ ـ مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود:

ويسمى أيضاً: «الصلة أو العائدة في تفسير أوائل المائدة».

وقد فرغ منه يوم السبت ١٨ ذي الحجة سنة (١٠٨٥هـ).

نسخه:

ومنه نسخة في كوبريلي بتركيا في ٨٩ ورقة بخط نسخ[٣].

---

(١) إيضاح المكنون ٤/٢٤٩، ومعجم مصنفات القرآن الكريم، لعلي شواح إسحاق ٣/١٢٣، ومعجم مصنفات القرآن الكريم للشعيبي ١/٢٥٣.

(٢) الأعلام للزركلي ٦/٢٠٤.

(٣) فهرس كوبريلي ١/١١٢ (٢١٠).

ونسخة ثانية في المكتبة الصديقية بحلب رقم (١٦٢٠)، وعنها مصورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى في ٩٠ق برقم (٥١٢)[١].

١١ ــ نجاة الهلك في فهم معنى «مالك الملك»:

وهي رسالة صغيرة في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾.

سببَ تأليفها:

وقد ألفها بمناسبة تولي الشريف أحمد بن زيد بن محسن، إمارة مكة وذلك سنة (١٠٩٥هـ).

ومن الرسالة نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي برقم (١٢٦)[٢] وعندي صورتها.

١٢ ــ النوافض للروافض:

وهو رد على الشيعة، ونقض لأباطيلهم، وقد نص المؤلف على أنه بالفاء، حتى يفرق بينه وبين أصله المسمى بالنواقض.

نسخه:

وله عدة نسخ:

ــ في مكتبة مكة المكرمة نسختان برقم (٦٤) توحيد، وأخرى في مكتبة برلين بألمانيا برقم (٢١٣٧)، وأخرى في الوطنية بباريس (١٤٥٩).

ــ وقد حقق الكتاب في رسالة علمية لنيل الدكتوراه من قبل الباحث محمد هداية نور وحيد في قسم العقيدة في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية، بإشراف الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، ونوقشت سنة ١٤١٢هـ.

---

(١) فهرس علوم القرآن ٢/٢٩٦ (٥٦٩).

(٢) معجم مؤلفي مخطوطات الحرم المكي ص ١٩٢.

ثانياً: المؤلفات الأخرى (التي لم أقف عليها):

وهذا مسرد آخر لمؤلفات وتصانيف البرزنجي التي لم أقف عليها، ولا أعلمها لا مخطوطة ولا مطبوعة، وبعضها نسبه البرزنجي لنفسه وذكره في بعض كتبه، وبعضها الآخر نسب إليه في ترجمته، وقد ساقها كلها البغدادي في هدية العارفين، وهي كما يلي:

١٣ ــ إرشاد الأوَّاه إلى معنى: «من قرأ حرفاً من كتاب الله»[١].

١٤ ــ إضاءة النبراس لإزاحة الوسواس الخناس.

١٥ ــ اعتراضات على قرينه صالح بن مهدي المقْبَلي (١١٠٨هـ) في: «العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ»[٢].

١٦ ــ الأعجوبة في الأعمال المكتوبة.

١٧ ــ إلهام الصواب لأولي الألباب.

١٨ ــ الاهتداء في الجمع بين أحاديث الابتداء.

١٩ ــ أنهار السلسبيل لرياض أنوار التنزيل للبيضاوي[٣].

٢٠ ــ إيقاظ ذوي الانتباه في الغلط الواقع لابن نجيم في الأشباه.

٢١ ــ التحرير الجدير لجناب القاضي مير.

٢٢ ــ تحصيل الآمال بتعريف العمال مصرف بيوت الأموال.

٢٣ ــ الترجيح والتصحيح لصلاة التسبيح.

٢٤ ــ الترغيم والترخيم لمنكر التعظيم والتفهيم.

---

(١) إيضاح المكنون ١/ ٥٩ وعنه: معجم مصنفات القرآن الكريم للشعيبي ١/ ٧٣.

(٢) البدر الطالع ١/ ٢٨٨، وأعلام المكيين ٢/ ٩١٢.

(٣) سلك الدرر ٤/ ٦٥، ومشاهير الكرد ٢/ ١٢٨، ومعجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواح إسحاق ٢/ ١٢٨ (٨٩٧).

٢٥ ــ تصقيل لوح الإيمان بتنزيه عرش الرحمن.

٢٦ ــ دفع التعويل على نفع التأويل.

٢٧ ــ رجل الطاووس في شرح القاموس للفيروزآبادي.

٢٨ ــ رسالة في الجهر بالبسملة.

٢٩ ــ رفع الاشتباه عن كلام الأشباه.

٣٠ ــ رفع الإصر عن كونه ﷺ لم ينطق بالشعر[١].

٣١ ــ رفع اللبس عن ترك مسح الرأس من أحد وضوآت الخمس.

٣٢ ــ السبيل في إعراب ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

٣٣ ــ السيف الصقيل في أذكار القول الثقيل.

٣٤ ــ السيف المسلول على القاضي رسول.

٣٥ ــ شرح لألفية المصطلح للسيوطي.

وقد كنت توقفت في الألفية التي شرحها هل هي للعراقي أم للسيوطي؟ مع العلم أني لم أر أحداً ممن ترجم له وضح الأمر، بيد أني وقفت على نص المؤلف في الموضوع الذي يبين أنه شرح على ألفية السيوطي، حيث قال في مقدمة سداد الدين وهو يعدد مصادره فيه: «ومن تأليفي: خالص التلخيص، ومرقاة الصعود، وشرح ألفية السيوطي، والضاوي على صبح فاتحة البيضاوي، وأنهار السلسبيل بشرح البيضاوي، ولم يتم، وغير ذلك مما لا أستحضره الآن»[٢]. كما صرح بذلك أيضاً في كتابه النوافض فقال: «وقد ذكرنا هذا بأحسن بيان في شرحنا على ألفية السيوطي في مصطلح الحديث التي اختصر

---

(١) أبجد العلوم، لصديق حسن خان ١/ ٣٤٢.

(٢) سداد الدين ص ١٠.

فيها ألفية الحافظ زين الدين العراقي الشهرزوري الراذباني الكردي»[1].

٣٦ ــ شرح الخارق وجرح المارق.

٣٧ ــ الصارم الهاشم لدماغ محمد هاشم.

٣٨ ــ الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي.

٣٩ ــ الضوء الوهاج في الإسراء والمعراج.

٤٠ ــ ضياء السراج في ليلة الإسراء والمعراج.

٤١ ــ طم السيل على حاطب ليل.

٤٢ ــ العقاب الهاوي في البحث مع الشاوي.

٤٣ ــ عين التسنيم في حكم التصلية والتسليم.

وقد نسبه المؤلف لنفسه في كتابه النوافض: «وقد بينت هذه المسألة في رسالة سميتها: «عين التسنيم في حكم الصلاة والتسليم»، أتم البيان[2].

٤٤ ــ غاية الاعتذار في الجمع في الحضر لذوي الأعذار.

ذكره المصنف في كتاب النوافض بنحو الاسم السابق: «وقد بينا ذلك كله بأدلته أتم بيان في كتابنا الذي ألَّفناه في الجمع سمَّيناه: «غاية الإعذار لذوي الأعذار». ولم يأت الأولون بمثله ولله الحمد، فراجعه إن ظفرت به فإنه مفرد في فنه»[3].

٤٥ ــ غاية الاهتمام بتفسير ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾.

٤٦ ــ فتح البر في شرح المحرر للرافعي.

---

(١) النوافض للبرزنجي ص ٢٩٦ ــ ٢٩٧.

(٢) النوافض للبرزنجي ص ١٤٦.

(٣) النوافض للبرزنجي ص ٤٦٧ ــ ٤٦٨.

٤٧ ـ الفصول في ترجمة عبد الرسول، وهو والده.

٤٨ ـ فلق الصبح في الحسن والقبح.

ويغلب على ظني أنه هو بحثه مع العلامة المقبلي؛ لأن كلام المقبلي في العلم الشامخ يدور في فلك هذا الموضوع في الحسن والقبح والحكمة والتعليل.

٤٩ ـ الفوز والظفر في آيتي الوصية في السفر[(١)].

٥٠ ـ قدح الزند في رد جهالات أهل سرهند.

٥١ ـ القسط الميزاني في بيان إحصان الزاني.

٥٢ ـ قضاية العابد في مختصر هداية الراشد له.

٥٣ ـ القول المختصر في ترجمة ابن حجر[(٢)].

٥٤ ـ القول المرضي في الفرق بين الصلاة والسلام والترضي.

٥٥ ـ القول المعول فيمن هو بمسجد المدينة الراتب الأول.

٥٦ ـ الكواكب المضية في شرح أبيات الجزرية.

٥٧ ـ مزاج الزنجبيل لحياض أسرار التأويل للبيضاوي.

٥٨ ـ المقالة السنية في توضيح اعتراف الجامي على الخمرية.

٥٩ ـ المنباك في دخان التنباك.

٦٠ ـ نشر اللواء في نصر الأولياء.

---

(١) كشف الظنون ١/ ٢١٢، ومعجم مصنفات القرآن الكريم لعلي شواح إسحاق ٣/ ١٢٣ (١٧٠١).

(٢) هدية العارفين ٦/ ٣٠٢.

٦١ ــ نصاب النضار.

وبعضهم يذكره باسم «نصاب الصغار»، ولذا أشكل على بعضهم، ولعل الصواب ما ذكرت.

٦٢ ــ النفحة الفائحة في مسائل الفاتحة.

٦٣ ــ نفي الريب فيما ورد من الاكتحال وكراهة نتف الشيب.

٦٤ ــ الهافية في شرح الشافية.

٦٥ ــ هداية الراشد إلى كفاية العابد.

٦٦ ــ هذية المريد في التصوف، لم يكمل.

هذا ما وقفت عليه من مصنفات البرزنجي، وقد بلغت نحو السبعين كتاباً في مختلف العلوم الإسلامية، منها: (٥) في الحديث وعلومه، و (٢٤) في مسائل الإيمان والردود، و (١٤) في القرآن وعلومه، و (١١) في الفقه وأصوله، و (٥) في العربية وآدابها، و (٢) في السير المفردة.

وليس من شأني الآن أن أقدم قائمة دقيقة ووافية بجميع مؤلفاته، فذاك شيء لم أقصده، وإنما جمعت غالب ما ذكر في ترجمته، ومن تتبع الفهارس المختلفة للمكتبات، واستقرأ كتب البرزنجي نفسه، لا شك أنه سيقف على أشياء أخرى؛ فقد كان رحمه الله مَعيناً ثرًّا، ونبعاً دفاقاً، معاناً على التصنيف، جُمعت له حافظة قوية، وذهن متقد، وقلم سيال، إلى مشاركة تامة في العلوم، فهو مفسِّر مقرىء مع المفسرين والمقرئين، ومحدِّث إمام مع المحدِّثين، وفقيه مجتهد مع الفقهاء المحققين، ولغوي ضليع مع النحاة واللغويين، وهو في كل ذلك صاحب عبارة محررة، ولفظ أنيق، حاد الذهن في المحاجة والتعقب، عارف بأساليب الأئمة في الإيرادات على الخصوم.

المبحث الخامس: وفاته وثناء العلماء عليه

كان البرزنجي في رحلة إلى الآستانة، وفي عودته منها إلى المدينة النبوية مرَّ بدمشق وكانت له حلقات للمذاكرة والدرس، ولما وصل إلى المدينة لم يلبث أن توفي في غرة محرم سنة (١١٠٣هـ)، وكأنما كتب الله بسابق قدره وحكمته أن لا يموت إلَّا بالمدينة، ويكون له فضل الموت فيها.

وقد أثنى عليه كل الذين ترجموا له، وأظهروا إعجابهم بتصانيفه، وسعة اطلاعه، وهذه شذرة من أقوالهم:

ـ قال العجلوني: «العلامة ذو التصانيف العديدة المفيدة، الإمام الهمام»[١].

ـ وقال العجيمي: «الشيخ العالم جمال المحققين، وفخر العلماء العالمين، وخاتمة الجامعين بين كمال التحرير وحسن التقرير، علامة المعقول والمنقول، فهامة الفروع والأصول».

ـ وقال الأنصاري: «العلامة المحقق والفهامة المدقق»[٢].

ـ وقال المقبلي في العلم الشامخ: «ثم جاء رجل كردي وقد سكن المدينة المشرفة، عُرف بالبرزنجي ذو مشاركة في العلوم، وجودة في الفهم، وله رسائل أكثرها فيما لا يعني غير أنها قد أنبأت عن أهلية، فوقفت عليه وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه، ثم وقع بيننا التئام في البحث، فبحثنا أكثر القواعد التي هي مهمات الدين ولم يعب أحدنا صاحبه في شيء من آداب البحث، مع أنها شريعة منسوخة في هذا الزمان»[٣].

---

(١) حلية أهل الفضل والكمال (مخطوط ل ٣٢).

(٢) تحفة المحبين والأصحاب ص ٨٧.

(٣) العلم الشامخ، للمقبلي ص ٣٤٥.

ـ وقال محمد خليل المرادي: «المحقق المدقق الأوحد الهمام، ...وألف تصانيف عجيبة...، وكانت له قوة واقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة في أسرع وقت، وأوعب لفظ وأسهله وأوجزه وأكمله، وبالجملة فقد كان من أفراد العالم علماً وعملاً»[1].

وجاءت تحليته في صدر كتابه سداد الدين المطبوع في مطبعة اللواء سنة ١٣٢٣هـ كما يلي: «عالم المدينة، وفاضل المسكونة، العلامة المحقق، على جلالة قدره وفضله، والفهامة المدقق الذي بخل الزمان أن يأتي بمثله، مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي».

* هذه صور وقبسات من ترجمة الإمام البرزنجي، وقد رأينا من خلالها البرزنجي وهو طالب علم مُجِدٌّ في الطلب والدرس، يتنقل بين البلدان، فمن برزنج إلى همذان، ثم بغداد، ثم الآستانة ودمشق.

ثم رأيناه وهو تأهل للتدريس وإفادة الطلاب، في الحرمين الشريفين، وحرصه على الاستفادة من الوافدين إليهما، ثم رأيناه مشتغلاً بتنقيح المسائل، والكلام مع علماء عصره، مكباً على التأليف والتحرير، وإنك لتعجب لهذه المؤلفات المحررة الموزعة بين علوم الشريعة، فلم يترك فنّاً إلاَّ وقد خاض فيه، وبحث مع أهله بحث المتخصص الذي لا يعرف غير ذلك الفن.

ولم يزل كذلك دأبه إلى أن جاءه الأجل المحتوم، ليفارق هذه الدنيا الفانية إلى مغفرة الله ورضوانه، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) سلك الدرر، للمرادي ٤/٦٦.

الفصل الثاني
التعريف بالرسالة وموضوعها

تقدم الحديث في الفصل الأول عن ترجمة المؤلف، والتعريف به، وفي هذا الفصل أتناول التعريف بالرسالة المحققة وموضوعها، ومصادر المؤلف فيها، ومنهج التحقيق، وضمنت ذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: المؤلفات في الموضوع

مما يدل على أهمية موضوع هذه الرسالة اعتناء العلماء به قديماً وحديثاً، وإفرادها في رسائل خاصة، ومؤلفات مستقلة، ويحسن هنا ذكر جملة مما وقفت عليه منها من غير تتبع ولا استقصاء، فمن ذلك:

١ ــ **كتاب قيام الليل وقيام رمضان والوتر**، للإمام الحافظ أبـي عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت ٢٩٤هـ).

وهي ثلاثة كتب تعتبر لجلالة مؤلفها وتقدم عصره أصلاً في موضوعات القيام والوتر، وهي حافلة بروايات كثيرة، وأقوال السلف من الصحابة وغيرهم.

وقد قام التقي المقريزي (ت ٨٣٢هـ) باختصارها، ومختصره هو الموجود المطبوع الآن، المتداول بين الباحثين، وهو إن كان موضوعه ليس خاصاً بالقنوت، فإنه مع ذلك مشتمل على أحاديث وروايات وآثار في القنوت لا يستغنى عنه فيها.

٢ ـ كتاب القنوت، للإمام محمد بن إسحاق ابن منده (ت ٣٩٥هـ).

وقد نسبه إليه كل من العراقي في شرح ألفيته، والسخاوي والسيوطي على الإهمال هكذا (ابن منده)[١]، وابن منده أسرة من المحدثين، ولم أقف على هذا الجزء منسوباً لواحد منهم في ترجمته، لكن يغلب على الظن أن المذكور أعلاه هو المقصود.

٣ ـ كتاب القنوت، لأبـي عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥هـ).

وقد بيَّن ابن حجر ذلك في تعقب له على النووي في حديث أنس في القنوت وعزوه للمستدرك، قال: «وإنما أورده في جزء له مفرد في القنوت»[٢].

وعلق أيضاً على الحديث نفسه في تخريج الأذكار فقال: «وأخرجه في كتاب القنوت، وسياقه فيه أتم»[٣].

٤ ـ كتاب القنوت والآثار المروية فيه على اختلافها وترتيبها على مذهب الشافعي، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ).

وقد وصفه الذهبـي بأنه في ثلاثة أجزاء[٤].

وقد أخذ عليه ابن الجوزي أنه لم يكن منصفاً، وأنه تعصب لمذهب الشافعي فقال: «وقد أورد الخطيب في كتابه الذي صنفه في القنوت أحاديث أظهر فيها تعصبه».

بل نجده يتعقبه بكلام شديد، منكراً عليه سكوته على بعض الموضوعات، فيقول: «ومن نظر في كتابه الذي صنفه في القنوت، وكتابه الذي

---

(١) فتح المغيث للسخاوي ٣/ ٣٢٦، وتدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٦٠١.

(٢) التلخيص الحبير لابن حجر ١/ ٤٤٣.

(٣) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٣٦.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبـي ١٨/ ٢٩٠، وتذكرة الحفاظ له ١/ ١١٤٠.

صنفه في الجهر، ومسألة الغيم، واحتجاجه بالأحاديث التي يعلم بطلانها، اطلع على فرط عصبيته، وقلة دينه»[1].

ومع طعن ابن الجوزي على الخطيب، فإنه لم يستغن عن كتابه، بل ساق أغلب رواياته بأسانيدها كما هي، وعوّل عليه في سردها، ولذا إذا كنا لم نقف على كتاب الخطيب، أو لم يقدر أن يصل إلينا، فإنه لا شك أن جزءاً مهماً منه محفوظ في ثنايا كتاب ابن الجوزي (التحقيق) خاصةً وأنه كان حريصاً على نقل النصوص كما هي عند الخطيب، وعدم تصرفه فيها بحذف أو تغيير.

٥ ـ **كتاب القنوت**، للحافظ أبي موسى المديني (ت ٥٨١هـ).

ويبدو أنه كتاب حافل جامع لشتات الروايات، فقد قال الذهبي عنه: «وألف كتاب القنوت في مجلد»[2].

وأحال عليه الزيلعي في نصب الراية، ونص على نسبته إليه فقال: «وله طرق في كتاب القنوت لأبي موسى المديني»[3].

كما أشاد به ابن عبد الهادي في التنقيح فقال: «أجود هذه الأحاديث حديث أبي جعفر الرازي، وله عدة طرق في كتاب القنوت للحافظ أبي موسى المديني»[4].

وعلى الرغم من تأخر عصر أبي موسى فإن كتابه لا يقل أهمية عن كتاب الحاكم والخطيب، لأنه شاركهما في الرواية بالأسانيد المتصلة، وتميز عنهما بالتوسع وجمع أطراف الموضوع كما يبدو من النقول عنه.

---

(١) تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي ٢/ ١٠٧٨، ونصب الراية للزيلعي ٢/ ١٣٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ١٥٤.

(٣) نصب الراية للزيلعي ٢/ ١٣٢.

(٤) التنقيح لابن عبد الهادي ٢/ ١٠٧٩.

٦ ـ **الكلام على مسألة السجود لترك القنوت**، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)[١].

٧ ـ **رسالة في إعراب دعاء القنوت**، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

٨ ـ **الثبوت في ضبط دعاء القنوت**، له أيضاً.

ذكره حاجي خليفة، وعبد القادر البغدادي[٢]، وله في دار الكتب المصرية عدة نسخ خطية منها واحدة برقم (٢٦٢ مجاميع).

ومن الرسائل المعاصرة:

٩ ـ **دعاء القنوت**، للشيخ بكر أبو زيد.

رسالة صغيرة (٢٣ ص) تحتوي على بيان بعض الأخطاء التي يرتكبها بعضهم في دعاء القنوت. طبعت في دار العاصمة بالرياض ط ١، (١٤١٧هـ).

١٠ ـ **دعاء القنوت أحكام وآداب، وفي آخره أهم الفتاوى** الواردة في ذلك لكل من ابن تيمية وابن باز وابن عثيمين، بقلم علي بن صالح العايد.

وهي رسالة مفيدة تتناول مسائل القنوت وأقوال أهل العلم في كل مسألة، وقد نشرتها دار المسلم ط ١، (١٤١٧هـ).

١١ ـ **حلاوة السنوت في صحيح القنوت**، لمحمد خير العبود[٣].

---

(١) لحظ الألحاظ لابن فهد ص ٢٣١.

(٢) كشف الظنون ١/٥٢١، وهدية العارفين ١/٥٣٧، ودليل مؤلفات السيوطي للشيباني (٣١٥) و (٥٩٨).

(٣) قواعد التعايش بين أهل الأديان ص ١٥٩.

١٢ ـ شرح دعاء القنوت، للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

رسالة في ٣٢ ص من الحجم الصغير طبعت سنة ١٤١٧هـ، ثم أُعيد نشرها في دار الوطن سنة ١٤٢٤هـ.

١٣ ـ القنوت في الوتر، لمحمود الشربيني السني.

نشر دار المنارات بالمنصورة ط ١، (١٤١٤هـ).

١٤ ـ القول الجلي في تخريج وتحقيق حديث القنوت، للحسن بن علي، للأخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي العبدلي[١].

١٥ ـ أحكام القنوت، للشيخ عدنان عرعور، ولم أقف عليه.

المبحث الثاني: دلالة العنوان

اعتنى العلامة البرزنجي بعناوين رسائله، وحرص على أن يضمِّنها عبارات رصينة جزلة مسجوعة كعادة الأئمة الأعلام، مع توخي أن تكون دلالة العنوان مطابقة لما يتضمنه، وهذا أمر واضح في عناوين كتبه ومؤلفاته المذكورة سابقاً في ترجمته. ومن ذلك عنوان هذه الرسالة: «السنا والسَّنُّوت في معرفة ما يتعلق بالقنوت»، فإنه ربما يتوهم أن فيه غموضاً وغرابة، والحقيقة أن هذا ليس بغموض بل هو اقتباس جميل، وتضمين جيد لحديث شريف عند ابن ماجه[٢]: عن إبراهيم بن أبـي عبلة قال: سمعت عبد الله بن أم حرام وكان ممن صلَّى مع رسول الله ﷺ القبلتين يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليكم بالسنا والسَّنُّوت، فإن فيهما شفاء من كل داء إلَّا السَّام، قيل: يا رسول الله وما السَّام؟ قال: الموت».

---

(١) نشرته مكتبة الضياء بجدة سنة ١٤٠٩هـ. انظر: المعجم المصنف لخير يوسف ٢/ ١٠٥١ (٣٩٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه باب السنا والسنوت ٢/ ٢٦٩ (٣٥٠١).

وفي تفسير السنا والسنوت أقوال، أقربها أنَّ «السنا نبات شجيري زهره مصفَّح، وحبه مفلطح، رقيق كلوي الشكل تقريباً، يتداوى بورقه وثمره، وأن السَّنُّوت هو العسل الذي يكون في زقاق السمن»[1].

ولعل المؤلف يقصد أن ما كتبه في هذه المسائل سيكون كافياً شافياً لرفع الشك واللبس، كما أن السنا والسنوت فيه شفاء من الأدواء والأسقام، والله أعلم.

المبحث الثالث: مصادر المؤلف فيها

يعتبر موضوع المراجع عند البرزنجي من الدعائم الأساسية في عملية التأليف، والتي ينبغي على المؤلف أو الباحث أن يضعها في حسبانه قبل مباشرة الكتابة في أي مسألة؛ ولذلك نجده في كتبه أحياناً ينص على مصادره في مقدمة الكتاب.

وعلى الرغم من صغر حجم الرسالة إلاَّ أنا نجد المؤلف لم يغفل الاعتماد على بعض المصادر الأصيلة، والتآليف الجليلة، يعود إليها يستقي منها مادة كتابه، ويلتقط منها المعلومات التي يقوم بتحليلها، ويستدل لها، أو عليها، وهي وإن كانت قليلة ففيها مع ذلك مصادر ذات أهمية.

ونستطيع بداية أن نجعل مصادره التي رجع إليها بنفسه على نوعين:

١ ـ مصادر حديثية، وهي:

ـ كتاب الأذكار للنووي كما في ص ٦٧، ٧٣.

واعتمد في التخريج على كتابين أساسيين لابن حجر:

ـ تخريج أحاديث الأذكار، لابن حجر المسمى نتائج الأفكار، كما في ص ٤٤، ٤٥، ٥٨، ٥٧، ٥٨، ٦١ ـ ٦٨، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٦.

---

(١) فتح المغيث للسخاوي ٣/ ٣٢٦، وتدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٦٠١.

ـ وتخريج الرافعي، لابن حجر ويعني به التلخيص الحبير، كما في ص ٤٨، ٤٩، ٥٢ ــ ٥٦، ٥٨، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٨٤.

ـ والدر المنثور للسيوطي.

ونحن ندرك ضلاعة البرزنجي في علم التفسير وتقدمه فيه، فلا غرو أن يعود إلى كتاب السيوطي ولا سيما وهو تفسير أثري حافل بالأحاديث والآثار، كما في ص ٥٠، ٥٣.

ـ وكذلك الصحيحين، كما في ص ٤٨، ٧٠.

ـ وفي المصطلح رجع إلى ألفية الحافظ العراقي، كما في ص ٧٢.

٢ ــ مصادر فقهية:

ومن أجلّها كتب الإمام النووي محرر المذهب الشافعي، وهي:

ـ التحقيق في الفقه، للنووي. وهو كتاب جليل لا زال مخطوطاً لم يطبع فيما علمت كما في ص ٤٢، ٧٦، ٩٢.

ـ وروضة الطالبين، للنووي. ويشير إليها بالروضة كما في ص ٤٢، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٩٠ ــ ٩٦.

ـ وشرح المهذب، للنووي، كما في ص ٧٦، ٨٢.

ـ والمنهاج، للنووي، كما في ص ٧٣.

* ومن الكتب التي رجع إليها في الفقه الحنبلي:

ـ شرح منتهى الإرادات، لابن النجار، كما في ص ٥٣، ٥٥، ٥٩.

هذا ما يتعلق بمصادر المؤلف في هذه الرسالة.

المبحث الرابع: وصف النسخ المخطوطة

وقد اعتمدت في خدمة الرسالة على نسختين:

١ ــ **نسخة الظاهرية (مكتبة الأسد)** محفوظة في مجموع برقم (١١٢ عام) من ورقة (١٠٥) إلى (١١٥)[1]، وهي نسخة جيدة مكتوبة بخط نسخ عادي، وناسخها هو الشيخ محمد سعيد بن حسين القرشي الكوكبي النقشبندي ليلة الجمعة في المحرم الحرام سنة (١٠٨٨هـ).

وتقع في (١١) لوحة، بمسطرة ٢٥ سطراً تقريباً، وجاء عنوانها: «السنا والسَّنُّوت فيما يتعلق بالقنوت، تأليف شيخنا العلامة المحقق والفهامة المدقق، السيد السند مولانا السيد محمد بن رسول الحسيني الموسوي الكردي الكوراني الشهرزوري البرزنجي ثم المدني...».

وعليه إهداء بخط المؤلف، ونصه: «هدية لمولانا الشيخ أبـي المواهب ابن شيخنا العلامة الشيخ عبد الباقي الحنبلي رحمه الله»، وقد سبق أن الشيخ عبد الباقي من شيوخ المؤلف، وفي اليمين عبارة: «السنا والسَّنُّوت شفاء لكل داء إلاَّ الموت»، وأخرى في الشمال: «طلب الأبلق العقوق فلما عزناه(؟) رام بيض الأنوق». وفي غير موضع منها تصحيحات وإصلاحات بنفس الخط السابق.

وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً ورمزت لها بحرف « ظ ».

٢ ــ **نسخة مكتبة الحرم المكي**: محفوظة برقم (١٦٧٣ عام)، وهي منسوخة بخط عادي نظيف، وليس فيها ما يعيِّن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وتقع في (١٣) لوحة، ومسطرتها (٢٩ ــ ٣٠)، وجاءت في العنوان هكذا: «السنا والسَّنُّوت فيما يتعلق بالقنوت من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية، تأليف العبد الملول محمد بن رسول عفا الله عنهما».

وهذه النسخة أيضاً جيدة وتكاد تكون عديمة السقط والتحريف، وقد قابلتها بالأصل، وأثبتُّ زوائدها، ورمزت لها بحرف «ب».

---

(١) منتخب مخطوطات الحديث بالظاهرية للألباني ص ٢٣٤.

المبحث الخامس: منهجي في التحقيق

اتبعت في خدمة الرسالة المنهج التالي:

١ ــ نسخت نص المخطوط من النسخة « ظ » واتخذتها أصلاً، وقابلتها بنسخة «ب» وأثبت الفروق بينهما.

٢ ــ عملت على إدخال علامات الترقيم والإملاء الحديثة.

٣ ــ قسمت النص إلى فقرات تحت عناوين فرعية تيسيراً على القارىء، وجعلتها داخل قوسين مركنين مثل: [ ].

٤ ــ قدمت للرسالة بمقدمة اشتملت على ترجمة مصححة وافية للمؤلف، وتعريف بالرسالة وموضوعها وما إلى ذلك.

٥ ــ لم ألتزم التعريف بالأعلام والرواة الواردين في النص، لأنه ربما كان من باب تحصيل الحاصل. وفي مقابله حرصت على ضبط ما يشتبه منها.

٦ ــ خرَّجت الأحاديث باختصار من الدواوين المروية فيها، كما تقدم في منهج التخريج.

٧ ــ عزوت النصوص إلى مصادرها المنقولة منها.

وبالجملة، فقد اجتهدت في خدمة هذه الرسالة بما أراه مفيداً يخدم مقصود المؤلف ومطلوبه، سائلاً المولى عز وجل أن لا يحرمنا الأجر والمثوبة، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

* * *

السناء والسنوت فيما يتعلق بالقنوت تأليف شيخنا العلامة المحقق
والفهامة المدقق السيد السند مولانا السيد محمد بن رسول الحسيني الموسوي
الكردي الكوراني الشهرزوري البرزنجي ثم المدني
نفعنا الله به والمسلمين بجاه سيد
المرسلين آمين وكان له
عنا وعينا
آمين

صورة عنوان النسخة « ظ »

صورة الورقة الأخيرة من نسخة « ظ »

عنوان نسخة «ب» المصورة من مكتبة الحرم المكي والصفحة الأخيرة منها

اللوحة الأولى من نسخة «ب»

لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٦٣)

السَّنا والسَّنُّوت

في مَعْرِفَةِ ما يَتَعَلَّقُ بِالقُنُوتِ

من الأحاديث النبويّة والأحكام الفقهيّة

تَأْلِيف

الشيخ العلّامة المحقق

شمس الدين محمد بن رسول الحسيني الشافعي البرزنجي ثم المدني

(١٠٤٠ - ١١٠٣هـ)
رحمه الله تعالى

حققه وعلّق عليه

العربي الدائز الفرياطي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحي [الذي][(١)] لا يموت، والصلاة والسلام على سرِّ اللَّاهوت والناسوت، وعلى آله وصحبه أهل الصلاة والزكاة والصيام والقنوت.

وبعد: فهذا (السَّنا والسَّنُّوت فيما يتعلق بالقنوت).

[مشروعية القنوت، واختلاف العلماء في موضعه]

اعلم أيدك الله أن الأمة أجمعت على مشروعية القنوت واستحبابه في الصلاة، واختلفوا في موضعه. فذهب الإمامان الشافعي ومالك إلى أنه في ثانية الصبح، ثم افترقا، فقال الشافعي: بعد الركوع، وقال مالك: قبله ويجزىء بعده.

وذهب الإمامان أبو حنيفة وأحمد إلى أنه في أخيرة الوتر، ثم افترقا، فقال أحمد: بعد الركوع ويجزىء قبله، وقال أبو حنيفة: قبله.

وحكي وجه عن [ابن][(٢)] أبي هريرة [من أصحابنا المتقدين من أصحاب الوجوه][(٣)] أنه لا يقنت في الصبح، قال في الروضة: وهو غريب وغلط[(٤)].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) زيادة من «ب».

(٣) زيادة من «ب». وهو أبو علي الحسن بن الحسين، إمام الشافعية في العراق، (ت ٣٤٥هـ). ينظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٥٦.

(٤) ينظر: روضة الطالبين للنووي ١/ ٣٦٠، والمجموع له ٣/ ٣٢٩.

ويسن عند الشافعي في الوتر، ولأصحابه فيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه يستحب فيه جميع السنة، وهذا الذي دلت عليه الأحاديث الكثيرة الصحيحة، وثانيها: أنه في جميع رمضان وهو ضعيف، وثالثها: أنه في النصف الثاني منه، وهو الذي نص عليه الشافعي، وعليه أكثر أصحابه، ودل عليه بعض الأحاديث.

هذا في القنوت المعتاد.

[قنوت النازلة، وترجيح النووي أنه مستحب]:

وأما قنوت النازلة فجائز بل مندوب في جميع الفرائض عند الشافعي، وله قول ثان: أنه لا يقنت فيها مطلقاً، وقول ثالث: أنه يقنت فيها مطلقاً، كانت نازلة أو لم تكن.

* وهل الخلاف في غير الصبح في الجواز أو الاستحباب[1]؟.

مقتضى كلام الأكثرين أنه في الجواز، ومنهم من يُشعر كلامه بالاستحباب.

قال في الروضة من زيادته: (الأصح استحبابه، وصرح به صاحب العُدة[2]، ونقله عن نص الشافعي رضي الله عنه في الإملاء[3]). انتهى[4].

وقال في التحقيق: (أما سائر المكتوبات، فالمشهور يقنت لنازلة دون غيرها، والمختار أن الخلاف في الندب، ونص عليه في الإملاء، وقال الأكثرون: في الجواز.

---

(١) في «ب»: «الجواز والاستحباب».

(٢) العدة في فروع الشافعية، لإبراهيم بن علي الطبري المعروف بأبي المكارم الرُّوياني المتوفى سنة (٥٢٣هـ)، وذكر السبكي في ترجمة أبي محمد عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري أنه هو صاحب العدة المتوفى سنة (٥٣١هـ). انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١١٢٩.

(٣) الإملاء من تصانيف الإمام الشافعي. ينظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ١٦٩.

(٤) روضة الطالبين للنووي ١/ ٣٦٠، وينظر: المجموع للنووي ٣/ ٣٢٩.

وقال في الأم[1]: لا قنوت في العيد والاستسقاء، فإن قنت لنازلة لم أكرهه أو [لغيره][2] كرهته). انتهى[3].

وصح أنه ﷺ قنت شهراً[4] لذلك.

فلنشرع في ذكر أدلة كل قول اختصاراً، ولنُشِر إلى الراجح منها، فأقول والله المأمول:

* * *

(١) الأم للشافعي ٢/ ٥١٠ بتصرف، وينظر: المجموع ٣/ ٣٢٩.

(٢) سقط من «ب».

(٣) التحقيق في الفقه للنووي (مخ ص ١١٧ ــ ١١٨).

(٤) من حديث أنس وأبـي هريرة رضي الله عنهما كما سيأتي ص ٦٠، وانظر: ص ٤٧، ٥١، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٤.

[أدلة القنوت في الصبح]

أما القنوت في الصبح، فقد روى الحاكم في الأربعين، وقال: حديث صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا**». وأخرجه في كتاب القنوت.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار للنووي: (وسياقه فيه أتم). ثم ساق سنده[1].

[أسانيد المؤلف إلى تصانيف ابن حجر]:

ولنذكر سندنا إليه ثم نسوق أسانيده فنقول:

أخبرنا بجميع تصانيف الحافظ ابن حجر العسقلاني / رحمه الله شيخنا الإمام العلامة المحقق الحافظ أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي، وبجميع ما يصح له روايته عن النور علي الزيادي والشيخ سالم السنهوري، عن الشمس[2] محمد الرَّملي، عن الزين القاضي زكريا الأنصاري.

وحدثنا أبو الوفا العُرضي عن والده عمر العُرْضي، عن الإمام العلامة ابن حجر الهيتمي، عن القاضي زكريا عن الحافظ ابن حجر.

وأخبرنا الإمام مفتي الحنابلة بدمشق الشام شيخنا الشيخ عبد الباقي

(١) نتائج الأفكار ٢/ ١٣٦.

(٢) في «ب»: «الشيخ».

الحنبلي، عن الشيخ محمد حجازي الواعظ، عن ابن أركماس، عن الحافظ أبـي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

ولنا إليه طرق كثيرة ليس هذا محل بسطها.

[تخريج حديث أنس: «ما زال رسول الله ﷺ يقنت في صلاة الصبح...»]

قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار[1] في باب استحباب القنوت في الصبح ما نصه: (أنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك، أنا يونس بن أبـي إسحاق العسقلاني، أنا أبو الحسن علي بن الحسين بن المقيَّر، عن أبـي الفضل أحمد بن طاهر المِيهَني، أنا أبو بكر بن علي بن خلف الشيرازي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن عبد الله الشافعي، ثنا محمد بن إسماعيل السلمي، ثنا أبو نعيم، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس هو البَكري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

«مَا زَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا»[2].

---

(١) نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٣٩.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ١٠٩ ـ ١١٠ (٤٩٦٣ ـ ٤٩٦٤)، وعنه أحمد في مسنده ٣/ ١٦٢ = ٢٠/ ٩٥ (١٢٦٥٧) (ط الرسالة)، ورواه ابن أبـي شيبة في المصنف ٢/ ٣١٢، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٣٠ (١١٢٨)، والدارقطني في السنن ٢/ ٣٧١ (١٦٩٣) = ٢/ ٣٩ (ط قديمة)، ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ٢/ ٣٥٢ (١٠٤)، والحاكم في جزء القنوت (كما صرح به الحافظ في نتائج الأفكار ٢/ ١٣٩)، وعنه البيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٣ (٤٤٦)، والكبرى ٢/ ٢٠١، والبغوي في شرح السنة ٣/ ١٢٣ (٦٣٩)، كما رواه الخطيب في القنوت (كما في تنقيح التحقيق ٢/ ١٠٧٥)، وابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥، والضياء في المختارة ٦/ ١٢٩ (٢١٢٧)، وقال: إسناده حسن، وأبو موسى المديني، قال ابن عبد الهادي في التنقيح ٢/ ١٠٧٩: «أجود هذه الأحاديث حديث أبـي جعفر الرازي، وله عدة طرق في كتاب =

= القنوت للحافظ أبـي موسى المديني».

وقـال النـووي فـي المجمـوع ٣/ ٣٣٥: «حـديـث صحيـح رواه جمـاعـة مـن الحفـاظ وصححوه، وممن نص على صحته أبو عبد الله محمد بن علي البلخي، والحاكم أبو عبد الله في مواضع من كتبه، ورواه الدارقطني من طرق بأسانيد صحيحة». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٣٩: «رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون».

والحديث حسن كما قال الضياء المقدسي، وابن حجر؛ لكنَّ الشيخ الألباني قال في الضعيفة ٣/ ٣٨٤ (١٢٣٨) بأنه منكر، كما ضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق شرح السنة للبغوي ٣/ ١٢٤، وليس لهما سلفٌ إلاَّ ابن الجوزي في العلل ١/ ٤٤٤، إذ قال: «هذا حديث لا يصح؛ وقال أحمد: أبو جعفر الرازي مضطرب الحديث، وقال ابن حبان: ينفرد بالمناكير عن المشاهير».

وابن الجوزي رحمه الله لم يستوعب كلام النقاد في الراوي، فيوهم الناظر أن هذا الراوي مجمع على ضعفه، والأمر في الواقع ليس كذلك.

وأبو جعفر الرازي لا يتسع المكان هنا للكلام عليه بالتفصيل، ولذلك أقتصر على ما نقله الحازمي عن الحفاظ في الحكم عليه، وأردفه بقول الحافظ في التقريب، قال الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٧٨ (١٢٠): «وحال أبـي جعفر الرازي: قال ابن معين: ثقة في رواية الغلابـي، وإسحاق بن منصور، ومضر بن محمد، والدوري، [وفي رواية الدقاق: ليس به بأس].

وقال ابن المديني: كان عندنا ثقة، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة صدوق صالح الحديث (!!)، وقـد اختلفـت الروايـة عـن أحمـد فـي حقـه، وقـال حنبـل بـن إسحـاق: سئـل أبو عبد الله أحمد بن حنبل عن أبـي جعفر الرازي فقال: صالح الحديث، قالوا: وهذه الرواية أَولى، ويؤكدها إخراجه حديثه في مسنده».

وقد وثقه آخرون لم يذكرهم الحازمي، كابن عمار الموصلي، والساجي، وابن خراش وغيرهم.

وقال الحافظ في التقريب (٨٠١٩): «ط صدوق سيِّء الحفظ، خصوصاً عن مغيرة».

وانظـر: روايـة الـدقـاق عـن ابـن معيـن ص ٥٠ (٨٢)، وسـؤالات ابـن أبـي شيبـة لابن المديني، والجرح والتعديل لابن أبـي حاتم ص ٦ (١٥٥٦)، وتاريخ بغداد ١٢/ ١٦١ (٥٧٩٦)، وتهذيب الكمال للمزي ٣٣/ ١٩٢ ــ ١٩٦.

هذا حديث حسن، أخرجه أحمد عن عبد الرزاق فوقع لنا بدلاً عالياً.

وأبو جعفر اسمه: عيسى بن ماهان، مختلف فيه وفي شيخه).

وبه إلى ابن حجر: (قرأت على فاطمة بنت المُنَجَّا عن سليمان بن حمزة، أنا الحافظ أبو عبد الله المقدسي، أنا المؤيد الطوسي، أنا عبد الجبار بن محمد، أنا أحمد بن الحسين الحافظ[1]، أنا أبو عبد الله الحافظ يعني الحاكم، ثنا محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أحمد بن محمد بن مهران، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس رضي الله عنه قال:

«قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْراً ثُمَّ تَرَكَهُ، فَأَمَّا فِي الصُّبْحِ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا».

وأخبرني أبو محمد عمر بن محمد بن أحمد بن سلمان، أنا أبو بكر بن أحمد الدقاق، أنا علي بن أحمد المقدسي، عن محمد بن معمر، أنا إسماعيل بن الفضل، أنا محمد بن أحمد بن عبد الرحيم، ثنا عمر بن علي بن عمر الحافظ[2]، ثنا الحسين بن إسماعيل، أنا أحمد بن محمد بن عيسى، ثنا أبو نعيم، ثنا أبو جعفر الرازي قال:

كنت جالساً عند أنس بن مالك رضي الله عنه، فقيل له: **أَمَا قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْراً؟**

فقال: **«لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا».**

---

(١) رواه بهذا الإسناد البيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٣ (٤٤٦)، والكبرى ١/ ٢٠١، وترجم عليه: «باب الدليل على أنه ﷺ لم يترك أصل القنوت في صلاة الصبح، إنما ترك الدعاء لقوم أو على قوم آخرين بأسمائهم وقبائلهم»، وتقدم تخريجه في السابق.

(٢) رواه الدارقطني في سننه ٢/ ٣٧١ (١٦٩٣).

وهكذا أخرجه الحاكم[1] عن بكر بن محمد الصيرفي عن أحمد بن محمد بن عيسى وصححه، وهو على / طريقته في تصحيح ما هو حسن عند غيره. انتهى كلامه في تخريج الأذكار[2].

وقال في تخريج الرافعي[3]: (رواه الدارقطني من حديث عبيد الله بن موسى عن أبـي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بهذا، ومن طريق عبد الرزاق وأبـي نعيم، عن أبـي جعفر مختصراً، ورواه أحمد عن عبد الرزاق، ورواه البيهقي من حديث عبيد الله بن موسى وأبـي نعيم، وصححه الحاكم في كتاب القنوت.

وأول الحديث في الصحيحين من طريق عاصم الأحول عن أنس، وأما باقيه فلا، ورواية عبد الرزاق أصح من رواية عبيد الله بن موسى، فقد بين إسحاق بن راهُويَهْ في مسنده سبب ذلك، ولفظه عن الربيع بن أنس قال:

قال رجل لأنس بن مالك: أَقَنَتَ رَسُولُ الله شَهْراً يَدْعُو عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ؟

قال: فزجره أنس[4] وقال:

«مَا زَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيا»).

ثم ذكر اختلاف الناس في أبـي جعفر قال: ووثقه غير واحد[5].

---

(١) الحاكم في القنوت (كما نقله المؤلف عن الحافظ في نتائج الأفكار ٢/ ١٣٧)، وعنه البيهقي في الكبرى ٢/ ٢٠١، والمعرفة له ٣/ ١٢١ (٣٩٥٦)، وقال: «قال أبو عبد الله هذا إسناد صحيح...»، ورواه المحاملي في أماليه (كما في التنقيح لابن عبد الهادي ٢/ ١٠٧٩).

(٢) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٣٧.

(٣) يعني: التلخيص الحبير، لابن حجر ١/ ٤٤٢.

(٤) في «ب»: «الناس».

(٥) تقدمت أقوال النقاد في أبـي جعفر الرازي في ص ٤٦.

[حديث آخر عن أنس يشهد لحديثه السابق]

ثم قال[1]: (وقد وجدنا لحديثه شاهداً رواه الحسن بن سفيان[2] عن جعفر بن مهران، عن عبد الوارث، عن عمرو، عن الحسن، عن أنس قال:

«صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى فَارَقْتُهُ، وَخَلْفَ أَبِي بَكْرٍ كَذَلِكَ، وَخَلْفَ عُمَرَ كَذَلِكَ».

وغلط بعضهم فصيَّره عن عبد الوارث، عن عوف، فصار ظاهر الحديث الصحة[3]، وليس كذلك بل هو من رواية عمرو، وهو ابن عبيد، وهو رأس القدرية، ولا تقوم الحجة بحديثه)[4].

---

(١) التلخيص الحبير، لابن حجر ١/ ٤٤٣.

(٢) رواه الحسن بن سفيان في مسنده، (كما في التنقيح لابن عبد الهادي ٢/ ١٠٨٢)، وساق سنده كما ذكره المؤلف، لكن وقع عنده «عوف» مكان «عمرو»، وهو غلط كما سينبه عليه ابن حجر، ومن طريق جعفر بن مهران رواه البيهقي في المعرفة ٣/ ١٢٣ (٣٩٦٥)، ورواه الدارقطني ٢/ ٤٠: عن الحسين بن إسماعيل، ثنا أحمد بن عيسى، ثنا أبو معمر، ثنا عبد الرزاق عن عمرو به، وسيذكر المؤلف لفظه. ورواه البزار (كما في كشف الأستار للبزار ١/ ٢٦٩ (٥٥٧)) ــ ومثله البيهقي في المعرفة ٣/ ١٢٤ (٣٩٦٦)، وفي الكبرى مختصراً ٢/ ٢٠٢، والخطيب في القنوت أيضاً (كما في التنقيح ٢/ ١٠٧٦) ــ من طريق قريش بن أنس عن إسماعيل بن مسلم ورجل آخر، قال البزار: يعني عمرو بن عُبيد عن الحسن به، قال البزار: هكذا روى إسماعيل وعمرو بن عبيد عن الحسن عن أنس. ورواه محمد بن سيرين وأبو مجلز وقتادة عن أنس أن النبي ﷺ قنت شهراً، وهؤلاء أثبات، وإسماعيل لين، وعمرو يُستغنى عن ذكره لسوء رأيه.

(٣) واغتر بذلك الحافظ أبو موسى المديني فقال (التنقيح ٢/ ١٠٨٣): «وجعفر بن مهران من جملة الثقات فلم يبق في هذا الإسناد إشكال يطعن به عليه».

(٤) قال في التقريب (٥٠٧١): «كان داعية إلى بدعته، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً».

قلت: [[1]وفي الدر[2] من طريق الدارقطني[3] عنه بلفظ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فِي صَلاةِ الْغَدَاةِ حَتَّىٰ فَارَقْتُهُ، وَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فِي صَلاةِ الْغَدَاةِ حَتَّىٰ فَارَقْتُهُ، وَصَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فِي صَلاةِ الْغَدَاةِ حَتَّىٰ فَارَقْتُهُ».

ومن طريقه عن أبي الطفيل، عن علي وعمار: «أَنَّهُمَا صَلَّيَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَنَتَ فِي الْغَدَاةِ»[4].

وعند البيهقي[5] عن بُريد بن أبي مريم قال: سمعت ابن عباس ومحمد بن علي بن الحنفية بالخيف يقولان:

«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ وَفِي وِتْرِ اللَّيْلِ بِهٰذِهِ الكَلِمَاتِ: اللَّٰهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ. . .» بتمامه.

---

(1) من هنا سقط من ب.

(2) الدر المنثور للسيوطي ٣/ ١٠٢.

(3) هو الحديث السابق.

(4) الدارقطني في سننه ٢/ ٤٠ ـ ٤١ (ط قديمة)، ورواه الطبري في تهذيب الآثار ٢/ ١٥ (١٠٦٣)، كلاهما من طريق جعفر بن محمد بن الفضل الرسعني، ثنا محمد بن الصلت، ثنا عمرو بن شِمْر عن جابر، عن أبي الطفيل به.
وقد رواه البخاري (لسان الميزان ٦/ ٢١٠) عن حامد بن داود، عن أُسيد بن زيد، عن عمرو به، ولفظه: «كان النبي ﷺ يقنت في الفجر، ويكبر يوم عرفة من صلاة الغداة، ويقطع صلاة العصر في أيام التشريق».
فمدار الحديث على عمرو بن شمرو، وقد قال البخاري عنه: «منكر الحديث»، وقال ابن حبان: «رافضي يشتم الصحابة، ويروي الموضوعات عن الثقات».
انظر: التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٣٤٤، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٧٥.

(5) البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٠، ورواه المروزي (مختصر قيام الليل ص ٣١٣)، وعبد الرزاق في المصنف ٣/ ١٠٨ (٤٩٥٧).

[وجه الجمع بين حديث أنس السابق، وبين حديثه الآخر في مسلم]

أقول:][1]

بالروايتين الأخيرتين[2] عن أبـي جعفر المصرح فيهما بترك القنوت فيما عدا الصبح ظهر وجه الجمع بين حديث أنس هذا، وبين حديثه الآخر عند مسلم: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ قَنَتَ شَهْراً يَدْعُو عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ»[3].

وروى أبو هريرة[4] وابن مسعود نحوه[5] حيث لم يقل أنه قنت شهراً في صلاة الصبح ثم ترك، بل أطلق القنوت ثم استثنى صلاة الصبح من ترك القنوت فيها، فيحمل رواية الإطلاق على أنه قنت شهراً في بقية الفرائض غير الصبح ثم تركه فيها، وأما الصبح فلم يزل يقنت فيه حتى فارق الدنيا، فلا معارضة بين الحديثين حتى يقال: إن حديث مسلم أصح. نعم يعارضه حديث أبـي مالك الأشجعي عند الترمذي كما يأتي.

---

(١) نهاية النص الساقط من نسخة «ب».

(٢) في «ب»: «والروايتين الأخيرتين».

(٣) صحيح مسلم (مع النووي) ٣/١٨٦ (١٥٥٢)، وأخرجه النسائي في التطبيق باب اللعن في القنوت (١٠٧٦) وباب ترك القنوت (١٠٧٨)، وأبو داود (عون المعبود ٤/١٨٨) كتاب الوتر باب القنوت في الصلوات ٢/٢٦٥ (١٤٤٠)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر ٢/٢٢٦ (١٢٣٤)، وأبو داود الطيالسي ٣/٥٠٧ (٢١٢٨)، وأحمد ٢١/٧ (١٣٢٧٤)، وأبو يعلى ٥/٣٧٤ (٣٠٢٨) و (٣٢٣١).

(٤) سيأتي تخريجه ص ٥٧.

(٥) رواه البيهقي في الكبرى ٢/٢١٣ بلفظ: «ما قنت رسول الله ﷺ»، وفيه: محمد بن جابر وهو متروك، وأخرجه أيضاً البزار كما في كشف الأستار للهيثمي ١/٢٦٩ (٥٥٦)، وابن أبـي شيبة في مسنده كما في المطالب العالية ١/٩١ (٤٨٣) ـ بلفظ: «قنت شهراً... فلما ظهر عليهم ترك القنوت»، وفيه أبو حمزة الأعور، ضعيف كما في التقريب (٧٠٥٧).

وتابع الحاكم في هذا الحديث أحمد والخطيب وجماعة من طريق أبـي جعفر الرازي.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج العزيز[(١)]: (يعكر على هذا ما رواه الخطيب[(٢)] من طريق القيس بن الربيع، عن عاصم بن سليمان:

قلنا لأنس: «إِنَّ قَوْماً يَزْعُمُونَ[(٣)] أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ، فقال: كَذَبُوا إِنَّمَا قَنَتَ شَهْراً يَدْعُو عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمُشْرِكِينَ».

وقيس وإن كان ضعيفاً لكنه لم يتهم بكذب.

وروى ابن خزيمة في صحيحه من طريق سعيد عن قتادة، عن أنس: «أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْنُتُ إِلاَّ إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَىٰ قَوْمٍ»[(٤)].

فاختلفت الأحاديث عن أنس واضطربت، فلا يقوم بمثل هذا حجة). انتهى.

أقول: إنما يحكم بالاضطراب إذا تقاومت الروايات في القوة، وقد تقدم أن رواية [أبـي][(٥)] جعفر الرازي صحيحة عند الحاكم حسنة عند غيره، ورواية قيس بن الربيع التي عند الخطيب ضعيفة لضعف قيس فلا تقاومها.

وأما رواية سعيد التي عند ابن خزيمة وإن كانت صحيحة إلاَّ أنها ليست

---

(١) التلخيص الحبير لابن حجر ١/ ٤٤٣.

(٢) رواه الخطيب في كتاب القنوت (كما في التنقيح ٢/ ١٠٦٩) ونص سنده: وأنا الحسين بن عمر بن بُرْهَان، ثنا إسماعيل بن محمد الصَّفَّار، أنا عبد الرحمن بن مرزوق، ثنا شَبَابَةُ، ثنا قيس بن الربيع به.

(٣) في «ب» عبارة: «أن قوماً يزعمون» مكررة، وليست في المصادر.

(٤) ابن خزيمة ١/ ٣٣٨ (٦٢٠)، أخبرنا أبو الطاهر، نا أبو بكر، نا محمد بن مرزوق الباهلي، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن سعيد به، وسيعيده المؤلف في ص ٥٦، ٥٧، ٥٨.

(٥) سقط من «ب».

نصّاً ولا صريحة في نفي القنوت في الصبح؛ إذ يمكن أن يحمل على قنوت النازلة أو القنوت في بقية الفرائض، فيكون المعنى: لا يقنت للنازلة إلاَّ عند إرادة الدعاء لقوم أو على قوم، أو لا يقنت في بقية الفرائض إلاَّ للنازلة، وهذا واضح جلي وبالله التوفيق.

على أن لرواية أبـي جعفر شواهد، ففي الدر المنثور للسيوطي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ معزواً لأحمد والبزار والدارقطني عن أنس: «مَا زَالَ رَسُولُ الله يَقْنُتُ فِي الفَجْرِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا»[2]، ومعزواً إلى الدارقطني والبيهقي عنه[3]: «قَنَتَ شَهْراً يَدْعُو عَلَيْهِمْ ثُمَّ تَرَكَهُ، وَأَمَّا فِي الصُّبْحِ فَلَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا».

وفي شرح منتهى الإرادات للحنابلة: وبهذا الحديث ـ يعني حديث أنس[4] الذي عند أحمد والحاكم وغيرهما المار ـ رخص أحمد في القنوت في الفجر.

[القنوت في الصبح مروي عن الخلفاء الأربعة]

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي عند قوله: «ورُوي القنوت في الصبح عن الخلفاء الأربعة» ما نصه: (رواه البيهقي[5] عن العوام بن حمزة قال: «سألت أبا عثمان عن القنوت في الصبح فقال: بعد الركوع، قلت: عمن؟ قال: عن أبـي بكر وعمر وعثمان».

---

(1) انظر: الدر المنثور للسيوطي ٣/ ١٠٢.

(2) هو حديث أنس المتقدم، وقد سبق تخريجه ص ٤٥.

(3) سبق تخريجه ص ٤٧، ٤٨.

(4) في «ب»: «حديث لغير أنس»، ولعله تحريف.

(5) البيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٥ (٤٤٩)، وفي الكبرى ٢/ ٢٠٢ (٢٩٣٠)، ومعرفة السنن والآثار ٣/ ١٢٤ (٣٩٦٨)، ورواه ابن أبـي شيبة ٢/ ٣١٢، وقال البيهقي: «هذا إسناد حسن، ويحيى بن سعيد لا يحدث إلاَّ عن الثقات عنده».

ومن طريق قتادة عن الحسن عن أبي رافع: «أن عمر كان يقنت في الصبح»[1].

ومن طريق حماد عن إبراهيم عن الأسود قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَمَا كَانَ يَقْنُتُ إلاَّ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ»[2].

وروى أيضاً بسند صحيح عن عبد الله بن معقل بن مُقرِّن قال: «قَنَتَ عَلِيٌّ فِي الْفَجْرِ»، ورواه الشافعي أيضاً)[3].

[أدلة من منع القنوت في الصبح وتوجيهها]

قال الحافظ ابن حجر: (ويعارض الأول ـ يعني رواية الحاكم ـ ما / روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ فَلَمْ يَقْنُتْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ بِدْعَةٌ»[4]. قال: وإسناده حسن.

---

(١) البيهقي في المعرفة ٣/ ١٢٥ (٣٩٧٤)، ورواه الطبري في تهذيب الآثار ٢/ ١٩ (١٠٧٧).

(٢) البيهقي في الكبرى ٢/ ٢٠٢.

(٣) البيهقي في المعرفة ٣/ ١٢٦ (٣٩٧٩ ـ ٣٩٨٠)، وفي الكبرى ٢/ ٢٠٤، وقال: «وهذا عن علي صحيح مشهور»، وروى ابن أبي شيبة ٢/ ٣١٣ عن ابن معقل نحوه بلفظ: «قنت في الفجر من أصحاب النبي ﷺ عليٌّ وأبو موسى».

(٤) رواه الترمذي في الصلاة باب ما جاء في ترك القنوت ٢/ ٢٥٢ (٤٠٢)، والنسائي في الصلاة باب التطبيق (١٠٧٤)، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر ١/ ٢٢٥ (١٢٣٢)، وأحمد في مسنده ٢٥/ ٢١٤ (١٥٨٧٩)، والطيالسي (١٣٢٨)، وابن أبي شيبة ٢/ ٣٠٨، والطحاوي في معاني الآثار ١/ ٢٤٩، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ١٦ ـ ١٧ (١٠٦٥ ـ ١٠٦٧)، وابن حبان في صحيحه ٥/ ٣٢٨ (١٩٨٩)، والطبراني في الكبير (٨١٧٧ ـ ٨١٧٩)، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٣، وعقب عليه بقوله: «طارق بن أشيم الأشجعي لم يحفظه عمن صلَّى خلفه، فرآه محدثاً، وقد حفظه غيره فالحكم له دونه»، وصححه الألباني في الإرواء ٢/ ١٨٢ (٤٣٥)، وفي =

قلت: ولا يظهر في هذه الرواية معارضة من كل وجه، فإنه ليس فيها نفي قنوتهم في الفجر، فيمكن حمله على بقية الفرائض، لكن أورده في شرح منتهى الإرادات للمؤلف[1] بلفظ: «**قُلْتُ لِأَبِي: إِنَّكَ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ هٰهُنَا بِالْكُوفَةِ نَحْوَ خَمْسِ سِنِينَ، أَكَانُوا يَقْنُتُونَ فِي الْفَجْرِ؟ قَالَ: أَيْ بُنَيْ، مُحْدَثٌ**». قال الترمذي: حسن صحيح، قال: ورواه أحمد وابن ماجه والنسائي[2].

قال: والعمل عليه عند أهل العلم.

وعن أبي هريرة: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ إِلَّا إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَى قَوْمٍ**». رواه سعيد[3].

وروى أيضاً عن الشعبي أنه قال: لَمَّا قَنَتَ عَلِيٌّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ أَنْكَرَ ذٰلِكَ النَّاسُ فَقَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا[4] أَسْتَنْصِرُ عَلَىٰ عَدُوِّنَا**»[5].

فهذان الحديثان معارضان للحديث الأول، وهما دليل الذاهبين إلى نفي القنوت في الصبح، وحملوا القنوت في حديث أنس المار على طول القيام فإنه يسمى قنوتاً، ويعارضه أيضاً ما مرَّ عن الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي وعزاه للخطيب من طريق قيس بن الربيع: عن عاصم بن سليمان قلت لأنس:

= صحيح موارد الظمآن ١/ ٢٤٨ (٤١٩ ــ ٥١١)، قال: «صحيح لغيره».

(١) معونة أولي النهى في شرح المنتهى، لابن النجار ٢/ ٢٩، وفيه: «إنما استنصرنا».

(٢) سبق تخريجه في الحديث قبله ص ٥٤.

(٣) لم أجده في سنن ابن منصور، ولعله يعني سعيد بن أبي عروبة، وقوله (في الفجر) لفظة مقحمة في نص الحديث، كما سيذكره المصنف، والحديث عند ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٣٨ (٦٢٠) بدونها، كما سيأتي ص ٥٧، ٥٩.

(٤) في «ب»: «أنا إنما»، وفي المصنف: «إنما أستنصر».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٣١٠: ثنا هُشَيم، أخبرنا عُرْوة الهمَذاني عنه، والأثر وسابقه نقلهما المؤلف بالحرف من: معونة أولي النهى لابن النجار ٢/ ٢٩.

إنَّ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ، فَقَالَ: «**كَذَبُوا إِنَّمَا قَنَتَ شَهْراً وَاحِداً يَدْعُو عَلَىٰ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمُشْرِكِينَ**»[١]، وقيس وإن كان ضعيفاً لكنه لم يتهم بالكذب [عنه][٢].

وروى ابن خزيمة في صحيحه[٣] من طريق سعيد عن قتادة: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقْنُتُ إِلاَّ إذا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَى قَوْمٍ**»، فاختلفت الأحاديث عن أنس واضطربت فلا يقوم بمثل هذا حجة). انتهى كلامه في تخريج الرافعي[٤].

وإذا تعارضا فلا بد من الترجيح، ولا شك أن المثبت مقدم على النافي، وحديث أنس عند الحاكم فيه إثبات القنوت، وحديثه عند الترمذي وغيره ناف، فيقدم رواية الحاكم مع قوتها وصراحتها وضعف غيرها واحتمال القوي منها كما مرّ.

أقول: على أن الجمع مقدم على الترجيح مهما أمكن، وهنا في بعضها ممكن، لكن لا على الوجه الذي سبق من حمل القنوت على طول القيام لأن الظاهر المتبادر من كلام الشارع المعاني الشرعية لا اللغوية، سيما وقد صرح في بعض الروايات بأنه ﷺ: «**قَنَتَ شَهْراً ثُمَّ تَرَكَهُ إِلاَّ فِي الصُّبْحِ فَإِنَّهُ لا زَالَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ إِلَى أَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا**». انتهى، فهذا الاستثناء وقع في القنوت الصادر منه ﷺ وهو قنوت النازلة لأنه إنما كان دعا على الكفرة، ومعلوم أنه قنوت شرعي لا لغوي، فالمستثنى كذلك، بل على أن يقال: / معنى الحديث: قنت للنازلة في جميع الصلوات شهراً ثم ترك القنوت فيها لها إلاَّ الصبح فإنه ﷺ لا زال يقنت فيها للنوازل إلى أن فارق الدنيا، وبقية الأحاديث السابقة لا تأبى

---

(١) الخطيب في كتاب القنوت، ولم يُعثر عليه، والحديث تقدم ذكره ص ٥٢.

(٢) سقط من «ب».

(٣) ابن خزيمة ١/٣٣٨ (٦٢٠)، وسيأتي في ص ٥٧، ٥٨.

(٤) التلخيص الحبير ١/٤٤٣.

هذا الجمع؛ فحديث أبي رافع: «**أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ**» ليس فيه إلاَّ إثبات القنوت في الصبح، وليس فيه أنه لم يكن للنازلة.

وكذا حديث الأسود: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَمَا كَانَ يَقْنُتُ إلاَّ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ**»، ليس فيه إلاَّ نفي القنوت في بقية الصلوات وإثباته في الصبح، وليس فيه أنه لم يكن للنازلة.

وكذا حديث ابن مقرن: «**قَنَتَ عَلِيٌّ فِي الْفَجْرِ**».

ويوضح هذا الجمع حديث أبي هريرة عند البخاري من رواية إبراهيم بن سعد عن الزهري، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عنه قال: «**كَانَ رَسُولَ الله ﷺ إذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو لأَحَدٍ أَوْ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ قَنَتَ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ**».

وأورده ابن خزيمة من رواية أبي داود الطيالسي عن إبراهيم بن سعد بهذا الإسناد بلفظ: «**كَانَ لاَ يَقْنُتُ إلاَّ إِذَا دَعَا لأَحَدٍ أَوْ دَعَا عَلَىٰ أَحَدٍ**»[1].

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار بعد تخريجه لحديث أبي هريرة هذا: (ولهذا اللفظ ــ يعني لفظ رواية ابن خزيمة ــ شاهد من حديث أنس ثم ساق سنده: قرأت على أبي الطاهر الربَعي عن زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم، عن عجيبة بنت أبي بكر، أنا أبو الخير الباغبان إجازة، أنا أبو بكر السمسار، أنا أبو إسحاق الأصبهاني، ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي، ثنا القاسم بن محمد بن عباد، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ**

---

(١) رواه البخاري (مع الفتح) في التفسير باب «ليس لك من الأمر شيء» ٨/ ٢٨٤ (٤٥٦٠)، والدارمي في سننه (ط فواز الزمرلي) ١/٤٥٣ (١٥٩٦)، وابن خزيمة في صحيحه ١/٣٣٨ (٦١٩)، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٥ ــ ٦ (١٠٣٢ ــ ١٠٣٣)، والحازمي في الاعتبار ١/ ٣٥٩ (١١٠)، وسيكرره المصنف ص ٥٩، ٦٩.

لَا يَقْنُتُ إِلَّا إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ عَلَىٰ قَوْمٍ»، أخرجه ابن خزيمة عن محمد بن محمد بن مرزوق، عن محمد بن عبد الله الأنصاري[١].

وله شاهد آخر عند الطبراني[٢] عن ابن عباس قال: «قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ، دَعَا لِقَوْمٍ وَدَعَا عَلَىٰ قَوْمٍ». [وسنده حسن][٣]). انتهى[٤].

وقال في تخريج الرافعي[٥]: (ورد ما يدل على أن القنوت يختص بالنوازل من حديث أنس أخرجه ابن خزيمة في صحيحه كما تقدم من حديث أبي هريرة، وأخرجه ابن حبان بلفظ[٦]: «كَانَ لَا يَقْنُتُ إِلَّا. . .» بمثل ما مر، قال: وأصله في البخاري من الوجه الذي أخرجه منه ابن حبان بلفظ: «إذا أراد» بمثل ما مر أيضاً).

وحديث الشعبي أن علياً لما قنت في صلاة الصبح أنكر ذلك الناس فقال: « [أنا][٧] إنما أستنصر. . .» إلخ، ولا يدفع هذا الجمع رواية الخطيب المارة عن أنس: «كذبوا. . .» إلخ لأنها ضعيفة، وعلى هذا الجمع يحمل

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٤٥ (١٠٩٧)، والخطيب البغدادي في كتاب القنوت (كما عزاه إليه الزيلعي في نصب الراية ٢/ ١٣٠ و ٢/ ١٣٦)، ونقل عن صاحب التنقيح قوله: «وسند هذين الحديثين صحيح، وهما نص في أن القنوت مختص بالنازلة».
قلت: وصحح إسناده ابن حجر في الفتح ٨/ ٢٨٥.

(٢) الطبراني في الكبير ١١/ ١٤٦ (١١٣١٦)، ثنا مُطَّلب بن شعيب الأزدي، ثنا محمد بن عبد العزيز الرَّملي، ثنا عبد الملك بن الخطاب بن عبيد الله بن أبي بكرة، ثنا حنظلة السَّدُوسي عن عكرمة به. وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ١٣٧: «ورجاله ثقات».

(٣) زيادة من «ب» والمصادر.

(٤) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٤١.

(٥) التلخيص الحبير، لابن حجر ١/ ٤٤٤.

(٦) عزاه إليه ابن عبد الهادي في التنقيح ٣/ ٢٠٩، وقال: «رواته ثقات»، وابن حجر في الدراية ١/ ١٩٥ قال: «فعند ابن حبان عن أبي هريرة: «كان رسول الله ﷺ لا يقنت في صلاة الصبح. . .»، وعند ابن خزيمة عن أنس مثله، وإسناد كل منهما صحيح».

(٧) زيادة من «ب».

حديث أبـي مالك الأشجعي أنه بدعة، على معنى أن جعله قنوتاً معتاداً بدعة[١].

وكذا ما رواه الدارقطني عن ابن جبير / قال: أشهد أني سمعت ابن عباس يقول: «**إِنَّ الْقُنُوتَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ بِدْعَةٌ**»[٢]، أي القنوت لغير نازلة فيها بدعة.

والجواب: أن مفهوم هذا الجمع: أن قنوت النازلة يختص بالصبح ولا يكون في بقية الصلوات، ويأباه حديث ابن مسعود الآتي[٣] في قنوت الوتر: «**وَكَانَ إِذَا حَارَبَ قَنَتَ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا يَدْعُو عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ**»، لكن فيه غرابة وضعف، وما يأتي في دليل القولين الأخيرين للشافعي.

نعم، وقع في شرح المنتهى للحنابلة للمؤلف عن أبـي هريرة ــ كما مر ــ «**أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ إِلاَّ إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ عَلَىٰ قَوْمٍ**»[٤]، رواه سعيد. انتهى[٥]. ولو ثبتت هذه الزيادة [لكانت][٦] نصاً في المقصود، وقد علمت أن في الروايات التي سقناها عن الحافظ ابن حجر ليست هذه الزيادة مذكورة، فلعلها من النساخ.

* * *

---

(١) قال النووي في المجموع ٣/ ٣٦٣: «والجواب عن حديث سعد بن طارق أن رواية الذين أثبتوا القنوت معهم زيادة علم وهم أكثر فوجب تقديمهم».

(٢) الدارقطني ٢/ ٤١ (ط قديمة)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٣: ثنا الحسين بن إسماعيل، ثنا محمد بن منصور الطوسي، ثنا شبابة، ثنا عبد الله بن ميسرة أبو ليلى، ثنا إبراهيم بن أبـي حرة عن سعيد به، قال البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٣: «إنه لا يصح، وأبو ليلى الكوفي متروك، وقد روينا عن ابن عباس «أنه قنت في صلاة الصبح». وضعفه العظيم آبادي في التعليق المغني ٢/ ٤١، والألباني في الإرواء ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر: ص ٦٦.

(٤) الحديث سبق عزوه إلى ابن خزيمة ١/ ٣٣٨ (٦٢٠) (ص ٥٥)، ونبهت هناك على أن لفظة: «في صلاة الفجر» مقحمة ليست عند ابن خزيمة في نص الحديث.

(٥) معونة أولي النهى في شرح المنتهى، لابن النجار ٢/ ٢٩.

(٦) في « ظ »: «لكان».

[أدلة قنوت النازلة]

وأما دليل قنوت النازلة: فحديث ابن عباس عند أبي داود وغيره[1] قال: «**قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْراً مُتَتَابِعاً فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ يَدْعُو عَلَىٰ رَعْلٍ وَذَكْوَانِ وَعُصَيَّةَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ»، مِنَ الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ، وَيُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ**»، وهو حديث حسن، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، فهذا دليل الفعل للنازلة.

وأما دليل القول الثاني، وهو الترك مطلقاً: فوقع في الصحيحين عن أنس وأبي هريرة: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَنَتَ شَهْراً يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ**». وحمله الأول على انقضاء الحاجة لقول أبي هريرة في بعض طرقه: «**إِنَّ الَّذِينَ كَانَ يَدْعُو لَهُمْ قَدِمُوا فَتَرَكَ الدُّعَاءَ لَهُمْ**»[2].

---

(1) أبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات ٢/ ٢٦٥ (١٤٤٠) (ط عوامة)، ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٥٠ (١٠٢)، ورواه أحمد في مسنده ١/ ٣٠١ = ٤/ ٤٧٥ (٢٧٤٦)، وابن نصر في مختصر قيام الليل ص ١٤١، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٣٧ (٦١٨) باب القنوت في الصلوات كلها و. . .، والطبري في تهذيب الآثار ١/ ٢ (١٠١٦)، والطبراني في الكبير ١١/ ٣٣١ (١١٩١٠)، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٢٥ وقال: «صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذا اللفظ». وعنه البيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٢ (٤٤٢)، والكبرى ٢/ ٢٠٠، والحديث قال الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٥٠ (١٠٢): «حديث حسن على شرط أبي داود»، وقال النووي في المجموع ٣/ ٣٣٤: «بإسناد حسن أو صحيح»، وحسنه الألباني في الإرواء ٢/ ١٦٣.

(2) رواه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣/ ١٨٢ (١٥٤٠)، =

وأمـا دليـل القـول الثـالـث، وهـو القنـوت فـي جميـع الصلـوات مطلقـاً:

فحديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وبالسند السابق إلى الحافظ ابن حجر في تخـريـج الأذكـار[١]: (قـرأت علـى فـاطمـة بنـت محمـد بـن عبـد الهـادي عـن أبـي نصر بن العماد، أنا أبو محمد عبد الرشيد في كتابه، أنا الحسن بن أحمد المُقرِي، أنا الحسن بن أحمد المهري، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، أنا سليمان بن أحمد[٢]، ثنا يعقوب بن إسحاق المخرمي، [ثنا علي بن بحر بن بري][٣]، ثنا محمد بن أنس، عن مطرِّف بن طريف، عن أبـي الجهم هو سليمـان بـن الجهـم، عـن البـراء بـن عـازب رضـي الله عنهمـا قـال: «**كَـانَ رَسُولُ الله ﷺ لاَ يُصَلِّي صَلاةً مَكْتُوبَةً إلاَّ قَنَتَ فِيْهَا**»، قال سليمان: لم يروه عن مطرف إلاَّ محمد بن أنس)[٤].

= وأبو داود في كتاب الصلاة باب القنوت في الصلوات ٢/ ١٤٢ (١٤٤٢)، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٣٣٩ (٦٢١)، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٧ (١٠٣٥)، وأبو نعيم في المستخرج على مسلم ٢/ ٢٦٩ (١٥١٣).

(١) نتائج الأفكار لابن حجر (٢/ ١٣٩).

(٢) هو الطبراني، كما يظهر في تخريجه.

(٣) ساقطة من « ظ »، والمثبت من «ب» والمصادر.

(٤) رواه الطبـرانـي فـي الأوسـط ٩/ ١٧٣ (٩٤٥٠)، [وذكـره الهيثمـي فـي مجمـع البحـريـن ٢/ ١٤٦ (٨٥٩)]، ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٥١ (١٠٣) ــ وساق المصنف سنـده ــ ، ورواه الـدارقطني فـي السنـن ٢/ ٣٧، والبيهقـي فـي الكبـرى ٢/ ١٩٨، كـلاهمـا مـن طـريـق أبـي حـاتـم الـرازي عـن محمـد بـن أنـس بـه، فمـدار الحـديـث عليـه، ونقـل المصنـف عـن الـدارقطنـي قـولـه: ليـس بـالقـوي، وقـال فـي التقـريـب (٥٧٥٠): «صدوق يغرب».

قال ابن القيم: «وهذا الإسناد، وإن كان لا تقوم به حجة فالحديث صحيح من جهة المعنى؛ لأن القنوت هو الدعاء؛ ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يصل صلاة مكتوبة إلاَّ دعا فيها». زاد المعاد ١/ ٢٨٠.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٣٨ : «رجاله موثقون».

قال الحافظ ابن حجر: (قلت: رجاله موثقون إلاَّ هو، فقال الدارقطني: ليس بقوي)[1].

قال ابن حجر: (وذكر له البخاري في صحيحه شيئاً تعليقاً، وأخرج حديثه هذا الدارقطني والبيهقي من طريق أبـي حاتم الرازي، عن محمد بن أنس).

قال: (وله شاهد؛ أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الخطيب عن أبـي بكر الدَّشتي، أنا يوسف / بن خليل الحافظ، أنا أبو المكارم اللبان، أنا أبو علي الحداد، أنا أبو نعيم، أنا أبو محمد بن فارس، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد الرحمن بن أبـي ليلى يقول: سمعت البراء بن عازب يقول: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ**». هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة من طرق متعددة عن شعبة[2] فوقع لنا عالياً.

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال للذهبـي ٦/ ٧٤ (٧٢٥٨)، وموسوعة أقوال الدارقطني في الرجال ٢/ ٥٥٨ (٢٩٥٦).

(٢) أبو نعيم في المستخرج على مسلم: ٢/ ٢٧٣ (١٥٢٦)، والطيالسي في مسنده ٢/ ١٠٢ (٧٧٣)، ورواه مسلم في صحيحه (مع النووي) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣/ ١٨٦ (١٥٥٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب القنوت في الصلوات ٢/ ١٤١ (١٤٤١)، والترمذي في الصلاة باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر ٢/ ٢٥١ (٤٠١)، والنسائي في المجتبى في التطبيق باب القنوت في صلاة المغرب ٢/ ٢٠٢ (١٠٧٥)، وفي الكبرى ١/ ٣٣٩ (٦٦٧)، ومن طريقه ابن حزم في المحلى ٤/ ١٣٨، والدارمي في السنن ١/ ٤٥٤ (١٥٩٧)، وعبد الرزاق في المصنف ٣/ ١١٣ (٤٩٧٥)، وابـن أبـي شيبـة فـي المصنـف ٢/ ٣١١، وأحمـد فـي مسنـده ٤/ ٢٨٥ = ٣٠/ ٤٨٥ (١٨٥٢٠) و ٣٠/ ٦٠٣ (١٨٦٥٢)، وفـي العلـل ومعـرفـة الـرجـال روايـة ابنـه عبـد الله ١/ ١٤١، وأبـو يعلـى ٣/ ٢٣٥ (١٦٧٤)، والـرويـانـي (٣٣٩)، وأبـو عـوانـة ٢/ ٢٨٧، والطبـري فـي تهـذيـب الآثـار ٢/ ١٢ ــ ١٣ (١٠٤٩ ــ ١٠٥٣)، وابـن خـزيمـة ١/ ٥٤٦ (١٠٩٩)، وابـن حبـان ٥/ ٣١٨ (١٩٨٠)، والـدارقطني ٢/ ٣٧، والبيهقـي فـي الكبـرى ٢/ ١٩٨.

وله شاهد آخر أخرجه البخاري من رواية[1] محمد بن سيرين عن أنس بلفظه، وله شاهد آخر أخرجه الشيخان من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لأُقَرِّبَنَّ لَكُمْ صَلاةَ رَسُولِ الله ﷺ، فَكَانَ يَقْنُتُ فِي الظُّهْرِ وَالْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ**»[2].

وحمل بعضهم هذه الأحاديث على قنوت النازلة)[3].

أي: فيكون دليلاً للقول الأصح أن القنوت فيما عدا الصبح للنازلة، ولو جعلت لقنوت غير النازلة ففيها دليل لقنوت الصبح أيضاً؛ لأنه إذا ثبت استحبابه في الكل ـ ومن جملتها الصبح ـ ثبت فيه بالضرورة، وكذا إذا ثبت في الصبح والمغرب أو في الظهر والعشاء والصبح؛ لأن الصبح مذكور في جميع الروايات. وعلى هذا القول يكون معنى «**ثُمَّ تَرَكَهُ**»: ثم ترك الدعاء على المشركين في القنوت لا أصل القنوت، فالضمير المنصوب في تركه سواء كان مذكوراً أو محذوفاً راجع للدعاء المفهوم من قوله: «**يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِ**»، لا للقنوت المفهوم من «**قَنَتَ**». و «**شَهْراً**» ظرف ليدعو ولقنت المقيد بيدعو الواقع حالاً لأنه جملة فعلية، ويجوز أن يكون استئنافاً جواباً لقول القائل: ما كان يقول في قنوته؟ وقد مر أن دليل النافين حديث أبي مالك

---

(١) في نسخة « ظ »: «في رواية»، والمثبت من «ب».

(٢) رواه البخاري (مع الفتح) في كتاب الأذان باب (٢٦٢) ١/ ٣٦٧ (٧٩٧)، ومسلم (مع النووي) ٣/ ١٨٣ (١٥٤٢)، وأبو داود في كتاب الصلاة باب القنوت في الصلوات ٢/ ١٤١ (١٤٤٠)، والنسائي في المجتبى ٢/ ٢٠٢، وفي الكبرى ١/ ٣٣٩ (٦٦٦)، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٥٥ = ١٢/ ٤٢٩ (٧٤٦٣)، وأبو عوانة ٢/ ٢٨٤، وابن حبان في صحيحه ٥/ ٣١٩ (١٩٨١)، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٩ (١٠٣٦)، وأبو نعيم في المستخرج على مسلم ٢/ ٢٧٠ (١٥١٥)، والدارقطني ٢/ ٣٨، والبيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٧ (٤٥٤)، وفي الكبرى ٢/ ١٩٨، والمعرفة ٣/ ١٢٠ (٣٩٤٩)، والحازمي في الاعتبار ١/ ٣٨١ (١٢٢).

(٣) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٤٠.

الأشجعي: أنه مُحْدَثٌ، وقد ترجم الترمذي: باب ترك القنوت في الفجر. وأورد الحديث المذكور.

قال الحافظ ابن حجر بعد تخريجه له: (هذا حديث صحيح أخرجه الترمذي عن أحمد بن منيع، وابن ماجه عن أبـي بكر بن أبـي شيبة، كلاهما عن يزيد بن هارون. فوقع لنا بدلاً عالياً.

وأخرجه أحمد عن يزيد بهذا الإسناد فوقع لنا موافقة عالية.

وأخرجه أيضاً عن إسماعيل بن محمد عن مروان بن معاوية.

وأخرجه الترمذي أيضاً من رواية أبـي عوانة، والنسائي من رواية خلف بن خليفة، وابن ماجه أيضاً من رواية عبد الله بن إدريس وحفص بن غياث، خمستهم عن أبـي مالك الأشجعي، وصححه الترمذي وابن حبان، واسم أبـي مالك: سعد بن طارق بن أَشْيَم، بفتح الهمزة والياء آخر الحروف بينهما شين معجمة.

وقد أخرج مسلم بهذا الإسناد حديثاً غير هذا فهو على شرطه، وعجبتُ للحاكم إذ لم يستدركه، وقد أجاب من أثبت القنوت بأن المثبت مقدم / على النافي، أو لعلهم أسرُّوه فلم يسمع، أو كان بعيداً أو نسي)، انتهى كلام ابن حجر[1].

قلت: لا سيما وقد تقوت رواية الإثبات بشواهد صحيحة.

وبالسند السابق إلى الحافظ ابن حجر[2]: (أخبرني الإمام الحافظ أبو الحسن بن أبـي بكر، أنا [أبو][3] الفضل محمد بن إسماعيل بن عمر، أنا الفخر أبو الحسن المقدسي، عن عبد الله بن عمر الصفار، أنا عبد الجبار بن

---

(١) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٤٣.

(٢) نتائج الأفكار ٢/ ١٥٠.

(٣) زيادة من «ب» والمصادر.

محمد الفقيه، أنا أحمد بن الحسين[1] الحافظ، أنا أبو عبد الله الحافظ، [ثنا][2] علي بن حمشاذ، ثنا العباس بن الفضل، ثنا أحمد بن يونس، ثنا محمد بن بشر، ثنا العلاء بن صالح، عن بُرَيد بن أبي مريم، ثنا أبو الحَوْرَاءِ: سألت الحسن بن علي: ما عقلت من رسول الله ﷺ؟ قال: **عَلَّمَنِي دَعَوَاتٍ أَقُولُهُنَّ: اللَّـٰهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**... الحديث.

قال بُرَيد بن أبي مريم: فذُكر ذلك لمحمد بن الحنفية فقال: «**إِنَّهُ الدُّعَاءُ الَّذِي كَانَ أَبِي يَدْعُو بِهِ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ فِي قُنُوتِهِ**»).

قال ابن حجر: (هذا حديث حسن، والعلاء بن صالح وثقه يحيى بن معين وجماعة[3].

وبه إلى أبي عبد الله الحافظ، ثنا أبو الوليد حسان بن محمد، ثنا أبو بكر [هو الباغيني، ثنا هشام بن خالد][4] الأزرق، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا ابن جريج عن أبي هُرْمُزٍ، عن بُرَيد بن أبي مريم، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا دُعَاءً نَدْعُو بِهِ فِي الْقُنُوتِ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ: اللَّـٰهُمَّ اهْدِنَا**

---

(١) البيهقي في الصغرى ١/٢٧٦ (٤٤٥)، والكبرى ٢/٢٠٩، والمعرفة له ٣/١٣١ (٣٩٩٧) بهذا السند.

(٢) كلا النسختين «الحافظ بن»، والمثبت من نتائج الأفكار لابن حجر.

(٣) نتائج الأفكار ٢/١٥١.

قلت: قال ابن معين عنه في رواية الدوري وابن أبي خيثمة: ثقة، وفي رواية الدارمي وغيره قال: لا بأس به، ولعل هذا من الأمثلة التي أطلق فيها ابن معين (لا بأس به) ويريد بها أنه ثقة.

وقال أبو زرعة وأبو حاتم أيضاً: لا بأس به، وقال أبو داود: ثقة.

ينظر: تاريخ الدارمي عن ابن معين ص ١٣٨ (٤٥٤)، وتهذيب الكمال للمزي ٢٢/٥١١ (٤٥٧٢).

(٤) في الأصل و«ب»: «حسان بن محمد، ثنا هشام بن خالد، ثنا أبو بكر الأزرق، ثنا الوليد»، والتصويب من: سنن البيهقي ٢/٢١٠، ونتائج الأفكار ١/١٥١.

فِيمَنْ هَدَيْتَ. . .» الحديث[1]، وفي رواية عنه: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ وَوِتْرِ اللَّيْلِ**[2] **بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ. . .»** الحديث)[3].

قلت: وبهذا يجمع بين ما ورد عن الحسن أنه في قنوت الوتر، وبين ما سبق آنفاً أنه في قنوت في الصبح، والله أعلم.

وله شاهد آخر من حديث أبـي هريرة ولكن فيه ضعف، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وإنما يقدم المثبت على النافي إذا تعارضا، أما إذا جمع بالحمل في الإثبات على قنوت النازلة، وفي النفي على غيره كما مر عن نقل ابن حجر فلا تقديم.

ويؤيد هذا الحمل ما أخرجه في تخريج الأذكار[4] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ إلاَّ فِي الْوَتْرِ، وَكَانَ إِذَا حَارَبَ قَنَتَ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ**». ثم قال: (هذا حديث غريب أخرجه الطبراني في الأوسط هكذا[5]،

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٠، والرواية الثانية عند عبد الرزاق في المصنف ٣/ ١٠٨ (٤٩٥).

(٢) في « ظ »: «وتر الليل»، والمثبت من «ب».

(٣) نتائج الأفكار ٢/ ١٥١.

(٤) نتائج الأفكار ٢/ ١٤٣.

(٥) الطبراني في الأوسط ٧/ ٢٧٤ (٧٤٨٣) [وأورده الهيثمي في مجمع البحرين ٢/ ١٤٥ (٨٥٨)] وهذا سنده: ثنا محمد بن شعيب، ثنا يعقوب الدشتكي، ثنا هشام بن عبيد السني، ثنا محمد بن جابر به، قال النووي في الخلاصة ١/ ٤٥٢ (١٤٨٥): «ضعيف جداً مداره على محمد بن جابر السُّحيمي، وهو شديد الضعف». وفي المجموع ٣/ ٣٣٦: «إنه ضعيف جداً، لأنه من رواية محمد بن جابر السحيمي، وهو شديد الضعف متروك». =

وقال: تفرد به محمد بن جابر عن حماد.

قال ابن حجر: ومحمد بن جابر ضعيف، وقد رواه الحسن بن الحر وهو صدوق عن حماد بهذا الإسناد، فحذف الأسود ووقفه على عُمر، وهو أشبه بالصواب). انتهى.

فأحد الإسنادين ضعيف والآخر موقوف، وكلاهما لا تقوم به الحجة، بل لو صح لقدم عليه حديث أنس عند الحاكم المار؛ لأن هذا نفي وذلك إثبات، والإثبات مقدم / على النفي.

فائدة: قال الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي[1]: (عزا هذا الحديث ــ يعني حديث أنس عند الحاكم ــ بعضهم إلى مسلم فوهم، وعزاه النووي إلى المستدرك للحاكم، وليس هو فيه، وإنما أورده وصححه في جزء له في القنوت، ونقل البيهقي تصحيحه عن الحاكم فظن الشيخ يعني النووي أنه في المستدرك). انتهى.

قلت: وقد صرح النووي في الأذكار بنسبة تصحيحه إليه في كتاب الأربعين، وعبارته: «رواه الحاكم أبو عبد الله في كتاب الأربعين وقال: حديث صحيح».

فائدة أخرى: قال في التخريج المذكور وفي تخريج الأذكار: (روى الحاكم في المستدرك[2] من طريق عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن

= والرواية الموقوفة على عمر رواها الخطيب في القنوت (كما في التنقيح ٢/ ١٠٦٩)، قال: وأنا أحمد بن أبي جعفر، أنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب، ثنا إسحاق بن بيان، نا أبو همام، ثنا عمر بن عبد الواحد عن ابن ثوبان، عن الحسن بن حر به موقوفاً.

(١) التلخيص الحبير، لابن حجر ١/ ٤٤٣.

(٢) كذا عزاه الحافظ للمستدرك في التلخيص الحبير ١/ ٤٥٠، وأما في نتائج الأفكار ٢/ ١٥٢، فعزاه للحاكم ولم يعين في أي كتاب من كتبه.

قلت: ولم أجده في المستدرك، ولا رأيت من عيَّن موضعه فيه، فلعله أخرجه في كتابه في القنوت، ووقع للحافظ سبق قلم.

أبيه، عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فِي الرُّكُوعِ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ فَيَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّـٰهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ) إِلَى (تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**»، وقال: صحيح).

قال ابن حجر: (وليس كما قال بل ضعيف لأجل عبد الله، فلو كان ثقة لكان الحديث صحيحاً، وكان الاستدلال به أولى من الاستدلال بحديث الحسن بن علي الوارد في قنوت الوتر). ثم قال: (وروى الطبراني في الأوسط من حديث بُرَيدة نحوه، وفي إسناده مقال)[1]. انتهى.

قلت: وكلاهما يصلح شاهداً لقنوت الصبح، وذكر البيهقي من طريق أبـي صفوان الأموي عن ابن جريج عن ابن هرمز عن ابن عباس نحو حديث أبـي هريرة.

قال: وابن هرمز المذكور شيخ مجهول، والأكثر أن اسمه عبد الرحمن وليس هو الأعرج الثقة المشهور صاحب أبـي هريرة، والله أعلم.

فهذا ما يتعلق ببيان محل القنوت بالنسبة إلى الصلوات.

* * *

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٧/ ٢٣٢ (٧٣٦٠)، ثنا محمد بن أبان، ثنا أحمد بن سنان الواسطي، ثنا محمد بن حماد، أخبرنا أبو حفص عمر عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُرَيدة، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللَّـٰهم اهدني فيمن هديت. . .» فذكره وفي آخره: «وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت».
قال الطبراني: «لم يروه عن علقمة إلاَّ أبو حفص».
والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٣٨ وقال: «أبو حفص عمر لم أجد من ترجمه»، وفي مجمع البحرين ٢/ ١٤٧ (٨٦١) له، عقَّب المحقق قائلاً: «أبو حفص صدوق معروف، لكن في السند محمد بن حماد لم أجد من ترجمه».

[محل القنوت قبل الركوع أو بعده]

وأما بالنسبة إلى الأركان، فالشافعي وأحمد والجمهور على أن محله الاعتدالُ بعد رفع الرأس من الركوع، وأبو حنيفة ومالك وكثيرون على أن محله القيام بعد القراءة وقبل الركوع.

ودليل الأول: حديث البخاري: **«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ أَوْ يَدْعُوَ لأَحَدٍ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ»**[1].

وحديث ابن عباس عند أحمد وأبـي داود والحاكم: **«أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَنَتَ بَعْدَ رَفْعِ رَأْسِهِ مِنَ الرُّكُوعِ»**.

ولفظه كما في تخريج الرافعي لابن حجر: **«قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْراً مُتَتَابِعاً فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالعِشَاءِ وَالصُّبْحِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ... عَلَى أَحْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِ، [عَلَى]**[2] **رَعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ، وَيُؤَمِّنُ خَلْفَهُ»**. وقد مر بإسناده[3].

وفي هذا الحديث من الفوائد: الإتيان بذكر الاعتدال قبل القنوت، وتأمين المأموم لدعاء إمامه فيه، وأن قنوت النازلة لا يتعين لفظه، وإنما هو دعاء على حسب ما يقتضيه الحال، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (مع الفتح) في التفسير باب «ليس لك من الأمر شيء» ٨/ ٢٨٤ (٤٥٦٠)، والدارمي في سننه (ط فواز الزمرلي) ١/ ٤٥٣ (١٥٩٥).

(٢) سقط من «ب»، والمثبت من « ظ ».

(٣) سبق تخريجه ص ٦٠.

وحديث أبي هريرة / في الصحيحين: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَنَتَ بَعْدَ رَفْعِ رَأْسِهِ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ»[١].

وحديث أنس في الصحيحين[٢] أيضاً: «قَنَتَ شَهْراً بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءَ مِنَ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ». وللبخاري عن عمر مثله[٣].

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي: «روى البخاري من طريق عاصم الأحول عن أنس أن القنوت قبل الركوع»[٤]، أي:

---

(١) رواه البخاري (مع الفتح) في التفسير باب «ليس لك من الأمر شيء» ٨/ ٢٨٤ (٤٥٦٠)، ومسلم (مع النووي) ٣/ ١٨٦ (١٥٣٩)، وأبو يعلى ١٠/ ٣٩٤ (٥٩٩٥)، وأبو نعيم في المستخرج ٢/ ٢٦٩ (١٥١٢)، وابن حبان ٥/ ٣٢١ (١٩٨٣)، وابن عبد البر في الاستذكار ٥/ ١٧٣، والحازمي في الاعتبار ١/ ٣٨٠ (١٣١) من طريق الحاكم.

(٢) البخاري في المغازي (مع الفتح) ٧/ ٤٨١ (٤٠٨٩)، ومسلم في الصلاة (مع النووي) ٣/ ١٨٦ (١٥٥) = (ط فؤاد عبد الباقي) ١/ ٤٦٩ (٦٧٧)، والنسائي في التطبيق باب اللعن في القنوت ١/ ٢٠٣، وأحمد في مسنده ٣/ ٢١٦، و ٣/ ٢٧٨، وأبو عوانة ٢/ ٢٨١، وأبو يعلى ٥/ ٣٩٢ (٣٠٥٧)، ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ٢/ ٣٥٥ (١٠٧)، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٤ (١٠٢٨)، والطحاوي في معاني الآثار ١/ ٢٤٤، وابن حبان ٥/ ٣٢٠ (١٩٨٢) و ٥/ ٣٢٣ (١٩٨٥)، وأبو نعيم في المستخرج على مسلم ٢/ ٢٧٣ (١٥٢٥)، والبيهقي في الصغرى ٢/ ٢٠١.

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) ٧/ ٤٥٦ (٤٠٦٩)، وابن خزيمة ١/ ٣٣٩ (٦٢٢)، والطحاوي في مشكل الآثار ٢/ ٣٩ (٥٦٧) عن ابن عمر، فالظاهر أن لفظة «ابن» سقطت من الأصل.

(٤) رواه البخاري (مع الفتح) في كتاب الوتر باب ٧ ج٢/ ٦٣١ (١٠٠٢)، ومسلم (مع النووي) ٣/ ١٨٥ (١٥٤٧)، والدارمي في سننه ١/ ٢٥٣ (١٥٩٦)، وأحمد ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٥٧ (١٠٨)، وأبو نعيم في المستخرج على مسلم (ط دار الكتب) ٢/ ٢٧١ (١٥٢٠)، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٣ (١٠٢٢ ــ ١٠٢٤)، قال الحافظ رحمه الله: «ومجموع ما جاء عن أنس من ذلك أن القنوت للحاجة بعد الركوع لا خلاف عنه في ذلك، وأما لغير حاجة فالصحيح عنه أنه قبل الركوع، وقد اختلف عمل الصحابة في ذلك، والظاهر أنه من الاختلاف المباح».

هو[1] دليل من قال إنه قبل الركوع كمالك. قال: وقال البيهقي: إن رواة القنوت بعد الركوع أكثر وأحفظ، وعليه درج الخلفاء الراشدون. وروى الحاكم أبو أحمد في الكنى[2] عن الحسن البصري قال: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ بَدْرِياً كُلُّهُمْ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الرُّكُوعِ**»، قال: وإسناده ضعيف.

قلت: وإسناده وإن كان ضعيفاً لكنه يصلح في المتابعات والشواهد، ففيه تقوية للمذهب القائل بالقنوت في الصبح.

وقال الأثرم: قلت لأحمد: يقول أحد في حديث أنس أنه قنت قبل الركوع غير عاصم الأحول؟ قال: لا يقوله غيره، خالفوه كلهم: هشام عن قتادة، والتيمي عن أبي مجلز، وأيوب عن ابن سيرين[3]، وغير واحد عن حنظلة[4] كلهم عن أنس، وكذا روى أبو هريرة[5]، وخُفاف بن [إيماء][6] وغير واحد[7].

وروى ابن ماجه[8] من طريق [سهل][9] بن يوسف عن حميد عن أنس:

---

(١) في «ب»: «وهو».

(٢) المطبوع شطر منه فقط، ولا يوجد هذا الأثر فيه.

(٣) ابن سيرين عن أنس في: تهذيب الآثار للطبري ٢/ ١١ (١٠٢٨).

(٤) حنظلة عن أنس في: تهذيب الآثار للطبري ٢/ ٤ (١٠٢٥).

(٥) تقدم تخريجه ص ٦٩، ٧٠.

(٦) تحرف في الأصل و «ب» إلى: «أنمى».

(٧) حديث خُفاف بن إيماء رواه مسلم (٦٧٩)، وابن أبـي شيبة ٢/ ٣١٧، وأحمد في مسنده ٤/ ٥ = ٢٧/ ١٠٣ (١٦٥٧٠)، وأبو عوانة ٢/ ٢٨٢، وابن أبـي عاصم في الآحاد والمثاني ٢/ ٢٤٠ (٩٩٥)، وابن حبان ٥/ ٣٢١ (١٩٨٤)، والحاكم ٣/ ٥٩٢، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ١٣ ـ ١٤ (١٠٥٦ ـ ١٠٥٨)، والطبراني في الكبير (٤١٧٥)، وأبو نعيم في المستخرج على مسلم ٢/ ٢٧٤ (١٥٢٩)، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٢٠٨.

(٨) ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنَّة فيها باب ما جاء في القنوت قبل الركوع وبعده ١/ ٢١٤ (١١٧٢)، وقال الهيثمي: «إسناده صحيح ورجاله موثقون».

(٩) في الأصل و «ب»: «شهد»، والتصويب من المصادر.

«أنه سئل عن القنوت في صلاة الصبح قبل الركوع أو بعده؟ فقال: «**كِلاَهُمَا قَدْ كُنَّا نَفْعَلُ، قَبْلُ وَبَعْدُ**»، وصححه أبو موسى المديني. انتهى.

فــرع: قال في الروضة[1]: (ولو قنت قبل الركوع فإن كان مالكياً يرى ذلك أجزأه، وإن كان شافعياً لا يراه لم يحسب على الصحيح بل يعيده بعد الرفع من الركوع، وهل يسجد للسهو؟ وجهان، الأصح المنصوص في الأم يسجد). انتهى.

قلـت: وذلـك لمـا مـر عـن البيهقـي أن رواة القنـوت بعـد الـركـوع أكثر وأحفظ، ولما مر عن أحمد أن عاصم الأحول تفرد برواية القنوت قبل الركوع، وأنه خالفه جمهور أصحاب أنس وجمهور الرواة فيكون شاذاً لأن الشاذ عند المحققين ما خالف الثقة فيه الجماعة.

قال الحافظ العراقي في ألفيته[2]:

وذُو الشُّـذُوذِ مَـا يُخَـالِـفُ الثِّقَـةْ   فِيـهِ الْمَـلاَ فَـالشَّـافِعِـيُّ حَقَّقَـهْ

* * *

(١) روضة الطالبين للنووي ١/ ٣٦١.

(٢) ألفية العراقي ص ٤٥، البيت (١٦١).

[قنوت الوتر ومن ذهب إليه من الأئمة]

وأما قنوت الوتر قال به أبو حنيفة وأحمد في جميع السنة[1]، ونفاه مالك، وفي مذهب الشافعي ثلاثة أوجه: أحدها يستحب فيه في النصف الثاني من شهر رمضان، وهو المنصوص[2]، وأشار في المنهاج إلى ضعف الوجه القائل باستحبابه جميع السنة[3].

وقال في الأذكار: «ويستحب القنوت عندنا في النصف الأخير من شهر رمضان في الركعة الأخيرة من الوتر، ولنا وجه أنه يقنت فيها في جميع شهر رمضان، ووجه ثالث في جميع السنة، وهو مذهب أبـي حنيفة، والمعروف من مذهبنا هو الأول، والله أعلم». انتهى.

[مستند من قال بالقنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان]:

قال الحافظ ابن حجر في تخريجه: (ولم يذكر لشيء من ذلك دليلاً، **قال**: / **ومستند الأول** ما أخرجه أبو داود بإسنادين رجالهما ثقات؛ لكن أحدهما منقطع، وفي الآخر راو لم يسم: أن عمر رضي الله عنه لما جمع الناس على

(١) المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة ٢/ ٥٨٠، والعزيز للرافعي ٢/ ١٢٧.

(٢) واختاره أبو الطيب الطبري في: التعليقة في الفروع (رسالة دكتوراه) بتـ: إبراهيم الظفيري ٢/ ١١٥٠.

(٣) منهاج الطالبين للنووي ص ١٦ ونصه: «ويندب القنوت آخر وتر في النصف الثاني من رمضان، وقيل: كل السنة».

أُبَـيّ بن كعب: «كَانَ لَا يَقْنُتْ إِلاَّ فِي النِّصْفِ الأَخِيرِ»، وكذا أخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل[1]، وأخرج مثله عن أبـي حليمة معاذ بن الحارث وهو الذي كان يصلي بهم إذا غاب أُبَـيٌّ، وأخرج أيضاً عن علي نحوه بسند ضعيف، وعلقه الترمذي لعلي والثابت عن علي خلافه). انتهى.

قلت: فليس لهذا الوجه حديث صحيح، لأن أحد الإسنادين لأبـي داود منقطع، وثانيهما فيه مجهول.

[مستند من قال بالقنوت في الوتر في جميع رمضان]:

قال: (وأما الوجه الثاني، فلم يثبت لبعضهم ونسبه الرافعي لمالك، وما وقفت على[2] مستند، لكن في الموطإ عن داود بن الحصين، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: «**مَا أَدْرَكْتُ النَّاسَ إِلاَّ وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ**»[3]). وهذا يحتمل أن يخص بالنصف الأخير فيرجع إلى الأول.

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي ص ١٢٥، ورواه أبـو داود (عون المعبود) في الوتر باب القنوت في الوتر ٤/ ١٨١ (١٤٢٥ ـ ١٤٢٦) بإسنادين: فأما الأول ففيه جهالة؛ لأن محمد بن بكر قال: «أنبأنا هشام بن محمد عن بعض أصحابه أن أبـي بن كعب».
قال ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٤٦: «وأعلى خبر يحفظ في القنوت في الوتر عن أُبَـي بن كعب في عهد عمر بن الخطاب مرفوعاً: «أنهم كانوا يقنتون بعد النصف يعني من رمضان».
وأما الآخر ـ وقد رواه أيضاً ابن أبـي شيبة ٢/ ٣٠٥ ـ ففيه انقطاع؛ لأن يونس بن عبيد قال: «عن الحسن أن عمر بن الخطاب...»، قال ابن الملقن في تحفة المحتاج ١/ ٤١٠: «والحسن لم يدرك عمر، بل ولد لسنتين بقيتا من خلافته».
والحديث ضعفه النووي في الخلاصة، والزيلعي في نصب الراية ٢/ ١٢٦.

(٢) هكذا في « ظ »، وفي «ب»: «وما وُقِف له على».

(٣) رواه مالك في الموطأ رواية أبـي مصعب الزهري، باب ما جاء في قيام رمضان ١/ ١١٠ (٢٨٢)، وينظر: الاستذكار لابن عبد البر ٥/ ١٦٦ و ٥/ ١٧٤.

[مستند القول المختار: استحباب قنوت الوتر في جميع السنة]:

قال: (وأما الوجه الثالث، فهو المختار عند جماعة، وقد عقد له محمد بن نصر[1] باباً ذكر فيه عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم ذلك بأسانيد صحيحة، وتقدم حديث ابن مسعود المرفوع وسيأتي حديث الحسن وإن كان غير صحيح في التعميم.

وأخرج ابن خزيمة[2] من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه سئل عن القنوت في الوتر فقال: حدثنا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «هي سنة ماضية».

ونقل القاضي حسين في التعليقة: أن القفال ود أن لو قال به أحد من السلف وأقره على ذلك، وهو غريب؛ فقد نقله محمد بن نصر وقبله أبو بكر بن أبي شيبة عن جماعة من التابعين فمن بعدهم، ونقله ابن المنذر عن أبي ثور صاحب الشافعي، ونقله الروياني عن مشايخ طبرستان[3]، وقال به جماعة من الشافعية). انتهى.

قلت: وعبارة الروضة: (ولنا وجه أنه يقنت في جميع رمضان، ووجه أنه يقنت في جميع السنة، قاله أربعة من أئمة أصحابنا: أبو عبد الله الزبيري،

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي ص ١٢٥. قال: «باب القنوت في الوتر في السنة كلها، عن الأسود: صحبت عمر ستة أشهر فكان يقنت في الوتر، وكان عبد الله يقنت في الوتر السنة كلها، وعن علي أنه كان يقنت في رمضان كله، وفي غير رمضان في الوتر».

(٢) ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٤٥ (١٠٩٧)، ورجح أن الصحيح (الفجر)، قلت: وهي كذلك عند الطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٢٩ (١١٣)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٣١٢ بلفظ (الوتر) مثل رواية ابن خزيمة، لكن جعله من قول ابن أبي ليلى.

(٣) بحر المذهب للروياني ٢/ ٣٨١، ونصه: «ومن أصحابنا من قال: يجوز في جميع السنة من غير كراهة... وهذا اختيار مشايخ طبرستان، وأنا أقول به».

وأبو الوليد النيسابوري، وأبو الفضل بن عبدان، وأبو منصور بن مهران). انتهى[1].

واختاره النووي في التحقيق، وشرح المهذب[2].

[حديث الحسن بن علي، وفيه ما يشهد لقنوت الوتر في جميع السنة]:

وأما مستنده، فبالسند السابق إلى الحافظ ابن حجر[3] قال: (أخبرني الإمام المسند أبو الفرج ابن أبي العباس الغزي، أنا علي بن إسماعيل بن عبد القوي بقراءة الحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس عليه ونحن نسمع، أنا إسماعيل بن عبد القوي، أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير، أخبرتنا أم إبراهيم بنت عبد الله بن عقيل، أنا محمد بن عبد الله الأصبهاني، أنا أبو القاسم الطبراني[4]، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الحضرمي قال الأول: ثنا علي بن حكيم، والثاني يحيى بن عبد الحميد وأبو بكر بن أبي شيبة[5]، قالوا: حدثنا شريك هو [ابن][6] عبد الله / النخعي.

ح وبه إلى الطبراني، ثنا الحسن بن المتوكل البغدادي، ثنا عفان[7].

ح وأخبرني الشيخ أبو إسحاق بن كامل والمسند أبو العباس بن تميم قالا: أخبرنا أبو العباس الصالحي، أنا أبو المُنَجَّا بن اللتي، أنا أبو الوقت،

---

(١) روضة الطالبين للنووي ١/ ٤٣٢ (ط عالم الكتب)، وينظر: العزيز للرافعي ٢/ ١٢٦.

(٢) التحقيق في الفقه للنووي (مخ ص ١١٧ ـ ١١٨)، والمجموع شرح المهذب ٣/ ٣٦٠ (ط عالم الكتب).

(٣) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧.

(٤) الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٧٣ (٢٧٠٣).

(٥) المصنف لابن أبي شيبة ٢/ ٩٥ (٦٨٨٩) (ط الرشد)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/ ٦٦٠ (١٧٦٢) من طريق يحيى الحماني عن شريك به.

(٦) سقط من « ظ »، و «ب»، والمثبت هو الصواب.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٧٤ (٢٧٠٥).

أنا أبو الحسن بن المظفَّر، أنا محمد السرَخْسي، أنا أبو العباس السمَرْقَندي، ثنا أبو محمد الدارمي[1]، ثنا يحيى بن حسان قال: هو وعفان، ثنا أبو الأحوص سلَّام بن سُلَيم.

ح وبه إلى الدارمي[2]، أنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسرائيل هو ابن يونس.

ثلاثتهم عن أبي إسحاق هو عَمْرو بن عبد الله السَّبيعي، عن بُرَيد بن أبي مريم، عن أبي الحَوْراءِ، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال:

عَلَّمَنِي جَدِّي كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ: «اللَّـٰهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ».

هذا لفظ شريك، ولم يقل أبو الأحوص في روايته: «جدي» ولا «ربنا». وقال: «في قنوت الوتر»، وقال إسرائيل في روايته: «في القنوت» ولم يقل: «جدي».

وأحال الدارمي بباقي لفظه على رواية أبي الأحوص: هذا حديث حسن صحيح، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة بن سعيد[3]،

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٤٥٢ (١٥٩٣).

(٢) سنن الدارمي ١/ ٤٥٢ (١٥٩٢)، وطريق إسرائيل عند الطبراني في الكبير ٣/ ٧٣ (٢٧٠٢)، عن أبي مسلم الكشي عن الحكم بن مروان عنه.

(٣) هذا حديث الحسن بن علي المشهور في دعاء القنوت، وقد رواه جمع من الحفاظ من أصحاب السنن وغيرهم من طرق عن الحسن به، فرواه أبو داود (مع عون المعبود) في الوتر باب القنوت في الوتر ٤/ ١٧٧ (١٤٢٢)، والترمذي في الصلاة باب ما جاء في القنوت في الوتر ٢/ ٣٢٨ (٤٦٤) ــ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٣/ ١٢٨ (٦٤٠) ــ والنسائي في المجتبى ص ٢٠٢ (١٧٤٥)، وأحمد في مسنده ٣/ ٢٤٥ (١٧١٨) و ٣/ ٢٤٨ (١٧٢٣)، وابن خزيمة ٢/ ١٥١ (١٠٩٥)، وابن الجارود ١/ ٧٨ =

وأخرجه أبو داود عنه أيضاً، عن أحمد بن جَوَّاس بفتح الجيم وتشديد الواو آخره مهملة كلاهما عن أبـي الأحوص فوقع لنا بدلاً عالياً.

ولفظ قتيبة كلفظ شريك الذي سقته لكن قال: «فإنك» بزيادة فاء، ولم يقل: «ولا يعز من عاديت». ولفظ أحمد بن جواس مثله، لكن قال: «في قنوت الوتر».

وأخرجه ابن ماجه عن أبـي بكر بن شيبة فوقع لنا موافقة عالية وبدلاً عالياً بالنسبة للرواية المتصلة.

وأخرجه ابن خزيمة عن يوسف بن موسى، عن عبيد الله بن موسى فوقع لنا بدلاً عالياً.

وأخرجه أبو داود أيضاً عن عبد الله بن محمد النُّفَيْلِي، عن زهير بن معاوية، عن أبـي إسحاق، ولم يسق لفظه بل قال: إن في روايته في آخر الحديث: «أَقُولُهُنَّ فِي الوَتْرِ فِي القُنُوتِ».

وساقه البيهقي من طريق عمرو بن مرزوق، عن زهير)[1].

= (٢٧٣)، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٩٨ (٧٢٢)، والطبراني في الدعاء ٢/ ١١٣٨ (٧٣٦ ـ ٧٣٧)، وفي المعجم الكبير ٣/ ٧٣ ـ ٧٧ (٢٧٠١ ـ ٢٧١٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/ ٦٥٩ (١٧٦١)، والبيهقي في الكبرى ٢/ ٢٠٩.

قال ابن الملقن في تحفة المحتاج ١/ ٤٠٩ (٤٥٤): «رواه الأربعة بإسناد على شرط الصحيح».

وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرح الترمذي ٢/ ٣٢٩، والشيخ الألباني في الإرواء ٢/ ١٧٢ (٤٢٩)، وصحيح موارد الظمآن ١/ ٢٤٩ (٤٢٠ ـ ٥١٢ ـ ٥١٣).

وقد جاء بعدة روايات متظافرة فيها التصريح بأن هذا الدعاء في قنوت الوتر، وساق المؤلف بعضها، وهي تدل على مشروعية القنوت في الوتر، وبذلك يرد على قول ابن عبد البر في الاستذكار ٥/ ١٧٦ (٦٣٧١): «لا يصح عن النبـي ﷺ في القنوت في الوتر حديث مسند».

(١) البيهقي في الكبرى ٢/ ٢٠٩، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/ ٦٦٠ (١٧٦٢) من طريق أبـي مسلم الكشي عن عمرو بن مرزوق به.

وبه إلى ابن حجر[1]: (قرأت على فاطمة بنت عبد الهادي عن محمد بن عبد الحميد، أنا إسماعيل بن عبد القوي بالسند المذكور آنفاً إلى الطبراني: ثنا محمد بن عمرو بن خالد الحرَّاني، ثنا أبـي، ثنا زهير بن معاوية فذكره[2]. قال الترمذي: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبـي الحَوْراءِ السعدي واسمه: ربيعة بن شيبان).

قال ابن حجر: (وأبو الحَوْراءِ: بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها راء مهملة، وهو بصري ثقة، والراوي عنه بُرَيد بموحدة ومهملة مصغر، واسم أبيه أبو مريم: مالك بن ربيعة السَّلولي بفتح المهملة صحابـي نزل البصرة، وابنه بُرَيد بصري ثقة وهو تابعي أيضاً، ورواية أبـي إسحاق من رواية الأقران بل أبو إسحاق أكبر منه، وقد / رواه عن بُرَيد أيضاً ابنه يونس بن أبـي إسحاق وصاحبه شعبة؛ أما رواية يونس فأخرجها الإمام أحمد عن وكيع عنه[3]. وأخرجها ابن خزيمة من رواية وكيع ويحيـى بن آدم وكلاهما عن يونس[4]، وأما رواية شعبة فوقعت لنا بعلو.

وبالسند المذكور آنفاً إلى الدارمي[5]: أنا عثمان بن عمر، ثنا شعبة.

ح وبالسند الأخير إلى الطبراني[6]: ثنا محمد بن محمد التمار، ثنا عمرو بن مرزوق، ثنا شعبة عن بُرَيد بن أبـي مريم، عن أبـي الحَوْراءِ قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله ﷺ؟ قال: حملني على عاتقه، فذكر

---

(١) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٤٨.

(٢) الطبراني في الكبير ٣/ ٧٤ (٢٧٠٤).

(٣) مسند أحمد ٣/ ٢٤٥ (١٧١٨)، وأخرجها ابن الجارود ١/ ٧٨ (٢٧٢)، والبيهقي في المعرفة ٣/ ١٣٠ ـ ١٣١ (٣٩٩٦)، والمروزي (مختصر قيام الليل ص ٣١٣).

(٤) صحيح ابن خزيمة ٢/ ١٥١ (١٠٩٥).

(٥) سنن الدارمي ١/ ٤٥١ (١٥٩١) و ٣/ ٢٢٥ (٩٤٥).

(٦) المعجم الكبير ٣/ ٧٥ (٢٧٠٧).

قصة[1] فيها: «**وَكَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**. . .» الحديث كما تقدم أولاً، هذا لفظ عثمان بن عمر.

ولفظ عمرو بن مرزوق: «علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر. . .» مثله سواء، وزاد فيه: «ولا يعز من عاديت».

وأخرجه ابن خزيمة من طريق غُنْدر، وابن حبان من طريق مؤمل بن إسماعيل كلاهما عن شعبة[2] مثل رواية عثمان بن عمر، فوقع لنا بدلاً عالياً بدرجة أو درجتين، ولله الحمد).

وبه إلى الحافظ ابن حجر[3]: (أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمد الشبلي، أنا عبد الله بن الحسين الدمشقي وزينب بنت أحمد الصالحية سماعاً عليهما، قال الأول: أنا محمد بن أبي بكر الْبَلخي والأُخرَى: أنا عبد الرحمن بن مكي في كتابه قالا:

أنا الحافظ أبو الطاهر السِّلفي، قال الأول: إجازة، والثاني سماعاً، أنا أبو ياسر محمد بن عبد العزيز الخياط في آخرين قالوا: أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد، أنا أبو محمد الفاكهي، أنا يحيى بن أبي مَسَرّة، أخبرني أبي، أنا عبد المجيد ــ يعني ابن عبد العزيز بن أبي روَّاد ــ أنا ابن جُريج، أخبرني عبد الرحمن بن هُرمُز أن بُرَيد بن أبي مريم أخبره قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «**كَانَ رَسُولُ الله يَقْنُتُ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ وَفِي وِتْرِ اللَّيْلِ بِهؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**. . .» الحديث.

قال ابن حجر: هذا حديث غريب، أخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل عن عمرو بن علي الفلاس، عن أبي عاصم النبيل، عن ابن جريج بهذا

---

(١) في «ظ»، كأنها تقرأ: «قصته».

(٢) رواه الدارمي ١/ ٣٧٣، وابن حبان ٢/ ٤٩٨ (٧٢٢)، والطبراني في الدعاء ٢/ ١١٣٨ (٧٣٦ ــ ٧٣٧)، وفي المعجم الكبير ٣/ ٧٣، والبيهقي ٢/ ٢٠٩.

(٣) نتائج الفكر لابن حجر ٢/ ١٥٤.

الإسناد والمتن، وأخرجه البيهقي عن محمد بن أحمد بن الحسن البزاز، عن الفاكهي، فوقع لنا بدلاً عالياً.

وذكر البيهقي أن مَخلد بن يزيد رواه عن ابن جريج نحو رواية الوليد، لكن زاد ابن الحنفية مع ابن عباس، وقال في حديثه: في قنوت الليل).

وبه إلى الحافظ ابن حجر: (أخبرني الإمام المسند أبو إسحاق ابن الجُرَيري، أنا أيوب بن نعمة النابلسي، أنا إسماعيل بن أحمد العراقي، أنا محمد بن عبد الخالق في كتابه، أنا عبد الرحمن بن أحمد، أنا القاضي أبو نصر بن الكَسَّار، أنا الحافظ أبو بكر بن السني، أنا أبو عبد الرحمن[1] أحمد بن شعيب النسائي[2]، أنا محمد بن سلمة هو الْمُرادي، ثنا ابن وهب عن /يحيى بن عبد الله بن سالم، عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن علي، عن الحَسن بن علي رضي الله عنهما قال:

«عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ هٰؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ فِي الْوِتْرِ: **اللَّـهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ...**»، فذكر مثل سياق الترمذي لكن سقط منه: «**وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ**»، وزاد بعد قوله: «**تبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، وَصَلَّى اللَّـهُ عَلَى النَّبِيِّ**».

قال ابن حجر: هذا حديث أصله حسن روي من طرق متعددة عن الحسن، لكن هذه الزيادة في هذا السند ــ يعني زيادة الصلاة على النبي ﷺ ــ غريبة لا تثبت، لأن عبد الله بن علي لا يعرف.

وقد جوَّز الحافظ عبد الغني أن يكون هو عبد الله بن علي بن الحسين بن علي أي وهو الملقب بالباهر[3]، وجزم المزي بذلك[4]، فإن يكن كما قال

---

(١) في كلا النسختين: «أبو عبد الرحمن بن أحمد»، والتصويب من نتائج الأفكار.

(٢) رواه النسائي في المجتبى ص ٢٠٢ (١٧٤٦) (ط بيت الأفكار)، وقد انفرد النسائي بزيادة الصلاة على النبي ﷺ، وقد حسن إسنادها ابن الملقن في تحفة المحتاج ١/ ٤١٠.

(٣) في «ب»: «الملقب الباهر».

(٤) تهذيب الكمال للمزي ١٥/ ٣٢١.

فالسند منقطع، فقد ذكر ابن سعد والزبير بن بكار أن أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي وهو شقيق أبي جعفر الباقر ولم يسمع من جده الحسن بن علي، بل الظاهر أن جده مات قبل أن يولد لأن أباه زين العابدين أدرك من حياة عمه الحسن رضي الله عنه نحو عشر سنين فقط، ويؤيد انقطاعه أن ابن حبان ذكره في أتباع التابعين من الثقات[1]، فلو كان سمعه من الحسن لذكره في التابعين، وقد بالغ في شرح المهذب فقال: إنه سند صحيح أو حسن، وكذا في الخلاصة)[2]. انتهى.

وبه إلى الحافظ ابن حجر: (أخبرني شيخنا الإمام حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين، أخبرني عبد الله بن محمد البُزُوري، أنا علي بن أحمد السَّعدي، أنا محمد بن أبي يزيد الكُرَاني في كتابه، أنا محمود بن إسماعيل الصيرفي، أنا أحمد بن فاذْشَاه، أنا الطبراني في الدعاء[3]، ثنا الحسن بن علي بن شَهْرَيَار وعلي بن سعيد الرازي، قال الأول:

حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرَارة الرَّقي.

وقال الثاني: ثنا الحسن بن محمد المنكدري قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُدَيك، ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن عمه موسى بن عقبة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

أخبرني الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ دُعَاءَ

---

(١) الثقات لابن حبان ٧/ ٢.

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي ٣/ ٤٧٩، وخلاصة الأحكام للنووي ١/ ٤٥٨ (١٥٠٧)، قال: «وفي رواية للنسائي بإسناد صحيح أو حسن، قال: تباركت...» وذكرها.

(٣) الدعاء للطبراني ٢/ ١١٣٧ (٧٣٥)، والمعجم الكبير له (٢٧٠٣، ٢٧٢٠)، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٧٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين إلاَّ أن محمد بن جعفر بن أبي كثير قد خالف إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة في إسناده».

الْقُنُوتِ فِي الْوِتْرِ»، فذكره مثل رواية أبـي داود سواء، أخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل من رواية محمد بن إسماعيل هذا فوقع لنا بدلاً عالياً.

قلت: وفي هذا الإسناد رواية الصحابـي عن الصحابـي، ورواية التابعي عن التابعي، ورواية الأبناء عن الآباء.

وبه إلى الطبراني[1]: ثنا أحمد بن واضح العسال المصري، ثنا سعيد بن أبـي مريم، ثنا محمد بن جعفر، ثنا موسى بن عقبة، عن أبـي إسحاق، عن بُرَيد بن أبـي مريم، عن أبـي الحَوْرَاء، عن الحسن بن علي قال: «**عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَقُولَ فِي الْوِتْرِ...**» فذكر مثله سواء لكن زاد فيه: «**وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**».

وهكذا أخرجه أبو عبد الله بن منده في معرفة الصحابة في ترجمة الحسن بن علي من طريق سعيد بن / أبـي مريم، وهذه الطريق أشبه بالصواب لأن محمد بن جعفر وهو ابن أبـي كثير المدني أثبت وأحفظ من إسماعيل بن إبراهيم عن عقبة، ومن يحيـى بن عبد الله بن سالم، فرجع الحديث إلى رواية أبـي إسحاق عن بُرَيد، عن أبـي الحَوْراءِ وهو المعروف).

فهذه أدلة الوجه الثالث في قنوت الوتر، فإن هذه الروايات بظاهرها ويعمومها تدل على استحباب القنوت في الوتر مطلقاً في جميع السنة، وكفى بالظاهر دليلاً ولا يعارضها حديث أُبـيّ أنه: «**مَا كَانَ يَقْنُتُ إلاَّ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ رَمَضَانَ**»؛ لضعفه ولأنه فعل صحابـي، وللرأي فيه مدخل فلا احتجاج فيه.

[هل عُيِّنَ موضع القنوت في الوتر في الأحاديث؟]:

وأما بيان تعيين محله، فلم يذكر فيما مر من الروايات، إلاَّ أن الحافظ ابن

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٧٣ (٢٧٠١)، وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة ٢/ ٦٥٩ (١٧٦١).

حجر قال في تخريج العزيز[1]: (إن الحاكم روى من حديث إسماعيل عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن الحسن بن علي قال: «عَلَّمَنِي رَسُولُ الله ﷺ فِي وِتْرِي إِذَا رَفَعْتُ رَأْسِيَ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ السُّجُودِ...»، ففيه أنه بعد الركوع، لكن قال: رأيت في الجزء الثاني من أبـي بكر الأصفهاني[2] عن الحسن أنه قال في الوتر قبل الركوع). انتهى.

فلم يتعين أنه بعد الركوع أو قبله، فيكون على الخلاف السابق في قنوت الصبح، والمذاهب فيه معلومة، وقد سبقت الإشارة إليها[3].

* * *

(١) التلخيص الحبير، لابن حجر ١/٤٤٨.

(٢) الظاهر أنها فوائد أبـي بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني المعروف بابن المقرىء الحافظ، (ت ٣٨١هـ)، وهي نيف وعشرون جزءاً، والجزء الأول والثالث منها مخطوط في مكتبة الأسد بدمشق برقم (٣٨٢٤ و ٣٨٤١). ينظر: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر ٢/١٥٢ (٦٨٩) والفوائد المنتخبة للهمذاني ت: الشيخ سعود الجربوع ١/٢٦٧.

(٣) قال المزني: «لا يحفظ عن الشافعي في موضع القنوت من الوتر شيء، وقياس قوله أن يكون بعد الركوع كما قال في قنوت الصبح». مختصر المزني ص ٢٥، والتعليقة لأبـي الطيب الطبري ٢/١١٥٨.

فصل

لفظ القنوت لا يتعين[1]

[سياق روايات ألفاظ دعاء القنوت، وبيان أنه لا يتعين]:

قال ابن الصلاح[2]: (القول بتعينه[3] شاذ مردود مخالف لجمهور الأصحاب ولسائر العلماء، ونقل القاضي عياض الاتفاق على أنه لا يتعين).

وأخرج محمد بن نصر في كتاب قيام الليل بسند صحيح عن سفيان الثوري قال: (كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَقُولُوا فِي قُنُوتِ الوِتْرِ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ:

---

(١) قال النووي: «وهل تتعين هذه الكلمات في القنوت؟ وجهان أحدهما تتعين ككلمات التشهد، والصحيح الذي قطع به الجماهير: لا تتعين، وعلى هذا لو قنت بما جاء عن عمر رضي الله عنه كان حسناً». روضة الطالبين ١/ ٢٥٤.

(٢) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٦٤.
نص كلام ابن الصلاح في شرح الوسيط قال: «قوله: «ثم كلماته مشهورة وهي متعينة ككلمات التشهد»، هكذا ذكر ذلك شيخه معيناً قوله: «اللّٰهمَّ اهدني فيمن هديت» إلى آخره، وهذا شذوذ مخالف لجمهور الأصحاب بل مخالف لجماهير العلماء، فقد نقل القاضي أبو الفضل السبتي المالكي اتفاقهم على أنه لا يتعين في القنوت دعاء، قال: إلاَّ ما روي عن بعض أهل الحديث من تخصيصه بقنوت مصحف أبـي بن كعب وهو: «اللّٰهمَّ إنا نستعينك ونستغفرك»، بل مخالف لفعل رسول الله ﷺ؛ فإنه كان يقول في قنوته: «اللّٰهمَّ انج فلاناً وفلاناً، اللّٰهمَّ العن فلاناً وفلاناً»، من غير تقيد بمعين، فليعد هذا إذا غلطا غير معدود وجهاً في المذهب». انظر: مشكل الوسيط لابن الصلاح ١/ ٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٣) في «ظ»: «تعيينه».

«**اللَّـٰهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ**» إلى قوله: «**مُلْحِقْ**»، وهؤلاء الكلمات: «**اللَّـٰهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**»؛ فذكره كاللفظ الأول إلى قوله: «**تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ**»، وأن يقرأ المعوذتين وأن يدعو. وليس فيه شيء مؤقت)[1].

ولمثل هذه الرواية قال أئمتنا: يستحب للمنفرد والإمام المحصورين أن يجمع بين: «**اللَّـٰهم اهدني...**» إلخ، وبين قنوت عمر[2] وهو: «**اللَّـٰهم إنا نستعينك...**» إلخ.

قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار[3]: (ولم أجد ذلك في حديث، قال: ونسبة القنوت إلى عمر تخدش فيها وروده مرفوعاً، يعني: «**اللَّـٰهم إنا نستعينك**» إلى آخره، ثم ساقه بسنده.

وبالسند إلى البيهقي[4] قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا بحر بن نصر الخولاني، قرىء على عبد الله[5] وأنا أسمع قيل له: حدثكم معاوية بن صالح عن عبد القاهر يعني ابن عبد الله[6]، عن خالد بن أبي عمران قال:

بينما النبي ﷺ يدعو على مضر يعني في الصلاة إذ جاءه جبريل عليه السلام فأومأ إليه أن اسكت فسكت، قال: يا محمد إن الله لم يبعثك لعاناً ولا سباباً، ولم يبعثك عذاباً وإنما بعثك رحمة، و ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ / عَلَيْهِمْ﴾ إلى ﴿ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، ثم علمه هذا القنوت: «**اللَّـٰهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ**»، فذكره إلى قوله: «**مُلْحِقْ**».

---

(١) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٦٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٢/ ٣١٤.

(٣) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٦١.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ٢١٠، وقال: هذا مرسل، وقد روي موصولاً عن عمر ثم ذكره بالسياق الآتي.

(٥) في نتائج الأفكار: عبد الله بن وهب.

(٦) هكذا في كلا النسختين، ونتائج الأفكار، وفي المصادر: «أبو عبد الله»، كما سيأتي قريباً.

وهكذا أخرجه أبو داود في كتاب المراسيل عن سليمان بن داود المهري عن ابن وهب[١].

وخالد من صغار التابعين، وعبد القاهر لم أجد عنه راوياً إلاَّ معاوية بن صالح، وقد ذكره ابن حبان في الثقات)[٢]. انتهى كلام ابن حجر.

وورد من وجه آخر مرفوعاً إلى النبي ﷺ: (وبالسند إلى الطبراني في الدعاء[٣] قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبـي شيبة، ثنا عباد[٤] بن يعقوب الأسدي، ثنا يحيى بن يعلى الأسلمي، ثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة، عن عبد الله بن زُرير الغافقي، قال:

قال لي عبد الملك بن مروان: لقد علمتُ ما حملك على حب أبـي تراب إلاَّ أنك أعرابـي جاف، فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، ولقد علمني منه علي بن أبـي طالب رضي الله عنه سورتين علمه إياهما رسول الله ﷺ ما علمتهما أنت ولا أبوك: «**اللّـٰهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ**»، فذكره إلى: «**مَنْ يَكْفُرُكَ، اللّـٰهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ**»، فذكره إلى «**مُلْحِقٌ، اللّـٰهُمَّ عَذِّبْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَيَجْحَدُونَ آيَاتِكَ، وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَتَعَدَّونَ حُدُودَكَ، وَيَدْعُونَ مَعَكَ إِلـٰهاً آخَرَ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ أَنْتَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيراً**».

(١) المراسيل لأبـي داود ص ١٩٢ ـ ١٩٣ (٩١)، ومن طريقه الحازمي في الاعتبار ١/ ٣٦١ (١١١)، وقال: «وهو حسن في المتابعات».

(٢) الثقات لابن حبان ٨/ ٣٩٢، قال: «عبد القاهر أبو عبد الله شيخ، يروي عن خالد بن أبـي عمران، عداده في أهل مصر، روى عنه أهلها»، وسكت عليه ابن أبـي حاتم في الجرح والتعديل ٦/ ٥٨ (٣٠٨).

(٣) الدعاء للطبراني ٢/ ١١٤٤ (٧٥٠).

(٤) في كلا النسختين: «ثنا ابن عباد»، وهو خطأ، والتصويب من نتائج الأفكار، والدعاء للطبراني.

قال ابن حجر: هذا حديث غريب، وعبد الله بن زُرير صدوق، وأبوه ـ بزاي وراء مصغر ـ، وابن هبيرة اسمه عبيد الله صدوق أيضاً، وابن لهيعة اسمه عبد الله وهو صدوق ضعف من قبل حفظه، ويحيى الراوي من أقرانه وهو ضعيف، وعباد صدوق أخرج عنه البخاري لكنه منسوب إلى الرفض). انتهى[1].

قلت: لعل نسبة القنوت المذكور إلى عمر لمداومته على قراءته له في القنوت، فقد ورد عنه ذلك في عدة روايات.

وبالسند إلى البيهقي[2]: أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن [أبي] عمرو قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا أسيد بن عاصم، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفيان وهو الثوري، ثني ابن جريج عن عطاء، عن عبيد بن عمير: أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ.

اللَّهُمَّ الْعَنِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَائِكَ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ وَزَلْزِلْ بِهِمُ الأَرْضَ وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لاَ تَرُدُّهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلاَ نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخْشَى عَذَابَكَ إِنَّ عَذَابَكَ / بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ».

قال شيخ الإسلام ابن حجر: (هذا موقوف صحيح، أخرجه محمد بن

---

(١) نتائج الأفكار، لابن حجر ٢/ ١٦٠.

(٢) البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١٠، ورواه ابن أبي شيبة ٢/ ٣١٤.

نصر[١] عن إسحاق بن إبراهيم، عن محمد بن بكر والنضر بن شُمَيل كلاهما عن ابن جريج، وزاد بهذا السند إلى ابن جريج حكمة البسملة فيه وأنهما سورتان في مصحف بعض الصحابة.

وبسند آخر إلى أُبَـيٍّ بن كعب: أنه كان يقنت بالسورتين فذكرهما، وأنه كان يكتبهما في مصحفه[٢].

وبه إلى البيهقي[٣]: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن الوليد، أخبرني أبـي، ثنا الأوزاعي، حدثني عبدة بن أبـي لبابة[٤] عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه قال: صليت خلف عمر رضي الله عنه الصبح فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ قَبْلَ الرُّكُوعِ: «**اللَّـٰهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ**. . »، فذكره كما عند النووي في الأذكار، لكن قدم وأخر وانتهى إلى قوله: «**وَنَخْلَعُ مَنْ يَكْفُرُكَ**»، وإسناده صحيح.

والجمع بينه وبين ما قبله: أن عمر رضي الله عنه كان يقنت تارة قبل الركوع وأخرى بعده؛ قال البيهقي: من روى عنه بعد الركوع كان أكثر عدداً.

وأخرج عبد الرزاق[٥] بسند حسن عن أبـي رافع الصائغ واسمه نفيع، قال: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ الصُّبْحَ فَقَنَتَ بَعْدَ الرَّكْعَةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: اللَّـٰهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ**»، فذكره بطوله وفيه: «**اللَّـٰهُمَّ عَذِّبِ الْكَفَرَةَ وَأَلْقِ فِي قُلُوبِهِمُ**

---

(١) مختصر قيام الليل للمقريزي ص ٢٣١ ــ ٢٣٢.

(٢) نحوه عن أبـي عند ابن أبـي شيبة في المصنف ٢/ ١٠٦ (٧٠٣٠).

(٣) البيهقي في الكبرى ٢/ ٢١١، والطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٢٤ (١٠٩٩)، وقال البيهقي: «كذا قال قبل الركوع، وهو وإن كان إسناداً صحيحاً فمن روى عن عمر بعد القنوت أكثر. . . والعدد أولى بالحفظ من الواحد، وفي حسن سياق عبيد بن عمير دلالة على حفظه وحفظ من حفظ عنه».

(٤) تصحف في « ظ » إلى: «لبانة».

(٥) المصنف ٣/ ١١٠ (٤٩٦٨)، ورواه أيضاً البيهقي في الصغرى ١/ ٢٧٨ (٤٥٦).

الرُّعْبَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رِجْسَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّـهُمَّ عَذِّبِ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ»، إلى آخره). انتهى[1].

وقال في الروضة[2]: (ولفظ القنوت هو ما تقدم في قنوت الصبح يعني: «**اللَّـهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ**. . .) إلخ، واستحب الأصحاب أن يضم إليه قنوت عمر: «**اللَّـهُمَّ [إِنَّا]**[3] **نَسْتَعِينُكَ**» إلى قوله: «**مُلْحِقْ، اللَّـهُمَّ عَذِّبْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ، اللَّـهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَاجْعَلْ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَالْحِكْمَةَ وَثَبِّتْهُمْ عَلَى مِلَّةِ رَسُولِكَ وَأَوْزِعْهُمْ أَنْ يُوفُوا بِعَهْدِكَ الَّذِي عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ إِلـهَ الْخَلْقِ وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ**».

قال: وهل الأفضل أن يقدم قنوت عمر على قنوت الصبح أو يؤخره؟ وجهان:

قال الروياني: يقدمه عليه، وعليه العمل. ونقل القاضي أبو الطيب عن شيوخهم تأخيره[4]؛ لأن قنوت الصبح ثابت في الوتر عن النبي ﷺ، وينبغي أن يقول: «**اللَّـهُمَّ عَذِّبِ الْكَفَرَةَ**» للحاجة إلى التعميم في زماننا، والله أعلم.

قال الروياني: قال ابن القاص[5]: يزيد في القنوت: «**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا**» إلى آخر السورة، واستحسنه). انتهى[6].

* * *

(١) نتائج الأفكار لابن حجر ٢/ ١٦١.

(٢) روضة الطالبين للنووي ١/ ٤٣٣ (ط عالم الكتب).

(٣) زيادة من «ب».

(٤) هنا أسقط المؤلف عبارة للنووي في الروضة ١/ ٤٣٢ (ط عالم الكتب): «قلت: الأصح تأخيره». والجملة بعدها تعليل لها.

(٥) تصحف في «ظ» إلى: «العاص»، وهو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري الشافعي، شيخ الشافعية بطبرستان (ت٣٣٥هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٥٩.

(٦) بحر المذهب للروياني ٢/ ٣٨٢، ونقله الرافعي في العزيز ٢/ ١٢٨.

فصل

وحكم **الجهر بالقنوت** في الوتر ورفع اليدين، وغير ذلك، من استحباب الصلاة على النبي ﷺ فيه، والسجود لتركه، ونحوها، على ما قرروه في قنوت الصبح.

ويستحب لمن أوتر بثلاث أن يقرأ بعد الفاتحة في الأولى / بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾، وفي الثانية بـ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾، والثالثة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ مرة، والمعوذتين[1].

فرع:

قال في الروضة: (إن أوتر بركعة قنت، وإن أوتر بأكثر قنت في الأخيرة). انتهى[2].

وهكذا ذكره في قنوت رمضان، والظاهر أن قنوت السنة كذلك إذا قلنا باستحبابه.

[محل القنوت في الوتر]:

ثم قال: (وفي موضع القنوت من الوتر أوجه: **أصحها**: بعد الركوع، ونص عليه في حرملة[3]. **والثاني**: قبل الركوع، قاله ابن سريج. **والثالث**: يخير بينهما.

---

(١) روضة الطالبين للنووي ١/ ٣٣٢.

(٢) روضة الطالبين للنووي ١/ ٤٣٢ (ط عالم الكتب).

(٣) يعني سنن حرملة بن يحيى أبي عبد الله التجيبي المصري تلميذ الشافعي المتوفى سنة (٢٤٣هـ).

وإذا قدمه فالأصح أن يقنت بلا تكبير. والوجه الثاني: يكبر بعد القراءة ثم يقنت). انتهى[1]. وهذا الوجه موافق لمذهب الحنفية، لكن الحنفية لم يجوِّزوا في الوتر إلَّا الثلاث موصولة[2]، وسيأتي عندنا الخلاف فيه بعد فصلين.

فـرع:

قال النووي في التحقيق[3]: (ويستحب القنوت في النصف الثاني من رمضان نص عليه، ويقال: كل رمضان. ويقال: كل السنة وهو المختار.

وإن تركه في الوتر حيث نستحبه أو قنت حيث لا نستحبه سجد للسهو، وقيل: يندب كل السنة ولا يسجد لتركه). انتهى.

وأشار بقوله: «وإن تركه» إلى آخره بعد قوله: «وهو المختار» إلى أنا إذا استحببناه كل السنة سجد لتركه. وأشار لضعف مقابله بـ «قيل». والذي يعتمده المتأخرون خلافه.

والمعتمد ما في التحقيق، فقد قال في خطبته: «وما وجدتَه فيه في حكمٍ، أو خلاف غريب، أو ترجيح خلافِ ما في بعض الكتب المشهورة، فاعتمدْه؛ فهو محقق معتمد إن شاء الله تعالى، فإني لا أفعل ذلك إلَّا بعد البحث التام وجمع متفرقات كلام الأصحاب». انتهى[4].

* * *

(١) روضة الطالبين للنووي ١/ ٤٣٢ (ط عالم الكتب)، وينظر: العزيز للرافعي ٢/ ١٢٨.

(٢) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ١/ ٢٢٥.

(٣) التحقيق في الفقه للنووي مخطوط (ص ١١٧ ــ ١١٨).

(٤) التحقيق في الفقه للنووي مخطوط (ل/ ٣ ب).

فصل[1]

[تعيين وقت الوتر]

في وقت الوتر وجهان:

الصحيح من حين يصلي العشاء إلى طلوع الفجر، فإن أوتر قبل فعل العشاء لم يصح وتره سواء تعمد أو سها، ولو ظن أنه صلى العشاء أو صلاها ظاناً أنه متطهر ثم أحدث فتوضأ وصلى الوتر ثم بان أنه كان محدثاً في العشاء فوتره باطل.

والوجه الثاني: يدخل وقته بدخول وقت العشاء وله أن يصليه قبلها على هذا الوجه، ولو صلى العشاء ثم أوتر بركعة قبل أن يتنفل صح وتره على الصحيح.

وقيل: لا يصح حتى يتقدمه نافلة، وإذا لم يصح وتراً كان تطوعاً. قاله إمام الحرمين.

قال في الروضة: وينبغي أن يكون على الخلاف فيمن صلى الظهر قبل الزوال تبطل صلاته أم تكون نفلاً؟

والمستحب أن يكون الوتر آخر صلاة الليل إن كان له تهجد، فإن لم يكن له تهجد فينبغي أن يوتر بعد فريضة العشاء وراتبتها ليكون وتره آخر صلاة الليل.

---

(1) هذا الفصل بتمامه من: روضة الطالبين للنووي ١/ ٣٢٩ (ط المكتب الإسلامي).

قال في الروضة: (هذا التفصيل قاله العراقيون.

وقال إمام الحرمين والغزالي: اختار الشافعي رضي الله عنه تقديم الوتر فيجوز أن يحتمل نفلهما على من لا يعتاد قيام الليل، ويجوز أن / يحمل على اختلاف قول أو وجه.

والأمر فيه قريب وكلٌّ سائغ). انتهى.

وإذا أوتر قبل النوم ثم قام وتهجد لم يُعِدِ الوتر على الصحيح المعروف لقوله ﷺ: «لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ»[1].

وفي وجه شاذ يصلي في أول قيامه ركعة يشفعه ثم يتهجد بما شاء ثم يوتر ثانياً، ويسمى هذا: نقض الوتر.

والصحيح المنصوص في الأم والمختصر أن الوتر يسمى تهجداً إذا صلَّىٰ بعد النوم وغير الوتر غير التهجد[2].

* * *

---

(١) رواه أبو داود ٢/ ١٤٠ (١٤٣٩)، والنسائي في المجتبى ٣/ ٢٥٥ (١٦٧٨)، وفي الكبرى ٢/ ١٥١ (٣٩٢)، والترمذي ٢/ ٣٣٣ (٤٧٠)، والطيالسي ٢/ ٤٢٠ (١٠٩١)، وابن سعد في الطبقات ٨/ ١١٣ (٢٦٠٨)، وأحمد ٤/ ٢٣ = ٢٦/ ٢١٧ (١٦٢٨٩)، وص ٢٢٢ (١٢٦٩٦)، وابن أبي حاتم في العلل ١/ ٤٦٨ (٥٥٣)، والطحاوي في معاني الآثار ١/ ٣٤٢، وابن خزيمة ١/ ٥٤٧ (١١٠١)، وابن حبان ٦/ ٢٠١ (٢٤٤٩)، والطبراني في الكبير ٨/ ٤٠٠ (٨٢٤٧)، والبيهقي في الكبرى ٣/ ٣٦، والضياء في المختار ٨/ ١٥٦ (١٦٦ ــ ١٦٧).

والحديث حسنه الترمذي، وصححه أحمد شاكر والشيخ الألباني في صحيح أبي داود ٥/ ١٨٤ (١٢٩٣)، وصحيح الجامع ٢/ ١٢٥٦ (٧٥٦٧).

(٢) العبارة في النسختين كذا غير مستقيمة، وفي الروضة: «وقيل: الوتر غير التهجد». وراجع: المجموع للنووي ٣/ ٥٠٩.

فصل

[أقل الوتر وأكثره]

(يحصل الوتر بركعة وما فوقها من الأوتار إلى أحد عشر ركعة وهو أكثره على الأصح من الوجهين.

والوجه الثاني أن أكثره ثلاثة عشر، ولا تجوز الزيادة على أكثره على الأصح، فإن زاد لم يصح وتره.

ثم إن زاد على ركعة بأن أوتر بثلاث فأكثر موصولة فالصحيح أن له أن يتشهد تشهداً واحداً في الأخيرة، وله أن يتشهد [تشهداً][1] آخر في التي قبلها، وفي وجه لا يجوز الاقتصار على تشهد واحد، وفي وجه لا يجوز لمن أوتر بثلاث أن يتشهد تشهدين بتسليمة، فإن فعله بطلت صلاته، بل يقتصر على تشهد واحد، أو يسلم في التشهدين، وهذان الوجهان منكران)، قاله في الروضة[2].

قال: (والصواب جواز ذلك [كله][3].

ولكن هل الأفضل تشهُّد أو تشهُّدان؟ فيه أوجه: أرجحها عند الروياني: تشهُّد. والثاني: تشهُّدان. والثالث: هما في الفضيلة سواء. فإن زاد على

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) روضة الطالبين للنووي ١/٣٢٨.

(٣) زيادة من «ب».

تشهدين وجلس في كل ركعتين واقتصر على تسليمة واحدة، فالصحيح أنه لا يجوز لأنه خلاف المنقول، والثاني يجوز كنافلة كثيرة الركعات.

* أما إذا أراد الإيتار بثلاث ركعات فهل الأفضل فصلها بسلامين أم وصلها بسلام؟ فيه أوجه: أصحها الفصل أفضل. والثاني الوصل. والثالث إن كان منفرداً فالفصل، وإن صلاها بجماعة [فالوصل][1]. والرابع عكسه.

* وهل الثلاث الموصولة أفضل من ركعة فردة؟ فيه أوجه: الصحيح أن الثلاث أفضل. والثاني الفردة أفضل. قال في الروضة: قال إمام الحرمين في النهاية: وغلا هذا القائل، فقال: الفردة أفضل من إحدى عشرة ركعة موصولة. والوجه الثالث: إن كان منفرداً فالفردة أفضل، وإن كان إماماً فالثلاث الموصولة.

خاتمة

[استحباب الجماعة في الوتر بعد التراويح]

إذا استحببنا الجماعة في التراويح تستحب الجماعة أيضاً في الوتر بتبعيتها فيها وإن لم يصل التراويح.

وأما في غير رمضان فالمذهب أنه لا يستحب فيه الجماعة.

وقيل في استحبابها فيه وجهان مطلقاً في جميع السنة حكاه أبو الفضل ابن عبدان)[2].

وبالله التوفيق

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

آمين

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) روضة الطالبين للنووي ١/ ٤٣٢ وراجع: المجموع له ٣/ ٥٠٩.

وقد فرغ من تنميقها محمد سعيد بن حسين القرشي الكوكبـي النقشبندي ليلة الجمعة في المحرم الحرام سنة (١٠٨٨هـ) في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين[1].

* * *

---

(١) فرغ من مقابلته وتصحيحه في ليلة الجمعة ٢٨ من ذي الحجة سنة (١٤٢٤هـ) بالمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
وقد يسَّر الله تعالى قراءتها في لقاء العشر الأواخر على شيخنا العلامة نظام محمد صالح يعقوبـي شيخ الشافعية في البحرين، وكتب طباق السماع بخطه، وهذا نص ما كتب حفظه الله:
«الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فقد قرأ عليَّ الشيخ العربـي الدائز الفرياطي هذا الجزء وهو السنا والسنوت في معرفة ما يتعلق بالقنوت، تأليف العلامة البرزنجي رحمه الله تعالى من أوله إلى آخره في مجلس واحد بعد عصر يوم الثلاثاء ٢٣ رمضان المبارك (١٤٢٤هـ)، وفرغ من قراءته قبيل أذان المغرب وذلك بصحن المسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة وبحضور الفضلاء العلماء الشيخ محمد بن ناصر العجمي، والدكتور عبد الله المحارب والشيخ فهد المشرف، وفَّقهم الله جميعاً لما يحبه ويرضاه، وصح وثبت والحمد لله، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، كتبه خادم العلم نظام يعقوبـي بالمسجد الحرام تجاه الكعبة المشرفة».



الفهارس

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

* * *

٢ ـ أطراف الأحاديث

* * *

٣ ـ أطراف الآثار

طرف الأثر	الصفحة

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ●

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٦٤)

صَوْبُ الغَمَامَةِ
فِي إِرْسَالِ طَرَفِ العِمَامَةِ

للشيخ الإمام كمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي الشافعي
(ت ٩٠٥ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ للَّهِ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه.

وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أما بعد:

فإن علماءنا الكرام كانوا على إيمانٍ عظيم، ودينٍ متين، وتقوَى لله تعالىٰ صادقة، أتبعوا القول بالعمل، وصدّقت ظواهرُهم بواطنَهم، فلهذا تجدهم يعظِّمون كل ما كان من شرع الله أو يتعلق بدينه، فيبحثون في كل مسألة من ذلك: صغيرةً كانت أو كبيرة، واجبةً أم مستحبّةً، ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

ورسالتنا التي ننشرها اليومَ هي من هذا القبيل، فهي تبين مدىٰ الحرص على بيان الحُكْم والاستدلال لمسألة تتعلق بجزئية من الجزئيات، وذلك في

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٢.

لباس العِمامة، ألا وهي: إرسال عَذَبة العِمامة، أي طَرَفها، وكيف يكون هذا الإرسال؟ وإلى أي حدّ؟

وعنوان هذه الرسالة:

صَوْبُ الغَمامة[1] في إرسال طَرَفِ العِمامَة[2]

وهي للشيخ الإمام: كمال الدين، محمد بن أبـي شريف المقدسي الشافعي، المتوفى سنة (٩٠٥هـ)، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة.

وقد قمت بتخريج الأحاديث التي أوردها المؤلف رحمه الله وبيان درجتها، والتعليقِ على ما يحتاج إلى تعليق، كما أني ترجمت للمؤلف.

وقد اعتمدت في تحقيقي لهذه الرسالة على نسخة في المكتبة الخاصة لعلامة الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالىٰ، وهي لدى حفيده الشيخ محمد سعيد القاسمي، وتقع في (٣) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٣) سطراً، وهي بخطٍّ فارسي جميل، وفيها بعض الأخطاء نبهت عليها في محلِّها.

ولا أنسى أن أشكر أخي الكريم الشيخ محمد بن ناصر العجمي الذي لا تزال أياديه البيضاءُ تترى عَلَيّ في اختياره وتوفيره للمخطوطات، فجزاه الله تعالىٰ خير ما يجازي به عبادَه الصالحين.

---

(١) الصَّوْب: الانصباب ونزول المطر. انظر: «القاموس المحيط» (ص ١٣٦).
والغمامة: السحابة.

(٢) العِمامة: هي ما يُلَفُّ على الرأس. «القاموس المحيط» (ص ١٤٧٣)، و «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٢٩).
وانظر: «المصباح المنير» (٢/ ٤٣٠).

في ذِكرِ مسائلَ مهمةٍ تتعلق بلُبْسِ العِمامة

ولمَّا كانت هناك أمور أخرى مهمةٌ تتعلق بلُبْس العِمامة سوى مسألة إرسال طَرَفِها، فإني أذكرها الآنَ مختصَرةً، لتعمَّ الفائدة لمن اطلع على هذه الرسالة اللطيفة.

المسألة الأولى: حكم لُبْس العِمامة من حيثُ الاستحبابُ أو الإباحة:

لا بد من الإشارة ـ أولاً ـ إلى أنّ أفعال النبي ﷺ تنقسم إلى أقسام، منها:

١ ـ ما لا يتعلق بالعبادات، ووَضَحَ فيه أمر الجِبِلَّة: كالقيام والقعود ونحوهما.

فهذا ليس فيه تأسٍّ عند الجمهور، ولكنه يدل على الإباحة. ونُقل عن قومٍ أنه مندوب.

٢ ـ ما واظب عليه النبي ﷺ على وجه مخصوص: كما في أمور الأكل والشرب واللبس والنوم.

فهذا القسم يعتبر فوق القسم السابق الذي ظهر فيه أمر الجِبِلَّة، ودون القسم الذي يظهر فيه أمر القربة. وهذا إذا لم يثبت إلَّا مجرد الفعل، فأما إذا ثبت منه ﷺ الإرشاد إلى بعض الهيئات ـ كما ثبت في بعض هيئات الأكل والشرب واللبس والنوم ـ فهذا خارج عن هذا القسم[1].

وللعلماء في حكم هذا القسم ـ الذي لم يثبت فيه إلَّا مجرد الفعل ـ قولان:

(أ) أنه ليس بتشريع، فلا يندب؛ رجوعاً إلى الأصل الذي هو عدم التشريع، وهو قول للشافعي.

---

(١) والراجح أنه مندوب فعلُه.

(ب) أنه تشريع، فهو مندوب، أخذاً بالظاهر. وهو ـ أيضاً ـ قول للشافعي، وحكاه الأستاذ أبو إسحاق عن أكثر المحَدثين، ورجحه الشوكاني.

والذي يترجح لي ـ والله تعالىٰ أعلم ـ : هو أنه ليس بتشريع؛ لعدم قيام الدليل عليه، فمثلُ هذه الأمور مِن أكل ولبسٍ ونحوهما يشترك في فعلها ـ بمقتضى الجِبِلّة ـ المسلمُ والكافر، والصالحَ والفاسق، ولا دليلَ على السُنِّية والندب.

ولهذا، فإن لُبْسَ العِمامة ـ مثلاً ـ كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، وهكذا لمّا جاء الإسلام استمر الناس على لُبسها كما هي عادتهم من قبل، فليس في مجرد لُبس النبـي ﷺ لها دليلٌ على الندب.

ولكنّ البحثَ يجب أن يكون في الأدلة الأخرى: هل هناك ما يدل على ندب أو فضيلة لُبْس العِمامة أوْ لا؟

الأحاديث الواردة في فضل العِمامة:

الحقيقة أنَّ جميع الأحاديث الصريحة المروية في فضل العِمامة ليس فيها حديثٌ واحد يثبت لذاته؛ وإنما هي إما ضعيفة أو موضوعة.

قال العلامة المباركفوري رحمه الله، في «تحفة الأحوذي»[1]: «لم أجد في فضل العِمامة حديثاً مرفوعاً صحيحاً، وكل ما جاء فيه فهي إما ضعيفةٌ أو موضوعة». اهـ.

وقد ذكر جملةً كثيرةً منها السخاوي في «المقاصد الحسنة»[2]، ثم قال: «وبعضه أوهى من بعض». اهـ.

---

(١) (٥/٤١٤).

(٢) (ص ٢٩١).

ومن هذه الأحاديث:

ــ عن أبـي المَلِيح بن أسامة، عن أبيه، رفعه: «اعتمّوا تزدادوا حِلماً» أخرجه الطبراني.

وأخرجه البزار من طريق أبـي المَلِيح، عن ابن عباس مرفوعاً، به.

قال البزار ــ بعد إخراجه ــ: «لا نعلم له طريقاً عن ابن عباس إلاَّ هذا، واختُلف فيه عن أبـي المَلِيح: فرواه عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبـي حميد، عن أبـي المَلِيح، عن أبيه، وإنما أتى الاختلاف من عبيد الله؛ لأنه لم يكن حافظاً». اهـ[(١)].

وقال الهيثمي: «رواه البزار والطبراني، وفيه عبيد الله بن أبـي حميد، وهو متروك...». اهـ[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «وضعفه البخاري، وقد صححه الحاكم فلم يُصب». اهـ[(٣)].

وضعّفه ــ أيضاً ــ السخاوي في «المقاصد الحسنة»[(٤)].

فالحديث إسناده ضعيفٌ جداً.

ــ وعن ركانة، رفعه: «فرق ما بيننا وبين المشركين: العمائم على القلانس»، أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: «حديثٌ غريب، وإسناده ليس بالقائم، ولا نعرف أبا الحسن العسقلاني ولا ابن ركانة». اهـ.

---

(١) «كشف الأستار» (٣/ ٣٦٢).

(٢) «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٩).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٢٧٣).

(٤) (ص ٢٩١).

وضعّفه ـ أيضاً ـ السخاوي في «المقاصد الحسنة»[١].

ولكن:

قد رُوي في عدة أحاديث تعمُّمُ الملائكة، وهي في هذا المقدار من الدلالة حسنة لغيرها، وصح كذلك حيثُ تعميم النبـي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف وقولُه له: «هكذا يا ابن عوف فاعتمّ؛ فإنه أعرب وأحسن»، مما يشعر بفضل العِمامة على غيرها.

ولهذا فإن العلماء لا تجد لهم كلاماً في الاختلاف في استحباب التعمُّم، وإنما كلامهم في صفة العِمامة وكيفيتها.

قال مالك رحمه الله: «لا ينبغي أن تترك العمائم، ولقد اعتممت وما في وجهي شعرة»[٢].

وحكى ابن عبد البَرّ رحمه الله، عن عَلِـيٍّ رضي الله عنه أنه قال: «تمام جمال المرأة في خفها، وتمام جمال الرجل في عِمّته»[٣].

وممـن نَـصَّ علـى استحبـاب لُبْـس العِمـامـة: الإمـام الشـوكـانـي رحمه الله[٤].

المسألة الثانية: في مدى اشتراط التحنيك في العِمامة الشرعية:

١ ـ ذهب المالكية والحنابلة ـ وهو قول للشافعية ـ إلى أن من شرط العِمامة الشرعية: أن تكون محنّكةَ، أي أن يُجعلَ منها شيءٌ تحت الحَنَك.

---

(١) (ص ٢٩١).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق».

(٣) انظر: «الآداب الشرعية»، لابن مفلح (٣/ ٣٥٤).

(٤) انظر: «نيل الأوطار» (٢/ ١٠٦).

فأما غير المحنكة فهي مكروهة؛ وذلك لأنها مِن زِيِّ الأعاجم وأهل الذمة، لا مِن زِيِّ العرب والمسلمين[1].

ورُوِي ذلك عن جماعة من السلف[2].

قال الإمام مالك رحمه الله: «أدركت في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآلـه وسلَّم سبعين محنَّكاً، وإن أحدهم لو ائتُمِن على بيت المال لكان به أميناً»[3].

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي عن ترك التحنيك: «وهو بدعةٌ منكرة، وقد شاعت في بلاد المسلمين»[4].

وذكر الإمام ابن قدامة رحمه الله: أن صفة عمائم المسلمين ــ التي هي عمائم العرب ــ أن يكون تحت الحنك منها شيء[5].

وقد رُوِي في الحديث: أنه ﷺ أمر بالتلحّي ونهى عن الاقتعاط.

قال ابن الأثير: «التلحّي: هو جعلُ بعض العِمامة تحت الحَنَك، والاقتعاط: أن لا يَجعل تحت حَنَكِه منها شيئاً». اهـ[6].

ومِن فوائـد التحنيـك للعمامـة: أنـه يدفـع عـن العنـق الحـرّ والبرد،

---

(١) انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربـي المالكي (٧/ ٢٤٣)، و «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٣٥٢)، و «المغني» لابن قدامة (١/ ٣٨١)، و «فيض القدير» للمُنَاوي (٥/ ٢٤٧).

(٢) ذكـره الإمـام أبـو بـكـر الطـرطـوشـي كمـا فـي «الآداب الشـرعيـة» لابـن مفلـح (٣/ ٣٥٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: «المغني» (١/ ٣٨١).

(٦) انظر: «النهاية» (٤/ ٨٨)، ٢٤٣، و «غريب الحديث» لأبـي عبيد (٣/ ١٢٠).

وأنه أثبت للعِمامة ولا سيما للركوب[1].

٢ ــ وذهب الشافعية ــ في الأرجح عندهم ــ إلى عدم نَدْب التحنيك في العِمامة[2].

ويَظهر ــ والله أعلم ــ أن هذا القول هو الأظهر، وأن الأمر سيان؛ وأن الكل كان يفعله المسمون والعرب؛ فقد أخرج ابن أبي شيبة[3] ــ بإسناد حسن ــ عن سليمان بن أبي عبد الله[4]، قال: «أدركت المهاجرين الأولين يعتمون بعمائم كرابيس[5]: سودٍ وبيضٍ وحُمْرٍ وخُضْرٍ وصُفر، يضع أحدُهم العِمامةَ على رأسه، ويضع القَلَنسُوةَ فوقها، ثم يدير العِمامة هكذا على كَوْره، لا يُخرجها من تحت ذَقَنه».

المسألة الثالثة: لُبْس العِمامة بدون القَلَنسُوة:

القلنْسُوة: هي الطاقية[6]، وهي مختلفة الأنواع والأشكال[7].

ــ وقد ذهب بعض أهل العلم ــ كبعض الشافعية[8]ــ إلى أن العِمامة تُلبس بالقَلَنْسُوة وبدونها.

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية»، لابن مفلح (٣/ ٣٥٢).
(٢) انظر: «فيض القدير» للمُناوي (٥/ ٢٤٧).
(٣) «المصنف» (٨/ ٢٤١).
(٤) قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٢٥٢): «مقبول». وهو يعني أنه ليِّن الحديث إلَّا عند المتابعة، لكن لمّا كان يتحدث عن رؤيته نفسه ولأمرٍ عامٍّ ومتكررٍ كهذا، فإن روايته تقبل فيه، والله أعلم.
(٥) جمع كِرْباس، وهو القطن. «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٦١).
(٦) انظر: «المغني» لابن قدامة (١/ ٣٨٣). وهي على وزن «فَعَنْلُوَة» كما في «المصباح المنير» (٢/ ٥١٣).
(٧) «المعجم الوسيط» (٢/ ٧٥٤) ــ قلس.
(٨) انظر: «فيض القدير» للمُناوي (٥/ ٢٤٧).

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان [أي الرسول ﷺ] يَلبسها [أي العِمامة] ويَلبَس تحتها القَلَنسُوة، وكان يلبس القلنسوة بغير عِمامة، ويلبس العِمامة بغير قلنسوة». هـ[1].

وعن ابن عباس مرفوعاً: «كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم، ويلبس العمائم بغير قلانس...» الحديث، أخرجه الروياني في «مسنده» وابن عساكر في «تاريخه»، وضعفه السيوطي في «الجامع الصغير»[2].

ــ وذهب بعض العلماء ــ كابن العربي المالكي[3] ــ إلى أن السنَّة لُبْسُ العِمامة مع القَلَنسوة؛ لحديث: «فرق ما بيننا وبين المشركين: العمائم على القلانس»، لكنه حديثٌ ضعيفٌ كما سبق بيانه[4].

فالراجح هو مشروعية لُبسها بالحالين على حسب ما يتيسر.

المسألة الرابعة: في لون العِمامة:

* الذي نُقِل عن النبي ﷺ في خصوص العِمامة هو لونان:

اللون الأسود: كما في «صحيح مسلم»[5]، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عِمامةٌ سوداءُ بغير إحرام».

وفي «صحيح مسلم»[6] ــ أيضاً ــ من حديث عمرِو بن حريث

---

(١) «زاد المعاد» (١/ ١٣٥).

(٢) (٥/ ٢٤٦) ــ مع «فيض القدير».

(٣) انظر: «عارضة الأحوذي» (٧/ ٢٤٤).

(٤) انظر: (ص ٧).

(٥) (٢/ ٩٩٠).

(٦) المصدر السابق، وسيذكر المصنف رحمه الله هذا الحديث برواية أخرى في رسالته في (ص ٣٧).

رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ خطب الناس وعليه عِمامةٌ سوداء».

٢ ـ **اللون الأصفر**: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «. . . وأما الصُّفْرة؛ فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها» متفق عليه(١).

وفي رواية أبي داود(٢) ـ وهي صحيحة الإسناد كما قال الألباني رحمه الله(٣) ـ عن زيد بن أسلم: «أن ابن عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلىء ثيابُه من الصفرة، فقيل له: لم تصبغ بالصفرة؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، ولم يكن شيءٌ أحبَّ إليه منها، وقد كان يصبغ بها ثيابه كلها حتى عِمامتَه».

* **وأما البياض**: فقد جاءت الأحاديث التي تحثّ على لُبس البياض عموماً، كحديث سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: «البَسوا الثياب البَياض؛ فإنها أطهر(٤) وأطيب، وكفِّنوا فيها موتاكم»، أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وصححه، والحاكم وصححه أيضاً ووافقه الذهبي(٥).

فلهذا يُستحب لُبْسُ العِمامة البيضاء.

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٢٦٨)، (١٠/ ٣٠٨)، و «صحيح مسلم» (٢/ ٨٤٤).

(٢) «سنن أبي داود» (٣٤٢٩).

(٣) «صحيح أبي داود» (٤٠٦٤).

(٤) لأنه يلوح فيها أدنى وسخ فيُزال، بخلاف سائر الألوان. «حاشية السندي على النسائي» (٨/ ٢٠٥)، ونحوه في «نيل الأوطار» (٢/ ٩٤).

(٥) «مسند أحمد» (٥/ ١٠، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١)، و «سنن الترمذي» (٢٨١٠)، و «سنن النسائي» (٤/ ٣٤) (٨/ ٢٠٥)، و «سنن ابن ماجه» (٣٥٦٧)، و «مستدرك الحاكم» (٤/ ١٨٥).

* **وأما الأخضر**: فقد ثبت أن النبي ﷺ لبِس بُردين أخضرين[1]، ورُوي عنه أنه كان أحبَّ الألوان إليه الخُضْرة، لكنّه لا يثبت[2].

قال الشوكاني رحمه الله: «... لأنه لباس أهل الجنة، وهو ـ أيضاً ـ من أنفع الألوان للأبصار ومِن أجملها في أعين الناظرين». اهـ[3].

وقد أخرج ابن أبي شيبة ـ بإسناد حسن، كما سبق ـ عن سليمان بن أبي عبد الله، قال: «أدركت المهاجرين الأولين يعتمون بعمائم كرابيس: سودٍ وبيضٍ وحُمْرٍ وخُضْرٍ وصُفر...» الأثر.

ولعله يعني باللون الأحمر: غيرَ الخالص، وإنما هو مخلوط بلونٍ آخَرَ معه، أو أراد غيرَ المشبَع بالحُمْرة؛ فإنه قد جاءت أحاديثُ في النهي عن الأحمر القاني واختلف العلماء فيه[4]، والله تعالى أعلم.

والحاصل: أن الذي ورد الحثُّ والترغيب في لُبسه هو الأبيض، فهو الذي يمكن أن يقال فيه: يُسن أن تكون العِمامة بيضاء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي ـ وحسّنه ـ (٢٨١٢)، والنسائي (٨/ ٢٠٤)، من حديث أبي رِمثةَ التيمي، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٣٤٣٠).

(٢) رُوي من وجهين، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، أخرج أحدَهما: البزار (٢٩٤٣) ـ «كشف الأستار» ـ وهو ضعيف جدّاً؛ فيه إسحاق بن إدريس، وهو الأسواري البصري، ضعيف جدّاً، بل قال عنه يحيى بن معين: كذاب يضع الحديث. «ميزان الاعتدال» (١/ ١٨٤). وفيه ـ أيضاً ـ سُويد أبو حاتم، وهو صدوق سيِّء الحفظ له أغلاط، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٦٠). والوجه الآخر: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٠٢٧) (٥٧٣١)، وفيه سعيد بن بشير، وهو الأزدي، ضعيفٌ كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٣٤).

(٣) «نيل الأوطار» (٢/ ٩٥).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (١/ ١٣٧ ـ ١٣٩)، و «نيل الأوطار» (٢/ ٨٧، ٩٤).

وأما اللون الأصفر، فإن ما جاء في حديث ابن عمر مِن محبته ﷺ له، فقد يكون حُبّاً جِبِلِّيّاً، فلا يثبت بمجرد ذلك السُنِّية التي هي استحباب الشيء شرعاً لذاته، لكن من لبس ذلك بقصد التشبه بلباس النبي ﷺ فهو مأجور على نيّة الائتساء.

وأما ما ورد عن النبي ﷺ من لُبْسِ العِمامة السوداء، فهو يدل على تأكد الأصل الذي هو جواز لبسها، ولعَل نقْل الصحابة لها لقلة فعلها، بخلاف البيضاء؛ إذ هي الأصل، وقد جاء الترغيب في لبس البياض.

وأما الخضراء، فلم تُنقَل في العِمامة مطلقاً، وغاية ما نُقِل فيه يدل على تأكد المشروعية كما قيل في السوداء، وكونه لباسَ أهل الجنة لا يدل على السنية في الدنيا، والله تعالى أعلم.

وبعد ذكر هذه المسائل، تبقى مسألة المؤلف رحمه الله تعالى التي بحثها في رسالته هذه، وهي في إرسال طرف العِمامة، نسأل الله تعالى التوفيق والهداية والسداد.



ترجمة المؤلف(١)

اسمه ونسبه:

هو: شيخ الإسلام، كمال الدين، أبو المعالي، محمد بن الأمير ناصر الدين محمد ابن أبي بكر بن علي بن أبي شريف مسعود بن رضوان المُرِّي، المعروف بابن أبي شريف، المقدسي الشافعي، سبط قاضي القضاة شهاب الدين أحمد العميري المالكي الشهير بابن عوجان.

---

(١) ترجمته في: «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، للقاضي مجير الدِّين أبي اليمن عبد الرحمن العليمي الحنبلي (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٨٣) ـ ط مكتبة المحتسب ـ عمَّان، الأردن ـ ١٩٧٣م، و «الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٦٤ ـ ٦٧)، و «نظم العقيان» للسيوطي (ص ١٥٩، ١٦٠)، و «كشف الظنون» (١/ ١٩٣، ٧٤٩، ٢/ ١٢١٨)، و «الكواكب السائرة» لنجم الدِّين الغزِّي (١/ ١١ ـ ١٣)، و «شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٨/ ٢٩، ٣٠)، و «البدر الطالع» للشوكاني (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤)، و «طَرَب الأماثل بتراجم الأفاضل» للإمام اللكنوي (ص ١٠٣، ١٠٤) ـ مطبوع ضمن مجموعة رسائل اللكنوي ـ اعتنى بإخراجها نعيم أشرف نور أحمد ـ إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ـ كراتشي ـ، و «إيضاح المكنون» لإسماعيل باشا البغدادي (٢/ ١٥٥)، و «هدية العارفين» (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣).

مولده ونشأته:

ولد ليلةَ السبت، خامسَ ذي الحجة سنة (٨٢٢هـ) بالقدس الشريف، ونشأ بها في كنف أبيه في عفة وصيانة، وتقوى وديانة، وحفظ القرآن الكريم، وحفظ الشاطبية و «المنهاج» للنووي، وعرضهما على شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، وقاضي القضاة محب الدين ابن نصر الله الحنبلي، وشيخ الإسلام سعد الدين الديري الحنفي، وشيخ الإسلام عزّ الدِّين المقدسي في سنة (٨٣٩هـ).

ثم برع في جمع الفنون: فحفظ ألفية ابن مالك وألفية الحديث، وقرأ القرآن بالروايات ــ عدا حمزة والكسائي ــ على أبي القاسم النويري، وقرأ عليه في عدة فنون وأذن له بالتدريس فيها سنة (٨٤٤هـ).

وتفقه على العلامة الشيخ زين الدِّين ماهر، والشيخ عماد الدين ابن شرف، وحضر عند الشيخ شهاب الدين بن أرسلان، ورحل إلى القاهرة سنة (٨٤٤هـ)، وأخذ عن علمائها ومنهم ابن حجر وكتب له إجازة وصفه فيها بالفاضل البارع الأوحد، وأخذ فيها كذلك عن ابن الهمام صاحب «فتح القدير». وسمع الحديث على ابن حجر والشيخ زين الدين الزركشي الحنبلي وغيرهما.

وحج سنة (٨٥٣هـ)، فسمع الحديث بالمدينة على المحب الطبري وغيره، وبمكة على أبي الفتح المراغي وغيره، وأفتى ودرّس مِن سنة (٨٤٦هـ) في حياة شيخه ماهر الذي كان يرشد الطلبة للقراءة عليه حين ترك هو الإقراء.

وفوّض إليه السلطان مشيخة المدرسة الصلاحية سنة (٨٧٦هـ).

قال في «الأنس الجليل»[1]: «وباشر تدريس الصلاحية والنظر عليها

(١) (٢/ ٣٧٩).

مباشرَ حسنةً، وعمّرها وأوقافها، وشدد على الفقهاء وحثهم على الاشتغال، وعمل بها الدروس العظيمة، فكان يدرِّس فيها أربعة أيام في الأسبوع فقهاً وتفسيراً وأصولاً وخلافاً، وأملى فيها مجالس من الأحاديث الواقعة في مختصر المزَني، واستمر بها أكثر من سنتين». اهـ.

وتردد إلى القاهرة مرات ودرّس فيها، ثم في سنة (٨٨١هـ) توجه إليها فاستوطنها فانتفع به أهلها، وارتفعت كلمته عند السلطان.

وتوفي والده الأمير ناصر الدين محمد سنة (٨٧٩هـ) عن ست وثمانين سنة.

وفي سنة (٨٩٠هـ) ورد مرسوم سلطاني برجوعه إلى القدس الشريف وتعيينه لمشيخة مدرسة السلطان المستجدة هناك، التي انتهت عمارتها وقدّر الله تعالى وفاة الشيخ شهاب الدين العميري قبل تقرير أمرها وترتيب وظائفها، فعاد إليها، ثم تولّى بها ـ أيضاً ـ مدارس أخرى كالمدرسة الجوهرية.

وفي سنة (٩٠٠هـ) ورد عليه مرسوم بأن يكون متكلماً على الخانقاه[1] الصلاحية بالقدس الشريف، ينظر في أمرها وعمل مصالحها.

منزلته وعلمه وفضله:

قال السخاوي رحمه الله: «وبالجملة، فهو علاَّمةٌ، متين التحقيق، حَسَنُ الفكر والتأمل فيما ينظره ويَقْرب عهدُه به، وكتابته أمتن من تقريره،

---

(١) أصل الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية، معرَّبةٌ، حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة. ذكره في شرح «القاموس المحيط»، كما في حاشية «القاموس» (ص ١١٣٨) ـ خنق ـ ط ١ لمؤسسة الرسالة ـ ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م.

ورَوِيَّتُهُ أحسن من بديهته، مع وضاءته وتأنيه وضبطه، وقلة كلامه وعدمِ ذكره للناس». اهـ[1].

وقال عنه تلميذه أبو اليمن الحنبلي: «هو شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، حافظ العصر والزمان، بركة الأمة، علاَّمة الأئمة. . . الإمام الحبر الهمام، العالم العلامة الرحلة القدوة، المجتهد العمدة». اهـ[2].

وقال ــ أيضاً ــ: «ولم يزل حاله في ازدياد، وعلمه في اجتهاد، فصار نادرة وقته، وأعجوبة زمانه، إماماً في العلوم، محقِّقاً لما ينقله. . .»[3].

وقال ــ أيضاً ــ: «وأما سَمْتُه وهيبته فمن العجائب في الأبهة والنورانية، رؤيته تذكِّر السلف الصالح، ومن رآه علم أنه من العلماء العاملين؛ برؤية شكله وإن لم يكن يعرفه.

وأما خطّه وعبارته في الفتوى فنهايةٌ في الحُسْن.

وبالجملة فمحاسنه أكثر من أن تُحْصر، وأشهر من أن تُذكر، وهوأعظم من أن ينبه مثلي على فضله، ولو ذكرت حقه في الترجمة لطال الفصل؛ فإن مناقبه وذِكْرَ مشايخه يحْتمل الإفراد بالتأليف، والمراد هنا الاختصار»[4].

ووصفه ابن العماد الحنبلي بقوله: «الشيخ الإمام شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام». اهـ[5].

---

(١) «الضوء اللامع» (٩/ ٦٦).

(٢) «الأنس الجليل» (٢/ ٣٧٧، ٣٧٨).

(٣) «الأنس الجليل» (٢/ ٣٧٩).

(٤) «الأنس الجليل» (٢/ ٣٨١).

(٥) «الشذرات» (٨/ ٢٩).

وقال اللَّكنوي: «ولم يزل حاله في ازدياد حتى صار أعجوبة زمانه وفردَ أوانه»[1].

وقال ــ أيضاً ــ تلميذه أبو اليمن عن شيخه لمّا تولى مدرسة السلطان في القدس سنة (٨٩٠هـ):

«وحصل للمدرسة المشار إليها وللأرض المقدسة ــ بل ولسائر مملكة الإسلام ــ الجمال والهيبة والوقار بقدومه، وانتظم أمر الفقهاء وحكام الشريعة المطهرة بوجوده وبركة علومه، ونَشَرَ الأمر بالمعروف ونَهَى عن المنكر، وازداد شأنه تعظيماً وعلت كلمته، ونفذت أوامره عند السلطان فمَن دونه.

وبرزت إليه المراسيم الشريفة في كل وقت بما يحدث من الوقائع والنظر في أحوال الرعية، وتُرْجم فيها بالجنابِ العالي شيخِ الإسلام، ووقع له ما لم يقع لغيره ممن تقدمه من العلماء الأكابر، وبقي صدر المجالس وطراز المحافل، المرجعُ في القول إليه، والعويل في الأمور كلها عليه.

وقلده أهل المذهب كلِّها، وقُبلت فتواه على مذهبه ومذهب غيره، ووردت الفتاوى إليه من مصر والشام وحلب وغيرها، وبَعُدَ صِيتُه، وانتشرت مصنفاته في سائر الأقطار، وصار حجةً بين الأنام في سائر ممالك الإسلام».

قال تلميذه أبو اليمن: «ومن أعظم محاسنه التي شُكِرت له في الدنيا ويرفع الله بها درجاته في الآخرة: ما فعله في القبة المستجدة عند دير صهيون وقيامه في هدمها، بعد أن صارت كنيسةً محْدثةً في دار الإسلام في بيت الله

---

(١) «طَرَب الأماثل» (٥/١٠٣، ١٠٤).

المقدس، وقيامه في منع النصارى من انتزاع القبور المجاورة لدير صهيون المشهور أنّ به قبر سيدنا داود عليه السلام بعد بقائه في أيدي المسلمين مدةً طويلةً، وبنى قبلةً فيه لجهة الكعبة المشرفة، كما تقدم ذكر ذلك مفصَّلاً في حوادث سنة خمسٍ وسنة ست وتسعين وثمانمائة.

وغير ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيامه على حكام الشرطة ومنعهم من الظلم ومواجهتهم بالكلام الزاجر لهم»[١].

تلاميذه:

من أشهر تلاميذه: أبو اليمن، القاضي مجير الدين عبد الرحمن العليمي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ)، صاحب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، الذي ختم كتابه هذا سنة (٩٠١هـ) بترجمة شيخه الكمال.

قال أبو اليمن: «وقد عرضتُ عليه ــ في حياة الوالد رحمه الله ــ قطعةً من كتاب «المقنع» في الفقه على مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، ثم عرضت عليه مرةً ثانيةً ما حفظت بعد العرض الأول، وأجازني في شهور سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة، وحضرت بعض مجالسه من الدروس والإملاء بالمدرسة الصلاحية، وحضرت كثيراً من مجالسه بالمسجد الأقصى الشريف قبل رحلته إلى القاهرة المحروسة، وبعد قدومه إلى بيت المقدس، وحصلت الإجازةُ منه غير مرةٍ خاصةً وعامةً». اهـ[٢].

مصنفاته:

من تصانيفه:

١ ــ إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى. قال اللكنوي:

---

(١) «الأنس الجليل» (٢/ ٣٨٠، ٣٨١).

(٢) «الأنس الجليل» (٢/ ٣٨٢).

«ألّفها سنة (٨٧٥هـ)»[١].

٢ ـ «الإسعاد بشرح الإرشاد[٢]»، في الفقه.

٣ ـ «التاج والإكليل على أنوار التنزيل»، للبيضاوي، وهو قطعة ليس بكامل.

٤ ـ «الدرر اللوامع بتحرير جمع الجوامع»، للسبكي، في الأصول.

٥ ـ شرح الشفا للقاضي عياض، قطعة منه.

٦ ـ شرحٌ على البخاري.

٧ ـ شرحٌ على «صفوة الزُّبَد»[٣].

٨ ـ شرح على مختصر التنبيه، لابن النقيب.

٩ ـ شرحٌ على المنهاج.

١٠ ـ «صَوْب الغمامة في إرسال طرف العِمامة»[٤]، وهو رسالتنا هذه.

١١ ـ «فتاواه».

١٢ ـ «الفرائد في حل شرح العقائد»، للنسفي.

١٣ ـ «المسامرة في شرح المسايرة[٥]»، في العقائد المنجية.

---

(١) «طرب الأماثل» (ص ١٠٣).

(٢) «الإرشاد» هو لابن المقري اليمني المتوفى سنة (٨٣٧هـ).

(٣) «صفوة الزُّبد» في فقه الشافعية، لشيخه أحمد بن رسلان.

(٤) وقد ذكرها للمؤلف ـ أيضاً ـ من ضمن مصنفاته حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٠٨٣)، وإسماعيل باشا في «هدية العارفين» (٢/ ٢٢٢)، واللكنوي في «طرب الأماثل» (ص ١٠٣)، بل هو أول ما عَرَّفَ به اللكنويُّ مما له من الكتب.

(٥) «المسايرة» لابن الهمام الحنفي.

شعره:

كان رحمه الله ينظم الشعر.

قال السخاوي: «ومما كتبته من نظمه: قوله يخاطب الكمال ابن البارزي:

يا من اكتست المعالي رفعةً ... مُذْ حازها فغدت لأكرم حائزِ

ما للحسودِ إلى كمالك مرتقًى ... كم بين ذاك وبينه من حاجزِ

هل يستطيع معاندٌ أو حاسدٌ ... إبداءَ نقصٍ في الكمال البارزِ»[1]

ومِن شعره ـ أيضاً ـ ما ذكره تلميذه أبو اليمن[2] أنه سمع منه بدرب القدس الشريف حين عَوْده من غزة في ذي القعدة سنة (٩٠٠هـ) بعد غيبةٍ طويلةٍ عن بيت المقدس، فأنشد فيه ـ وقد أجازه بروايتهما عنه ـ:

أحيّي بقاعَ القدس ما هبّت الصَّبا ... فتلك رباع الأنس في زمن الصِّبا

وما زلتُ مِن شوقي إليها مواصلاً ... سلامي على تلك المعاهد والرُّبَى

قال الغزي: «واشتهر من شعره: في المواضع التي تباح فيها الغيبة:

القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلِّمٍ ومعرِّفٍ ومحذِّرِ

ولمُظهرٍ فسقاً ومُسْتفتٍ ومَن ... طلب الإِعانةَ في إزالة منكَرِ[3]

وفاته:

توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الأولى عن أخويه شيخ الإِسلام البرهاني والعلامة جلال الدِّين، وكان ذلك سنة (٩٠٦هـ) كما ذكر في «الكواكب السائرة» و «الشذرات» و «البدر الطالع».

---

(١) «الضوء اللامع» ٩/ ٦٧.

(٢) «الأنس الجليل» ٢/ ٣٨٢.

(٣) «الكواكب السائرة» ١/ ١٢.

وفي «كشف الظنون» ــ في موضعين ــ وفي «هدية العارفين»: أنه مات سنة (٩٠٥هـ)، وفي موضع في «كشف الظنون» ــ وفي «إيضاح المكنون»: أنه (٩٠٣هـ).

نسأل الله تعالى أن يرحم المصنف رحمةً واسعةً، وأن يسكنه فسيح جنّاته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

وهذا أوان الشروع في الرسالة المحققة، نسأل الله تعالى الإخلاصَ والسدادَ والقَبول، إنه خير مسؤول.

* * *

كتاب
(صوب الغمامة، في إرسال طرف العمامة)
تأليف
الشيخ الإمام العالم العلامة كمال الدين محمد ابن أبي شريف
المقدسي الشافعي رحمه الله تعالى
آمين

صورة صفحة العنوان من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منح خلاصة خلقه اخلاص السرائر، ووفقهم للوقوف عند
الاوامر والزواجر، والبسهم من لباس الاداب السنية السنية ما جمل
الباطن والظاهر، والصلاة والسلام على السيد الكامل الفاتح الخاتم الماحي الحاشر،
محمد المؤيد بالمعجزات البواهر وبعد فلما انعم الله تعالى بمحبة السادة الذين
جعل افئدتهم مشارق انواره، وسرائرهم معادن اسراره، ووفقني سبحانه وتعالى
لتطلب الادلة على ما حلاهم به من الاداب، حتى وفقني بفضله على ماخذها
من السنة والكتاب، وفتح لي في بعض الاداب الباطنة من الادلة القواطع،
والبراهين السواطع، ما يبهر الالباب، ويجوز تامله صيب الصواب، وكان
من اداب اللباس ظاهرا ارسال طرف العمامة وهي المسمى (بالعذبة) فدار
الكلام بيني وبين بعض الاخوان الذين لهم خدمة للسنة الشريفة في ماخذه
واصله، واتيان الدليل عليه عند اهله، فاقتضى ذلك ان اذكر في هذه
[illegible] ما وقفت عليه في هذا المعنى من الاحاديث الشريفة النبوية،
[illegible]لي ذلك شيئا مما يتعلق به من المسائل الفقهية، فعقدت لذلك
فصلين وقلت سائلا التوفيق، والهداية لاقوم طريق، الفصل الاول
فيما وقفت عليه من الاحاديث النبوية في هذا المعنى. واقدم قبل ذلك ان
ارخاء طرف العمامة من سيما الملائكة المسومين، الذين امد الله تعالى بهم
نبيه والمؤمنين، يوم بدر وقيل يوم احد فقد ذكر البغوي وغيره في تفسير
قوله تعالى ﴿بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين﴾ ان السومة بضم السين السيما
وهو العلامة ونقول عن امام المفسرين علي بن ابي طالب وحبر
الامة عبد الله بن عباس انهما قالا كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم قال ابن اسحق حدثني من لا اتهم عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث

عن

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

عن عبد الله بن عباس قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد ارسلوها
على ظهورهم قال ابن هشام حدثني بعض اهل العلم عن علي بن ابي طالب
قال العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد
ارخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء وقد نقل البغوي
وغيره عن هشام بن عروة والكلبي انها كانت عمائم صفر مرخاة على اكتافهم
وقد فسر بعضهم سيما الملائكة بغير ذلك وسياتي في الاحاديث ما يؤيد تفسير
سيماهم بالعمائم ونقول وبالله التوفيق الحديث الاول حديث ابن عمر رضي
الله عنهما رواه الترمذي من رواية عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه قال عبد الله ورايت
القاسم وسالما يفعلان ذلك قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن غريب
الحديث الثاني حديث عمرو بن حريث رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه رواه ابو داود
بهذا اللفظ من حديث جعفر بن عمرو بن حريث عن ابيه ورواه النسائي ايضا ولفظه
عن جعفر بن عمرو بن امية عن ابيه قال كاني انظر الساعة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه ورواه ابن ماجه
بهذا اللفظ الا انه لم يقل الساعة الحديث الثالث حديث عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي
رواه ابو داود من رواية سليمان بن خربوذ ثنا شيخ من اهل المدينة قال
سمعت عبد الرحمن بن عوف يقول عممني فذكره وهذا الحديث وان كان في اسناده
من لم يسم الا ان ابا داود سكت عليه ومن شرطه ان ما سكت عليه فهو صالح الحديث الرابع
حديث عائشة رضي الله عنها قالت عمم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن
عوف وارخى له اربع اصابع وقال اني لما صعدت الى السماء رايت اكثر الملائكة
معتمين رواه الطبراني في الاوسط لكن في اسناده مقدام بن داود وشيخ الطبراني

صورة الصفحة الثانية من المخطوطة

عمامته أو نحو ذلك فهو مكروه باتفاق العلماء وهي كراهة تنزيهية انتهى فقوله أو نحوه
شمله يتناول كف العذبة فالظاهر أنه مكروه وأن النهي في حديث الصحيحين يتناوله،
ولنقتصر على هذا القدر راغبين إلى الله تعالى أن يختم لنا بالحسنى وأن يوفر حظنا
من الخيرات بالمقر الأسنى بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين والحمد لله رب العالمين،
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

تمت على يد الحقير
حامد بن محمد
الأديب التقي في ذي القعدة سنة ١٣٢٣

قوبلت بأصلها في مجلس ضحوة
الأربعاء ٢٣ ذي القعدة الحرام
سنة ١٣٢٣ وكتبه
جمال الدين القاسمي
عفي عنه

بلاغ
صح

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة



لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٦٤)



للشيخ الإمام كمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي الشافعي
(ت ٩٠٥ هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق
الدكتور عبد الرؤوف بن محمد الكمالي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰهِ الذي منح خلاصة خلقه إخلاص السرائر، ووفّقهم للوقوف عند الأوامر والزواجر، وألبَسهم مِن لباس الآداب السَّنِيّةِ السُّنِّيّةِ ما جَمَّل الباطن و الظاهر.

والصَّلاة والسَّلامُ على السيِّد الكامل[1]، الفاتح الخاتم، الماحي الحاشر[2]، محمدٍ المؤيَّدِ بالمعجزات البواهر.

وبعد:

فلما أنعم الله تعالىٰ بمحبة السادة الذين جعل أفئدتَهم مشارق أنواره، وسرائرَهم معادن أسراره، وفّقني ـ سبحانه وتعالى ـ لِتطلُّبِ

---

(١) المراد بالكمال هنا: النسبي، أي بالنسبة إلى غيره من البشر، فهو ﷺ الكامل في الصفات والأخلاق.

(٢) عن جبير بن مُطعم رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو اللّٰهُ بِيَ الكفر، وأنا الحاشر الذي تُحشَر الناسُ على قدمي، وأنا العاقب»، أخرجه البخاري (٦/ ٥٥٤) (٨/ ٦٤١)، ومسلم (٤/ ١٨٢٨).
وقوله: «على قدمي»: أي على أثري، أي أنه يُحشَر قبل الناس. وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى: «يحشر الناس على عقبي» [وهي متفق عليها]. «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧)، وقوله: «وأنا العاقب»: جاء في رواية لمسلم (٤/ ١٨٢٨) زيادة: «الذي ليس بعده نبي».

الأدلة على ما حلّاهم به من الآداب، حتى وفقني بفضله على مآخذها من السنَّة والكتاب، وفتح لي في بعض الآداب الباطنة من الأدلة القواطع، والبراهين السواطع، ما يَبْهَرُ الألباب، ويجود متأملَه صيِّبُ الصواب[1].

وكان من آداب اللباس ظاهراً: إرسالُ طرف العِمامة، وهو[2] المسمى بالعَذَبة، فدار الكلامُ بيني وبين بعض الإخوان الذين لهم خدمةٌ للسنَّة الشريفة، في مآخذِهِ وأصله[3]، وإتيانِ الدليل عليه عند أهله.

فاقتضىٰ ذلك أن أذكر في هذه الأوراق ما وُقِف عليه في هذا المعنى من الأحاديث الشريفة النبوية، مضيفاً على ذلك شيئاً مما يتعلّق به من المسائل الفقهية.

فعقدتُ لذلك فصلين، وقلت ــ سائلاً التوفيق، والهدايةَ لأقوم طريق ــ :

الفصل الأول

فيما وقفت عليه من الأحاديث النبوية في هذا المعنى

وأُقدِّم قبل ذلك أن إرخاء طرف العِمامة من سِيْما الملائكة المسوِّمين، الذين أمدَّ الله تعالى بهم نبيَّه والمؤمنين يومَ بدرٍ، وقيل: يومَ أُحُد.

---

(١) أصل الصَّيب: المطر، كما في قوله تعالى ــ في سورة البقرة: الآية ١٩ ــ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٥٢٧).
والظاهر أنَّ مراد المؤلف رحمه الله: التشبيه.

(٢) في الأصل: «وهي»، والسياق يقتضي ما أثبتُّه.

(٣) أي في مآخذ الحكم في المسألة وأصل الحكم.

فقد ذكر البغوي وغيرُه في تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ[1] هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[2]: أن السُّومةَ ــ بضم السين ــ السِّيما، وهو العلاَمة[3].

---

(١) أي: إن يأتيكم المشركون من ساعتهم هذه، يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر عن ذلك. انظر: «تفسير النسفي» (١/ ٢٨٨)، و «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٥٧٠).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» للبغوي (١/ ٢٧٣) ــ ط دار الكتب العلمية ــ ط ١ ــ ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م، و «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٤).
وقد قرىء «مسومين» بقراءتين:
الأولى: «مسوِّمين» بكسر الواو، اسم فاعل، وهي قراءة أبـي عمرو وابن كثير وعاصم.
قال القرطبـي: «أي قد أعلموا أنفسهم بعلامة، وأعلموا خيلهم». «تفسير القرطبـي» (٢/ ١٩٦). واختلفوا في هذه العلامة على أقوال:
منها: أنَّ الملائكة اعتمَّت بعمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم. رُوي عن عليّ وابن عبّاس، وحُكي عن الزجّاج.
ومنها: أنهم كانوا على خيلٍ بُلْق (أي فيها سواد وبياض). وقيل: كانت السيما في نواصي خيلهم.
قال القرطبـي: «ذكر البيهقي عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه قال: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ بين السماء والأرض معلَّمين، يقتلون ويأسرون». فقوله: «معلَّمين»، دل على أنَّ الخيل البُلْق ليست السِّيما، والله أعلم». اهـ.
ومما قيل في تفسير «مسوِّمين»: ما ذكره البيهقي عن الربيع بن أنس قال: كان الناس يومُ بدرٍ يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم: بضربٍ فوق الأعناق، وعلى البَنَان مثل سِمَة النار قد أُحرق به.
القراءة الثانية: «مسوَّمين» بفتح الواو، اسم مفعول، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي ونافع. =

ونَقَلَ عن إمام المفسرين ــ عليِّ بن أبـي طالب ــ وحَبْرِ الأمة ــ عبدِ الله بن عباس ــ أنهما قالا: «كانت عليهم عمائمُ بِيضٌ قد أرسلوها بين أكتافهم».

قال ابن إسحاق[1]: حدثني من لا أتّهم، عن مِقْسَم ــ مولى عبد الله بن الحارث ــ عن عبد الله بن عباس، قال: «كانت سِيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضاً[2] قد أرسلوها على ظهورهم»[3].

قال ابن هشام[4]: حدثني بعض أهل العلم، عن علي بن أبـي طالب، قال: «العمائم تيجان العرب، وكانت سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضاً[5] قد أرخوها على ظهورهم، إلاَّ جبريل؛ فإنه كان عليه عِمامةٌ صفراء».

= قال القرطبي: «أي معلَّمين بعلامات». اهـ. «تفسير القرطبـي» (٢/ ١٩٦).
ويأتي في هذه القراءة ما سبق من المعنين الأولين في «مسوِّمين». وقال ابن فُورك ــ وذكره المهدوي في «مسوَّمين» ــ بالفتح ــ: أي أرسلهم الله تعالى على الكفار.
قال القرطبـي (٢/ ١٩٦): «وقال كثير من المفسرين: «مسوِّمين»: أي مرسلين خيلَهم في الغارة». اهـ. وهذا ظاهر ما أخذ به الشوكاني في تفسير هذه الكلمة.
انظر: «فتح القدير» (١/ ٥٧٠)، وقال ــ أيضاً ــ (١/ ٥٧٢): «وفي بيان التسويم عن السلف اختلافٌ كثير لا يتعلق به كثيرُ فائدة». اهـ.

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٣٣).

(٢) في الأصل: «عمائمُ بيض»، والمثبَت من ابن هشام.

(٣) وفي إسناده مبهم كما ترى، فهو ضعيف. قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٩٥): «ثم رواه [يعني ابن إسحاق] عن الحسن بن عُمارة، عن الحكم، عن مِقسَم، عن ابن عباس، فذكر نحوه». اهـ. والحسن بن عُمارة متروك، كما قال أحمد ومسلم والدارقطني وجماعة. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٥١٤).

(٤) «السيرة النبوية» (٢/ ٦٣٣).

(٥) في الأصل: «عمائم بيض»، والمثبَت من ابن هشام.

وقد نقل البغوي وغيره عن هشام بن عروة [و]الكلبي[1]: أنها كانت عمائمَ صفراء، مرخاةً على أكتافهم[2].

وقد فسَّر بعضهم سِيما الملائكة بغير ذلك[3].

وسيأتي في الأحاديث ما يؤيد تفسير سيماهم بالعمائم.

فنقول ــ وبالله التوفيق ــ :

الحديث الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه الترمذي[4]، من رواية عبيد الله بن عمر[5]، عن نافع، عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ

(١) الكلبي هذا: هو محمد بن السائب، النسّابة المفسّر، توفِّي سنة (١٤٦هـ)، وهو متَّهم بالكذب، ورُمِي بالرَّفض، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٤٧٩)، وليس هو الكلبي المفسِّر المتأخِّر المتوفَّى سنة (٧٤١هـ)؛ فإنَّ هذا محمد بن أحمد ابن جزي، المالكي، صاحب القوانين الفقهية.

(٢) فقد أخرج ابن جرير في «تفسيره» (٣/٤٢٨) ــ ط دار الكتب العلمية (١) ــ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن هشام بن عروة قال: «نزلت الملائكةُ يومَ بدر على خيل بُلْق، عليهم عمائم صفر، وكان على الزبير يومئذٍ عمامةٌ صفراء»، وإسناده حسن. وكذلك أخرجه ابن جرير (٣/٤٢٨) من طريق هشام بن عروة، عن عباد بن حمزة بنحوه في الجملتين الأخيرتين، وأخرجه ــ أيضاً ــ (٣/٤٢٨) من طريق هشام، عن عروة، عن عبد الله بن الزبير بنحوه.
وقد أخرج ابن جرير ــ أيضاً ــ (٣/٤٢٧)، عن الزبير بن المنذر، عن جده أبي أُسَيد ــ وكان بدرياً ــ فكان يقول: «لو أن بَصَري فُرِّج منه، ثم ذهبتم معي إلى أُحد، لأخبرتكم بالشِّعب الذي خرجت منه الملائكة في عمائمَ صفرٍ قد طرحوها بين أكتافهم»، والزبير بن المنذر مستور، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢١٤).

(٣) وقد تقدَّم بيانه قريباً في الحاشية.

(٤) «سنن الترمذي» (١٧٣٦).

(٥) في الأصل: «عبد الله»، والتصويب من الترمذي.

إذا اعتمَّ سدَلَ عِمامته[1] بين كتفيه[2]». قال عبيد الله[3]: ورأيت القاسم[4] وسالماً[5] يفعلان ذلك.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريب[6].

---

(١) أي أرسل طرفها. «تحفة الأحوذي» (٥/ ٤١١).

(٢) قال الشوكاني رحمه الله: «والحديث ـ أيضاً ـ يدل على استحباب إرخاء العِمامة بين الكتفين». اهـ. «نيل الأوطار» (٢/ ١٠٦، ١٠٧)، وكذا قال أبو الطيب آبادي في «عون المعبود» (١١/ ١٢٨)، والمباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٥/ ٤١١).

(٣) في الأصل: «عبد الله»، والتصويب من الترمذي.

(٤) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق، أبو محمد، أحد الفقهاء بالمدينة، قال أيُّوب: ما رأيت أفضلَ منه. وقال ابن سعد: كان ثقة رفيعاً، عالماً فقهياً، إماماً ورعاً، كثير الحديث. اهـ. مات سنة ست ومائة على الصحيح كما قال الحافظ ابن حجر. انظر: «تقريب التهذيب» (ص ٤٥١)، و «تهذيب التهذيب» (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥).

(٥) في الأصل: «سلمان»، والتصويب من الترمذي.
وسالم: هو ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٦) هكذا هو في نسخة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ من سنن الترمذي (٤/ ١٩٨)، وفي نسخة تحفة الأحوذي (٥/ ٤١٢) ـ ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ومكتبة ابن تيمية بالقاهرة ـ : «هذا حديث غريب»، وعليه شرح المباركفوري حيث قال ـ (٥/ ٤١٥) ـ : «لم يحكم الترمذي على هذا الحديث بشيء من الصحة والضعف، والظاهر أنه حسن». اهـ. بل الإسناد ضعيف؛ فيه يحيى بن محمد المدني، قال البخاري: «يتكلمون فيه»، وذكره ابن حبان في الثقات»، وقال: «يُغرب»، انظر: «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٧٤)، ولذا قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ٥٩٦): «صدوق يخطىء». وفي الإسناد ـ أيضاً ـ عبد العزيز بن محمد وهو الدَّراوردي، عن عبيد الله بن عمر، قال في «التقريب» (ص ٣٥٨) عن عبد العزيز: «صدوق، كان يحدث من كتب غيره فيخطىء. قال النسائي: حديثه عن عبيد الله العمري منكر». اهـ.

الحديث الثاني: حديث عَمرِو بن حريث[1] رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عِمامةٌ سوداءُ قد أرخى طَرَفها بين كتفيه»، رواه أبو داود[2] بهذا اللفظ، من حديث جعفر بن عمرِو بن حريث، عن أبيه.

ورواه النسائي[3] ــ أيضاً ــ ولفظه: عن جعفر بن عمرو بن أمية[4]، عن أبيه، قال: «كأني أنظر الساعة إلى رسول الله ﷺ على المنبر، وعليه عمامةٌ سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه».

ورواه ابن ماجه[5] بهذا اللفظ، إلاَّ أنه لم يقل: «الساعة».

---

(١) هو: أبو سعيد عمرو بن حريث بن عمرو المخزومي القرشي. له ولأبيه صحبة. وقد جاء ما يدل على أنه كان في زمن النبي ﷺ رجلاً وليس صغيراً. روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وغيرهم من الصحابة، وروى عن أخيه سعيد بن حريث وله صحبة. ولي إمرة الكوفة نيابة لزياد ولابنه عبيد الله بن زياد. مات سنة (٨٥هـ). انظر: «الإصابة» (٢/ ٥٢٤)، و «تهذيب التهذيب» (٨/ ١٨).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٠٧٧) ــ ط دار الفكر ــ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وإسناده حسن، وصححه في «عون المعبود» (١١/ ١٣٠).
(تنبيه): الحديث قد أخرجه مسلم في صحيحه ــ في كتاب الحج ــ باب جواز دخول مكة بغير إحرام (٢/ ٩٩٠)، من طريق جعفر بن عمرو بن حريث، عن أبيه، وعنده: «طرفيها» بدلاً من «طرفها».

(٣) سنن النسائي (٨/ ٢١١).

(٤) جعفر بن عمرو بن أمية: ثقة، كما في «تقريب التهذيب» (ص ١٤٠)، وقد رواه النسائي من طريق أبي أسامة عن مساوِر الورّاق، عن جعفر هذا، عن أبيه به. ويَظهر أن هذا وهم، وأن الصواب: جعفر بن عمرو بن حريث، كما هو عند مسلم وأبي داود من طريق أبي أسامة ــ أيضاً ــ عن جعفر به. وكذلك هو عند ابن ماجه (٣٥٨٤) من طريق سفيان، عن مساور به.

(٥) «سنن ابن ماجه» (٣٥٨٤).

الحديث الثالث: حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «عمَّمَني رسول الله ﷺ فسدَلها بين يدَيَّ ومِنْ خَلفي[١]».

رواه أبو داود[٢]، من رواية سليمان بن خَرَّبوذ[٣]، أنبأنا شيخٌ من أهل المدينة، قال: سمعت عبد الرحمن يقول: «عمَّمَني» فذكَره.

وهذا الحديث وإن كان في إسناده من لم يُسَمَّ، إلاَّ [أَنَّ] أبا داود سكت عليه، ومِنْ شرطه أن ما سكت عليه فهو صالح[٤].

الحديث الرابع: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: عمَّم رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف، وأرخى له أربعَ أصابعَ، وقال: «إني لمّا صعِدت إلى

---

(١) أي: أرسل لِعمامتي طرفين: أحدهما على صدري، والآخَر من خلفي. «عون المعبود» (١١/ ١٣٠).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٠٧٩).

(٣) وهو مجهول، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٥٠).

(٤) ليس هذا بمسلَّم؛ فإن عبارة أبي داود رحمه الله المشهورة عن كتابه «السنن» ـ وذلك في رسالته المشهورة إلى أهل مكة ـ هي: «ما كان في كتابي هذا من حديث فيه وهن شديد بيّنته، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح». فمفهوم كلامه هذا، أنّ ما فيه وهن ليس بشديد لا يبينه، فقوله: «فهو صالح» يشمله ويشمل المحتج به. وقد رجّح هذا الفهمَ علماء محققون، منهم ابن مَنده والذهبي وابن عبد الهادي وابن كثير، والحافظ ابن حجر العسقلاني. انظر: «الباعث الحثيث» لابن كثير (ص ٣٩) ـ دار الكتب العلمية ـ ط ١، و «فيض القدير» للمُنَاوي (١/ ٢٥)، و «توضيح الأفكار» للصنعاني (١/ ١٩٦ ـ ١٩٩)، و «صحيح سنن أبي داود» للشيخ الألباني رحمه الله (١/ ١٣ ـ ١٩) ـ دار غراس ـ ط ١، و «تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة» للألباني (ص ٢٧، ٢٨).
والحاصل أنَّ الحديث ضعيف الإسناد؛ للجهالة والإبهام. وقد ضعَّفه أبو الطيب آبادي في «عون المعبود» (١١/ ١٣٠).

السماء رأيت أكثر الملائكة معتمّين»، رواه الطبراني في «الأوسط»[1]، لكن في إسناده مقدام بن داود ــ شيخ الطبراني ــ وهو ضعيف[2].

الحديث الخامس: حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ: «أن النبي ﷺ كان إذا اعتمّ أرخى عِمامته من بين يديه ومن خلفه»، رواه الطبراني في الأوسط أيضاً[3] وفي إسناده الحجاج بن رِشْدين، ضعيف[4].

الحديث السادس: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنت عاشرَ عشرةٍ في مسجد رسول الله ﷺ: أبو بكرٍ[5] وعمرُ وعثمانُ وعَلِيٌّ وابن مسعود وابن جبل[6] وحذيفة وابن عوف وأبو سعيد، فجاء فتًى من الأنصار فسلَّم ثم جلس»، فذكر الحديث إلى أن قال: «ثم أمر عبدَ الرحمن بنَ عوفٍ فتجهز لسرية فبعثه عليها، فأصبح قد اعتمَّ بعِمامةِ كرابيسَ[7] سوداءَ، فأدناه النبي ﷺ ثم نقضها، فعمَّمَه وأرسل مِن خلفه أربعَ أصابعَ أو نحوَها، ثم قال ﷺ: هكذا يا ابنَ عوفٍ فاعتمَّ؛ فإنه أعرب[8]

---

(١) (٨٩٠١).

(٢) وبه ضعّف الهيثمي الحديثَ، كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠).
لكنه قد جاء ما يشهد للحديث من تعمُّمِ الملائكة، وهو ما سيذكره المصنف من الحديث الثامن (حديث عائشة) في (ص ٤٠) والحديث التاسع (حديث أبي موسى) في (ص ٤١)، والحديث العاشر (حديث ابن عمر) في (ص ٤١).

(٣) (٣٤٤).

(٤) وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠).

(٥) «أبو بكر»: مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هُمْ.

(٦) أي: معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٧) جمع كِرْباس، وهو القطن. «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٦١).

(٨) أي أبين وأوضح. هذا هو معنى أعرب، كما في «القاموس المحيط» (ص ١٤٥) وغيره، وكأن المراد هنا: أنه أجمل، والله تعالى أعلم.

وأحسن» الحديث، رواه الطبراني في الأوسط[1] بإسناد حسن[2]، وقد روى ابن ماجه[3] طرفاً منه.

الحديث السابع: ما رواه عبد السلام ــ هو ابن أبي حازم[4] ــ قال: قلت لابن عمر: كيف كان رسول الله ﷺ يعتمّ؟ قال: يدير كَوْرَ العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه، ويرسلها بين كتفيه»، رواه الطبراني[5]، وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي: رجال إسناده رجال الصحيح، إلاَّ عبدَ السلام[6]، وهو ثقة.

الحديث الثامن: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ على بِرْذَوْنٍ[7] وعليه عِمامةٌ، [قد][8] أرخى طرفها بين كتفيه،

---

(١) (٤٦٧١).

(٢) قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠).
كما أخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٠ ــ ٥٤١)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسّنه الألباني ــ رحمه الله ــ في «السلسلة الصحيحة» (١٠٦).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٩)، وليس فيه قصة تعميم عبد الرحمن بن عوف، وهو مِن وجهٍ آخرَ غير الذي عند الطبراني والحاكم، وهو ضعيف؛ فيه ابن أبي مالك: خالد بن يزيد، قال عنه في «تقريب التهذيب» (ص ١٩١): «ضعيف مع كونه فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين». اهـ.

(٤) وابن أبي حازم، اسمه: شداد، العبدي. قال في «تقريب التهذيب» (ص ٣٥٥) عن عبد السلام هذا: «ثقة». اهـ.

(٥) لم أجده في «الكبير» كما هو ظاهر عزو المصنف رحمه الله، وقد عزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠) للأوسط، لكنني لم أجده فيه أيضاً، والله تعالى أعلم.

(٦) في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠): «خلا أبا عبد السلام»، وهو خطأ.

(٧) البِرْذَوْن: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال. «المعجم الوسيط» (١/ ٤٨).

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من المستدرك.

فسألت رسول الله ﷺ، فقال: هل رأيتِه؟ قلت: نعم، قال: ذاكِ جبريل يأمرني أن أمضي إلى بني قريظة»، رواه الحاكم في «المستدرك»[١] في كتاب اللباس.

الحديث التاسع: حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «أن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ نزل على النبي ﷺ وعليه عمامةٌ سوداءُ، قد أرخى ذُؤابته من ورائه»، رواه الطبراني[٢]، وفي إسناده عبيد الله[٣] بن تمام، وهو ضعيف[٤].

والذُّؤابة وإن اشْتَهَرَ إطلاقُها على شعر الرأس، فقد أطلقت على المتدلّي من غيره، ولعل المرادَ بها ههنا: طرف العِمامة؛ لموافقة الحديث قبله.

الحديث العاشر: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعمائم؛ فإنها سِيما الملائكة، وأَرْخوها خلف ظهوركم»، رواه الطبراني[٥].

وفي إسناده عيسى بن يونس[٦]، قال الدارقطني: ضعيف[٧]، ووثّقه

---

(١) ٤/ ١٩٤، وصححه ووافقه الذهبي، لكن في إسناده عبد الله بن عمر، وهو ابن حفص العمري، ضعيف، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٣١٤).

(٢) ليس هو في الجزء المطبوع منه.

(٣) في الأصل: «عبد الله»، وهو خطأ، والتصويب من «مجمع الزوائد» و «الميزان».

(٤) قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠). وقد ضعّف عبيدَ الله هذا: الدارقطني وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم. وذكر البخاري أن عنده عن خالد الحذّاء ويونسَ عجائب، فذكر من ذلك عن خالد هذا الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤).

(٥) «المعجم الكبير» (١٢/ ١٣٤١٨)، وعنده: «وأرخو لها» بدلاً من: «وأرخوها».

(٦) في الأصل: «علي بن يونس»، وهو خطأ، والتصويب من الطبراني ومن «مجمع الزوائد» و «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٩٦).

(٧) انظر: «فيض القدير» للمُناوي (٤/ ٣٦٥)، وفي «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠): «قال الدارقطني: مجهول». اهـ. وذكر الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» =

ابن حبان[1]. وذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة يحيى بن عثمان بن صالح المصري شيخِ الطبراني، ومع ذلك فقد وثقه[2].

وفي هذا الحديث ما تقدّمت الإِشارةُ إليه مِن الدلالة على أن سِيما الملائكة العمائمُ المرخاةُ خلف الظهور.

(تنبيه): ما ذكرناه من الأحاديث وإن كان في إسناد بعضها مَن فيه مقالٌ، فلم يُذكر إلاَّ ما يصلح لأن يكون شاهداً، أمَّا ما لا يصلح أن يكون شاهداً فَنُخْرِجه، كحديث أبي أمامة [عند][3] الطبراني[4]، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يولّي والياً حتى يعمِّمَه ويُرخيَ

= أن عيسى بن يونس، الظاهر أنه الرملي وهو ثقة، وإن الدارقطني إنما عنى بقوله: «ضعيف، رجلاً آخرَ غير الرملي».

(١) أي ذكره في كتابه «الثقات» (٨/ ٤٩٥)، لكن قال فيه: «أبو موسى. . . من أهل الرمل، ربما أخطأ». اهـ.

(٢) قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠). والذي في «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٣٩٦) إنما هو توثيق ليحيى بن عثمان وليس لعيسى بن يونس. وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في ترجمة محمد بن الفرج المصري في «الميزان» (٤/ ٤) وقال: «أتى بخبر منكَر»، وساق هذا الحديث.
وقد خالف يعقوب بن كعب ــ وهو الكلبي ــ وهو ثقةٌ محمدُ بنَ الفرج المجهول، في إسناده، فرواه عن عيسى بن يونس، عن الأحوص بن حكيم، عن خالد بن معدان، عن عبادة مرفوعاً. لكن الأحوص ضعيف، كما قاله الزّين العراقي في «شرح الترمذي»، كما في «فيض القدير» (٤/ ٣٦٥)، فهو علَّة هذه الطريق كما بيّنه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢/ ١١٩).
وممَّن ضعَّف الحديث السيوطيُّ في «الجامع الصغير» (٤/ ٣٦٥) ــ مع «الفيض»، والسخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٢٩١).

(٣) ما بين المعقوفين ساقطٌ من الأصل، والسياقُ يقتضيه.

(٤) «المعجم الكبير» (٨/ ١٧٠).

لها[1] من الجانب الأيمن نحو الأُذُن»؛ فإن في إسناده جُمَيع بن ثُوَب[2]، وهو متروك[3].

الفصل الثاني

في إيراد مسائل تتعلق بإسبال طرف العِمامة

الأولى: هو مستحَبٌ مرجَّحٌ فعلُه على تركه[4]؛ كما يُؤخذ من الأحاديث السابقة، خلافاً لمَا أوهمه كلامُ النووي مِن إباحته بمعنى استواء الطرفين.

قال الإمام النووي في «شرح المهذب»[5]: «يجوز إرسالُ العِمامة بإرسال طرفها وبغير إرساله، ولا كراهةَ في واحدٍ منهما».

---

(١) في الطبراني: «ويُرخيَ لها عذَبة».

(٢) في الأصل: «ابن موت»، وهو خطأ، والتصويب من الطبراني ومن «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٢).

(٣) قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٠، ١٢١).
وقال البخاري عنه: منكرُ الحديث. وكذا قال الدارقطني وغيره. وقال النسائي: متروك الحديث. «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٢).

(٤) وقد نَصَّ عليه ــ أيضاً ــ الحنفية والمالكية والحنابلة، انظر: «حاشية ابن عابدين» (٥/ ٤٨١)، و «جواهر الإكليل» (١/ ١١٠)، و «عارضة الأحوذي» (٧/ ٢٤٣)، و «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٣٥٢).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإرخاء الذؤابة بين الكتفين معروف في السنَّة». اهـ. «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٥٤).
ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١/ ٢٧٣ عن الإمام مالك رحمه الله، أنه قال: إنه لم ير أحداً يفعله إلاَّ عامرُ بن عبد الله بن الزبير». اهـ، وهو محجوج بما ثبت في السنَّة.

(٥) (٤/ ٣٣٩) ــ ط مكتبة الإرشاد بجدة.

وذكر معناه في «الروضة»[1] باختصار.

قال في «شرح المهذب»[2]: «ولم يصحَّ في النهي عن ترك الإرسال [شي][3] ». وذكر أنه صحَّ في الإرخاء حديثُ عمرِو بن حريث، وهو الثاني من الأحاديث السابقة[4].

هذا كلام الإمام النووي، ولم أر من تعقبه.

ويمكن أن يقال: قد أمر النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالإرسال، فقال: «هكذا فاعتمَّ يا ابن عوف»، وعلّله بأنه أعرب وأحسن، فهو مستحب وأَوْلى، وتركُه خلاف الأولى والمستحب.

والظاهر أن الإمام النووي أراد بالمكروه ما ورد فيه نهيٌ مقصود، وليس التَّركُ مكروهاً بهذا المعنى، ولا يَمتنع معه كونُ الإرسال أولى ومستحَباً.

وأما إن أراد بالمكروه ما تناول خلافَ الأَولى ـ كما هو اصطلاح متقدمي الأصوليين[5] ـ فلا نسلِّم كونَ الترك غيرَ مكروه

---

(١) (٢/ ٦٩).

(٢) (٤/ ٣٣٩).

(٣) ما بين المعقوفين من «شرح المهذَّب»، كما أنّ السياق يقتضيه.

(٤) انظر: (ص ٣٧).

(٥) وهذا الاصطلاح دقيقٌ وجميل؛ إذْ به يُعرف ما يُنكر فيه وما لا يُنكَر فيه من المكروهات؛ إذ المكروه يشمل النوعين، ولكنّ أحدَهما أخفُّ من الآخَر؛ وهو ما لم يرِد فيه نهي، وهو ما يسميه كثير من العلماء بخلاف الأولى، فهو غاية ما فيه ترك الفضيلة، بخلاف ما جاء فيه نهي وهو ليس للتحريم، فهو للكراهة ويُنكَر فعلُه وإن كان ليس في درجة إنكار المحرَّم. ولهذا، فقد حدَّ بعضُ الأصوليين المكروه بأنه: «المنهي الذي لا ذمَّ على فعله»، وهو ما نُهي عنه نهيَ تنزيه لا تحريم، فيكون تركُ ما مصلحته راجحةٌ ولم يُنه عنه: خلافَ الأولى، ولا يُسمَّى مكروهاً، وذلك كترك المندوبات، انظر في هذا: «الإحكام» للآمدي (١/ ١٢٢)، و «إرشاد الفحول» (ص ٦). =

بهذا المعنى، بل هو مكروهٌ بمعنى أنه خلافُ الأولى والمستحبِّ كما بيّناه.

المسألة الثانية:

قال الإمام النووي في «شرح المهذب»[1]: الإرسال في العِمامة كالإسبال في الثوب.

وقال في «الروضة»[2]: «حكم إطالة عَذَبتها حكم إطالة الثوب» انتهى.

وحكم إطالة الثوب ــ كما ذكر هو وغيره ــ أنَّ ما زاد عن الكعبين: إن كان للخيلاء حَرُمَ، وإن كان لا للخيلاء كُرِه[3]. وهذا في غير النساء؛ فيجوز

= وقد صرَّح الإمامُ الغزالي رحمه الله، في «إحياء علوم الدِّين» (٢/ ٥٧، ٥٨)، لمّا تكلم عن حكم عزل الرجل عن المرأة في الجماع، بأن مقصود الشافعية بالكراهة هنا: أنه خلاف الأولى فقط، قال: «والصحيح عندنا أن ذلك [أي العزل] مباح، وأما الكراهية، فإنها تطلق لنهي التحريم، ولنهي التنزيه، ولترك الفضيلة، فهو مكروه بالمعنى الثالث، أي فيه ترك فضيلة، كما يقال: يكره في المسجد أن يقعد فارغاً لا يشتغل بذكر أو صلاة، ويكره للحاضر في مكة مقيماً بها أن لا يحج كل سنة، والمراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة فقط». اهـ.

(١) انظر: «المجموع» (٤/ ٣٣٨).

(٢) (٢/ ٦٩).

(٣) انظر: «المجموع» (٣/ ١٨٢، ٤/ ٣٣٨)، و«شرح مسلم» (٢/ ١١٦، ١٤/ ٦٢، ٦٣). وأكثر العلماء على هذا التفصيل، ولكنّ الراجح خلافُه، وهو أنَّ الإسبال محرَّمٌ مطلقاً، لكن إن كان بقصد الخيلاء فهو أشد تحريماً.
وما أحسن حديثَ أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه سُئل عن الإزار فقال: على الخبير سقطتَ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إزرة المؤمن إلى أنصاف الساقين، لا جناح ــ أو لا حرج ــ عليه فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من ذلك فهو في النار، لا ينظر الله إلى من جَرَّ إزاره بطراً»، أخرجه أحمد (٣/ ٥، ٦، ٣١، ٤٤، ٥٢، ٩٧)، وأبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، وابن حبان (٥٤٤٦)، (٥٤٤٧)، (٥٤٥٠) ــ «الإحسان». =

لهن الإسبالُ ذراعاً، أي بذراع اليد، وهو شبران كما أفادته روايةُ أبي داود[1] مِن حديث ابن عمر، قال: «رَخَّص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبراً، ثم استزدن فزادهن شبراً، فكنَّ يرسلن إليها فتَذْرُع لهن ذراعاً».

فإن هذه الرواية بيّنت قدر الذراع المأذون فيه، روى الترمذي وغيره[2]: «يرخينه ذراعاً»، وهو شبران بشبر اليد المعتدلة، كما يؤخذ من هذه الرواية.

إذا تقرر حكم إطالة الثوب، فحديثُ ابن عمر الواردُ في سنن أبي داود[3] حسنٌ ـ كما قاله في «الروضة»[4] ـ: «الإسبال في القميص والإزار والعِمامة[5]، مَن جرَّ شيئاً

= وانظر في ذلك: رسالة الإمام الصنعاني رحمه الله: «استيفاء الاستدلال في تحريم الإسبال على الرجال»، وهي ضمن «لقاء العشر الأواخر» (٤١) بتحقيقي.

(١) «سنن أبي داود» (٤١١٩)، وإسنادها ضعيف؛ فيه زيد العُمّي، ضعيف، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٢٢٣).

(٢) «سنن الترمذي» (١٧٣١)، و «سنن النسائي» (٨/ ٢٠٩)، (٥٣٣٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». اهـ.

(٣) «سنن أبي داود» (٤٠٩٤)، كما أخرجه النسائي (٨/ ٢٠٨)، وابن ماجه (٣٥٧٦).

(٤) (٢/ ٦٩). وانظر: «شرح مسلم» (٢/ ١١٩)، وصححه في «المجموع» (٣/ ١٨٤)، و «شرح مسلم» (١٤/ ٦٢)، وأقرَّه وليّ الدِّين العراقي (ولد الحافظ العراقي) في «طرح التثريب» (٨/ ١٧٢).

(٥) الظاهر من هذا الحصر: أنه أراد أن الإسبال يتحقق في جميع هذه الأشياء، وليس هو محصوراً في الإزار، وعليه فلا ينحصر الإسبالُ في هذه الثلاثة، بل يدخل في كل ثوب، كما نَصَّ عليه العلماء الأعلام، منهم النوويُّ في «شرح مسلم» (٢/ ١١٦) ونقله عن الطبري، ووليُّ الدِّين العراقي في «طرح التثريب» (٨/ ١٧١)، والعيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٤)، والزرقاني في «شرح الموطأ» =

[منها][1] خيلاءَ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

وقد يُفهَم منه أن الحكم منوط بالجرِّ خيلاء[2]؛ وذلك بأن تطول إلى أن يجرَّها بالأرض[3]، وليس التحريم خاصاً بذلك كما بيّنه الإمام النووي في «فتاويه»[4]؛ فإنه[5] جعل الحكم في العذَبة منوطاً بإطالتها إطالةً فاحشة، فقال: «فإن طوّلها طُولاً فاحشاً، فهو كما لو نزل[6] عن الكعبين». انتهى. والحكم في القميص والإزار منوط بالنزول عن الكعبين وليس خاصّاً بالجرّ.

فالمناط على هذا: الإسبالُ الزائدُ على الجر المتعارف[7]، كما يؤخذ

= (٤/ ٢٧٢) وغيرهم، وانظر: تحقيقي لرسالة الصنعاني «استيفاء الاستدلال» (ص ٢٣، ٢٤).

(١) ما بين المعقوفين زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أي قد يُفهَم من حديث ابن عمر السابق أن الإسبال إنما يتحقق في العمامة بجرِّ عذَبتها خيلاء، وليس بمطلق إسبالها، وإنما يكون جَرُّها خيلاءَ إذا نزلت بالأرض.

(٣) أي وأنّ هذا الحدَّ من الجرِّ هو الذي يتصف بالخيلاء.

(٤) (ص٣٧) ـ ط دار الفكر (١) ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ بتحقيق محمود الأرنؤوط.

(٥) أي النووي رحمه الله.

(٦) في الأصل: «ترك»، والتصويب من «فتاوى النووي» (ص ٣٧).

(٧) أي وإن لم تصل إلى الأرض، بل بمجرد كون الطول في العذبة فاحشاً.
وهكذا قال بقية العلماء:
ـ فقد ذكر بعض الحنابلة: أن الذؤابة تكون متوسطةً، وبه قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٥٢).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإطالة الذؤابة كثيراً من الإسبال المنهي عنه». اهـ. «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٣٥٤). =

مـن الأحـاديـث التـي عُلِّق الـوعيـدُ فيهـا بـذلـك، كحـديـث البخـاري[1]: «مـا أسفـل مـن الكعبيـن مـن الإزار ففـي النـار»[2]، وعليـه يُحمـل الإطـلاقُ فـي حـديـث مسلـم[3]: «ثـلاثـةٌ لا يكلمهـم الله يـوم القيـامـة ولا يـزكيهـم ولهـم عـذابٌ أليـم: المسبـل[4]، والمَنّـان، والمنَفِّـق سلعتـه[5] بـالحَلِـف الكاذب».

وحديث أبـي داود[6] عن جابر بن سُلَيم[7] في وصية النبـي ﷺ له،

= ـ والمذهب عند الحنفية: أنه يُستحب إرسالُها إلى وسط الظهر. ومنهم من قـال: إلـى شبـر، ومنهـم مـن قـال: إلـى مـوضـع الجلـوس. انظـر: «حـاشيـة ابن عابدين» (٥/ ٤٨١).

ـ وذكر المالكيـة في عِمامة الميـت: أنهـا تكون قـدرَ ذراع. انـظر: «جواهـر الإكليل» (١/ ١١٠).

(١) «صحيـح البخاري» (١٠/ ٢٥٦) ـ «الفتـح» ـ مـن حديث أبـي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي: فالوعيد في الحديث معلَّقٌ على مطلق ما نزل عن الكعبين دون اشتراط جَرِّه بالأرض.

(٣) «صحيح مسلم» (١/ ١٠٢) من حديث أبـي ذَرٍّ رضي الله عنه.

(٤) أي: فقوله: «المسبِل»، مقيَّد بما سبق من أن يكون أسفل من الكعبين وإن لم يَمس الأرض.

(٥) «المنفِّـق»: بالتشديـد، مِـن النَّفـاق، وهـو ضـد الكسـاد. «النهـايـة» لابـن الأثـيـر (٥/ ٩٨).

(٦) «سنن أبـي داود» (٤٠٨٤)، وإسناده حسن.

(٧) اشتهـر بكنيتـه، وهي: أبـو جُرَيّ، لـه صحبـة، وهـو من بني أنمار بـن الهجيم بـن عمرو بن تميم.

وقد اختلف في اسمه: فقيل: جابر بن سليم، وقيل: سليم بن جابر، والأول أصح كما قال البخاري، وكذا ذكره الترمذي وابن حبان والبغوي وغيرهم. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٥٤).

ففيه: «وإياك وإسبالَ الإزار؛ فإنها من المَخيلة[1]، وإن الله لا يحب المَخيلة».

وههنا تنبيه: وهو أن العذَبة قد صارت مِن شعار الصوفية وأكابر العلماء، فإذا تَلَبَّسَ بشعارهم ظاهراً مَن ليس منهم حقيقةً بقصد التعاظم على غيره، أثِم باتخاذها بهذا القصد. وكذلك لو فُرِض اتخاذُها بهذا القصد من عالِمٍ أو صوفي، فإنه يأثم به، سواءٌ أرسلها أو لم يرسلها، طالت أم لم تطُل[2].

---

(١) أي في الغالب. انظر: «استيفاء الاستدلال» للصنعاني (ص ٥٢).

وبيانه: أن المسبل إما أن يكون غير قابلٍ للنصيحة النبوية إن علِمها، أو أنه يحتقر ـ ولو بشيء يسير ـ من لا يكون مسبلاً مثله، ويرى أن الإسبال أحسن وأفضل، فذلك كله داخل في الكبر، أعاذنا الله منه.

ولفظ: «المخيلة»: قال الحافظ ابن حجر: «بوزن عَظِيمة، وهي بمعنى الخيلاء، وهو التكبر». «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٣). وكذا ضبطه العيني في «عمدة القاري» (١٨/ ٩). وقال ابن التين: «هي بوزن مَفْعَلة، مِن: اختال، إذا تكبر». اهـ. «فتح الباري» (١٠/ ٢٥٣)، وكذا ضبطه ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٢٥٩).

(٢) إذاً، فالحرمة ـ كما يفيده كلام المؤلف رحمه الله ـ معلّقةٌ بقصد التعاظم، سواء أكانت من العالم أم من غيره.

وعلى كل حال، فإن المطلوب شرعاً من المسلم، هو أن لا يتميز عن غيره من الناس بلباس معيَّن، وإنما يكون حالُه كما كان حالُ النبي ﷺ مع أصحابه، لا يتميز عنهم لا في لباس ولا في غيره.

وفي «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٣٥٣): قال رجلٌ لإبراهيمَ النخَعي: ما ألبَس من الثياب؟ قال: ما لا يُشهرك عند العلماء، ولا يحقِّرك عند السفهاء». اهـ.

المسألة الثالثة: في كفِّ العذَبة في الصلاة:

قد ورد في الصحيحين[1] النهيُ عن كفِّ الثوب والشَّعْر في الصلاة.

قال النووي في «شرح المهذب»[2]: «وقد اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبُه مشمَّرٌ أو كُمُّه، أو رأسه معقوصٌ، أو مردودٌ شعرُه تحت عِمامته، أو نحو ذلك، فهو مكروه باتفاق العلماء، وهي كراهة تنزيهية[3]»، انتهى.

فقوله: «أو نحوه»، يتناول كفَّ العذَبة، فالظاهر أنه مكروه، وأن النهي في حديث الصحيحين يتناوله.

ولْنقتصرْ على هذا القدر راغبين إلى الله تعالى أن يختم لنا بالحسنى، وأن يوفر حظنا من أنواع الخيرات بالمقَرِّ الأسنى، بمَنِّه وكرمه.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على من لا نبيَّ بعده، محمدٍ وآلِه وصحبِه، وسلَّمَ تسليماً كثيراً، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٢٩٧، ٢٩٩)، و «صحيح مسلم» (١/ ٣٥٤، ٣٥٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) (٤/ ٣٠).

(٣) القول بأنها كراهة تنزيهية هو قول الشافعية والحنابلة.
وذهب الحنفية وابن حزم إلى القول بالتحريم. وهو محكي عن الحسن البصري.
انظر للشافعية: «روضة الطالبين» (١/ ٢٥٩)، و «مغني المحتاج» (١/ ٢٠١)، وللحنابلة: «المغني» (٢/ ٣٩٤) ـ ط الدكتور التركي ـ و «الإنصاف» (١/ ٤٧٠)، وللحنفية: «فتح القدير» (١/ ٤١٢)، و «حاشية ابن عابدين» (١/ ٦٤٠).

اللَّـٰهمَّ صلِّ على سيدنا محمد وعلى آلِه وصحبِه وسلِّم. تمّت على يد الحقير حامد بن محمد أديب التقي، في ذي القعدة سنة ١٣٢٣هـ.

قوبلت بأصلها في مجلس، ضحوةَ الأربعاء ٢٢ ذي القعدة الحرام، سنة ١٣٢٣. وكتبه جمال الدين القاسمي، عُفِـيَ عنه(١).

* * *

(١) انتهيت من مقابلته بأصله المصور عن المخطوط، بين العشاءين، في صحن المسجد الحرام تجاه الركن اليماني، ليلة الأربعاء: الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة (١٤٢٤هـ)، وقد عارضه معي الشيخ الفاضل نظام يعقوبي حفظه الله، وحضرها أخي الكريم الشيخ محمد بن ناصر العجمي، وأخي العزيز محمد بن سالم الظفيري، والحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه

عبدالرؤوف بن محمد الكمالي



الفهرس

الموضوع	الصفحة

النصّ المحقّق

الموضوع	الصفحة

● ● ●



لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٦٥)

أجوبة العلامة الفقيه أبي عبد الله ابن البقال على أسئلة الفقيه أبي زيد القيسي في حلِّ إشكالاتٍ تتعلق بآيات

توفي المؤلف بفاس عام ٧٢٥ هـ
رحمه الله تعالى

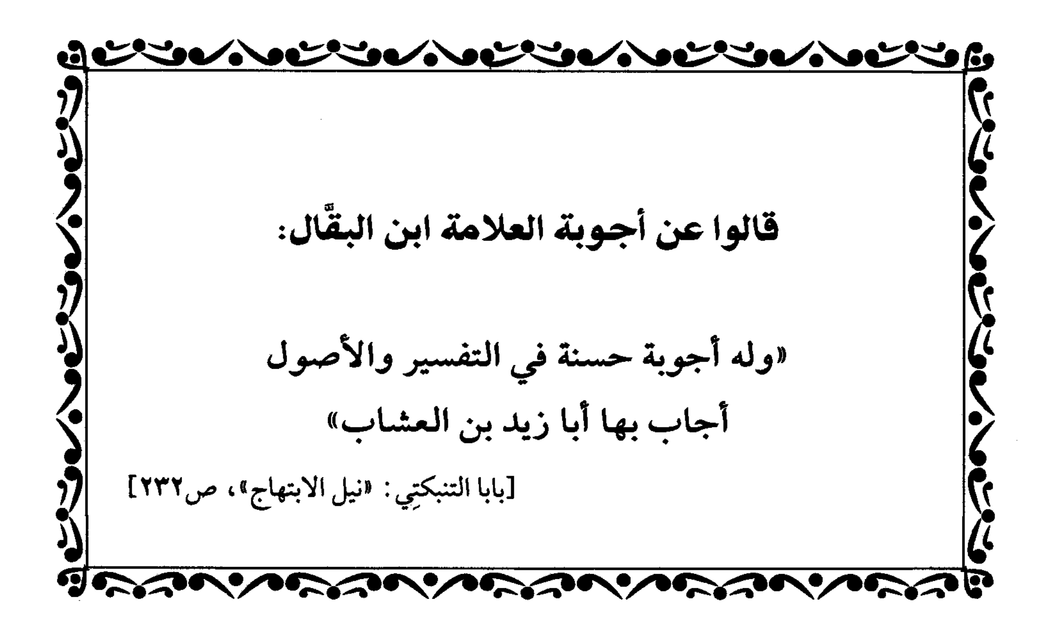
قرأه واعتنى به
الشَّريف خالد بن العربي مدرك الحمداوي الإدريسي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم



الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb



قالوا عن أجوبة العلامة ابن البقَّال:

«وله أجوبة حسنة في التفسير والأصول
أجاب بها أبا زيد بن العشاب»

[بابا التنبكتِي: «نيل الابتهاج»، ص٢٣٢]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مُمَهِّدة

إنَّ أَبَرَّ البر، وأَقرَبَ القُرب للعلم وأهلِهِ، هِدايةُ الله تعالى لطالب العلم إلى قيمةِ الاهتمامِ بالنَّظَر في تُراثِ قُطرِه، وكَشفِ اللِّثامِ عن علوم أَهلِه ورَبْعِه.

وإنَّ قِمَّةَ الحِرْمانِ العلمي أن يُبْتَلى طالبُ العِلم بالإعراضِ عن النَّظَرِ في مُدَوَّنات عُلماء بَلَده، والتَّفْتيشِ في كَنانِيشِ ودَفاتِرِ فُقَهاءِ وأعلام مَوطِنِه.

وإذا كُنا نَلتَمس المعاذيرَ لمن لم يكن لأهله وبلده علومٌ، فما حيلةُ من يَترُكُ دفاتِر عُلماء ونُبغاء بَلدِه، ويُقابِلُها بالعُقُوق والعِصيان، بل والتَّشويش والبُهتان؟

ولقد كان سلفنا الصالح من السَّادة العلماء والأكابر يشتغلون بعلوم قومهم وبلدهم أولاً دَرساً وإحياءً، ثم ينتقلون إلى طَلَب النَّظَر في علوم غيرهم استزادةً ونهماً، إذ كيف يليق بالعالم الحصيف أن يترك تَمْر بَلده الطَّرِي يَذْبُل ويتَساقَط، ثم يتهافت على ثمار الناس البعيدة عنه، وقد وَجَدت مَن يَعتني بها ويرعاها.

ولستُ أقولُ هذا الكلامَ عن عَصَبيَّة مَقيتَة، أو مَذهَبِية مُمِيتة، ولكن لِما رَأيتُه من بعض طَلَبةِ الوَقْتِ من تَزهيد للناس في علوم قومِهِم، وتَنفيرِهِم من

تراث بلادهم، وكأنما لا يحلو الكلامُ والنَّقدُ، والنَّظرُ والجدُّ، إلاَّ إذا تنكَّر المرءُ لأهله، وتَعَلَّق بفضائل غير أهله، فاللهُمَّ إليك نشكو قلةَ الحيلة، وضُعفَ الوسيلة.

ومن بين هذه الأمصار العامرة بالعلم، والأقطار الزَّاهِية بالفَضلِ والسِّلْمِ، على امتداد إخوانها من الأقطار في ربوع العالم الإسلامي، القُطرُ المَغْرِبِـي الواسع الذي لم يَنضَب عطاءُ عُلمائه، ولا كَفَّت بَصيرةُ فُقهائِه يوماً مُذْ أن عرف الإسلامُ طريقَه إليه، وعلماؤه وحُذَّاقه يَتَزَوَّدون ويُنفِقون بِلا كَللٍ ولا مَلَل، وقد تكون شهادةُ الأهلِ لذويهِم مَجروحةً، لكن ضوء الشمس لا يغيب إلاَّ بحلول الظلام والليل.

ومن الأعلاق النفيسة التي لا تزال تزخر بها خزائن بلاد المغرب العلمية العامرة، كتاب أجوبة الفقيه أبـي عبد الله بن البقال في مشكل القرآن والتفسير والأصول، أجاب بها على أسئلة أحد الفقهاء النُّبهاء بمنطقة تازَةَ شَرقِيِّ القُطرِ المغربـي.

وكنت قد نسختها منذ زمن، ولكن شواغل الوقت حالت بيني وبين التعجيل بنشرها، فجاءت الفرصةُ مُواتِيةً لإلحاقها برسائل لقاء العشر الأواخر العامر الذي لا يزال يَرفُلُ في ثوب الأناقة والجِدَّة، في مسيرةٍ علمية زاهرة، نرجو لها الدوام والتواصل، وللقائمين عليها العونَ والتوفيقَ للسيِّرِ بها قُدُماً، لا سيما وأنها تعيد للأذهان سُنَّةً جارِيةً محمودةً لأجدادنا العلماء بالحرص على قراءة الأسفار النفيسة بالبلد الحرام، داخل المسجد الحرام.

* * *

قيمة الرسالة وقَدْر صاحبها

رسالة «الأجوبة» التي بين أيدينا اليوم، من ذخائر تراثنا الحافل، تدخل ضمن تصنيف كُتُب الأجوبة والفتاوى عند العلماء.

ولا يخفى على حصيفٍ ناظرٍ في أخبار العلم وأحوال العلماء أن كتب الأجوبة جنسٌ علمي لطيف، يجمع مُتَفَرقاتٍ جيدةً من المسائل والفنون، قد لا يقف عليها الباحث وطالب العلم بين ثنايا المصنفات العلمية المستقلة، فَيُتعبُه جمعها مُفرقةً من أنحاء شتَّى، بينما يجدها جاهزة محمولةً إليه بجهد العالم الذي أجاب عنها، وأوردها في سياق عرضه للمسائل، يلخصها فكرُه، ويعرضها قلمه.

كُتُب الأجوبة العلمية تتيح لطالب العلم أن يتنقل بين عدة علوم في موضع واحدٍ، فإن كان من أهل العلم استفاد وأضاف إلى جنس ما عنده، وإن كان في بداية الطريق تنبه إلى قيمة بعض العلوم الجديدة عليه، والحاجة إليها لبناء شخصيته، وصقل ذهنه وعقله، فينتقل بين بساتين من العلوم والفوائد، يَشُم رياحين التفسير والفقه والحديث، ويَقْطِف من ياسمين اللغة والقواعد والأصول.

كُتُب الأجوبة أيضاً تُعَد مصدراً علميًا غنيًا للوقوف على جوانب المصنف العلمية، وكشف أخباره، ومنهجه ومذهبه، وجميع ما يمكن أن يضيف إلى بناء مادة كافية عن ترجمته، وبخاصة إذا بَخَلت كتب التراجم

والأخبار علينا بذكر طرف من أحواله وأخباره، لسبب مقصود أو غير مقصود.

وأخيراً كتب الأجوبة تقدم لنا رؤية واضحة عن المحيط الفكري، والجو الثقافي للطبقة التي عاش بينها المصنف، والفترة التي قضى فيها حياته، وتبين العلوم التي كانت سائدةً في وقته، والكتب التي اهتم بها العلماء وأقبلوا عليها، والمستوى العلمي لِوَسَطِه وبيئته وبلده، فإن العالم الذي يَرِدُ عليه الاستفتاء، وتُوَجه له الأسئلةُ، إنْ كان من أهل الحَذْق في العلوم، والكياسَة في النظر والفهوم، بذل قصارى جهده، وقدم عُصارة فكره، بالمناقشة والبحث لكشف اللثام للسائل، وإيصال الفائدة إليه كاملة غير ناقصة، ولا سيما إن كان من أهل الإحاطة والاختصار، وهو فَنٌّ لا يُجيده إلاَّ الكبارُ.

وأحسب أن أجوبة العلاَّمة ابن البَقَّال التي نُقَدمها للقراء قد جمعت قدراً طيباً من تلكم الإشارات، فقد صادفت أسئلة الفقيه أبي زيد الذي وجهها إليه محلاًّ قابلاً، وفهماً سديداً، يقف عليه القارىء للأجوبة من الوهلة الأولى، وكانت منوعة موزعة بين الفنون، تدور في الغالب حول إشكالات تعلقت ببعض النصوص القرآنية، واستفاد المصنف من مخزونه العلمي المتنوع لدرء المشكل، ورفع المتعارض، وهذا لا يتأتى لكل عالم، إذ يتطلب قدراً من ضبط علوم المعقول والمنقول، وهو ما نجده عند العلاَّمة المفسر ابن البقال.

ناقش ابن البقال رحمه الله في هذه الأجوبة الإشكال الذي أورده المعتزلة على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾، وبيَّن خطأ المعتزلة في عدم إدخال ارتكاب الكبائر تحت المشيئة، وهل هو عموم مُخصَّص، وانتقل للكلام عن الفحش

والقبيح في رأي الشرع، وهل العقل له نظرٌ مستقل في هذا الأمر؟

ثم تكلم على الإشكال الوارد على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، وهل هو واجب الوقوع، ومحال الوقوع من جهةٍ واحدةٍ، أَمِ الجهة مُنفكَّةٌ؟

ثم تحدث عن حكاية الرب عن الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، وهل أنطقه الله لسليمان وأفهمه كلامه، ووجه هذا مع قول سليمان للهدهد: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾، وأيضاً قول الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

ثم مسألة جواز اختصاص القارىء للآيات الواردة في الدعاء بصيغة الجمع، وهل له أن يختص نفسه بهذا الدعاء.

إلى غير ذلك من المسائل العلمية، والإشكالات التي يجدها القارىء عند وقوفه على هذه الأجوبة الماتعة، ولا نستعجلها قبل أوانها، فإن القاعدة العلمية عند السادة المالكية: مَن اسْتَعْجَل الشَّيءَ قبل أَوانِهِ عوقِبَ بِحرمانِه.

والنسخة المعتمدة في تحقيق هذه الأجوبة النافعة منسوخة عن أصل محفوظ ضمن بعض دُشُوت الخزائن المغربية المحفوظة بجهة الصحراء المغربية العامرة، وقد كانت ضمن مجموع نفيس تضمن غُرراً، عَتَت عليها الأرضة أو كادت، لا تستقيم قراءتها إلاَّ لعالم حصيفٍ، وفقيهٍ حاذق، خبير بالمخطوط والورق، مُسَدَّدٍ في كَشْف مُشْكِل الخطوط المغربية، مُطَّلعٍ على أخبار المغاربة وعلومهم، ناظرٍ في مُدَوَّناتِهم وصحائفهم.

ولا يصدق هذا الوصف ولا يَصِحُّ البتَّة إلاَّ على من شهد له العلماء الفطناءُ بانطباقه عليه، والتصاقه به، وهو ما صَدَق على الفقيه العلاَّمة،

والمؤرخ الأديب، والناقد المجتهد البصير، مفخرة علماء المغرب المعاصرين: مُفيدُنا أبو أويس محمد بن الأمين بو خبزة الحسني العمراني، وكم له من أيادي بيضاء على أهل العلم والباحثين بالقطر المغربي خاصة.

ولستُ ممن يَصِح له أن يُحَلِّيَه بهذه الأوصاف العلمية التي تقصر دون فضله، كلا ولا أجرؤ على هذا المقام، فإن الكبار لا يَصدُق عليهم إلاَّ وَصفُ الكبار، وقد شهد لهذا العَلَم قِمَمٌ علمية في بلاد المغرب الأقصى لا يُحْصَون كثرةً، على رأسهم العالم الكبير، والناقد البصير، محمد المَنُّوني رحمه الله، ولم يكن ممن يجامل في أوصافه للناس.

وإذ أطلت ببعض الكلمات في ذكر بعض ما يصدق على شيخنا الجليل محمد بو خبزة في سياق وصف النسخة التي اعتمدتها، فقد رميتُ إلى مَقصِدٍ جَميلٍ تَعَلَّمناه من علمائنا الكرام: **لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلاَّ ذووه**، في زمنٍ ابتلي العلماء فيه بِنُكران الجميل، مَع يقيني أنه حفظه الله يُعرِضُ عن الإطراء، ويُنكِر الغُلُوَّ والافتراء، ولكنني لما رأيت القمم العلمية العالية تشهد لهذا الشَّاهِد القائم بالفضل والعلم، أردت أن أندرج في سلكهم، مع رجاء عُذره وعَفْوِه عن تَطاول طالب علم مثلي عليه بالمدح، وهو غَنِي عنه، ولستُ ممن يتشوف إلى المبالغة والتَّطبيل، ولكن الحقَّ أحقُّ أن يُحَق.

وأرجع إلى وصف النسخة التي اعتمدتها فأقول إنها بخط الفقيه محمد بوخبزة نقلها بجودة وإتقان عن الأصل المنتسخ بخط العلاَّمة الأديب أبي الحسن ابن بَري، بخط ماتع رائق، تقع في ثلاثة وثلاثين ورقةً من الحجم المتوسط، في رسالتين منفصلتين، تضمنت الأولى الأسئلة التسعة والعشرين الموجهة من الفقيه أبي زيد، ثم حوت الثانية أجوبة العلاَّمة ابن البقال عليها.

هذا وقد قابلتها بنسخة أبـي العباس الونشريسي ضمن المعيار التي كانت خلواً من التعليق والضبط في كثير من مواضعها، مع إجادتها في مواطن أخر، ولكن السَّقطَ والتحريف والتصحيف طغى على مواضع كثيرة، كانت تصل أحياناً إلى إسقاط أسطر وعبارات، لم أشأ الإثقال بها في هذا الموضع، وسيجدها الراغب فيها بمقابلة العمل بنص المعيار.

قمت بإثبات تعليقات العلاَّمة محمد بوخبزة في حواشي الأجوبة، وإليه تكون الإشارة بحرف (خ)، فتنبه لهذا في موضعه.

* * *

ترجمة العلاّمة المصنِّف المُجيب في سطور[1]

محمد بن محمد بن علي شُهِّر بابن البَقّال، الشيخ الفقيه، والعلاّمة المحقق المتفنن أبو عبد الله، كان من العلماء المحققين المحصلين المشاركين، من أهل تازة شرق قطر المغرب الأقصى.

درس الفرائض والعِدَد على الفقيه أبي عبد الله العباس بن مهدي، والنحوَ والعربية على أبي عبد الله المزجالي، ودأب على القراءات.

واستفرغ وُسْعه في علوم المعقول وأتقنها، ثم برع في التفسير والفقه الخلافي، وله حظٌّ وافر من علوم الأدب واللغة والبيان، والعروض والشعر، وكان كما يذكره من ترجموا له من أهل الزهد والصلاح، وحريصاً على العبادة وقيام الليل رحمه الله.

وقد اسْتَوطَن مدينة فاس عاصمة العلم والفكر والحضارة في وقته بأقطار المغرب الكبير، وقد اشتغل بتدريس الفقه في آخر أيامه، فكان آيةً، وما رئي مثلُه في وقته في فهم علوم المعقول والشريعة، مع جودة في الديانة.

وتوفي رحمه الله بمدينة فاس سنة ٧٢٥هـ، وقد قارب الخمسين، ودُفن إثر صلاة الجمعة داخل باب الفتوح وهو حيٌّ مشهور معروف من أحياء مدينة فاس إلى يومنا.

* * *

(١) راجع ترجمته في: «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، لبابا التنبكتي، ص٢٣٢ و«سُلْوَة الأنفاس»، لمحمد بن جعفر الكتاني» ٢/ ١٥٨ ــ ١٥٩، (طبعة حجرية ــ فاس).

نماذج من صور المخطوطات

كتاب

أجوبة أبي عبد الله ابن البقال على أسئلة أبي زيد الفيسي التميمي بابن العشاب في حل إشكالات تتعلق بآيات

وهي جزء مهمة

رحمهما الله تعالى

صورة الغلاف

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد
القيسي الشهير بابن العشاب رحمة الله عليه

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
نبيه وعبده، أما بعد: فحفظ الله في أعمال سيدنا الفقيه الأجل
العالم العلامة القدوة أبي عبد الله ابن الشيخ الأجل الأكمل أبي عبد الله، فإن
المتعلق بأذيالكم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، راغبا أن تجيبوه عن مسائل
كان لما قرأ فيها معكم أولم يفتح له فيها بجواب، بعثها إليكم بأسير، تتفضلون
علي بالجواب عنها والتصحيح من مشكلها، والبيان لكل فصل منها، والله
المعين، وعليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

فأولها: أن القارئ إذا قرأ آية فيها دعاء، هل يمكن أن يخص به
نفسه، كقوله تعالى: (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) الآية، هل له أن يختص بهذا الدعاء، ويدخلهم
إليه، أم ليس له ذلك؟ بل يقرأ أمامه سالما من أخبر عنه بذلك كسائر
الآي مما ليس فيه دعاء، وسبب هذا الإشكال: قراءة فاتحة الكتاب
والحديث المشهور فيها المصرح بالإجابة في رد قوله: (اهدنا الصراط
المستقيم) واتفاق الأمة على ما أكد بعدها، مع أن بعض المفسرين يقدرون
القول إما في أول السورة، وإما عند قوله: (إياك نعبد) ومثله أيضا: تعوذه
صلى الله عليه وسلم بالمعوذتين مع القول المذكور في أولهما والأمر منه

كذا والكتابة تقرأ في الأصل بصعوبة لمحو بعض الحروف

الأصل: تقرأ

كذا وما هنا مخالف للتلاوة، والصواب في الآية: (ربنا ... فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار) وهي في آل عمران: 193 والآية الثانية رقم 16

الأصل: فيهما

...ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا...) بتتبعه

صورة الورقة الأولى من أسئلة الفقيه أبي زيد بن العشاب

بسم الله الرحمن الرحيم ... صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

وقال الشيخ الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن محمد
ابن علي الشهير بابن البقال مجيباً على الأسئلة المذكورة: ...

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيئين، وعلى آله الأكرمين الطاهرين، وصحابته أنصارهم والمهاجرين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإنك سألتني - سددك الله سواك، وأنجح في الصالحات أقوالك وأفعالك - عن المسائل التي طال فيها تدبرها، وتوالى عندها تهدها وتفكرها - فلم يتضح لك مشكلها، ولم ينفتح حتى الآن مقفلها، فلم أجد بداً من إسعاف طلبك، وقضاء مأربك، فقلت: على أن الخاطر شعاع، والباع غير وساع:

أما السؤال الأول: فجوابه والله أعلم بأن يقال: أن عود الضمير على القارئ مختلف بحسب السياق، فأما ما كان منه واقعاً على الحكاية بعد القول كقوله تعالى: (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا) (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا) (إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) إلى غير ذلك مما سيق في معرض الحكاية بعد القول، فلا يصح رد ضميره إلى القارئ ضرورة أن ذلك يبدد نظم السياق وتناسبه، نعم، لو اقتطع القارئ المقول معرّى من القول فقال مثلاً: (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ...) (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا) (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) ونوى إعادة الضمائر على نفسه، إما على العموم في نحو: (ربنا اغفر لنا) أو على الخصوص في نحو: (أعوذ بك) لاحتمال أن يقال: إن ذلك ليس من التلاوة، لتغيير مدلول الضمير

صورة الورقة الأولى من أجوبة الفقيه أبي عبد الله بن البقّال

كقولهم: نمشا وأحق عينه. إلا أن الأول أولى لشذوذ هذا، والله أعلم.

فهذا ما ظهر لي - وبفضل الله - نبذ من أجوبة سؤالك، وإزاحة إشكالك،

وعسى أن يكون - إن شاء الله - لك بهما مقنع يكفي، وصبابة تبل الصدا وتشفي،

والله سبحانه يعصمني وإياك من الخطإ والخطل والزلل، في قول أو عمل،

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليما.

كملت الأجوبة، ونقلتها من خط المجيب صاحبنا الشيخ

الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن البقال حرسه الله

كما أن بمنه، وفيها النسخ في السابع والعشرين من شهر

رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وتسعمائة

وبعده مباشرة ما نصه: بلغ في أوائل ربيع الثاني لعام خمسة وتسعين وتسعمائة، كاتبه

عبد الله، علي بن محمد السكتي لطف الله به، انتهى ما وجد بالأصل المنتسخ منه

التي اعتمدنا عليه الأرضة بالتمام منه حكما وكلمات تامة تحقيقا الكلمة الكريمة فيما تحت

كلمات وكلمات، وقد بذلنا الجهد في تبيين ما انمحى، واستدراك ما انطمس، وتصويب ما انحرف،

وقد كان الناسخ غفر الله لنا وله يتفضل بشكل كلمات شكلا مغلوطا لم ننبه على كثير منه

لوضوحه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فرغ منها صباح يوم الأربعاء رابع شعبان

الأبرك عام أربعة عشر وأربعمائة وألف الموافق 16 يناير 1994 عبيد ربه أبو أويس محمد بن محمد

الأمين أبو خبزة الحسني التطواني عفى الله عنه، وستر عيبه. انتهى

صورة الورقة الأخيرة من الأجوبة



لِقَاءُ ٱلعَشْرِ ٱلأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ ٱلحَرَامِ
(٦٥)

أجوبة العَلَّامَة الفقيه أبي عبدِاللهِ ابن البقال
على أسئلة الفقيه أبي زيد القيسي
في حلِّ إشكالاتٍ تتعلق بآيات

توفي المؤلف بفاس عام ٧٢٥ هـ
رحمه الله تعالى

قَرَأَهُ وَاعتَنَى بِهِ
ٱلشَّرِيفُ خَالِدُ بنُ ٱلعَرَبِيِّ مُدرِكٍ ٱلحمداوِيُّ ٱلإدرِيسِيُّ



[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

صلَّى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلَّم

قال الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد القيسي شُهِرَ بابن العشاب، رحمة الله عليه:

الحمدُ لله حقَّ حمدِه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده، أما بعد:

فحَقَّقَ الله[1] في أعمال سَيِّدِنا الفقيهِ الأجَلِّ العالِم العلاَّمةِ القُدوةِ أبـي عبد الله ابن الشيخ الأجل الأكمل أبـي عبد الله؛ فإن المُتَعلِّقَ بأذيالِكُم عبدَ الرحمن بنَ محمد بنِ أحمدَ، راغبٌ أن تجيبوه عن مسائل طالما غدا فيها مفكراً فلم يُفتح له فيها بجواب، فعساك يا سيدي تَتَطَوَّل[2] عليَّ بالجواب عنها، والفحص عن مشكلها، والبيان لكل فصل منها، والله المعينُ، وعليه نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) كذا، والكتابة تقرأ في الأصل بصعوبة لمحوٍ به من الرطوبة. (خ).

(٢) تتطوَّل: الطَّول بالفتح يأتي بمعنى المنِّ، فيقال: تطوَّل عليه: أي امتَنَّ عليه، وتطول على الناس بفضله وخيره، والتَّطَوُّل عند العرب محمود ينزل منزلة المحاسن والمدح، وهو بخلاف التطاول فإنه مذمومٌ. يراجع: الجوهري: الصحاح مادة (طول)، الأزهري: تهذيب اللغة ١٨/١٤.

١ ـ **فأولها**: أن القارىء إذا قرأ آية فيها دعاء يمكن أن يَخُصَّ به نَفسَه، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[١][٢] الآية، هل له أن يختص بهذا الدعاء، ويرد ضمائره إليه، أم ليس له ذلك؟ بل يقرأها مترسلاً ينوي مَن أُخبِر عنه بذلك كسائر الآي مما ليس فيه دعاء.

وسَبَبُ هذا الإشكال: قراءة فاتحة الكتاب والحديث المشهور[٣] فيهما المصرَّحِ بالإباحة في رد ضمائر ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[٤]، واتفاق الأمة على مآله بعدها، مع أن بعض المفسرين يضمرون القول إما في أول السورة، وإما عند قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٥].

ومثلُه أيضاً: تَعَوُّذه ﷺ بالمعوذتين مع القول المذكور في أولهما،

---

(١) بعض الآية ١٦ من سورة آل عمران.

(٢) وقع في أصل النسخة خلطٌ بين طرف الآية المثبتة في النص أعلاه، وبين طرف الآية ١٩٣ من نفس سورة آل عمران مع قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝١٩٣﴾، وقد تنبَّه له الناسخ حفظه الله فنبه عليه في الحاشية، ولكنه أثبت الآية بما وقع فيها من خلطٍ خلافاً لما صنعته أعلى النص، وهما منهجان للعلماء معروفان في ضبط في النصوص عند المتقدمين وغيرهم فلا حرج.

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة قال: «إني سمعت رسول الله يقول: **«قال الله عزَّ وجلّ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»**، وفيه: «**فيقول العبد** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **فيقول الله: حمدني عبدي، ويقول العبدُ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **فيقول الله: أثنى عليَّ عبدي...**» الحديث.

والحديث خرجه أحمد: المسندح: (٧٨٣٦) ١٣/ ٢٣١، وعبدالرزاق: المصنفح: (٢٧٦٧) ٢/ ١٢٨، البيهقي: القراءة خلف الإمام ح: (٨٨) ص: (٤٧)، والقاسم بن سلام: فضائل القرآن ومعالمه ح: (٤٠٧) ٢/ ٢٧ (نشرة: وزارة الأوقاف: المغرب).

(٤) الآية ٦ من سورة الفاتحة.

(٥) بعض الآية ٥ من سورة الفاتحة.

والظاهر منه / ردُّ الضمائر إليه حين قراءتهما، ولم يأت أنه أسقط القول من [٣] أولهما وابتدأ بما بعده، ولا فرق بين الإخبار عن قول[١] بالدعاء، وبين الأمر له ﷺ بالدعاء، والكلُّ محكيٌّ بالقول، هذا مُرَجِّحُ إباحَةَ ذلك حسبما ظهر لي، والمرَجِّحُ لمنعه في ظاهره حديثُ مسلم عن حذيفة قال: «**صليت مع النبي ﷺ فافتتح البقرة، ثم قال: ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سَبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذ**. . .»[٢] الحديث.

وأيضاً فإن القول إنما يكون للحكاية، فقد يكون لحكاية اللفظ، وقد يكون لحكاية المعنى، ثم قد يوجد[٣] بمعنى الظن، فإذا ثبت هذا فلا يصح أن تقول لعبدك: قُل: اضْرِب زيداً، تريد بقولك: اضرب زيداً، أمْرَهُ بالضرب، لأنه لا معنى لقولك: قل، ولا فائدة، فهذا مما يدل على عدم جوازه، لأنه كلام صحيح، وردُّ الضمير إلى نفسه يرد الآية إلى ما لا يصح، فبيِّن لي هذا أنجح الله سَعْيك، ونفعك ونفع بك.

٢ ــ **وثانيها**: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

لا شك أن الآية فيمن مات على الشرك، ووجدنا من كفر بالرسول، أو باليوم الآخر، أو غير ذلك مما يجب الإيمان به لا يغفر له إن أدخلتَه في

---

(١) كذا في المعيار، وفي الأصل: القوم.

(٢) خرجه أحمد: المسند بنحوه من حديث حذيفة ح: (٢٣٢٦١) ٣٨/ ٢٩٦، ومسلم في صحيحه ح: (١٨١١) باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل.

(٣) في المعيار: يؤخذ.

(٤) بعض الآية ٤٨ من سورة النساء.

الشرك، فبيِّن لي كيف يدخل مع إثبات حقيقة الشرك له؟ ولو بوجه[1]، وإن خَصَّصتَ به عُمومَ قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وكيف يُستدلُّ بِعُمومٍ خُصِّصَ على المعتزلة[2]، وفي العموم المخصَّص ما فيه؟

(١) كذا في المعيار، وفي الأصل: وتوحد فيه.

(٢) المؤلف رحمه الله يشير إلى مذهب المعتزلة في مسألة مرتكب الكبيرة؛ وهي من مسائل الأصول المشهورة عند القوم في مصنفاتهم، وفي كتب الفرق والمقالات، وحاصلها أن المؤمن إذا فارق الدنيا بكبيرة ارتكبها من غير توبة، فإنه يستحق الخلود في النار في الآخرة، غير أن عقابه في النار أخفُّ من عقاب الكفار، جرياً على أصلهم المعتبر عندهم في أصل الوعد والوعيد، فيمنعون حصول المغفرة لأصحاب الكبائر في الآخرة، ولو ماتوا على توحيد صحيح، فإنه لا يحول بينهم وبين الخلود في النار لعدم توبتهم من الكبائر، وهكذا نجد الزمخشري يذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية، أن الوجه الصحيح في الآية: «أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين إلى قوله تعالى ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾، كأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أن المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني: من تاب».

ونقل أبو الحسن الأشعري إجماع المعتزلة على القول بتخليد من أدخله النار، مِن الكفار أو مرتكبي الكبيرة.

وقد ردَّ أهل السنة هذا الرأي الاعتزالي، وقرروا أن مرتكب الكبيرة مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بمعصيته وكبيرته، ولا يخلد في النار ما دام قد مات على التوحيد، وهو تحت مشيئة الرب إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وبيَّن علماء السنة أن منشأ غلط المعتزلة في هذه المسألة قائمٌ على اعتبارهم الإيمان شيءٌ واحد، وإذا ذهب بعضه، زال كلُّه، ولم يبق منه شيءٌ، وهذا فهم غير سديد، فإن النبي ﷺ كما ثبت في صحيح المنقول عنه رجم الزاني والزانية، وجلد شارب الخمر، ولم يرفع عنهم وصف الإيمان: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»** الحديث. =

٣ ــ وثالثها: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[١]، والفُحش: القبحُ، والقبيحُ عند أهل السنة هو المنهِيُّ عنه شرعاً، فيصير المعنى / أنه تعالى لا يأمر بما نهى عنه، فكيف يُصنعُ بالنسخ؟ [٤]

وقريبٌ منه: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾[٢]، فإنه تعالى أعلمنا أن المحرَّم هو الفاحش، والفاحش عندنا لا يُعرف إلَّا بعد معرفة كونه محرَّماً.

٤ ــ ورابعها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[٣]، هل تدخل في هذا مُصيبةُ مَن أَثْخَنَته سِهام الذنوب؟ وأيُّ مصيبةٍ أعظمُ مِن مصيبة الدين[٤]؟ نعوذ بالله منها.

٥ ــ وخامسها: قوله تعالى: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾[٥]،

= ولا ينبغي أن يفهم من تقرير أهل السنة لفسق مرتكب الكبيرة، وعدم تكفيرهم له، الاستهانةُ بأمر الوقوع في الكبائر، فإنها وإن لم ترفع عنه وصف الإسلام، إلَّا أنها قد توقعه في عذاب الرب جلَّ وعلا، وقد قيل في مثل صنيع المعتزلة مع مرتكب الكبيرة: السيِّدُ يُعطي والعَبدُ يَمنَعُ.

يراجع في المسألة: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص (٦٦٦) وما بعدها، أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين ص: (٢٧٤) (نشرة: هيلموت)، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٣٩، الزمخشري: الكشاف ١/ ٥٠٩، ابن تيمية، الإيمان الكبير ص: (١٧٦)، ابن أبي العز: شرح الطحاوية ٢/ ٤٤٢ وما بعدها.

(١) بعض الآية ٢٨ من سورة الأعراف.

(٢) بعض الآية ٣٣ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ١٥٦ من سورة البقرة.

(٤) في المعيار: الدين.

(٥) بعض الآية ١٣٨ من سورة الأنعام.

علـى مَـن الضميـر عـائـد مـن قولـه (نشـاء)، هـل عـلى القـوم أم عـلى الله تعالى؟

أمـا على القوم: فيَـرِد عليه أنهم فـي جميع مـا ادّعوا تحريمه على الله تعـالـى إنمـا يقـولـون: الله حـرَّمـه علينا ومـا جعـل لنـا الخَيـرةَ فيـه، قـال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾[1].

٦ ـ سادسها: قوله تعالى: ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ الآية، فقوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ ﴾[2]، فسؤال النبـي ﷺ لهم: هل الذكرين حَرَّم أم الأنثيين إنما هو على جهة نفي ما ادَّعَوه من تحريمهم وتنويعهم فيه، ولم يطردوا التحريم في صنف واحد من الأصناف المذكورة في القرآن، فيظهر من الآية أن هذا حجةٌ عليهم، ودليل ذلك: أن الله تعالى لم يحرم عليهم ما حرموا على أنفسهم.

فَبَيِّن لي: كيف الدلالة؟ مع أن الله تعالى يفعل ما يشاء، يُحِل ما يشاء، ويحرم ما يشاء من الصِّنف الواحد أو الأصناف.

٧ ـ سابعها: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ﴾[3].

[٥] أخذ العلماء من هذا / وشِبْهِه: أن الله تعالى عالم بما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وذلك أن عودتهم إلى الكفر ـ لو قدَّرنا رجوعهم إلى الدنيا ـ جائزَةٌ بالنظر إلى ذات العودة إلى الكفر، فإذا ثبت جوازُها، والجائز

---

(١) بعض الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.
(٢) بعض الآية ١٤٣ من سورة الأنعام.
(٣) بعض الآية ٢٨ من سورة الأنعام.

أبداً لا تخصصه إلاَّ الإرادة ولا يخصصه العلم، إذ لو خَصَّصَه لَلَزِم منه نفيُ الإرادة، وإنما العلم يتعلق بالمعلوم على ما هُو بِه، إن كان أراد وجُودَه، تَعَلَّق العلمُ بوجوده، وإن كان أراد أن لا يوجِدَه تَعَلَّقَ العلمُ بأنه لا يوجد.

فإذا ثبت أن الإرادة تَعَلَّقَت برجوعهم إلى الكفر، والإرادة إذا تعلقت بشيء وجب كونُه وحصولُه، ورجوعُهم إلى الكفر متوقِّفٌ وجودُه في الحالة المفروضة على رجوعهم إلى الدنيا، ورجوعُهم إلى الدنيا غيرُ مرادٍ فاستحال وقوعُه، فاستحال وقوعُ ما رُتِّب وُجودُه على وُجودِه، وقد ثبت وجوبُ الرجوع إلى الكفر، فَيَلزَم أن يكون الشيء الواحِدُ واجبَ الوُقوع، مُحالَ الوقُوعِ مِن جِهةٍ واحِدَةٍ.

ومثلُ الآية قولُه تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝٨٠﴾[1]، ومِثلُها قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾[2]، ومثله ما ورد في أولاد المشركين: «**الله أعلم بما كانوا فاعلين**»[3] فَحَقِّق لي هذا كُلَّه، نفع الله بك.

٨ ـ **ثامنها**: أن العالَم قد كان يَصِح وجودُه قبل الوقت الذي وُجِد فيه، ولا شك أن بين وجود العالم، وبين الأزل تقديرَ أزمنة لا نهاية لها وإن لم يكن زمانٌ، فهل صحةُ وجود العالَم في كل تقديرِ زَمَنٍ ثابِتَةٌ أم لا؟

---

(١) بعض الآية ٨ من سورة الكهف.

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر.

(٣) خرجه البخاري في جامعة بلفظ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»، من حديث أبي هريرة، كتاب في الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين ٢/ ١٢٥ (نشرة: اليونينية).

فالأول يَلْزَم عليه قِدَمُ ما ثبت حُدوثُه، والثاني تَحَكُّمٌ على العقل، إذ كل تقدير زمن نقول: يمكن أن يوجد في هذا، فالذي قبلَه مثلُه ولا بُدَّ.

٩ ـ **تاسعها**: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١]، ثبت أن [٦] قَسَط بمعنى جَارَ، / وأقسط بمعنى عدل[٢]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾[٣]، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾[٤]، وأفعلُ لا تُبنَى إلاَّ من فعل ثلاثي، والثلاثي هنا ليس بمعناه، وكذا أيضاً: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾[٥] مصدر ثلاثي، والثلاثي هنا[٦] ليس بمعناه.

١٠ ـ **عاشرها**: قوله تعالى حكايةً عن الهُدهُد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٧]، وهذا معنى لا ينطق به إلاَّ ذو عقلٍ سديدٍ عالمٍ بالله وصفاته، مع ما يُعلَم من إنكار الأصوليين على من يزعم أنها[٨] تعقل، ولقد مرَّ بي عن بعضهم أنه يقول: إن الله أنطقها لسليمان، وأَفْهَمَه كلامَها،

---

(١) بعض الآية ٢٨٢ من سورة البقرة.
(٢) قَسطَ يَقسِطُ بالفتح فهو قاسطٌ إذا جار: عدل عن الحق، وأقسط يُقسِط، فهو مُقسِط إذا عدل، والهمزة في أقسط للسَّلب على حد قولهم: شكا إليه فأشكاه.
ينظر: اللسان، القاموس المحيط (مادة: قسط).
(٣) بعض الآية ٩ من سورة الحجرات.
(٤) بعض الآية ١٠ من سورة الجن.
(٥) بعض الآية ٩ من سورة الرحمن.
(٦) في الأصل: والثلاثي ليس بمعناه.
(٧) بعض الآية ٢٤ من سورة النمل.
(٨) أي الحيوانات. (خ).

وأما هي فلا تعقل، ولا قَصَدت إلى ما نطقت به، لكن يرد على هذا قول سليمان عليه السلام: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، وقول الهُدهُد: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾[2].

١١ ــ الحادي عشـر: قولـه تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]، استدل بها المحققون على وقوع الرؤية بعد تقدير جوازها[4] سمعاً من سؤال موسى وعقلاً، ورأيتُ لبعضهم أن الآية ليست نصًّا قاطعاً لا تحتمل التأويل؛ بل هي ظاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ، لكن يبقى على هذا قولُه: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾[5].

فـقـولـه: (باسرة) مـقـابـلٍ لـ: (نـاضـرة)، وقـولـه: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾، الظاهر أنه مقابل لقوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، لأن ما جاء[6] من وصف المؤمنين والكفار في القرآن فإنما يأتي حكايةَ حالٍ واحدةٍ؛ إما بعد الاستقرار في الجنة والاستقرار في النار، وإما قبل ذلك، وهذه الآية إذا حُمِلت على النظر إلى وجهه الكريم تكون حالُ المؤمنين الموصوفة وهم في الجنة، وحالُ الكفار الموصوفة قبل حلولهم النار، نعوذ بالله منها، لقوله تعالى: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٢ ــ الثاني عشـر: قوله تعالى حكايةَ عن موسى: ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[7]، / ما الحكمة في قوله: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [٧]

---

(١) بعض الآية ٢٧ من سورة النمل.
(٢) بعض الآية ٢٢ من سورة النمل.
(٣) الآية ٢٣ من سورة القيامة.
(٤) في الأصل: جواب.
(٥) الآية ٢٥ من سورة القيامة.
(٦) كذا في المعيار، وفي الأصل موضع بياض.
(٧) بعض الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

١٣ ـ **الثالث عشر**: ما تقول فيمن ادّعى عِلمَ الساعة من فواتح السُّوَر، مع قوله عليه السلام لجبريل حين سأله عن الساعة: ما المسؤول عنها بأعلَمَ مِن السائل؟[١] فهذا يَدَّعي عِلمَ ما لم يعلمه النبي ﷺ!

١٤ ـ **الرابع عشر**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٢]، وقد جاء أن الستة الأيام أولها يوم الأحد، والأيام ـ عندنا ـ إنما هي معروفة بطلوع الشمس وغروبها، ولا شمسَ إذ ذاك ولا قَمَرَ، ويشتد الإشكال فيه على من قال: اليوم من ألف سنة.

١٥ ـ **الخامس عشر**: ما وجه إطلاق الذات في كلام الأصوليين، فماذا هي هذه اللفظة في لسان العرب؟

وقول أبي محمد رحمه الله: **«ولا تتفكروا في ماهية ذاته»**[٣]. ولا شك أن مراده ما يريده الأصوليون بالذات، فهل هذا الإطلاق محل الإجماع[٤] إطلاق محل الإجماع على المنع، لأن اللفظ موهمٌ، وهو ما لم يُرد.

---

(١) يشير إلى حديث عمر رضي الله عنه الطويل المشهور بحديث جبريل، خرجه مسلم في صحيحه ح: (٩٣) كتاب الإيمان، والترمذي في جامعه ح: (٢٦١٠) كتاب الإيمان.

وقد صنف في شرح هذا الحديث الشريف جمعٌ من العلماء؛ منهم الحافظ ابن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ) في: «إيضاح السبيل من حديث سؤال جبريل» (مخطوط)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث جبريل أو الإيمان الأوسط (مطبوع).

(٢) بعض الآية ٧ من سورة هود.

(٣) راجع حول كلام أبي محمد بن حزم عن لفظ الذات، وعن نفي الجسمية وصفاً للرب: الدرة فيما يجب اعتقاده له ص: (٢٥٤ ـ ٢٥٥)، الفصل ١/ ٣٧٤ وما بعدها.

(٤) كذا في المعيار، وفي الأصل كلمات جارت عليها الأرضة.

١٦ ـ السادسَ عشر: قوله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ ﴾[(١)]، ما معنى تَفَكّهون؟ وهل يعمل: تَفَكَّهون في قوله: إنا لمغرمون، على أن يُشرب تَفَكَّهون مَعنى[(٢)] القولِ، كقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾[(٣)] إذا أخذ منه الامتناعُ باليمين.

١٧ ـ السابعَ عشر: ما معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾[(٤)]، ما معنى اللطيف ها هنا؟ ولِمَ عُدِّي باللام؟ وهل هو دليل على المعتزلة في أن الله تعالى خلق كل شيء من أفعال العباد وغيرهم؟

١٨ ـ الثامنَ عشر: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾[(٥)]، ما معنى الكلمات؟ فإن كانت المعلوماتِ، فَلِمَ أُطلق كلمات؟ وهل تقول / إن الله تعالى مُتكَلِّم بجميع معلوماته وإن كانت [٨] غيرَ متناهية؟

١٩ ـ التاسِعَ عشر: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ ﴾[(٦)]، ما الحكمة في أنه ﷺ لم يحكم عليه بأنه ليس بإلهٍ إلاّ بعد الأفول؟ وهل يدل هذا على أن الأرض ليست كُرَةً على ما يقوله المنجمون؟

---

(١) الآيات ٦٥، ٦٦ من سورة الواقعة.

(٢) في الأصل: مشرب.

(٣) بعض الآية ٢٢٦ من سورة البقرة.

(٤) الآية ١٠٠ من سورة يوسف.

(٥) بعض الآية ١٠٩ من سورة الكهف.

(٦) بعض الآية ٧٦ من سورة الأنعام.

ولقد نقل أبو محمد ابن عطية في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[1] عن الحسن: أن القمر يتلو الشمس لأن ضَوءَهُ منها[2].

٢٠ ـ **الموفي عِشرينَ**: قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[3]، ما معنى سبعين مرةً ها هنا؟ فإن كانت غيرَ [مقصودة لعينها، وإنما المراد أن الله لا يغفر لهم، وإن استغفرت لهم المرارَ][4] ذوات العَدَدِ، فكيف يُصنع بقوله ﷺ: **لأزيدنَّ على السبعين**»[5]، فالظاهر من هذا أن السبعين مقصودةٌ لعينها.

٢١ ـ **الحادي والعشرون**: قوله تعالى: حكايةً عن لوط: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾[6]، هذه همزة استفهام خرجت عن بابها ودخلت على النفي، وبقي ما دخلت عليه منفيًّا، فما وَجْهُه؟

٢٢ ـ **الثاني والعشرون**: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾[7]، إن كانت التوبةُ مقطوعاً بِقَبُولها على قول، فالظاهر من حال هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم[8] استيفاءُ شروط التوبة، بل الظاهر أن عندهم زيادةَ حُزنٍ

---

(١) الآية ٢ من سورة الشمس.

(٢) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز ١٥/ ٤٦٩ (نشرة: رئاسة المحاكم الشرعية بقطر).

(٣) بعض الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٤) كذا في المعيار، وفي الأصل: ساقط.

(٥) خرجه البخاري في جامعة ح: (٤٦٧٠) كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه ح: (٢٤٠٠) من حديث ابن عمر، والطبري في جامع البيان بألفاظ مقاربة ١١/ ٥٩٨ ـ ٦٠١ (نشرة: دار هجر).

(٦) بعض الآية ٧٨ من سورة هود.

(٧) بعض الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٨) يُنبِّه على الصحابة الثلاثة الأنصاريين الذين أشار الرب إليهم في الآية: ﴿وَعَلَى =

وتَأَسُّفٍ وندمٍ، فما الحكمة في أن بقُوا ما بقُوا لم تنزل توبتُهم، وانظر قُبِلت قبل ذلك أم لا؟

وما حقيقةُ تاب عليهم لغةً ومعنًى؟ ولِم جُعِلت توبة الله عليهم سبباً لتوبتهم وقد كانوا تائبين قبل نزول الآية؟ والله أعلم، فَحَقِّقْ لي هذا حَقَّقَ الله آمالك الصالحة السَّنية.

٢٣ ــ **الثالث والعشرون**: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[(١)]، /ما معنى قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾، وما معنى [٩] الأبصار في: يدرك الأبصار؟ وهل هي المذكورة أو لا؟ فإن كانت هي فلِم كُرِّرَت [دون][(٢)] ضميرها؟ وما خصوصية الأبصار بإدراكه تعالى وهو مُدرِكٌ لجميع الأشياء؟ وكيف استُدِل بها على إثبات الرؤية؟

وقد رأيتُ لبعضهم أن وجه الاستدلال منها هو النفي في قوله: لا تدركه الأبصار، قال: لأنه لا ينفي[(٣)] إلاَّ ما يصح ويجوز، ويرد على هذا قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾[(٤)].

٢٤ ــ **الرابع والعشرون**: قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ

= ﴿ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾، وهم: كعبُ بن مالك، وهلالُ بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وقد تخلفوا عن غزوة تبوك، فنزلت الآيةُ تبرئهم في قصة عجيبةٍ طويلةٍ، والقِصَّة عند أحمد في المسند ح: (١٥٧٧١) ٢٥/ ٥١، والطبري في جامع البيان ١٢/ ٥٧ ــ ٦٦، وينظر أيضاً: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٥٣١.

(١) الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٢) في المخطوط: أون.

(٣) في المخطوط: لا ينبغي لا ينفي.

(٤) الآية ٣ من سورة الإخلاص.

﴿مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾[1]، هل في الآية نَفسِها إبطالُ أن يتخذ الله ولداً أم لا؟

٢٥ ـ الخامس والعشرون: قوله تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾[2]، وذلك أن قول الرجل لامرأته: طَلَّقتُكِ، إذا أراد[3] إنْشاءَ الطلاق مما لا يحتمل الصدق والكذب كالأمر، والظهار مثلُه، لأنه كان طلاقَ الجاهلية، المراد به: الإنشاءُ. فهل يصح أن يقال له: ما طلقتَها مع صِحَّة الإنْشاءِ وتَسْليمِه؟

ولِمَ أيضاً قال تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ﴾، وهم لم يريدوا بقولهم: أنتِ عليَّ كظهر أمي، أنها أمُّه، وإنما أرادوا التَّشبيه في الحِرمة، فما الحكمة في أن ردَّ عليهم بما يُرد على مَن قال لامرأته: هذه أمي حقيقةً؟

٢٦ ـ السادس والعشرون: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ﴾[4]، إن كانت هذه رؤيا للنبي ﷺ فهي في نفسها إما أن تدل على أنهم قليل، ويَرِد على هذا أن رؤيا النبيين وحيٌ لا شَكَّ فيه، وإن كانت في نفسها لا تدل على القلة إلاَّ أنه ﷺ تَأَوَّلها على القِلَّة، فيَرِد عليه أن النبي ﷺ يستحيل أن يحمل الوحيَ على خلاف ما هو به لعصمته / عن ذلك. [١٠]

والقول بأن المنام المراد به العين فيه ضعف فيما يظهر لأجل العبارة بالمنام، فما معنى الآية؟

---

(١) الآية ٩٨ من سورة المؤمنون.

(٢) الآية ٢ من سورة المجادلة.

(٣) في الأصل: أردت.

(٤) بعض الآية ٤٣ من سورة الأنفال.

٢٧ ـ **السابع والعشرون**: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[١]، ما الحكمة في أن جاء الأول بعبارة، وجاء الثاني بعبارة أخرى؟

وما الحكمة في تخصيص أحد المعاني بالعبارة الواردة فيه؟ وبيِّن لي أيضاً كيف هذا ونحن إنما[٢] نقطع بما رأيناه ولا نشك فيه ولا يدخلنا تردد؟

فإذا صحَّ هذا فبما[٣] يمكن القطع إذا رأينا[٤] شيئاً أنه على ما رأيناه؟

٢٨ ـ **الثامن والعشرون**: قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٥].

قال المفسرون: الآية نزلت في قوم كانوا يسافرون ويخرجون بلا زادٍ، ويقولون: نتَّكِل فيَتكفَّفُون الناسَ بالطريق، فنزلت الآية[٦]، فإذا صَحَّ هذا فيكون قوله: تَزَوَّدوا، أمراً بالزاد المطعوم، فعلى ما يَرجِعُ قَولُه: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؟

وجاء هذا على جهة الحَضِّ على ما أَمَرَ به أولاً، والمأمور به أولاً على ما تقدم، إنما هو الزاد، فكيف يكون الحضُّ عليه بقوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾؟ ألا ترى أنك لا تقول: أُغزُ، واقْتُل المشركين، فإن جهاد النفس أفضلُ الجهاد، ولا تَصَدَّق، فإن الصلاة أساسُ الدِّين، فبيِّن لي هذا نَوَّر الله قَلْبَك بنور حكمته وعلمه.

---

(١) بعض الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

(٢) في الأصل: مما.

(٣) في الأصل: فلما.

(٤) كذا، ولعله أرينا (خ).

(٥) بعض الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

(٦) الطبري: جامع البيان ٣/٤٩٤، ابن كثير في تفسيره ٢/٥١٠ (نشرة: د. البنا).

٢٩ ـ **التاسعُ والعشرون**: قوله تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[١]، لا يمكن أن يكون الإنكارُ على كل واحد منها بانفراده، لأنه يؤدي إلى النهي عن الأمر بالمعروف، وإذا كان الإنكارُ على الجمع بينهما لَزِم النصب، فما وجه رفع: تنسون؟

انتهت الأسئلة ونَقَلتُها من خَطِّ السائل رحمه الله تعالى، تتلوها الأجوبة بحول الله.

* * *

(١) بعض الآية ٤٤ من سورة البقرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

[١١]

صلَّى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلَّم

وقال الشيخ العلاَّمة المحقق أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي شُهِرَ بابن البَقَّال مجيباً على الأسئلة المذكورة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين، وعلى آلـه الأكرمين الطاهرين، وصحابَتِـه أنصارِهم والمهاجريـن، وعـلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنَّكَ سَـأَلتَنِي سَـدَّد الله سُـؤالكَ، وأنجـح في الصَّالحـات أقـوالَـكَ وأفعالَـكَ، عـن المسائـل التـي طـال فيهـا تَدَبُّـرك، وتوالى عنـدها تَـرَدُّدُك وتَفَكُّرُك، فلم يَتَّضِح لَكَ مشكلُها، ولم يَنْفَتِـح حتى الآن مُقفَلُها، فلم أَجِد بُدًّا من إسعافِ مَطلَبِك، وقضاء مأربك، فقلتُ: على أن الخاطِرَ شُعاعٌ، والباعَ غيرُ وَسَاعٍ:

١ ـ أما السؤال الأول:

فجوابه: والله أعلم بما يُنَزِّل: أن عَوْدَ الضمير على القارىء مختلفٌ بحسب السياق، فأما ما كان منه واقعاً على الحكاية بعد القول، كقوله تعـالـى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[1]، ﴿وَقَالُوا

(١) بعض الآية ١٦ من سورة آل عمران.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾[1]، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾[2]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾[3]، إلى غير ذلك مما سبق في مَعْرِض الحكاية بعد القول، فلا يصح ردُّ ضمائره إلى القارىء، ضرورةَ أن ذلك يُبَدِّدُ نَظْم السِّيَاق ويُنَافِيه.

نَعَم، لو اقتطع القارىء المقُولَ مُعَرًّى من القَوْل فقال مثلاً: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾، ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧﴾، ونَوى إعادةَ الضمائر على نفسِهِ، إما على العموم في نحو: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾، أو على الخصوص في نَحو: ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ لاحتمال أن يقال: إن ذلك ليس من التلاوة، لِتَغَيُّر مدلول / الضمير، إذ مقتضاه في جميع الآي، ليس هو ما نَوَاهُ القارىء الآن، وهذا هو الظاهرُ بِبَادي الرأي. [١٢]

ويحتمل أن يقال: إنه من التلاوة، وإن تخصيص الضمير فيه ليس بالذي يخرجه عنها، وهذا لأن المحكي في الآي المذكورة ونظائرها كالكلي بالنسبة إلى أفراده، فكما أن إطلاق الكلي مراداً به بعضُ أفراده لا يُنافي مَدلولَه[4]، فكذلك هنا، والله أعلم.

---

(١) بعض الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

(٢) بعض الآية ١٤٧ من سورة آل عمران.

(٣) بعض الآية ٩٧ من سورة المؤمنون.

(٤) الكُلِّي في عُرف الأصوليين والمناطقة: ما لا يمنع نفسُ تَصوره من وقوع الشَّرِكة فيه، والمراد منه إمكانُ فرض صدق اللفظ الكلي على أفراده في العقل، سواءً تحقق ذلك الصدق في الواقع على جميع الأفراد أو تخلف عن بعضها. وقد يختص الكلي بنوع واحد لا يوجد في غيره ويطلقون عليه الخاصة، إلى غير هذه الإشارات حول لفظ الكلي مما هو معلومٌ عند أرباب هذا الفن، وله تأثير في قواعد الأصول والأحكام.

يُنظَر: الزركشي: البحر المحيط ٢/ ٥٤، ٥٢، ابن النجار: شرح الكوكب المنير =

ويدل على ما قلناه من هذا: استدلالُهم على أن مَسَّ غير المتطهر للكتاب ــ وفيه الآية ونحوها ــ ولِكُتُب التَّفاسير وفيها الآي ــ مُغتَفَرٌ لحديث هرقلَ الطويل، وفيه: «وإن تَوَلَّيت فعليك إثمُ الأريسيين، و ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ﴾ الآية»[1].

ووجه الدليل من ذلك: أن هذه الآية في التلاوة مُسْتَفْتَحةٌ بـ (قُل)، وهي في الحديث مُقتطَعَةٌ منها ومخصوصةٌ ببعض ما تتناوله[2] وهو هرقل وأتباعه، وهم بعض من تتناولهم الآية من أهل الكتاب، ومع ذلك فقد حكموا بأنها بعضُ التلاوة، واستدلوا بها على ما قلناه[3].

ونجد الفقهاء يقولون في نحو قول المصلي: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾[4]، لا يَقصِد بذلك غيرَ التَّفهيمَ، إن ذلك لا يضره، قاله ابن حبيب[5].

= ١/ ١٣٣، ١٣٥، الكفوي: الكليات ص: (٧٤٦)، حبنَّكة الميداني: ضوابط المعرفة ص: (٣٥).

(١) حديث هرقل خرجه البخاري في جامعة بطوله ح: (٧) كتاب بدء الوحي، ومسلم في صحيحه باختصار ح: (١٧٧٣).

(٢) في أصل نسخة (خ) تساق له، وما أثبته موافق للأصل.

(٣) مسألة جواز مَسِّ الكتب التي تتضمن آيات من القرآن ككتب الفقه والتفاسير، ولو اشتملت على كامل القرآن مصحوباً بغيره من كلام العلماء هي من المسائل المشهورة في كتب الأحكام، وقد أجاز العلماء مسَّ هذه الكتب المتضمنة للقرآن لغير الطاهر، ولو كان جنباً، لأن المقصودَ من هذه الكتب ما تحويه من معاني القرآن تفسيراً وفقهاً وليس القرآنَ نفسَه، واحتجوا على ذلك بحديث هرقل كما نبَّه عليه المؤلف.
ينظر في المسألة: ابن قدامة: المغني ١/ ٢٠٤ (نشرة: دار هجر)، الدسوقي: حاشية الكبير على مختصر خليل ١/ ١٢٥، الشوكاني: نيل الأوطار ١/ ٢٠٧.

(٤) الآية ٤٦ من سورة الحجر.

(٥) هو: أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان السلمي ولد سنة ١٨٠هـ، من =

فانظر كيف جعله من التلاوةِ مع تَغَيُّر مَدلُولِ الضَّمير ولم يجعله كلاماً، وإلاَّ لأبطل عنده الصلاة.

وأما ما وَقَع من ذلك على غير الحكاية بعد القول، فلا يصرفه عن التلاوة ردُّ الضمائر إلى الخصوص، ويدل عليه حديثُ: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**»[1]، وهو ظاهرٌ جدًّا لا غُبارَ عليه، وقولُ مَن أَضْمَر القولَ ضعيفٌ، لأنه على خلاف الأصل، وإن سَوَّغناه فعلى أن يكون إضماره بحسب كل قارىء، وإلا فالحديث المذكور يرده، وما وقع في السؤال من أن الظاهر في المعوذتين عودُ الضمير إليه عليه السلام عند استفتاحها بالقول، فليس كذلك، لما تقدم.

نَعَم إذا اقتطع المحكيَّ فقال مثلاً: أعوذ برب الفلق، أعوذ برب الناس، فيتأتى ذلك على حسب ما تقدم وقَدَّرْناه.

[١٣] / وقد كان عليه السلام يَقْتَطِع المَحْكِيَّ، ففي مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهتُ وجهِيَ للذي فطر السماوات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمِرتُ، وأنا أَوَّلُ المسلمين**»[2].

= أئمة الفقه والفتوى في الأندلس في وقته، له مصنفات حسانٌ في الفقه والتاريخ والأدب، وقد ضعَّف علماء الحديث روايته، واتهموه بالتساهل، مات عام ٢٣٨هـ.

ترجمته في: ابن الفرضي: تاريخ العلماء ١/ ٣١٢، الحميدي: جذوة المقتبس ٢/ ٤٤٧، المقري: نفح الطيب ٢/ ٥ ــ ١٠.

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) خرَّجه مسلم في صحيحه ح: (١٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، وأبو داود في سننه ح: (٧٤٤) كتاب الصلاة، والنسائي =

وهذا يُؤَيد ما قلناه أولاً، لاسِيَما على مذهب الشافعي الذي يرى أن دعاءَ الاستفتاح بعد الإحرام بالتكبير، وما وَقَع في السؤال من الاستدلال بحديث حذيفة[1] فقد لا ينهض، لاحتمال أن يكون المرادُ من تسبيحه عليه السلام وسؤاله وتعوُّذه إنما هو على أنه إذا مَرَّ بالآية المشتملةِ على شيء من ذلك خصَّها بمزيد تكرارٍ وإعادةٍ وحُضورٍ اهتماماً بما اشتملت عليه من ذلك، فيكونُ تَسبيحُه وسُؤالُه مُراداً به ما ذكرناه مِن مَزيدِ التكرار والتَّردادِ والحضور، أو يكون إنما يفعل ما يفعل من ذلك في المواضِع المحكِيَّةِ بعد القول وما جرى مَجراها، مثل أن يسبح في مثل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[2]، ويسأل في نحو: ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾[3]، ويتعوذ في نحو: ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[4]. [وفي مثل: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾[5]][6].

وما وقع في السؤال من تنظير الآي المحكية بعد القول بقول السيد لعبده: قُل: اضْرِب زيداً، يريد بذلك أَمْرَه بالضرب، فليس كذلك، وإنما يُناظَر ذلك بقوله: قُل: أَتَعوذُ مِن زيد، حتى يكون المأمور به مُتَعَلَّقاً للقول كالتعوُّذ، وأما الضرب فليس مُتَعلقاً للقول: فمِن ثَمَّ كانت الإحالةُ التي ذكر، ولم يكن للقول في المثال المذكور فائدةٌ.

= في المجتبى ح: (٨٩٦) كتاب الصلاة، باب: نوع آخر من الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة.

(١) الأصل: حُذَلبة (خ).

(٢) بعض الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٣) بعض الآية ١٩٣ من سورة آل عمران.

(٤) بعض الآية ٢٠١ من سورة البقرة.

(٥) بعض الآية ١٠ من سورة آل عمران.

(٦) كذا في المعيار، وفي الأصل ساقط.

[أما المعوذتان فليستا كذلك، إذ المأمور فيهما متعلق القول، والله أعلم][1].

٢ ــ وأما السؤال الثاني:

فجوابه: أن الآية المكرمة وإن لم تتناول ما ذكره من الكفر بالرسول عليه السلام وباليوم الآخر بأول المتبادَر منها، ولكنها عند التحقيق مُتَنَاولةٌ له قطعاً.

وبيانُه: أن حقيقة الشرك، إنما هي أن يجعل مع الله غيره مشاركاً له في أفعاله أو شيء منها سبحانه وتعالى علواً كبيراً، ولا شك أنه لا نوعَ من أنواع [١٤] / الكفر إلاّ وهو شرك، فعبدةُ الأوثان مشركون بأوثانهم، والمجوس بنيرانهم، والثنوية[2] بنورهم وظلمتهم، والطبيعيون[3] بطبائعهم، والمنجِّمون بكواكبهم، والفلاسفة بعللهم ومُفارَقاتِهِم، واليهود بتجسيمهم، والنصارى بتثليثهم.

فالمكذب بالرسول أو بشيء مما عُلِم بالضرورة مجيئه به إنما أتى عليه[4] من قِبَل إشراكه بأحد أنواع الإشراك المذكورة، إذ لو أثبتَ الفاعل المختارَ على حسب ما هو عليه الأمر في نفسه لصَدَّق بجميع العقائد المترتبة

---

(١) كذا في المعيار، وفي الأصل ساقط.

(٢) طائفةٌ دينية تعتقد بوجود إلهين مدبِّرين لهذا الكون: إله للنور وهو خالق الخير، وإلهٍ للظلمة وهو خالق الشر، وشبهتهم أن العالم فيه خير وشرٌّ، ولا يمكن نسبتهما إلى إله واحد. يراجع: د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي ١/ ٢٨٠.

(٣) طائفة دينية فلسفية: naturisme يُنسب إليها مذهب عبادة الطبيعة، يقوم على اعتبار الحالة البدائية للدين القائمة على عبادة قُوى الطبيعة وكائناتها، وتسمى نظريتهم: نظرية الدين التاريخية. جميل صليبا: المعجم الفلسفي ٢/ ١٩.

(٤) في نسخة (خ) أتي عنه، والمثبت من نسخة المعيار.

عليه، فإخلالُه بِفَرعٍ من فُروعِ ذلك الأصل إنما جاءه من قِبَل اعتقاد فاسد في الأصل، واعتقادُه الفاسد في الأصل إشراك قطعاً، ضرورةَ أن ما اعتقده فاعلاً أو ربًّا فليس بِرَبٍّ على الحقيقة، لإخلاله بما يجب أو يجوز أو يستحيل في حقه.

إذا تقرر هذا، فالكفر بالرسول أو باليوم الآخر أو غير ذلك مُستَلْزِمٌ للشرك قطعاً، فحينئذٍ نقول: كُلُّ مُكَذب بالرسول أو باليوم الآخر أو غير ذلك مما عُلم من الشريعة ضرورةً فهو مُثْبتٌ مع الله غيره، [حسبما قررناه، وكل مثبت مع الله غيره][1] مُشركٌ.

فكُلُّ مُكَذب بالرسول أو باليوم الآخر مُشرِك، وكذلك كُل ما في معناه، فما من كفر إلاَّ وهو داخلٌ تحت الشرك إما بأصله أو باستلزامه، فيَتَنَجَّز[2] عليه الخلود[3] في النار بشرط الموافقة، عَملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، وما ليس كذلك ففي المشيئة، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4]، فقد تمشت الآية على أُصولِنا عَمَلاً بعمومها في كلا الطرفين، والحمد لله.

٣ ــ وأما السؤال الثالث:

فجوابه: أن الفُحشَ والفحشاءَ إنما هو مُجاوزةُ القَدرِ قولاً أو فعلاً، يقال: أَفْحَشَ وفَحُش إذا قال قولاً فاحشاً، أي مجاوزاً للواجب، فالفحشُ

---

(١) كذا في المعيار، وفي الأصل ساقط.

(٢) تقول تَنَجَّزها: أي استنجحها وسأل إنجازها، وتَنَجَّز: أَلَحَّ في شُربه. القاموس المحيط: مادة: (نجز).

(٣) كذا في حاشية الأصل وفي المعيار، وفي الأصل: الدخول.

(٤) الآية ٤٨ من سورة النساء.

والفاحشة هو القبيح من قول أو فعل[1]، والقبيح ـ حسبما تقرر في موضعه ـ يُطلق:

أما **عقلاً**: فإما على ما ينافر الطبع السليم، كإيلام البريء، والإساءة إلى المحسن، / وإما على ما هو صِفةُ نَقصٍ كالجهل والظلم، وأما **شرعاً**: فعلى ما نهى الشرع عنه. [١٥]

إذا تقرر هذا فنقول: إن المراد بالآية ـ والله أعلم ـ أنه سبحانه لا يأمر بما هو مستقبح عند العقل على كلا التفسيرين الأولين، لا سيما وأكثر المفسرين على أن المراد بالفاحشة في الآية ما كانوا يفعلونه من طوافهم بالبيت عُراةً[2]، ولا ارتياب في أن الطباع السليمة تنفر عن كشف العورة[3].

فإن قلتَ: وكيف يتسنى هذا على أصول أهل السنة، [أليس] هذا هو التَّقْبِيحُ العقلي الذي يقوله المعتزلةُ؟

قلتُ: ليس الأمر كما ظننتَ، لأنا نحن والمعتزلة متفقون على أن العقل مُدرِك لأمور حسنة، وأمورٍ قبيحةٍ حسبما قلناه في إدراكه القُبحَ لإيلام البريء والجهل.

نَعَم وعلى أن الأوامر والنواهي الشرعية إنما هي بحسب ما اشتملت عليه المأمورات والمنهيات من المصالح والمفاسد التي بحسبها كان المأمور به حسناً، والمنهي عنه قبيحاً عقلاً، ولو أبطلنا الحسنَ

---

(١) كُل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشةٌ.
ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ١٨٨، اللسان: مادة (فحش).

(٢) فسره بذلك ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم.
يراجع: الطبري: جامع البيان ١٠/ ١٣٧ ـ ١٣٨، ابن كثير: تفسير القرآن ٣/ ١٤١٩ (نشرة: د. البنا).

(٣) الأصل: العودة (خ).

والقُبحَ العقليين لَتَعَطَّل أكثر الأحكام، وبطلت قاعدة القياس واستنباط حِكَم الأحكام.

إلاَّ أنَّ فَصْلَ القَضِيَّة بيننا وبين المعتزلة أنهم يقولون: إن العقل يَحكُمُ بتَرَتُّبِ الثواب على فعل الحسَن وترتُّب العقاب على فعل القبيح [ولو لم يكن شرع، ونحن نقول: إن العقل وإن أدرك حُسن الحسَن، وقُبح القبيح](١) فليس يحكم بِتَرَتُّب ثواب ولا عقاب عليهما، فالعقل ـ عندنا ـ مُدرِك غير حاكم، وهو ـ عندهم ـ مُدرِك حاكم.

فعندنا أنه سبحانه لا يجب عليه شيء، فَلَه أن يرتب الثواب على فعل القبيح، والعقاب على فعل الحسن، يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد في خلقه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٢)، إلاَّ أن الواقع أنه تعالى رَتَّب الجزاء ثواباً وعقاباً على موافقة العقل تفضلاً منه لا وجوباً عليه، وعلى هذا التقدير فلا يبقى في الآية إشكالٌ(٣)، والله أعلم.

---

(١) نص ساقط من المعيار.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٣) يشير الفقيه رحمه الله إلى مسألة الحسن والقبح المشهورة في كتب المقالات، وملخصها السؤال عن إمكان إدراك العقل لحسن الأشياء وقبحها، وهل هذا الدَّرْك العقلي حصل قبل نزول الوحي، والوحي إنما جاء مصدقاً لهذا الحكم العقلي.

وأول من أثار هذه المسألة الجهمُ بن صفوان، ثم تلقفها المعتزلة بعده، وتوسعوا في مناقشتها؛ فجعلوا الحسن والقبح صفتين ذاتيتين في الأشياء، وأن العقل هو الذي يدرك هذا الحسن والقبح، أما الشرع فإنما يبين ويؤكد حكم العقل.

وقد ناقش الأشاعرة هذا الرأي الاعتزالي، وخلصوا إلى أن العقل عاجزٌ عن إدراك حسن الأشياء أو قبحها قبل ورود الشرع، وإذا حصل أن الشرع حسَّنَ ما هو قبيحٌ، أو قَبَّح ما هو حسن، فإنه حينئذ حكم صحيح. =

[١٦] ٤ ـ / وأما السؤال الرابع:

فجوابه: أن المصيبة وإن كانت بحسب صلاحية[١] مدلولها لكل شيء يرزأ[٢] الإنسان نفسانياً، [كان أو بدنياً أو مالياً][٣]، بل الظاهر أنها تطلق في محالها بتشريك.

ولا شك أن المصيبةَ بالذنوب أعظم المصائب، لأنها تُثمِر البعدَ من الله عزَّ وجلّ، وسائرُ المصائب النفسانيةِ غيرها، أو البدنية أو المالية، ربما كان الأمر فيها بالعكس، فمصيبة الذنوب أحقُّ أن تسمى مُصيبةً، إلاَّ أن سياقَ الآية يأبى ذلك، فإنها لا يستقيمُ حملُها على مصيبة الذنوب مع أنها في مَعْرِض المدح على القَطْع، أو لاتباع الصابرين المبشرين، فإنه إنما بَشَّرَهم

= وتوسط بعض علماء السنة في هذه القضية برأي وجيهٍ مفاده أن الشرع يحسن ويقبح، كما أن العقل يدرك المصالح والمفاسد، فالعقل يدرك أن العدل حسن، وأن الظلمَ قبيحٌ، ولو لم يرد به الشرعُ، إذ الصفةُ ثابتةٌ للفعل قبل ورود الشرع، أما تعقيبُ وقوع العذاب على الفعل القبيح، والنعيم على الفعل الحسن في الآخرة فإنه لا يُدرَك إلاَّ بالشرع.

ومنشأ الخلاف في المسألة التمييزُ بين اكتساب الفعل صفة الحسن والقبح من العقل بدون الشرع، وبين ترتيب العقاب والذم على الفعل في الآخرة بالعقل دون الشرع، وإذا فُهِم التَّوَسُّطُ الذي سبق بيانه زال الإشكال، واسْتَبَان المقال.

يُنظَر: القاضي عبد الجبار: المغني ج : ٦ القسم الأول ص : (٢٦) وما بعدها، الرازي: المحصل ص : (٢٠٢ ــ ٢٠٣)، الجويني: الإرشاد ص : (٢٥٨) وما بعدها، ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٣٦٤، عبد الرحمن بدوي: مذاهب الإسلاميين ص : (٧٤٣) وما بعدها.

(١) كذا في المعيار، وفي الأصل غير واضحة.

(٢) كذا في حاشية الأصل (خ).

(٣) كذا في المعيار، وفي الأصل ساقط.

لصبرهم عند حلول المصيبة بهم، فكيف يَستقيمُ حملُ المصيبة على الذنوب؟

فإنه يكون التقدير حينئذ، وبَشِّر الصابرين عند مُقارَفَتِهم الذنوبَ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله، وأي صبر لمن لم يَحبِس نفسَه عن مُقارَفة الذَّنب مع أنه قد أعطى هواه، ما مال إليه واشتهاه.

على أني أقول بعد هذا: إنه لا يبعد كُلَّ البعد تناولُ الآية لذلك، ويكون الصبر المذكور إنما هو حبسَ النفس عن الاسترسال، وكَفَّها عن الإصرار على الذنب، فتكون الآية في معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢ ﴾[1]، لكن الأول أظهر، والله أعلم.

٥ ـ وأما السؤال الخامس:

فجوابه: أن الظاهِرَ عَوْدُ الضمير على المشركين، وهو ظاهر كلام المفسرين، فقد روي أنهم كانوا إذا عَيَّنوا شيئاً من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم، قالوا: لا يَطعَمُها إلاَّ من نَشَاء، يَعْنون بذلك خَدَمَة الأوثانِ والرجالَ دون النساء.

وما وَقَع في السؤال من رَدِّ هذا الوجه، بأن جميعَ ما ادَّعَوا تحريمه، فإنما ينسبونه إلى الله تعالى، فليس في هذا الوجه ما ينافيه، فإنَّ دعواهم أنها حِجْرٌ لا يطعمها إلاَّ من يشاؤون[2]، حُكمٌ ينسبونه إلى الله تعالى بدليل قوله: (**بِزعمِهم**)، وقوله: (**افتراء عليه**)، وذلك أن / (**افتراءً**) على الأصح مصدرٌ [١٧] مُؤَكِّدٌ لما اقتضاه الكلام المتقدم، كقوله تعالى: (**صبغةَ الله**) و (**صنعَ الله**) وخلقَه، وقولهم: الله أكبر دعوة الحق.

---

(١) الآية ٢٠١ من سورة الأعراف.

(٢) يشير إلى حكاية الرب عنهم في القرآن: ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝١٣٨ ﴾، الآية ١٣٨ من سورة الأنعام.

وجهة الافترائية نسبتُهم جميعَ تلك الأحكام المذكورة إلى الله تعالى، وفي عَودِه على الله سبحانه بُعدٌ من حيث إنه يكون التقدير: وقالوا ــ بزعمهم ــ هذه أنعامٌ وحرث محرَّمَة لا يُطعمها إلاَّ من يشاء الله أن يطعمها، أو من يشاء أن يُحلها له، فيعطي ذلك أن الإطعامَ أو الحلَّ مُتَّفقان مُتوقِّفان على مشيئة لم تقع بعدُ، اللهم إلاَّ أن يُتَجوَّز بـ: (نَشَاء) فيُحمَل على المُضِي، ويكون المعنى: إلاَّ مَن شاء الله أن يخلق عندنا إطعامَه إياها، يُطعمها أو يحلها له، وهم الذين قَصروا كُلَّ ذلك عليهم، وهذا مُتكلفٌ جداً، أو يكون المعنى: إلاَّ من يشاء الله أن يخلق عندنا إطعامَه إياها، وما أبعدَ أن يحمل كلام مشرك على هذا التأويل الذي لا يليق إلاَّ بِمُتَغَلغِلٍ في بحر التوحيد، والله تعالى أعلم.

٦ ــ وأما السؤال السادس:

فجوابه: أن الآية جاءت مُبيِّنة لافترائهم، ومُبَكِّتةً لهم، وذلك أنهم لما كانوا مضطربين في التحريم فتارةً يُحَرمون الذكور، وتارةً الإناثَ، وتارةً ما اشتملت عليه الإناثُ ذكوراً كانت أم إناثاً.

إذن حالهم بِتَحَيُّرٍ من حيث إنهم لم يستقروا على أمر واحد، فَطُولِبوا بالمحرم من الأصناف[1] الثلاثة ما هو: استعجازاً لهم وإظهاراً، لأنهم إنما حرموا ما حَرَّموه عن مجرد هوًى وشهواتٍ مُضطَربة، ولو كان ذلك من عند الله تعالى لما وجد فيه هذا الاختلاف الكثير، ولكان مُستَقِرًّا على أمر واحدٍ لا اضطراب فيه، ثم أَكَّد الأمرَ في تبكيتهم بأن أُمِر عليه السلام بأن يطالبهم بالبرهانِ والإنباء عن علمٍ، وأن يُوَبِّخَهم بقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾[2]، أي بل أكنتم حاضرين حين الوصية؟

(١) في الأصل: الإنصاف (خ).

(٢) بعض الآية ١٤٤ من سورة الأنعام.

ثم لما أَظهَرَ افْتِراءَهُم وعَجزَهُم عن الجواب قَرَّعَهم بقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾(1) الآية، والله أعلم.

٧ ـ / وأما السؤال السابع: [١٨]

فجوابه: أن الآية وما في معناها تَحمِل وجوهاً من التأويل:

أحدها: أن يكون السياق في ذلك على حسب المتعارَفِ عند التَّخاطُب، وذلك أن السيد مثلاً إذا أرقى عبده إلى منزلة، واستحفظه فيها أمانة، ثم اطَّلَع منه في المنزلة والأمانة على خيانةٍ لا تصدر إلَّا عن لُؤم طَبعٍ، وخُبْثِ سَريرةٍ، واستكشف حالَهُ في ذلك اسْتِكشافاً صار به غائبُ أحواله كشاهدها، ونائيها كحاضرها، فأوجب ذلك أن حَطَّه عن مَنْزِلَته، وعَزَلَه عن أمانته، مُقسِماً على ذلك قَسَماً لا مَثْنَوِيَّة فيه، فحضر العبد بين يديه مُعتَرِفاً بذنبه، مُتَنَدِّماً على ما صدر منه، مُظْهِراً من ذلك أقصى ما يمكنه، طالباً من سيده أن يرده إلى منزلته، ويعيده إلى أمانته، فقال له السيد: لا أفعل ذلك، لأني أعلم أنك لو رَدَدت إلى منزلتك لرجعتَ في الخيانة إلى ما توجبه طباعُك، وتقتضيه جِبِلَّتُك.

فإذا قال السيد هذا معتمداً على ما استكشفه من حال العبد، كان جارياً على عُرفِ التخاطب، ولم يحسُن أن يقال للسيد: وكيف تَحكُم عليه بِصَحَّة العَوْدِ إلى جِنايَته، والعَودُ إلى الجِنايَةِ إنما يكون بعد الرجوع إلى المنزلة التي كان عليها، وأنت قد أقسمتَ على ذلك قسماً لا مثنوية فيه، بل كان ذلك جارياً على المتعاهَد في الخطاب؟

إذا تَقَرَّر هذا فنقول: إن الآية الكريمة جاريةٌ على هذا الأسلوب من الكلام، أي هم بحسب ما جُبِلوا عليه من الكُفر بحيث تقولون فيهم عند

---

(1) بعض الآية ٣٧ من سورة الأعراف.

مشاهدة حالهم، ما تقولونه في تخاطبهم عند جَرَيانِ مِثله: لو رُدوا لعادوا، **وبهذه الطريقة تَنحَلُّ مُشكِلاتٌ كثيرةٌ من القرآن من التَّمَني والترجي والابتلاء ونحوها.**

وثانيها: أن هؤلاء لما سَبقَت فيهم السَّابِقَة القضائية، وكانوا من قَبْضَة النَّار والعياذ بالله، وكانوا بحيث لو اتَّفَقَ عَوْدُهم لما فَعَلوا إلاَّ ما اقتضته السابقة، وهذا ظاهر جداً.

[١٩] / **وثالثها:** أن الله سبحانه جَبَلَهم على صفات كفرية لا يَنفَكُّون عنها، بحيث إنهم لو رُدوا لعادوا بحسب ما جُبلوا عليه من الطِّبَاعِ الكُفْرِية، فقد جاء في الغلام الذي قتله الخضِر عليه السلام أنه طُبع كافراً، وهذا الوجه عند التحقيق يرجع إلى الذي قبله.

وبهـذه الوجـوه الثلاثـة أو ببعضهـا يحـلُّ جميع مـا أورد في السـؤال، وما في معنى ذلك مما وقع في السؤال من قوله: وإن كان أراد أن لا يوجده تعلق العلم بأنه لا يوجد، صوابُه: وإن لم يرد أن يوجده تَعَلَّق العِلمُ بأنه لا يـوجـد، وإنمـا قلنـا بصـواب هـذه العبـارة دون تلـك، لأن العَـدَم السَّـابِـقَ لا يَصِح تَعَلُّقُ القُدرةِ والإرادة به اتفاقاً، نعَم الخلافُ في العَدَمِ اللاَّحِقِ[١].

وقوله: فـإذا ثبت أن الإرادة تَعَلَّقَـت برجـوعهم، ليس بصحيـح، فإنه لو تَعَلَّقَت الإرادةُ برجوعهم إلى الكفر لرجعوا، ولم تقتض الآية تَعَلُّق الإرادة برجوعهم إلى الكفر، نَعَم اقتضت أنهم كانوا يرجعون إلى الكفر لو رُدوا إلى الدنيـا، ورَدُّهم إلى الدنيـا، منتفٍ عمـلاً بالعلم، فينتفـي بالضرورة المرتَّبُ عليـه، وهـو رجوعهم إلى الكفـر في الدنيـا، وإذا كـان رجـوعُهم إلى الكفر

---

(١) العـدم يقابل الوجود، وأعـمُّ من النفي، والعـدم السابقُ: هو المتقدم على وجود الممكن، والعدم اللاحق: هو الذي بعد وجوده.
يراجع: الكفوي: الكليات ص: (٦٥٥) (ط. الرسالة).

منتفياً، كان تَعَلق القدرةِ بها مُنتفياً ضرورة أنه تَعَلَّقت القُدرةُ به لكان، وإذا انتفى تَعَلُّق القُدرةِ به انتفى تَعَلُّق الإرادةِ به، إذ لو تَعَلَّقَت الإرادَةُ به لَتَعَلَّقَت القُدرَةُ به، ولو تعلقت القدرة به لوُجِد، والإلزام منتفٍ، فملزومُه وملزومُ مَلزُومِه مُنتفٍ.

فإن قيل: وما حظُّ العِلمِ من هذه الأمور؟

قلنا: هو مُتَعَلِّق بكل واحد منها على ما هو به، فهو متعلق بأنهم لا يُرَدون إلى الدنيا، وبأنهم لا يرجعون إلى الكفر في الدنيا، وبأنهم لما كانوا لا يعودون إلى الدنيا فلا يعودون إلى الكفر فيها، أي بلزوم عدم كفرهم في الدنيا لعدم رجوعهم، وبأنهم لو رُدوا إلى الدنيا لرجعوا إلى الكفر فيها، أي للزوم رجوعهم إلى الكفر لردهم إلى الدنيا / بناءً على ما قررناه(١) من [٢٠] التأويلات الثلاث، فهكذا يجب أن يفهم هذا الموضع، فإنه من مَزَلَّاتِ(٢) العُقَلاءِ.

ومما تقرر ــ أُريدُ ــ مما قلناه يتبين لك أن الاستحالة المذكورة في السؤال غيرُ صحيحة، فافهم فَهَّمك الله.

٨ ــ وأما السؤال الثامن:

فجوابه: أن صِحَّةَ وجود العالَم بالنسبة إلى ذاته لا أول لها، فهي ثابتةٌ في كل زمان يُفْرَضُ لا إلى نهاية.

قوله: يلزم منه قِدَمُ ما ثبت حدوثه، **قلنا**: ممنوعٌ لأن الإمكان بحسب الذات لا ينافي ضَرورةَ الامتناع أو الوجوب بحسب الغير، وإلَّا لَزِم اجتماعُ الضِّدين، وهذا لأن الجسم يَصِح عليه الحركَةُ والسُّكونُ بالنسبة إلى ذاته،

---

(١) في الأصل قدرناه (خ).

(٢) في الأصل مذلات (خ).

والموجود له إنما هو أحدهما، فلو كان الإمكانُ الذاتِيُّ ينافي الامتناعَ العَرَضِي للزم صحة [اتصافه بالسكون حال اتصافه][1] بالحركة، وذلك معلومٌ البُطلانِ بالبديهة.

فإذن: إمكان وجود العالَم في كل زَمان يَعرضُ لا يُنافي امْتِناعَه أزلاً لعارِض، فالعارضُ هنا أن صانع العالَم جلَّ وعلا فاعِلٌ مُختارٌ، [وكل فاعل مختار][2] فَفِعلُهُ مُرَتَّبٌ على قَصدٍ وإرادَةٍ، وحَقيقَةُ القَصْد والإرادة، تخصيصُ ما لم يكن موجوداً بالإيجاد أو بالضد، فكُلُّ فاعِلٍ مُختارٍ فَفِعلُهُ مَسبُوقٌ بِعَدَم، فكلُّ فاعل مختار ففعله لا يكون أزلياً ضرورة أن الأزل عدم المسبوقية بالغير، أو أمر يستلزم ذلك.

وما وقع في السؤال من قوله: بين وجود العالَم وبين الأزل تقدر[3] أزمنة لا نهاية لها، ليس بكلامٍ محصِّل، لأنه يقْتَضي حَصْرَ ما لا يتَنَاهى بين حَدَّيْنِ وهما الأزلُ ووُجودُ العالَم، وذلك مُحالٌ، **وصواب الكلام أن نقول**: ووُجودُ العالَمَ، مَسبُوقٌ بِتقديرِ أَزْمِنَةٍ لا نِهايَةَ لها إلى آخر ما قال.

٩ ــ وأما السؤال التاسع:

فجوابه: أن (أفعل) التَّفْضيلِيَّة والتَّعَجُّبِيَّة يَصِح بِناؤها من (أفعل)، هذا هو الظاهر من كلامِ سيبويهِ، بل يكاد أن يكون / [٢١] نَصًّا، لأنه قال في بابٍ تَرجَمتُه: «هذا بابُ ما يَعمَلُ عَمَلَ الفِعلِ ولم يَجْر مَجْرى الفِعلِ ولم يَتَمَكَّن تَمَكُّنَه، وبِناؤُه أبداً من: فَعَلَ وفَعِلَ وفعُلَ وأَفْعَلَ

(١) كلمة أكلتها الأرضة، ولعلها انقطاع (خ)، والمثبت من نسخة المعيار.

(٢) كذا في المعيار.

(٣) في الأصل تقرر (خ).

هذه، لأنهم لم يريدوا أن يتصرف فجعلوا له مثلاً واحداً»[١].

وإن كان بَعضُ النَّحوِيِّين مِمَّن يَمنَعُ بناءَهُ من: أفعَل، تأول هذا الموضع تأويلاً يأباه سياقُ كلامِه، وقد فَرَّقَ بعضُ المتأخرين بين (أفعل) التي ليست همزتُها للتعدية نحو: أصاب وأَثنَى، فأجاز بِناءَه منها، وبين الذي همزته للتعدية نحو: أَذْهَب وأخرج فلم يُجز ذلك بها، إلاَّ أن ظاهر كلام الإمام التعميم، والمُستَنَدُ في ذلك السَّماعُ، وما وَقَعَ في السُّؤال من أن قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[٢] مصدر ثلاثي، ليس كذلك، لأنه القِسْط ليس مصدراً بل[٣] اسم كالطِّحن والذِّبح.

١٠ ـ وأما السؤال العاشر:

فجوابه: أن الظاهر أن الله سبحانه لما مَلَّك سليمان عليه السلام أجناسَ الحيِّ الأربعة وهم: الجنُّ، والإِنسُ، والطيرُ، والوحشُ، خَلَق للطير والوَحشِ عُقولاً لِيَتِم انتظامُ ذلك الملك العظيم الذي وَهَبَه له، ليكون ذلك مُعجِزَةً، والقُدرَةُ صالِحَةٌ لذلك، إذ هو من الجائزات وحملُ ذلك على نطقٍ حالي غيرِ مَقالي تَكَلُّفٌ يَأْبَاهُ الظَّاهِرُ بل النَّصُّ، ولا ضرورةَ تَدعُو إليه، هذا مع إطباقِ المُفَسِّرينَ عليه[٤].

وقد جاء من معجزات النبي ﷺ من نُطقِ الجماداتِ، وتَكْليمِ العَجْماواتِ، كَشَكوى البَعيرِ، والظَّبْيَةِ، وحَنِين الجِذْعِ، وتَسْليمِ الحِجَارَةِ

(١) كتاب سيبويه ١/ ٧٢ (نشرة: عبد السلام هارون، عالم الكتب).
(٢) بعض الآية ٩ من سورة الرحمن.
(٣) بل: زيادة للسياق (خ).
(٤) الطبري: جامع البيان ١٨/ ٣٩ (ط. دار هجر)، ابن أبي حاتم في تفسيره ٩/ ٢٨٦٤، ابن كثير في تفسيره ٦/ ٢٦١٨ (ط. د. محمد البنا).

عليه[1]، ما يَقْصِمُ ظَهرَ المُلْحِد، وذلك كُلُّه مَحْمولٌ على أن الله تعالى يخلق في عَجْمائِها نُطقاً وَعلماً، وفي جمادها حياةً ونُطقاً وعِلماً، وإذا كان العقل يصحِّحه، والسَّمعُ يُرَجِّحُه، فقد قالت حَذَامِ، فَيَجب التصديق والسلام[2].

١١ ــ وأما السؤال الحادي عشر:

[٢٢] **فجوابه**: أن الآية وإن لم تنته إلى النص الجلي / الذي لا يحتمل التأويل، فهي تؤكد أن نؤكد به[3]، وما يتأوله المعتزلة بعيدٌ جدًّا عن السياق، مُتكَلَّفٌ في اللسان، وما استشكلته في ذلك من حيث إن الظاهِرَ أن يوم نُضْرَةِ المؤمنين، وهو يومُ بُسُور أوجه الكافرين، وظَنُّهم أن تُفعَل بهم الفاقِرة[4]، وذلك قبل استقرار كل من الفريقين في داره، جَنَّتِه أو نارِه، فيلزمه[5] أحد وجهين:

إما أن النَّظَر المشار إليه في الآية هو النَّظَرُ الكائِنُ قبل الاستقرار كما هو الظاهر، ويدل عليه حديث أبي هريرة المشهور: «**إن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر**...» الحديث بطوله[6].

---

(١) راجع في شأن هذه الدلائل النبوية: البيهقي: دلائل النبوة ٦/٢٨ ــ ٣٠، ٣٤، ٦٦، القاضي عياض السبتي: الشفا ١/١٩٩، ٢٠١ (نشرة: البابي الحلبي)، ابن دحية السبتي: الآيات البينات ص: (٢٣٥) (نشرة: د. جمال عَزُّون).

(٢) اقتباس من المثل العربي السائر.

(٣) في الأصل: فهي تكاد أن تكونه.

(٤) الفاقرة: الداهية. القاموس المحيط مادة: (فقر).

(٥) الأصل: فيزله (خ).

(٦) خرَّجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، ولفظه: «**أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله: هل تضارُّون في القمر** =

وفيه: «**فيأتيهم الله تبارك وتعالى فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربُّنا فيتبعونه، ويضرب الصراطُ بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أولَ من يجوز**»، إلى آخر الحديث.

وهو نَصٌّ لا يحتمل التأويل في الرؤية، وأنها قبل الاستقرار. وإما أن يكون اليومُ المشار إليه هو يوم الآخرة الداخِلَ في ضِمنه يوم القيامة فما بعده، وهو نظيرُ يوم الدنيا، ولا شك أن الرؤيةَ وبُسورَ الأوجُه واقعانِ فيه وإن اختلفت[1] خُصوصاتُ هذا أو ذلك، وعلى هذا فلا تَنافُرَ في نَظْم الآية، ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝٢١﴾[2]، ثم قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[3]، ولا شك أن هذا اليومَ هو يومُ الآخرة قطعاً، والله أعلم.

١٢ ــ وأما السؤال الثاني عشر:

فجوابه: أن الرؤيةَ وإن كانت جائزةً عقلاً، فقد يمكن أن تكون ممنوعةً شرعاً، إما باعتبار بعض الأزمان، أو في حَق بعض الأشخاص، فلما سأل موسى عليه السلام الرؤية بناءً على جوازها عقلاً، ومَنَعه منها في الحالِ،

= **ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحابٌ، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناسَ يوم القيامة...**» الحديث بطوله، كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء ٩/ ١٥٦ (ط. اليونينية)، وأيضاً من حديث جرير بن عبد الله بنحوه، ومسلم في صحيحه، ح: (٤٥٠) كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، الحديث بطوله.

(١) الأصل: اختلف. (خ).

(٢) الآية ٢٠ من سورة القيامة.

(٣) الآية ٢٢ من سورة القيامة.

وكان ما كان من صَعْقَتِه وإفاقَتِه، عُلم سمعاً أنها لا تقع في الدنيا، ولم يكن ذلك عنده فقال: ﴿ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ من إقدامي على سؤال ما لم تُقرَّني عليه / ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1] بأن ذلك غير واقع في الدنيا سمعاً. [٢٣]

وهذه الأوَّلِيَّةُ ظاهِرَةٌ، فإن الأنبياء عليهم السلام هم أولُ من يَتَلَقى الأحكام عن الله تعالى، ثم تتلقاها منهم أُمَمُهُم، والله أعلم.

١٣ ــ وأما السؤال الثالث عشر:

فجوابه: أن ظاهر الشريعة من الكتاب والسنة، أن الساعة غيبٌ لا يعلمها إلاَّ الله سبحانه، هذا هو ظاهر الحديث من قوله ﷺ: **«في خمس من الغيب لا يعلمهن إلاَّ الله»**[2]، وظاهرُ الآية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[3] فهو مما استأثر الله سبحانه به، ودعوى معرفة ذلك من الحروف الواردة[4] في أوائل السور، وإنْ وَلَعَ به قومٌ[5]، فدعوى لا دليل عليها من ظاهر الشريعة.

---

(١) بعض الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) خرَّجه البخاري في جامعه من حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال: **«مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاَّ الله: لا يعلم ما تغيض الأرحامُ إلاَّ الله، ولا يعلم ما في غَدٍ إلاَّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطرُ إلاَّ الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرض تموت إلاَّ الله، ولا يعلم متى تقوم الساعةُ إلاَّ الله»**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿أنا ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ ٩/ ١٤٢ (ط . اليونينية).

(٣) تمام شاهد المؤلف من الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ الآية ٣٤ من سورة لقمان.

(٤) كذا في المعيار.

(٥) الأصل: يوم. (خ).

وقد اختلف الناس في مدلول [الشريعة][1] الحروف المذكورةِ اختلافاً كثيراً، [2][3] ومن جملة التأويلات: حملُها على ما توجبه[4] أعدادها في ترتيب (أبـي جاد)، [ومبلغها بعد إسقاط المتكرر تسعمائة وثلاثة، وهذا وإن لم يكن شافياً، بل قريباً مما جاء أنه عليه السلام لا يمكث تحت الأرض ألفاً، فهو مشتملٌ على دعاوى لا مجال للعقل فيها إلَّا بتوقيف.

فمنها: حمل هذه الأعداد على السنين دون غيرها من عشراتها وكسورها، ومنها: إسقاط متكررها، ومنها: أن تخصيص هذه الأعداد بهذه الحروف بناءً على ترتيبها في أبـي جاد][5] وهو اصطلاحي، وللحروف ترتيبٌ غير ترتيب (أبـي جاد) يوجب اختلاف تلك الأعداد.

وبالجملة فلا مجال للحَدْسِ والتَّخْمينِ فيما طَريقُه النَّقلُ والتَّوقِيفُ، والله أعلم.

١٤ ــ وأما السؤال الرابع عشر:

فجوابه: أن اليوم اللُّغَوي وإن كان محدوداً بِطُلوع الشمس إلَّا أن له مِقداراً من امتدادِ الزَّمان مَعقُولاً، فيكون المعنى من خلق السماوات والأرض في سِتَّةِ أيام: أنه في أزمانٍ سِتَّةٍ، بُعدُ ما بين طرفي كل واحد منها، بُعدُ هذه

---

(١) كذا في النسخة، وبإسقاطها يستقيم السياق.
(٢) الأصل: كثيرة. (خ).
(٣) ذكر إمامُ المفسرين ابن جرير الطبري أقوال الناس في معنى الحروف المقطعة، وعدَّدها عشرة أقوال، وأعقبها بكلام أهل العربية فيها، فراجعه إن شئت في: جامع البيان ١/ ٢٠٤ ــ ٢٢٨ (ط. دار هجر)، وأوصلها علامةُ الزَّيتُونَة الطاهر ابن عاشور إلى إحدى وعشرين قولاً في التحرير والتنوير ١/ ٢٠٦ ــ ٢١٨.
(٤) الأصل: توجيه. (خ).
(٥) كذا في المعيار.

الأيام التي تحدونها بطلوع الشمس مثلاً، ويكونُ الزمانُ الأولُ من الستة المحدودة بل السبعة بيوم الجمعة، اسمه يوم الأحد، وكذلك إلى آخرها.

وفي الزمان السابع كَمُلَت أيام الجمعة وأسماؤها، ثم عاد دون التسمية، وهَلُم جرًّا، وهو ظاهر لا إشكال فيه، والله أعلم[1].

١٥ ــ وأما السؤال الخامس عشر:

فجوابه: إن ذاتَ مَنقولةٌ عن ذات بمعنى صاحِبَة، وهي مؤنَّثَةُ ذي الذي أصلُ وضعه أن يُتوصل به إلى الوصف بأسماء الأجناس، / فذاتُ الشيء إذاً [٢٤] إنما هي صاحِبَتُه ولازِمَتُه، فإن حقيقة الصُّحبة هي المُلازمةُ، أو أمرٌ تلزَمُه الملازمة، وألزَمُ الأمور للشيء، وأصحبُها له هي حَقيقَتُه التي تَرَكَّب منها إن كان مما يَصِح فيه التركيب، أو إنِيَّتُه التي بها هو صحَّ إطلاق الذات على تلك الحقيقة وتلك الإنِّية بهذا القدر من علاقة، وهذا بالعرف الخاص، ثم تجوزوا فاقتطعوه عن الإضافة، وعاملوه معاملة الأسماء غيرِ اللاَّزِمَةِ الإضافةَ.

وأما الإطلاق فالظاهر فيه المنعُ لما فيه من التأنيث اللفظي، وقد منعوا من إطلاق علاَّمَةٍ وإن كان للمبالغة لما في لفظه من التأنيث، إلاَّ أن ذلك لما كان عُرفاً خاصّاً تسامحوا فيه، كما تسامحوا في إطلاق الحقيقة، وصانع العالَم، وهذه كُلّها ألفاظٌ موهِمةٌ سَوَّغَتها ضرورةُ الحاجةِ إلى عباراتٍ تؤدي ما يُريدونَهُ من المَعَالي، وأيضاً فلارتِفاعِ الإيهامِ عن الخاصَّةِ، والله أعلم.

---

(١) كذا في نسخة المعيار، وفي الأصل كلماتٌ غير مقروءة بسبب طمس الأرضة لها.

١٦ ـ وأما السؤال السادس عشر:

فجوابه: إن للمفسرين في (**تَفَكَّهون**) أقاويلَ[1]، قيل: تعجبون، وهو موضوع الكلمة لُغةً، تقول: تَفَكَّهتُ من كذا، أي: تَعجَّبتُ منه، وقيل: تندَمون، وقيل: تتلاومون، وقيل: تَتَفَجَّعون[2].

أما على الأول فيكون المعنى: فظَلْتُم تَتَعَجَّبون من ذهابِ نَضارَتِهِ، وتَصْريح إيقاعِهِ، ولا شك أن هذا التَّعَجُّبَ يستلزم تذكرهم خسران ما أنفقوه في حَسْرَتِهم، وحِرمانِهم ما أَمَّلوه من حُصولِ قَوام[3] أبدانهم، وذلك يتضمن قولهم: (**إنا لمغْرَمون**)، أي: مُلْزمون غرامةً أو هالكون، وقولهم: (**بل نحن مُحرَمون**)، أي: مُحارَمُون محدودون غيرُ مَجْدُودين، وعند هذا يكونُ كَسرُ إنَّ على تقدير هذا القول المستلزِم.

وأما على الثاني: فيكون من إطلاق اسم السَّبَب على المُسَبَّب، وذلك أن تَعَجُّبَهم من جعله حكاماً يستلزم تَنَدُّمَهم على تَضْييعِهِم ما أنفقوه، أو على اقترافهم الذنوبَ التي أَوجبَت لهم ذلك، وذلك أيضاً يَستَلزِمُ تَذَكُّرَهُم خُسرانَ النَّفَقَة، وحِرمانَ / الثَّمَرة، فيتضمن قولَهم (**إنا لمغرمون**) كما تقدم. [٢٥]

وأما على الثالث: فيحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون (**تَفَكَّهون**) تَفَعَّلون من الفُكاهة، وهو التَّحَدُّث بِمُلَح الكلام وطرائِفِه، وهذا يكون على التَّهَكُّم، أي فتَتَعاطَون بينكم هذه الأقوالَ مُتَلاومين، وسمَّاها فُكاهَةً تَهَكُّماً، وقَريبٌ منه قَولُه: تحيةُ بينهم ضربٌ وَجيعٌ، وعلى هذا فيكون (**إنا لمغرمون**) مُتَعَلقاً بـ (**تفكهون**).

---

(١) راجع: الطبري: جامع البيان ٢٢/ ٣٤٩، ابن كثير في تفسيره ٧/ ٣٤٠٧.

(٢) القاموس المحيط، اللسان مادة: (فكه).

(٣) كذا في نسخة المعيار، وفي الأصل: كلمة غير واضحة.

وأما على الرابع: فكالثاني في إطلاق اسم السَّبَب على المُسَبَّبِ، ويحتمل أن يكون (**تَفَكَّهون**) من: تَفَكَّهتُ بالفاكهة على وجه التَّهَكم أيضاً، أي تَجْنون هذه الأقاويل عوضاً عن الثمرات التي كنتم تجنونها لو تَمَّ لكم الحرثُ والزِّراعةُ، فيصيرُ تَفَكُّهُكم إنما هو بقولكم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧﴾[1].

وقُـرِىء: تَفَكَّنـون[2]، أي تَتَنَـدَّمـون وتَتَلَّهَفـون، والتَّفَكُّـن: التَّلَهُّـف والتَّنَدُّم، ولعل تأويلَ من تَأَوَّل من المفسرين التَّفَكُه بالتَّنَدُّم أو بالتَّفَجُّع[3] إنما هو على هذه القراءة، والله أعلم.

١٧ ــ وأما السؤال السابع عشر:

فجوابه: أن اللَّطيفَ إما خالقُ اللُّطفِ فيكون صفةَ فعل، أو العالم بِخَفِيَّات الأمور، فيكون صِفَةَ ذاتٍ[4]، ودخول اللام على من يشاء لإشراب لطيفٍ معنى فاعل، أي فاعل لما يشاء على وجه اللُّطف تَفَضُّلاً منه لا إيجاباً

---

(١) الآية ٦٦، ٦٧ من سورة الواقعة.

(٢) قرأ أبو حرام (تَفَكَّنون) بالنون بدل الهاء، خلافاً للقراءة العشرية (تفكهون)، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٣) فسرها بذلك الحسنُ وقتادةُ، راجع: الطبري: جامع البيان ٢٢/ ٣٥٠ (نشرة: دار هجر)، أبو حيان: البحر المحيط ٨/ ٢١١.

(٤) ذكر بعض العلماء لاسم الله تعالى اللطيف ثلاثة معانٍ: العالِمُ بخفايا الأمور، ودقيقِ الأشياء، والبرُّ بعباده الذي يرفق بهم، والذي لَطُف عن أن يكون مُدركاً بالكيفية، فاعتبروا المعنى الأول والثالث من أسماء الذات، والمعنى الثاني من أسماء الأفعال.

يراجع في معاني اسم الله «اللطيف»: الخطابي: شأن الدعاء ص (٦٢)، أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى ص (٧٠)، محمد الحمود: النهج الأسمى ١/ ٢٦٢.

عليه، ويحتمل أن يكون اللامُ لامَ التعليل، وتكون (ما) مصدرية، أي لطيف لأجل إرادته، وذلك أن الفاعل بالإرادة شاهدٌ[1] إذا كان عاقِلاً، فإنما يكون فِعلُه على الوجهِ [الذي يَقتَضِيهِ العَقلُ وتوجبُهُ الحكمةُ فلا يأتي الأشياء سُدًى ولا كيف اتفق، بل على الوَجْهِ][2] الأحْكَم، والطَّريقِ الأوفَقِ، وعلى قَدْرِ تَمَكُّنِهِ من العَقْلِ والعِلم يكون فِعلُه في هذا المعنى أَتَمَّ، ولا معنى لِلَّطيف إلاَّ هذا.

وإذا تَقَرر ذلك شاهداً فهو في الغالبِ أكملُ وَأَتَمُّ، بل لا أفعل بينهما إلاَّ أنَّا، وإن كُنا نقول بهذا المعنى غائباً، فلا نقول: إن ذلك لغرض، ولا أنه على جهة الإيجاب، بل الباري سبحانه مُنَزه عنهما، وإن كانت أفعالُه جاريةً / على وجه الحكمةِ والصَّلاحِ، فَتَفَطَّن لهذه المَزَلَّةِ، ومن هنا يظهرُ لك دُخولُ [٢٦] اللَّامِ، وأنها مُتَعَلقة بلطيفٍ، والله أعلم.

١٨ ـ وأما السؤال الثامن عشر:

فجوابه: أن الكلماتِ مَحمولَةٌ على ظاهرها لا على المعلومات، وذلك أن معلوماتِه عز وجل لما كانت لا نهاية لها، وكل عالم فَمُخْبِرٌ[3] عن مَعْلومِه، فكلماته لأجل مطابقتها لمعلوماته غيرِ المتناهية، غيرُ متناهية، والله أعلم.

١٩ ـ وأما السؤال التاسع عشر:

فجوابه: إن الكوكب والقمر والشمس المذكورات في الآية وإن كانت لها صفاتٌ تدل على حدوثها، ككونها في جِهَة، ومحصورةً محدودةً

---

(١) الأصل: شاهداً. (خ).

(٢) في المعيار: ساقط.

(٣) كذا في نسخة المعيار، وفي الأصل منبهم.

وأجساماً، فأظهر تلك الصفات في الاستدلال على حدوثها، هو أُفولُها وغيبوبتُها، لكون ذلك فيها عدماً مَّا، والإلـٰهُ قَديمٌ، والقديم لا ينعدم ولا يتغير.

ولما كان الأفولُ أَظهَرَ أنواعِ التَّغْييرِ الدالِّ على الحدوثِ قالوا: الأفولُ هُوِيٌّ في حَضْرَةِ الإمكان، وقد قيل: إن قومه كانوا أصحابَ نُجومٍ، فاستدل عليهم بما يُوافِقون عليه، وذلك أن الكَوكَبَ عند كونه فوق الأفقِ في الرُّبْعِ الشَّرْقي وخُصوصاً عند أَوَّل طُلوعه، قَوِيُّ التأثير، ظاهِرُ السُّلطان على ما يَعتَقِدونه، وعند كونه فَوقَ الأفْقِ في الرُّبْعِ الغَربِـي وخصوصاً عند أُفولِه كالوالي المَعْزولِ، لا جَرَم استدل على عدم إلهية تلك الكواكب في الحالة التي يوافقون على ضعفها وعَدَمِ تأثيرها فيها، فهذا وَجهُ تَخصِيصِ استدلاله بالأفول.

وأما الاستدلالُ بالأفولِ على عدم الكُرِيَّة فبعيدٌ جدًّا، بل ربما استدل به على الكُرِيَّة، وما ذكر عن الحسن من كَونِ القَمرِ مُستفادَ النُّور من الشمس، فَأَمْرٌ لا مجال للعقل فيه[1]، فإن ثَبَتَ دليلٌ سَمعِيٌّ صَحيحٌ لا مَطعنَ فيه على ذلك، عملنا بمقتضاه، وإلاَّ فهو في حَيِّزِ الإمكان.

واستدلالُ الحُكَماء على مذهبهم في هذا فهو مَبْنِيٌّ على مُقَدِّماتٍ حَدسِيَّةٍ قد قامت عليها شُكوكٌ صَعبَةٌ، ولم يستدلوا على كَوْنِ القَمَرِ / مُسْتَفادَ [٢٧]

---

(١) ما ذكره المؤلف رحمه الله في هذا الموضع في مسألة إمكان اكتساب القمر النورَ من الشمس، وعن التشكيك في هذه القضية العلمية، صار اليومَ من القضايا العلمية المسلمة ثبوتها، في ظلِ ما شهده علم الفلك من تطور ملحوظٍ، إذ عاين علماء الفلك واقعَ القمر بِتَمَكُّنِهم من الصعود إليه، والوقوف على سطحه، وأصبحت مسألةُ التَّسْلِيم بكون القمر إنما يستفيد نوره من الشمس من قبيل القضايا اليقينية التي تجاوزت أدلةُ ثبوتها درجة الشك في زمن المؤلف.

الضَّوء من الشمس من جِهَةِ[1] الكُرِية، وإن كان لها في الاستدلال مَدْخَلٌ، بل مِن جِهَةِ تَزيد ضَوْءَ القَمَرِ ونَقْصَه بحسب قُربِهِ من الشمس وبُعدِه، وأيضاً فَبِالكُسُوفَات القمرية، والله أعلم.

٢٠ ـ وأما السؤال الموفي عشرينَ:

فجوابه: أن السَّبعين إنما جيء بها على قصد المبالغة في أنهم لا يُغفرُ لهم، وذلك أن السَّبعَة مُنْتَهى التأكيد عند العرب، يَدُلُّك على ذلك ألفاظُ التَّأكيدِ المُبَوَّب له، فجعل السَّبْعَةِ عَشَراتٍ أبلغُ وأنهى، وقد جاء أن النبي عليه السلام قال لما نزلت الآية: «**لأزيدن على السبعين**»[2]، فنزل الناسخ، وهو قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[3]، وقيل: الناسخ غير ذلك، والله أعلم.

٢١ ـ وأما السؤال الحادي والعشرون:

فجوابه: أن قَلْبَ معنى النَّفْيِ إلى الإيجاب عند دخول همزة التقرير مجازٌ في التَّرْكِيبِ، فهو على خلاف الأصل، فهناك يحسنُ السؤال، أما إذا ورد الكلام مراداً به حقيقته، فلا يحسن السؤال، فكذلك ما أفادته الآية من النفي.

ويبين لِهِ ذلك أن قوم لوط لما جاؤوه يُهرَعون إليه طالبين للفحشاءِ بِضَيْفِهِ، نادَت ألسُنُ حالِهِم عليهم، إنهم ليس منهم رَجُلٌ رشيدٌ يرعى[4] فينهاهم، فاستفهمهم لوط عليه السلام مُقَرراً لهم بحسب ما نطقت به ألسُن

---

(١) في الأصل مأكولة بالأرضة والقراءة تقديرية. (خ).

(٢) خرجه ابن جرير في جامع البيان ٢٢/٦٥٩ من حديث ابن عباس.

(٣) بعض الآية ٦ من سورة المنافقون.

(٤) كذا في الأصل، ولعلها يرعوي. (خ).

حالهم فقال: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨﴾[1]، وهذا كما تقول مُنكِراً على من قال: لستُ أفعلُ مَعروفاً، أَلَستَ تفعَلُ مَعروفاً؟

على أني أقول: إن رد الكلام إلى الإيجاب باعتبار ما، لا يَبْعُد هنا، بل هو ظاهِرٌ عند التحقيق، فإن السِّياقَ اقتضى بحسب ما أفادته همزة الإنكار أن يكون المعنى: لِيكُن منكم رَجلٌ رشيدٌ يَكُفكُم عما أنتم مرتكبون له من الفَعْلَة الشَّنْعاء، والله أعلم.

٢٢ ــ وأما السؤال الثاني والعشرون:

[٢٨] **فجوابه**: إن التوبة إن قلنا بوجوب / قَبولها، فليس ذلك عقلاً بل سمعاً، فليس واجباً عليه قَبولُ تَوبَةِ التَّائِبِ إيجاباً عقليّاً، بل ذلك بِالسَّمعِ عَمَلاً بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[2]، وبقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[3]، وكما روي من قوله عليه السلام: «التوبة تَجُبُّ ما قبلها»[4]، إلى غير ذلك من الأدلة

---

(١) بعض الآية ٧٨ من سورة هود.

(٢) بعض الآية ١٠٤ من سورة التوبة.

(٣) بعض الآية ٨٢ من سورة طه.

(٤) الحديث بهذا اللفظ غير محفوظ في دواوين السنة؛ بل حكم عليه بعض العلماء المحدثين المعاصرين: بأنه لا أصل له. وهو عند الشيخ الألباني في الضعيفة برقم: (١٠٣٩)، وقد ذكر هذا اللفظ ابن كثير في تفسيره ٥/٢٢٣٥، ونصُّ الحافظ مشعرٌ بأنه حديثٌ محفوظٌ.
وقد ورد معناه بلفظ آخر: «إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها»، راجعه في الإرواء برقم: (١٢٨٠)، وهذا المعنى صحيحٌ تشهدُ لصحته نصوص القرآن، فإن حقوق الله تعالى يغفرها لعبده إذا صحت توبته، أما حقوق العباد التي تتعلق بها ذمة التائب فإنها لا تغفر بالتوبة وحدها، بل لا بد من إعادة الحقوق إلى أهلها.

السمعية، فحينئذ لا إشكالَ في تَخَلُّف القبول بعد استيفاء الشروط.

وحكمة بقائهم ما بقُوا ــ والله أعلم ــ ابتلاؤهم تعظيماً لأجورهم، ويحتمل أن القبولَ كان وَقَعَ عند توبتهم، وتَأَخَّرَ الإخبارُ به إلى وقت نزول الآية، وليس هذا من تأخير البيان عن وَقْت الحاجة، وإن قال بعضهم بجوازه لأن ذلك خاصٌّ بالأحكام.

وحقيقةُ التوبة: أما لغةً فالرُّجوعُ، وأما شرعاً: فإقلاعُ النَّادِمِ عن الذَّنبِ ناوياً عَدَمَ العَوْدِ إليه فيما بعدُ.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[(١)]، فاعلم أن التَّوبةَ لها مبدأٌ وصورةٌ وثمرة، فَمَبدَأُها ما يخلقه الله في نَفْس التَّائِبِ من النَّدَم، أو الأمرُ الذي يَحمِله على إيقاع التوبة، وهذا لا كَسْبَ لِلْعَبد فيه، وصورتُها: الإيقاعُ ونِيَّتُه أن لا يعود، وهذا مُكتَسَب له.

وثَمَرَتُها وغايَتُها: ما وعد سبحانه عندها من القَبول والثواب عند استيفاء الشُّروطِ، ويَصِح إطلاقُ التَّوبَةِ على كل واحد من المَبْدَأ والصُّورَةِ والثَّمَرَة، وإن كان ذلك في بعضها مجازاً.

فقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ مَحمولٌ على المبدأ، وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾[(٢)]، على الثمرة و [هو القبول][(٣)]، وقوله: (وعلى الثلاثة) معطوفٌ على قولهم المُتَعَلِّقِ بتوبة الثَّمَرَةِ، وقوله: (ثم تاب عليهم ليتوبوا) على المبدأ في حَقِّ الثلاثة، وقوله: (ليتوبوا) على الصورة.

---

(١) بعض الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) بعض الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٣) كذا في نسخة المعيار، وفي الأصل كلمتان جارت عليهما الأرضة.

فإن قُلت: فكيف عَطَف المبدأَ على الثَّمَرةِ بـ: (ثُم)، وإنما كان يكونُ الأمرُ بالعَكسِ؟

فالجواب: إنه ليس مَعطوفاً على قوله: (تابَ عَلَيهِم)، وإنما هو مَعطوفٌ على قوله: (لقد تاب الله)، وبذلك يَزولُ الإشكالُ، والله أعلم.

[٢٩] ٢٣ ـ / وأما السؤال الثالث والعشرون:

فجوابه: أن الإدراكَ في الحقيقة إنما هو اللَّحاقُ للشيء، والإحاطةُ به، ومنه: أدركتُ الحاجةَ، وأَدرَكَه الغَرَقُ أحاط به[١]، فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٢]، أي لا تَلْحَقُه ولا تحيطُ به، وهو يدركها أي يحيطُ بها مشاهدةً وعلماً، وقدرةً وملكاً.

وإعادة (الأبصار) بلفظ الظاهر، لأنه موضعُ تَفْخِيم وتَحويلٍ، ويُحتَمَلُ أن يكون عَنَى بالأبْصَار ذوي الأبْصارِ، وإنما تُجوِّزَ قصداً للمشاكلة، كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[٣]، و ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[٤].

وتَخصيصُ الأبْصارِ على التأويل الأول: أنه إذا كان يحيط بها من شأنه أن تُحيطَ بغيره، فَأَحْرَى أن يُحيطَ بما لا إحاطةَ له من سائر الأجسام، وأيضاً: فَلَمَّا كانت الأبصارُ مُشتَمِلَةً من بَديعِ التَّركيبِ، ولَطيفِ الإحكامِ

---

(١) تقول: أدركه أي لحقه، ورجل دَرَّاكٌ ومُدرِكَةٌ ومُدرِكٌ، وتداركوا: لحق آخِرُهُم أَوَّلَهُم. القاموس المحيط، مادة: (درك).

(٢) بعض الآية ١٠٣ من سورة الأنعام.

(٣) بعض الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٤) الآية ٤٠ من سورة الشورى.

والصَّنْعَةِ مع صِغَرها بالنسبة إلى سائر الأعضاء الآلية حسبما تَحَقَّق في التَّشريح على أمور عجيبة ليست في غيرها، خَصَّصَها الإدراكُ لذلك، فيكونُ غيرُها أَولى بالإدراك.

والاستدلال بالآية على صِحَّة الرؤية فيه بُعدٌ، نَعَم اسْتَدلَّ بها المعتزلة، ثم أسقطنا الاسْتِدلالَ بها من أيديهم؛ أمَّا على طريقة عبد الله بن سعيد[1] ومَن نحا نحوه[2] ممن جعل الإدراك غير الرؤية: فلأن الإدراكَ غيرٌ، والرؤيةَ غيرٌ، ولا يلزم مِن نَفي الإدراك نفيُ الرؤية، وأما على طريقة مَن جَعَل الإدراكَ نَفْسَ الرؤية، فمن جهة أن نفي الإدراك عن الأبصار إما عن مجموع الأبصار، أو عن كل واحد منها، أو عن بعضها دون بعض.

والثاني لا دلالة لِلَّفْظِ عليه، والأول والثالث لا يلزمُ منه تَعميمُ النفي، نَفْيِ الإدراك عن كل واحد، والله أعلم.

٢٤ ــ وأما السؤال الرابع والعشرون:

فجوابه: أن الآية دالةٌ على نَفْي اتِّخاذِ الوَلَدِ، ووجهُهُ: أن الوَلَد من

---

(١) هو: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب القطان البصري، رأسُ المتكلمين بالبصرة في زمانه، وله «كتاب الصفات»، وكتاب «خلق الأفعال»، و «كتاب الرد على المعتزلة»، وذكر أن الحارث المحاسبي أخذ عن ابن كلَّاب علمَ الجدل، وتوفي في النصف الأول من المائتين.
ترجمته في: السبكي في طبقات الشافعية ٢/ ٢٩٩، الذهبي في السير ١١/ ١٧٤.

(٢) وفي مُقَدَّمهم الإمام أبو الحسن الأشعري ومَن تبعه على رأيه الأول مُوافقةً منه بابن كلَّاب، وهم طائفة الأشعرية، ومعلومٌ أنهم يثبتون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، مع نفي جهة العلو على الأصل المعتبر عندهم. راجع: الجويني في الإرشاد ١/ ١٦٦ ــ ١٨١.

[٣٠] جِنْس الوالد ضرورةَ أن المتولِّد من / جنس المتولَّد منه عادةً، فلو اتَّخَذ ولداً لكانَ إلـٰهاً عملاً بالجنسية، ولو كان ولدُه إلـٰهاً للزم أن يكون معه إلـٰه، فلو اتخذ ولداً لكان معه إلـٰهٌ، ولو كان مَعَه إلـٰهٌ لَوَقَع الفسادُ عَملاً بالسُّنَّة الجارية في مُتَنازِعي الرِّياسَةِ.

ولذلك قال الحكيم في كثرة الرِّياسَاتِ[١]، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٢]، واللازم وهو الفساد لم يقع، فالملزوم مثلُه.

٢٥ ــ وأما السؤال الخامس والعشرون:

فجوابه: إن الظاهر وإن كان معنى لفظه إنشاء، فصورتُه صورةُ الخبر، فورود النفي في قوله: (ما هُن أُمَّهاتِهِمْ)، تكذيب له بحسب الصُّورَةِ، وتَقبيحٌ من جهة المعنى، فمن ثَمَّ قيل له: مُنكَرٌ وزورٌ.

فالمُنْكَرِية فيه من حيث ذكر الأم في معرض الوطء، إذِ المعنَى بالظِّهار تصييرُ وطء الزوجة كوطء الأم، وإضافةُ الوطء إلى الأم مُنكرٌ، تَنفُر منه الطِّباعُ، وتَأباهُ الأنْفُسُ، والزُّورُ من حيث كَذِبُ الصورة، ومن ثم قال: ﴿ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ﴾[٣]، والله أعلم.

٢٦ ــ وأما السؤال السادس والعشرون:

فجوابه: أن رؤيا النبيين عليه السلام، وإن كانت وحياً وصدقاً، وليست بأضغاثِ أحلامٍ لِتَنَزُّهِهم عن الأضغاث، إلاَّ أنها تختلف في الدلالة على المراد بها.

---

(١) كذا، ولعله سقط من هنا شيء. (خ).
(٢) الآية ٩١ من سورة المؤمنون.
(٣) الآية ٢ من سورة المجادلة.

فمنها ما لا يحتاج إلى تأويل كرؤياه عليه السلام أنه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه مُحَلِّقين رُؤوسَهم ومُقَصِّرين، فإنها كيف كانت مناماً كانت يقظةً.

ومنها ما يحتاج إلى تأويل، كرؤيا يوسف عليه السلام سجودَ الأحدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ له، فكان تأويلُها سجودَ إخوته، وأبيه وأمه وخالته، وكهذه التي الكلام فيها، فيحتمل أن رؤياه عليه السلام كانت على أنه رآهم في المنام على حالَةٍ يقْتَضي / تأويلُها قِلَّة غَنائِهم، فإن الكثرةَ مع [٣١] الخذلان قِلَّةٌ، والقِلَّة مع النَّصْر كَثْرَةٌ، إذا المُعتبَر إنما هو الغَناءُ، ولذلك قال [. . . . . .][1]:

والنَّـاسُ أَلْـفٌ مِنهُـمُ كَـوَاحِـدٍ ... وَوَاحِـدٌ كـالأَلْـفِ إِنْ أَمـرٌ عَنَـى[2]

ويحتمل أن يكون رآهم في النوم قليلاً عدُدُهم، وأُشير له بِقِلَّة عَدَدِهم إلى قِلَّة جدوى كَثْرَتهم وتَقْليل غَنائِهم، وليس صدق الرؤيا أن تكون لا يحتاج في مقتضاها إلى تأويل، بل على معنى أن لها مُقتضًى كيف كان، ولها في دلالتها مراتبُ في القُربِ والبُعدِ بحسب أحوال الرائين، وحملُ الآية على رُؤية العين بَعيدٌ مُتكَلَّفٌ، والله أعلم.

٢٧ ـ وأما السؤال السابع والعشرون:

فجوابه: أنه لما قَدَّمَ اللَّهُ تعالى بِشارةَ بِنُصْرَتِهم، وأمارةَ على تأييدهم رؤيا النبي ﷺ، ورُؤيَتِهم قِلَّتَهم، وكانت هذه الأمارةُ مُساوِيةً لتلك البِشارة وفي معناها، ووُزِي بين ألفاظهما.

---

(١) موضع بياض في الأصل. (خ).

(٢) البيت من مقصورة ابن دريد الأزدي، وهو في شرح المقصورة الدريدية ص (١٥) (مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٣٠٠هـ).

فقوله: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ﴾[1] على موازاة ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ ﴾، أي في اليَقظَةِ على مُوازاةِ ﴿ فِى مَنَامِكَ ﴾ و ﴿ قَلِيلًا ﴾ معاً في الآيتين مُتقابلانِ ولم يَحْتَج إلى ذلك في قوله: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[3] ذهاباً إلى الإيجاز، واجتزاءً بتفصيل العبارة الأولى لأنها في معناها.

وتقليلهم في أعيُنِهم إما بأن لا يَخْلُقَ في أعينهم إدراكاً لبعض أولئك الأشخاص، أو يَخْلُق مَوانِعَ حائِلةً بينهم إما في المدرِك أو في المدرَك، أو بينهما.

وما أورده من أنه لا يبقى لنا وثوقٌ بأنَّ ما رأيناه هو كما رأيناه، فليس كذلك، لأن تَجويزَ انْخِراقِ العادَةِ لا يَقْدَحُ في جريانِها، والله أعلم.

٢٨ ــ وأما السؤال الثامن والعشرون:

فجوابه: أن الآية إن اعتُبِر فيها السَّببُ الذي ذُكِر لنزولها وعليه أكثرُ المفسرين، فظاهِرٌ، فإنه لما كان التَّزَوُّدُ مُستلزماً / لأن يَتَّقوا تَكَفُّفَ الناس [٣٢] وأخذَ أموالِهم من غير اسْتِحقاقٍ، كما رُوي أنهم كانوا يفعلون ذلك، وكان الزَّادُ يُجنَى منه التقوى لاستلزامه إياها، والتقوى خيرٌ من الخيرات الموَصِّلَة إلى الله تعالى، بل هي للصالحات، فيكون المعنى: فتزودوا فإن الخير الذي تجنونه من الزاد التقوى التي هي أساسُ الدين، فيكون (خيرٌ) على هذا اسماً لا وصفاً.

---

(١) بعض الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

(٢) بعض الآية ٤٣ من سورة الأنفال.

(٣) بعض الآية ٤٤ من سورة الأنفال.

ويحتمل أن يكون المعنى: وتزودوا بما هو ملكُكُم يحصل لكم مع ذلك التَّزوُّد بالتقوى، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] التي تَزَوَّدونها عند تزودكم بما هو من كَسبِكُم ومِلكِكُم، فتكون الآية من باب الاقتضاء، كقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[2]، إلى غير ذلك مما جاء من هذا الباب، وهو كثير.

ويحتمل أن يكون المرادُ: وتزودوا في مَرَاحِلِكُم إلى الآخرة بِالزَّادِ الحقيقي، وهو التَّقوى، فإن خَيْرَ الزاد التقوى، و «خيرٌ» في هذا التأويل والذي قبله صفةٌ، وعند ما ذكرناه من التأويلات، فلا يبقى في الآية إشكالٌ، والحمد لله.

٢٩ ــ وأما السؤال التاسع والعشرون:

فجوابه: أنه ليس معنى الآية الإنكارَ لِجَمعِهِم بين أمر الناس ونِسيانَ أنفسهم، بل الإنكارُ لكل واحد منهما، وهكذا، كما إذا رأيتَ مُنْهَمِكاً في معاصيه، مُصِرًّا على فِسْقِه، يُؤَهِّل نفسَه للحِسبة في النهي عن مُنكرٍ هو مُرتَكِبُه، فإنه يستقيم لك حينئذ أن تقول بناءً على ما اسْتَقَرَّ عندك من حاله: أَتَنْهى عن المنكر، وَأَتَنْسَى نفسك؟ توبيخاً له على كلا الأمرين، فإن نِسيانَه نفسَه منكَرٌ، وتأهيلَه إيَّاها إلى رتبة ليس هو لها بأهلٍ، مُنكَرٌ أيضاً.

وإذا صَحَّ إيرادُ كُل واحِدةٍ من الجملتين مُستَقِلةً بالاستفهام عنها على جِهَةِ الإنكار صَحَّ إيرادُهُما معاً مَعْطُوفةً، إحداهما على الأخرى، مُصَدَّرة أولاهما بالاستفهام التَّقريري، ويحتمل أن يكون (وَتَنْسَوْن) في مَوضِعِ

---

(١) بعض الآية ١٩٧ من سورة البقرة.

(٢) بعض الآية ٦٣ من سورة الشعراء.

[٣٣] الحال، أي وأنتم تَنْسَونَ أنفُسَكُم، / كقولهم: قمتُ وأصُكُّ عينه، إلاَّ أن الأوَّلَ أولى لِشُذُوذِ هذا، والله أعلم.

فهذه ــ وَفَّقَكَ اللّه ــ نُبَذٌ من أجوبة سُؤالك، وإزاحة إشكالك، وعسى أن يكون ــ إن شاء الله ــ لك فيها مَقنَعٌ يكفي، وصُبابة تَبُل صداك وتشفي، والله سبحانه يعصمني وإياك من الخطأ والزلل، في قول أو عمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً.

كَمُلت الأجوبة، ونقلتها من خط المجيب صاحبنا الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد بن البَقَّال حرس الله كماله بمنه، وقيدها بنفسه في السابع والعشرين من شهر رمضان المعظم من عام أربعة وعشرين وسبعمائة[١].

---

(١) وُجِد في آخر النسخة ما نصه: «وبعده مباشرة ما نصه: بل في أوائل ربيع الثاني لعام خمسة وتسعين وتسعمائة، كاتبُه عبد الله علي بن محمد السطي لطف الله به».

انتهى ما وُجد بالأصل المنتسخ منه التي اعْتَدَت عليه الأرَضَةُ فالْتَهَمت منه جُملاً وكلماتٍ، وتحيَّفَت الرطوبةُ أطرافَه فامَّحَت كَلماتٌ وكَلِماتٌ، وقد بَذَلْتُ الجُهْدَ في تَبَيُّن ما انمحى، واستدراك ما انْطَمَسَ، وتَصْويبِ ما انْحَرَف.

وقد كان النَّاسِخُ غفر الله لنا وله يَتَفَضَّل بِشَكْل كلماتٍ شكلاً مغلوطاً لم نُنَبِّه على كثير منه لِوُضوحِه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فرغ منها صباح يوم الأحد رابع شعبان الأبرك عام أربعة عشر وأربعمائة وألفاً، موافق ١٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٩٤. عُبَيدُ ربه أبو أويس محمدُ بنُ محمدَ الأمينِ أبو خُبْزَةَ الحسني التطواني، غفر الله ذنبَه، وسَتَر عَيبَه». انتهى.

فرغت من نسخ هذه الرسالة الماتعة النافعة فجر يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى لعام ١٤٢٤هـ موافق ١٧ يوليو/ تموز ٢٠٠٣م بجوار الحرم المكي المعطر بالطيب=

. . . .

* * *

= المسكي، برباط المغاربة العتيق، ثم استفدتُ من مُقابَلَتِها في مجلس واحدٍ مع عالمين كريمين: الشيخ الفقيه نظام يعقوبي من قطر البحرين مُمْسِكاً بالأصل وأنا أقرأ، والأستاذ اللغوي الدكتور عبد الله محارب من قطر الكويت مُسْتَمِعاً ومُفيداً، ليلة السادس والعشرين من رمضان الأبرك لعام ١٤٢٤هـ، قُبالَةَ الكعبة المشرفة.

قاله أفقر الورى:
الشريف بِنَسَبه، المُقَصِّر بِعَمَلِه،
خالد بن العربي مُدرِك الحَمْداوي
العروسي الإدريسي الحسني
نزيل بلد الله الحرام تداركه الله برحمته ووالديه



فهرس مسائل الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ثانياً: الأجوبة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

• • •